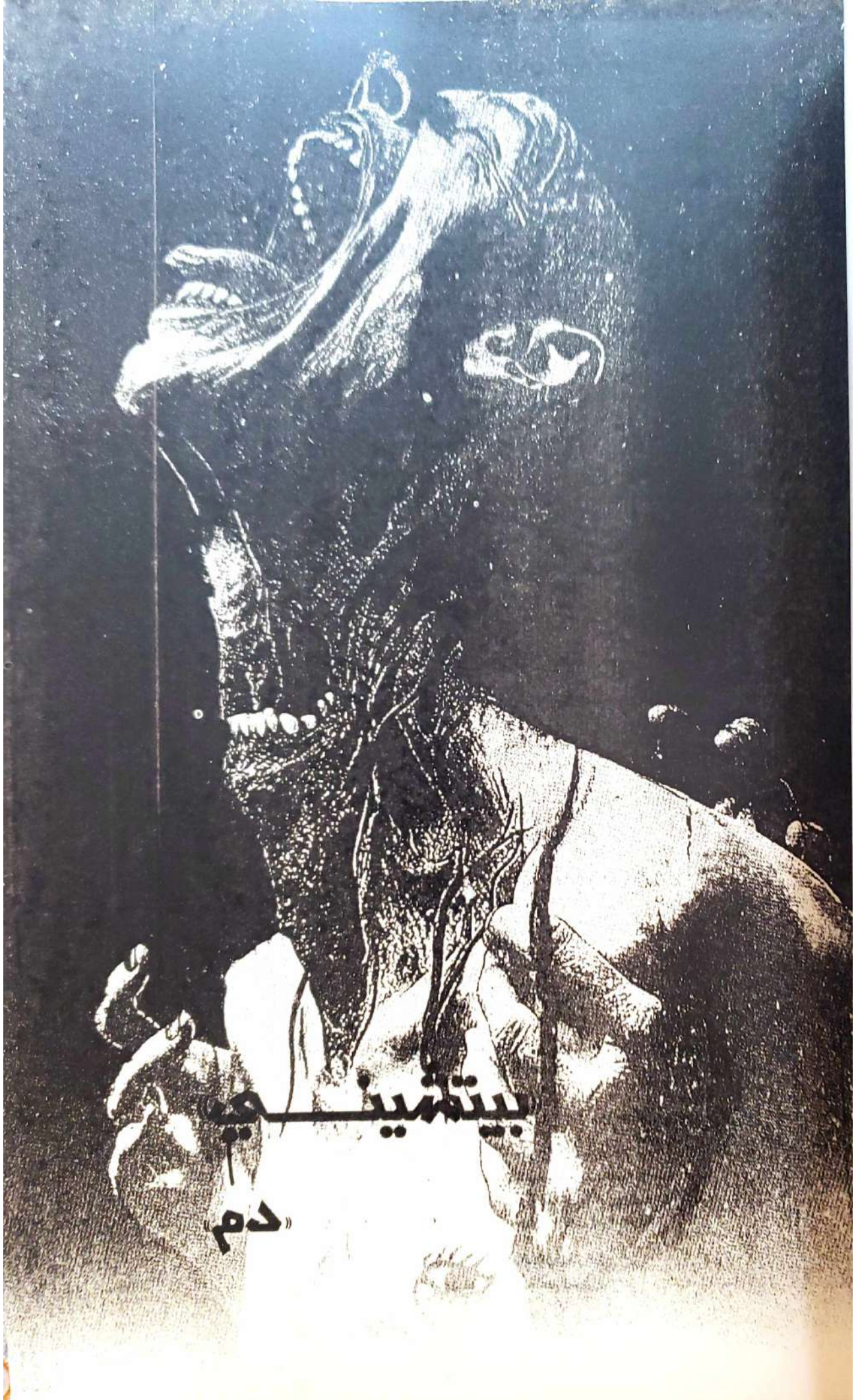


يَتَشِينِي

مريم الحيسي



بیتھینڈ

حم

«سلسلة من المهد إلى اللحد»

اليتيمية

«حم»

تأليف

مريم الحيسي

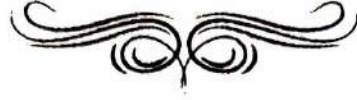
✕ maria_hise5

📷 maria_hise5

👤 maria_hise5

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م



«دعني أخبرك بشيء: إن هذا الكتاب يدفع للجنون
إذا كنت ترغب بمواصلة القراءة فأنت موافق على
مشاهدة الأهوال القادمة والتي في بعض الأحيان
لا يمكن تصورها! إذا كنت حساساً فكرر مع نفسك...»

إنه مجرد كتاب

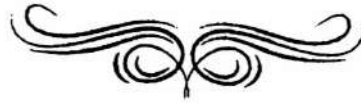
إنه مجرد كتاب

إنه مجرد كتاب فقط..»

ماريا..

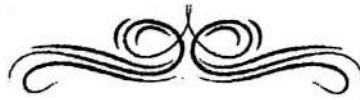


د. رقية عادل



«الإهداء»

«إلى جميع الجثث على هذه الأرض وخارج الأرض
هذا الكتاب لكم كل الحب والمودة»..



«مقدمة»

بالنسبة لأولئك الذين يفهمون أن صمت المرأة هو غضبها، وأن غرابة أطوارها ما هي إلا أن عقلها يعيش في عالم آخر عالم مختلف وأن موت شخصية خيالية مؤلم مثل الواقع تماماً، وأن الخوف والرعب والأهوال تأخذ من روعي شيئاً كما في الواقع، كان هذا أصعب كتاب أكتبه حتى الآن ولا أعلم سيأتي في المستقبل كتاب أكثر صعوبة؟؟؟! إن هذه السلسلة سحبتني إلى الأسفل لربما إلى سبع أرض! لربما شعرت بنوبات صداع بمعدل عشرين مرة في اليوم لربما واجهت هلوسات في عقلي وفي غرفتي! لكن كل ما أعرفه أن هذا الكتاب أحدث فوضى في أعماق روعي وأن الشخصيات هنا كانوا معلقين على ظهري، يهمسون في أذني، ووضعوا أيديهم حول عنقي مرات عديدة وتركوا أثر كدمات في جسدي، والآن هم حولك ولن يتركوك الآن هم يحتاجون بعض العناية منك حتى تحترق نفوسكم وتتعفن قلوبكم! لكنك لست على استعداد لتحمل كل الفوضى هنا عزيزي القارئ ولكن بما أن الكتاب معك هذا يعني أنك جئت إلى هنا للبحث عن هذه الفوضى المرعبة لقد جئت للبحث عنهم لذلك دعونا نحترق معاً!

«أخيراً إلى أشلاء نفسي المتبعثرة بين الصفحات ربما لترقدي بسلام».

ماريا..



«تمهيد»

لقد جمعت أكبر قدرٍ من الجثث وتحقق حلمي !!

دون مقدمات أو تمهيدات أنا أحب الجثث مهووس بها إنها لا تقدر بثمن إنها عالم مختلف عالم مذهل عالم لا يفهمه الأحياء أبداً، هناك أسرار كثيرة في هذا العالم وأنا أحب أن أغوص بها، أحب رائحتها أحب ملمسها أحب التأمل بها! إن جثث الموتى يشعرونني بالحياة هم إلهامي في هذه الحياة هم عائلتي وأصدقائي ومأمني وحياتي جثة واحدة فقط تشعرني بأنني على قيد الحياة! أعتقد أنني الشخص الوحيد على الكرة الأرضية الذي لا يخاف من الجثث ولا يتقزز منها ولا ينفر منها ويسعدني ذلك...

لحظة..! لا تفهموني بشكل خاطئ أنا لست منحرفاً ولست مصاباً بمرض النيكروفيليا! على العكس أنا لا أحب أن أؤدي الجثث أنا أحب أن أعني بهم تماماً مثل الأحياء..

إن الإنسان بتشكيلته يعتبر فتناً إنه يختلف اختلافاً تاماً عن باقي المخلوقات بالعقل والشكل لذلك عندما يصبح جثة يكون شبه تحفة نائمة لماذا علينا أن نتخلص من تحفة مثل هذه أسفل التراب؟؟ لماذا علينا أن نخفي الجمال؟ بالنسبة لي لا يهمني

الأحياء بقدر ما يهمني الأموات...! إن الأحياء لديهم الكثير من
حولهم يهتمون بهم لكن الجثث لا أحد يهتم بهم إنهم يعيشون
في وحدة مظلمة! لطالما الجثث اهتمت بي من الطفولة حتى
الآن لذلك يجب أن أرد لهم الدين، وكان من دواعي سروري أن
أكون الأب الروحي للجثث...!

اليتبين



«الفصل الأول»

«لماذا أنا مفتون بالجنث؟»

في بعض الأحيان يتعب الرجل من حمل كل شيء، العالم يكتسح رأسه يترهل الكتفان وينحني العمود الفقري بقسوة، وترتعش عضلاته من التعب الأمل في الراحة هو الموت! ويجب على الرجل أن يقرر ما إذا كان تخلى عن حمله أو يتحمله؟ حتى تستقر رقبته مثل غصن هش..

أعلم جميعكم ستسألون هذا السؤال؟ ستتعجبون مني! وتقرزون مني وتنفرون وتحقرونني وتكرهونني أعلم إن أعطيتكم مليون إجابة لن تقنعكم أبداً ولن تقتنعوا أبداً وهذا من حقم ليس لأنني مخطئ لا بل لأن كل واحد في العالم له الحق في ما يعجبه وله الحق في ما لا يعجبه، لكن عني أنا لست مهتماً ولا أنتظر أي رأي وتقييم منكم لأن ما أفعله هو الصحيح ولا أنتظر أي نقاش ولا أريد أن أناقش من الأساس، سألت نفسي هذا السؤال قبل ٢٨ عاماً! ووجدت الإجابات فوراً كلما زاد عمري وكما مضت سنة في حياتي عرفت إجابات أكثر وأكثر، لهذا كتبت هذا الكتاب لأقدم إجابات لكم رغم أنني لست مجبراً لكن لتعلموا أيضاً بأن ما أفعله يستحق أن يروى يستحق أن ينشر من الممكن أن هناك الكثير في

هذا العالم يرغب بأن يفعل الأشياء التي أفعلمها لكنه خائف،
رحلتي التي سأكتبها في هذا الكتاب أنا بطلها أعلم بأنكم لن
تسموني بطلاً لكن لماذا على جميع أبطال الروايات والأفلام أن
ينقذوا البشر والأحياء فقط؟ أليس هذا مملاً؟ لن تجدوا هذا البطل
الخيالي هنا، هنا ستجدونني وأنا أنقذ الأموات أنقذ الجثث..!

أعلم بأن رحلتي ستقودك نحو الهاوية وربما نحو الجنون
لكن لا بأس ما فائدة العقل إذا لم يصبح مجنوناً؟ فالجنون هو
أساس الإبداع والنجاح وأيضاً ما أفعله هو ليس جنوناً إن
الاهتمام بالجثث هو نوع من أنواع الفن، الفن الذي لا يقدر بثمن
ولا يقيم حتى الفن الذي لا يمارسه إلا واحد بالمائة على هذه
الأرض وأنا هو الواحد بالطبع، أحب أبنائي وفتياتي وأطفالي
وإخواني أو هم عائلتي الكبيرة أحبهم جثاً ميتة سأبقيهم معي إلى
الأبد هم لا يتخلون عني ولا أنا أتخلي عنهم أبداً، لم أجد رائحة
بشعة فيهم أبداً ولا حتى لحظة واحدة لم أجد رائحة الموت
كريحة كان الأمر أشبه بالزهور المقطوعة التي تركت لفترة طويلة
جداً في الماء الراكد، هؤلاء الناس بمجرد أن ماتوا تخلى عنهم
الأحياء وتركوهم في أسفل التراب في قبر مظلم أليس هذا غير
عادل؟ ألا يكفي أن الأحياء دائماً يتخلون عن الأحياء كالمشردين
والأيتام وغيرهم؟! حسناً لنعد إلى موضوعنا الرئيس..

أحبهم كما هم أحب أن أتأملهم أتحدث معهم أكثر من البشر
أحتضنهم يستمعون إلي وأستمع إليهم نفهم بعضنا بعضاً نبتكي
معاً نضحك معاً نأكل معاً لا أحد يفهمني كما تفهمني جثتي..

حسناً أعلم أن كل شيء كتبته الآن هو عني ولم أكتب شيئاً بعد
 هذه فطرة من بحر مقدمة لطيفة خفيفة عني أعلم ستعتبرون هذه
 الأشياء التي أفعالها ليست صواباً ومسيئة ومقرفة لكن إذا كنتم
 تريدون أشياء تعجبكم تخصني رغم هذا لا يهمني لكن من
 الواجب أن أكتب سيرتي كلها حسناً أنتم البشر تظنون أن هذه
 الأشياء إيجابية وجيدة كالتعليم والإنجازات والنجاح لذلك أولاً
 أنا اسمي (ظل) نعم هذا حقيقي ليس اسمي المزيف ولا اسم
 الشهرة ولا اسمي الإجرامي ولا لقبني هذا اسمي قام بتسميتي هذا
 الاسم الشخص الوحيد في هذا العالم الذي أحبه أكثر من نفسي
 وأكثر من جثتي وهو أبي، أبي الذي أعطاني هذا الاسم عندما
 ولدت أبي الذي سماني اسماً مختلفاً وجعلني أعيش حياتي
 بشكل مختلف عن العالم، أخبرني أبي أنني عندما ولدت كانوا
 في فصل الصيف الطويل رغم أنهم كانوا في شهر نوفمبر أي من
 المفترض أن يكون نهاية الخريف وبدايات الشتاء لكن بلدتهم
 التي كانت طوال سنواتها عبارة عن صيف طويل لا ينتهي وذلك
 الصيف كان أشد صيفاً وحرارة على العالم كان أبي يعمل الكثير
 من الأعمال الشاقة بسبب لقمة العيش وكنا لا نملك حتى مظلة
 ولا أي شيء يحميه من الشمس وحرارتها وعندما أتيت أنا قال
 إنني أتيت له كالظل الذي سيحميه من حرارة الشمس ومن برودة
 المطر لذلك سماني بظل... ولدت في عام ١٩٨٧، يوم ٤، شهر
 نوفمبر، حرص أبي على تعليمي بشدة وحرصت أنا على
 الاستمرار حتى من بعده لكي يكون فخوراً بي وأيضاً هو يراني

في كل الأحوال! أنهيت تعليمي الثانوي ودخلت أرقى الجامعات
رغم أنني لا أملك المال لكنني أملك الدرجات العالية والمعدل
العالي لذلك دخلت بمنحة أولاً درست تخصص الطب الشرعي
والتشريح ثم أخذت ماجستير ودكتوراه في علم الفنون لأني
أقدر الفن كثيراً وأحبه كثيراً لذلك أصبح لدي تخصصان والفن
اكتسبتها كمواهب، لذلك أنا الآن طبيب شرعي ومن أشهر
الأطباء وبروفسير فنون أقوم بالتدريس في الجامعة في علم
الفنون وأقوم بالتشريح في المستشفى في الليل، أيضاً أنا رسام
لدي العديد من اللوحات المشهورة ونحات أنحت الكثير من
المنحوتات الرائعة والغريبة التي لا تتكرر أبيع أعمالني بثمان باهظ
أنا ناجح في جميع المجالات، أيضاً أنا جامع فنون وتحف ناجح
تجارتي المفضلة لطالما أحب تجميع الأشياء المميزة والجميلة
والغريبة بالطبع غير تجميع الجثث! والآن أنا كاتب كنت أخطط
لذلك من زمن طويل أحب الكتابة عن حياتي عن أعمالني عن
الفن عن قصص الجثث كل جثة لديها قصة تستحق أن تروى ماذا
أيضاً لدي؟؟ أوه أيضاً أحب أن أقرأ كثيراً خصوصاً كتب الفن
والشعر أقرأ لجميع الشعراء في العالم أحب أن أسمع القصائد
والأغاني الكلاسيكية القديمة أحب أن أقرأ أيضاً عن الموت وعن
الأشياء الغريبة التي تأخذنا إلى منحني آخر من هذه الجبة
المملة، أحب مشاهدة الأفلام الوثائقية المظلمة والأفلام المرعبة
ومع كل نهاية فلم مرعب أنتهي من مشاهدته أوقن بأن الجبة
الواقعية أكثر رعباً، أحب أيضاً أن أرتدي الأسود خزانة ملابس

وكانها بئر سوداء من شدة ظلمتها أحب ارتداء الملابس الطويلة
 خصوصاً إذا كنت خارج المنزل لا أحب أن أظهر جزءاً من
 جسدي سوى أصابعي ولا أعرف لماذا رغم أنني ولدت في
 الصيف أو هذا لأنني ولدت في عاصفة صيفية! عطوري مرطبات
 جسمي ليس هناك شيء معروف أو ماركة معروفة لكم إنها خاصة
 بي أنا أصنعها ولن أخبركم ما هي المحتويات أو ستعرفون لاحقاً
 لذلك هناك أيضاً موهبة أخرى وهي أنني أصنع عطوري بنفسني
 متعدد المواهب جيد أليس هذا ما تريدونه؟ أحب أيضاً لبس
 الإكسسوار المميز مثل خاتم جمجمة أو عين أيضاً أنا من أنحتها
 وأصنعها إذاً صانع مجوهرات أتمنى أن لا أصاب بالحسد أمزح أنا
 لا أو من بهذه الأشياء، أيضاً أحب المعارض والمتاحف هذه
 الأماكن أجمل الأماكن على وجه الأرض أحب زيارة الأماكن
 الغريبة والسفر كثيراً لكن مؤخراً لم أعد أحب ذلك لأنني أشتاق
 كثيراً إلى جثتي، بسبب هذه النجاحات والإنجازات أصبحت
 أملك ثروة هائلة في هذا العمر الصغير تعلمت من أبي أن أعمل
 في مجالات عديدة مثلما هو كان يفعل، لم يكن همي الأموال
 لكن أردت أن أعوض والدي الذي عانى كثيراً ليحضر لي قطعة
 خبز كل يوم، حتى إنني الآن أصبحت أملك قصرأ اشتريته قبل
 أربعة أعوام لأن عائلتي كبرت كثيراً أصبح لا يكفيننا منزل عادي
 قصري الذي يتكون من قسمين ضخمين القسم الأول طبيعي جداً
 مثل أي منزل عادي أستقبل فيه الضيوف رغم أنني إنسان وحيد لا
 أملك أي أحد وأغلب علاقاتي عملية فقط وأمارس فيه حياتي

الطبيعية كواجهة أو منظر للعالم كما يقولون أما القسم الثاني فهو
منزل عائلي اشتريت هذا القصر لكي أحقق فيه حلمي الآخر
الذي لطالما حلمت به لكي أحضر فيه الكثير من الجثث أرفع
في أن أحطم الرقم القياسي وأصل إلى ألف جثة!! أعلم بأنه
شيء صعب علي أبداً وسأفعلها عن قريب..

قصري الذي يقع في شمال مدينتي في منطقة بين الأشجار
الكثيفة منطقة جميلة وبعيدة عن البشر يبعد منزلي عن المدينة
ساعة تقريباً يقع في تل ويحوطه من كل الجهات الغابة الجميلة
الموحشة لكن ليست موحشة بقدر قصري، يتكون قصري من
ثلاث وثلاثين غرفة وثمانية عشر حماماً ولا أعرف كم مطبخ
وكم مستودعاً وكم قبواً؟ له الكثير من المداخل السرية والكثير
من المخارج والكثير من الأسرار، وهذا ما كنت أريد، بالنسبة
للقسم الثاني الذي لم يكن ملتصقاً بالقسم الأول وكان يصير
بينهما جسر خشبي صغير أسير عليه لأصل إلى القسم الثاني من
برجي ماليزيا التوءمين الشهيرين اللذين يربط بينهما جسر، القسم
الثاني تركته لعائلي وعالمي الخاص فيه ثلاثة استديوهات
ضخمة أمارس فيها فني وأضع فيها تحفي وغرائب ومقتنيات
التمينة كان القسم الثاني من القصر بالنسبة لي كنزي الثمين
القصر كله بتصميمه الجميل يغلب عليه الزجاج المبطن لكي أرى
من بالخارج ولكن لا أحد يستطيع رؤيتي بالداخل كان لديه
طوابق ومصعدان تتوزع في أرجاء المنزل قصري يبدو لي وكأنه
جنة أنا حتى منذ أن اشتريته لم أعد أخرج منه كثيراً إلا للضرورة

والضروريات يوجد في القصر ثلاثة مسابح رغم أنني لا أحب السباحة كثيراً وأيضاً نوافير ضخمة وملعبان وأربع حدائق سينما صالة رياضية وما إلى ذلك ستكتشفونه لاحقاً، عمري الآن خمسة وثلاثون عاماً رسام وكاتب وطبيب وبروفسير ونحات وجامع فنون وجامع جثث، كل يوم أقف مقابل المرآة الضخمة التي تقبع في وسط غرفتي أتأمل نفسي وأسألها من أنا؟ هل أنا حقاً إنسان حقيقي؟ أين سأصل بعد كل هذا؟ وماذا سأفعل؟ لكن لا أجد أي إجابة، أراقب طولي الذي يبلغ ١٨٥ سم، ووزني الذي كان ٧٥ كيلوغراماً، بجسم رياضي بما أنني أمارس الرياضة منذ المراهقة بشرتي التي كانت حنطية شبيهة بلون اللوز لا أعرف هذا ما كان يقوله أبي، ملامحي ليست شريرة لكنها كانت حادة وهالة قوية ومرعبة للبعض ولا أعرف السبب؟ شعري أسود كسواد الليل لم يكن طويلاً لكن الآن جعلته طويلاً يتعدى رقبتى تقريباً أحب أن أملك اللحية والشارب مثل أبي لأنه كان يقول بأن هذه ميزة الرجل، أملك غمازتين أسفل خدي الأيمن وخدي الأيسر هذا الشيء الوحيد الذي لا يحبه أبي لأنه يذكره بأمي! صوتي العميق الذي يلتفت بسببه جميع الناس عندما أقول مرحباً، أملك عيوناً ليست ضيقة هي واسعة لكن البؤبؤ الأسود يغلب على الأبيض بشكل فظيع لدرجة أن الجميع أغلب الوقت يظنون أنهما ليستا عينيّ الحقيقيتين وأنني ألبس عدسات لاصقة وأن هؤلاء الناس دائماً هم أصحاب الذكاء العالي الذي يفوق البشر الطبيعيين وأنا أتفق بسبب ذكائي الحاد، أنفي الحاد وفمي المرسوم وحاجبائي

الحادان ورموشي الطويلة لطالما لم أشبه أبي أعلم بانني أشبه
أمي كثيراً ولكن يرفض أبي الاعتراف لأنه يكرهها كثيراً كان أبي
قيحاً لنكن صريحين ولكنه جميل من الداخل عكسي أنا عندما
كان الجميع يرونني يستنكرون أنني ابن هذا الرجل بسبب فرق
الملامح بيننا كان أبي يقول عني إنني لا أشبه أحداً وفعلاً أنا لا
أشبه أحداً، من مواصفاتي سواء شكلي عملي إنجازاتي مواهبتي
نجاحي أموالني يبدو لكم كل شيء مثاليّاً شخص كامل بدون
نقص لكن أنتم تعرفون ما أفعل لذلك لا يوجد أحد كامل في هذا
العالم رغم أنني لا أراه خطأ! بالحقيقة ليس لدي طعام مفضل
لأنني أشعر بالملل وفي الوقت نفسه أكره الكثير من الأطعمة
مثل البيض أنا لا أحبه لأننا أنا وأبي عندما تحسنت حالتنا قليلاً
فقط كنا نأكله كل يوم في الثلاث الوجبات لأنه أرخص شيء
طبعاً لذلك أصبحت عندما أراه أو أشم رائحته فقط أشعر بالغثاس،
لدي حساسية من الزبدة أو الفستق أحب شرب القهوة كثيراً أيضاً
كان نوعها، بدأت بالتدخين من سن التاسعة عشرة وحتى الآن
مضر للصحة دائماً ما يخبرني بها عمي «فرانك» طبعاً ستعرفونه
لاحقاً إنه مضحك وظريف جداً، لنعد إلى حديثنا هل هناك أشياء
عني بعد لم أخبرك عنها؟ حتى لو يوجد ستعرفونني بالتفصيل
في هذه الرحلة أيضاً للمعلومية وصفت نفسي وشكلي لأنني أنا
الكاتب من سيصفني ومن سيعرفكم عني غيري؟ يا من ستقول
إن وصف كل شيء ممل وإنني يجب أن أختصر ببساطة هذه
الرواية فلسفية عميقة تحمل بين طياتها الرعب النفسي للنفس

البشرية إذا كنت تريد أن أخرج لك وحشاً من أسفل السرير بعد كل سطر فأنت مخطئ اذهب وابحث عن كتاب سخييف غير واقعي آخر، أيضاً لدي ضعف نظر رغم أنني خضعت لعملية تصحيح نظر مرتين لكن بدون فائدة خسارة أموال فقط لا أظن أنه يوجد شخص في العالم أصلاً استفاد من هذه العملية العديمة الفائدة، أيضاً أحب الليل وأكره فترة الظهر والعصر مشاعري عادية تجاه الصباح لأنه من المهم أن نكون موجودين أثناء الصباح للعمل والإنجاز..

توقفت عن الكتابة بعد أن سمعت صوت رنين هاتفي لكنني تجاهلته نظرت إلى التوقيت كانت الساعة الثامنة صباحاً هذا يعني أنني كنت أكتب من الخامسة فجراً حتى الآن إذاً لنكتب هنا، توجهت إلى الهاتف التقطته وجدت رسالة نصية من «ثيا» ثيا الفتاة والإنسانة الوحيدة الموجودة في حياتي وما أقصده هو أنها أكثر شخص متمسك بي وعلاقتنا ممتدة منذ زمن طويل تعرفت على ثيا في الجامعة منذ كان عمري اثنين وعشرين وحتى الآن عمري خمسة وثلاثون تربطني علاقة مع ثيا علاقة صداقة ثم بعدها علاقة طبية نفسية مع مريض نفسي ثم علاقة حب، ثيا الشخص الوحيد الذي يراني كإنسان طبيعي رغم أنها لديها نظرة عامة عن أمراض مثل الاكتئاب الثنائي القطب الهلاوس إذا كتبت جميع أمراضني فلن تكفي الحروف ولا الصفحة لكن ثيا تظن أنني شخص سوي وهذه الأمراض يعاني منها الكثير بالطبع ثيا تظن أنها تعرفني لكن كل ما تعرفه هو واحد بالمائة فقط لأنني حتى أنا لا أعرف

نفسى؟! ثيا شابة مثقفة ذكية حنونه ولديها شخصية مرحة رغم
أنها في اليوم الواحد تجلس مع عشرة من أشد الأشخاص مرضاً
في البلاد وأكثرهم شراً وإجراماً بما أن تخصص ثيا علم النفس
الجنائي فهي دائماً ما تكون محاطة بالمعتلين النفسيين المجرمين
عندما أصبحت طبيبة بشكل رسمي أصرت أن يمسك حالي
طبيب آخر لكنني رفضت وأخبرتها إذا لم تمسك حالي فلن أهتم
بالعلاج لذلك لم يكن لها خيار آخر بما أنني نقطة ضعفها لا تريد
أن يأكلني المرض النفسي، إنسانة عطوفه اجتماعية ناجحة جميلة
جداً لديها وجه مثالي وشعر أكثر مثالية وجسم ولون كل رجل
يتمناها رغم أن والدتها دائماً ما تعاتبها وتقول لها: لماذا عليك أن
تجبي مختلاً نفسياً وغريب أطوار؟ تقصدني طبعاً، هي تسميني
بهذه المسميات بسبب الأمراض النفسية البسيطة التي لدي كيف
لو علمت حقيتي كاملة؟! أما والدها فليس لديه أي اهتمام بما
أنني أملك الكثير من المال لا بأس المال يحل كل شيء هكذا هم
البشر يظنون أن المال هو جميع الحلول، ستساءلون عن مشاعري
طبعاً تجاه ثيا؟ مشاعري تجاهها لطالما كانت صادقة وستظل
كذلك أنا أحب ثيا بعد والدي وجثي ثيا تأتي في المركز الثالث
أنا لا أحبها بل أعشقها أكثر من كل شيء لطالما كانت معي في
جميع تقلباتي حتى قبل أن أصبح غنياً كانت معي منذ بداية شبابي
إنها تفهمني كثيراً وتحب كل عيوبي واختلافاتي إلا ذلك العيب
طبعاً لا تعرفه، أحببت ثيا قبل أن تحبني هي رغم ذلك العيب
صامتاً حتى اعترفت هي شعرت وقتها فعلاً أن الأحلام تتحقق
وماذا سيمعني من الحصول على ألف جثة بعد أن حصلت على

حبيبة مثل ثيا؟ سرنا طوال الطريق معاً طوال هذه السنوات لكن ما يؤلمني حقاً في علاقتنا أنني لا أستطيع أن أبوح بمشاعري دائماً تجاه ثيا وأنا لست رومانسيّاً أبداً وأنا لست أقول لها كلام حب وغزل مثل باقي الرجال ودائماً ما أظل صامتاً وهي تثرثر لقد اعتادت على الأمر لكنها تعرف أنني أحبها أكثر من أنفاسي وأنها الإنسانية الوحيدة التي أنا مستعد أن أهديها أثمن الأشياء أن أهديها جثة مثلاً لكن لن أفعل ذلك بالطبع لأمر احترازية، أتذكر في عيد ميلادها الخامس والعشرين أهديتها تحفة غريبة ومخيفة صنعتها من أجلها نظر إلي الجميع باستغراب إلا هي طارت من السعادة إنها تحب الأشياء الغريبة مثلي تماماً إننا نتشابه في أشياء عديدة لكن بقدر ما كنا نتشابه إلا أنها هي ملاك وأنا شيطان هذا كلامكم وليس كلامي!

قرأت رسالة ثيا كتبت فيها:

- صباح الخير «يا ظلي» هل ستأتي إلي المعرض؟؟

للمناسبة من أسباب حبي لثيا أنها هي الثانية بعد أبي تنادينني بهذا الاسم «ظلي» عندما قالتها لي أول مرة رأيت أبي ظننت أن أبي الوحيد في هذا العالم الذي أحبني لكن ثيا مثله رغم أن اليوم إجازة الأسبوع لم يكن هناك عمل لا في الجامعة أو المستشفى لكن كان هناك معرض فني يقام في وسط المدينة كان من أضخم المعارض في العالم كنت أشارك فيه لكن ليس دائماً على حسب مزاجي المتقلب وهذه السنة انشغلت كثيراً لذلك لم أشارك فيه لكن أقوم بزيارته أنا وثيا وبعض الأحيان يقومون بدعوتي بما أنني فنان

مشهور وجامع فنون وبعض الأحيان أقوم بإعطاء بعض الندوات والمحاضرات والدورات لمحبي الفن، قررت أن أذهب إلى المعرض بما أن اليوم الجو جميل الشمس ليس لها وجود الغيوم تغطي السماء بالكامل رغم أننا ما زلنا في بداية الربيع توجهت إلى الحمام تحممت مرة أخرى آه هناك معلومة أخرى عني يجب أن تعرفوها أنا لدي وسواس قهري تجاه النظافة والترتيب لذلك أستحم أكثر من مرة في اليوم أشعر بالجنون إذا رأيت شيئاً مختلفاً في المنزل وخارجاً عن الترتيب الاعتيادي أو بقعة على ملابسي أو على إحدى الأرائك والأثاث أو البلاط حتى أشعر بالجنون إذا تبدلت أماكن علبه الكاتشب وعلبة المايونيز ستقولون الآن: مهووس نظافة ويحب تجميع الجثث! لكن من أخبركم أن جثتي متسخة؟؟ أنا أنظفها كما أنظف نفسي يومياً، انتهيت من الاستحمام لبست ملابس السوداء: قميصاً أسود شفافاً ارتديت فوقه أيضاً قميصاً قطنياً خفيفاً أسود أيضاً ثم معطفاً قصيراً أسود أيضاً وبنطالاً أسود وجزمة سوداء جلدية وضعت عطري المفضل ولبست خواتمي المفضلة كنت أرغب بأن أذهب لكي أطمئن على عائلتي قبل الخروج لكن رأيت أن الوقت سبقني كثيراً لذلك صعدت إلى سيارتي الجيب رانجلر السوداء فهي المفضلة لدي وانطلقت إلى المعرض وكانت محاضرتي هذا العام متزامنة مع المعرض ومتزامنة مع حياتي وأصلاً هذا هو تخصصي الذي أقوم بتدريسه للطلاب في الجامعة وهو:

«الفن المظلم»..



«الجانب المظلم»

الجانب المظلم من اللوحة هو انقسام غير عادي ما هو بالضبط؟ يعتقد البعض أنها وسيلة للتعبير عن الإلهية من خلال الظلام، وإظهار كيف يمكن للفن أن يكون متعالياً وحتى روحانياً. ويرى آخرون أن اللوحات المظلمة هي ببساطة محبطة، وتمثل أسوأ ما في النوع البشري.

ما هو الفن المظلم؟

يغطي مصطلح «الفن الداكن» مجموعة واسعة من الأساليب الفنية، من القوطية إلى المروعة. غالباً ما يعرض موضوعات الموت والانحلال والظلام، ويمكن اعتباره رد فعل ضد أسلوب الفن التقليدي الخفيف والمتجدد..

يمكن أن يكون الفن المظلم مزعجاً أو حتى مخيفاً، ولكنه قد يكون أيضاً جميلاً ومثيراً للتفكير. إذا كنت مهتماً باستكشاف الجانب المظلم من الفن، فاطلع على بعض الفنانين التاليين المعروفين بأسلوبهم المظلم:

سلفادور دالي: أحد أشهر الرسامين السرياليين، غالباً ما تتميز أعمال دالي بصور مزعجة تشبه الكابوس... إدوارد مونك: اشتهر مونك بلوحته «الصرخة» التي تجسد شعوراً بالرعب الوجودي، غالباً ما تستكشف أعماله الأخرى موضوعات مماثلة مثل الخوف والقلق والمعاناة الإنسانية.

بدأت بهذه السطور والكلمات في محاضراتي وبدأت الفلاشات تنطلق من كل أنحاء القاعة وبدأ المهتمون من كل أنحاء العالم من مختلف الجنسيات ومختلف المهن والأعمال يجمعهم شيء واحد هنا وهو حب الفن، الفن يعتبر حياة أخرى للبشر ومن لا يهتم له هذا يعني أنه يملك حياة واحدة...

ما هو الجانب المظلم للرسم؟

داهمني سؤال عابر من أحد الحضور ثم أجبت بعد أن فتحت خلفية أخرى في العرض من خلفي:

- هناك جانب مظلم للرسم لا يتحدث عنه الكثير من الناس. إنه الجانب الذي يتعامل مع الموضوعات الأكثر إزعاجاً وإثارة للجدل والتي قد يجدها البعض مسيئة. هذا هو الجانب من الرسم الذي يستكشف الجوانب المظلمة للإنسانية، مثل العنف والموت وغيرهما من الموضوعات المحظورة. في حين أن بعض الناس قد يجدون هذا النوع من الفن مزعجاً، إلا أن آخرين يجدونه رائعاً ومثيراً للتفكير. الأمر متروك لكل فرد ليقرر ما يفكر فيه حول الفن المظلم.

كيف تتعامل مع أفكارك المظلمة بعد رؤية الفن الأسود؟

داهمني سؤال آخر وكنت معتاداً تماماً على هذه الأسئلة بما أنهم يلقبونني برائد الفن المظلم لأن هذا النوع من الفن غير منتشر كثيراً، أجبته بأنني أشعر بالراحة والنشوة خصوصاً عندما أرى رسومات ومنحوتات لأشخاص قطعوا الرقبة أو أعضاؤهم خارجة من معدتهم أو أعينهم تسقط بجانبهم! طبعاً هذه الإجابة في عقلي فقط كانت إجابتي العامة:

- بعد رؤية الفن الأسود، ليس من غير المألوف أن تشعر بعدم الاستقرار أو الانزعاج. هذا أمر طبيعي تماماً! يمكن أن يكون الفن المظلم مواجهةً ومزعجاً لأنه يجبرنا على مواجهة الجوانب المظلمة للحياة وجهاً لوجه. إذا كنت تشعر بالإحباط قليلاً بعد رؤية الفن الداكن، فأليك بعض النصائح حول كيفية التعامل مع أفكارك المظلمة:

اعترف بمشاعرك لا تحاول كبت مشاعرك أو تجاهلها. تقبل شعورك بالإحباط وامنح نفسك الإذن بالشعور بما تشعر به.

تحدث عن مشاعرك شارك تجربتك مع شخص يفهم ويستطيع تقديم الدعم لك، التحدث عما رأيته وكيف شعرت به يمكن أن يساعدك على معالجة مشاعرك وجعلها أكثر قابلية للتحكم.

احصل على بعض المنظور. تذكر أن الفن الأسود هو مجرد منظور واحد للحياة، وهو ليس كل ما هو موجود. هناك أيضاً نور وأمل في العالم، لذا؛ لا تشغل كثيراً بالظلام.

اعتن بنفسك. توثق من الاهتمام بصحتك الجسدية والعقلية خلال هذه الفترة. تناول طعاماً جيداً، ومارس الرياضة، واحصل على قسط كاف من النوم، وافعل الأشياء التي تجعلك سعيداً.

اطلب المساعدة المهنية

إجابة طبيعية علمية مهنية ومنطقية بالطبع، ثم بحثت بعيني بين الحضور وأضفت: هل هناك سؤال آخر؟ لأن الوقت نفذ، استاء الحضور بالطبع لأنهم في محاضرة مع رائد الفن المظلم الذي يحلم كثير من الناس أن يحضروا له محاضرة واحدة فقط...

لماذا يحب بعض الناس الفن الداكن؟

أتى سؤال آخر من فتاة كانت تجلس في آخر القاعة تشبه كثيراً شخصاً أعرفه لكن لا أعلم من هي؟!!

- هناك الكثير من التفسيرات المختلفة لماهية الفن المظلم. يعتقد بعض الناس أن الفن يتعامل مع الموت والعنف والموضوعات المحظورة الأخرى. ويعتقد البعض الآخر أنه مجرد فن له جمالية داكنة أو قوطية. مهما كان التعريف، هناك أشخاص يستمتعون بالفن الأسود لأسباب مختلفة... يجذب بعض الناس إلى الفن الداكن لأنه يجعلهم يشعرون بشيء ما. يمكن أن يكون الأمر صادماً أو مزعجاً أو حتى رائعاً. بالنسبة للبعض، فإن النظر إلى الفن المظلم يشبه النظر إلى الهاوية! إنها طريقة لمواجهة الجانب المظلم من الطبيعة البشرية دون أن يستهلكها.

وآخرون يجدون الجمال في الظلام. إنهم يرون الأناقة في الاضمحلال، والشعر في المأساة. بالنسبة لهم، الفن الأسود لا يتعلق بقيمة الصدمة أو الفضول المرضي بل يتعلق بإيجاد الجمال في أماكن غير متوقعة.

ثم هناك أولئك الذين يستمتعون فقط بالتحدي المتمثل في خلق شيء مظلم وجميل. إنهم يرون الظلام كفرصة لتجاوز الحدود واستكشاف مناطق إبداعية جديدة.

مهما كان السبب، ليس هناك شك في أن الفن الأسود له جاذبية حتى لو لم يفهمه بعض الناس تمامًا.

كيف يمكنني التعامل مع مشاعري السلبية بعد مشاهدة الفن الأسود؟

قد يكون من الصعب التعامل مع المشاعر السلبية بعد مشاهدة الفن الأسود. قد يشعر بعض الأشخاص أنهم بحاجة إلى أخذ استراحة من النظر إلى أي فن تمامًا. قد يحاول الآخرون إيجاد طرق لمعالجة وفهم ما رأوه.

قد يجد بعض الأشخاص أنه من المفيد التحدث إلى شخص ما حول رد فعله تجاه الفن المظلم. يمكن أن يكون هذا صديقًا أو أحد أفراد العائلة أو معالجًا نفسيًا أو أي شخص آخر يستمع ويقدم الدعم. إذا كنت تشعر بالانزعاج بشكل خاص، يمكنك أيضًا محاولة تدوين أفكارك ومشاعرك.

من المهم أن تتذكر أن كل شخص يتفاعل بشكل مختلف مع الفن المظلم. قد يجده بعض الأشخاص أمرًا مشجعًا أو مثيرًا

للتفكير، بينما قد يجده الآخرون مزعجاً. لا يوجد رد فعل صحيح
أو خاطئ - الأمر كله يتعلق بما يناسبك.

لكن هل الفن يتسبب بالانتحار؟ لأن هناك الكثير من الفنانين
والرسامين قاموا بإنهاء حياتهم حتى إنهم لم يكونوا مختصين
بالفن المظلم؟

داهمني سؤال هذا الشاب الذي نظرت إليه وكان من هيبته
ما زال صغيراً بالعمر جداً كان يملك هالات سوداء تكاد أن
تغرقه من عينيه عرفت أنه يعاني من اكتئاب بداية المراهقة،
لذلك سألته:

- هل تحب الفن؟؟

- بالطبع ولماذا أنا هنا اليوم؟!

أجاب

- كم عمرك أيها الفتى؟

- عمري ١٩ عاماً

أجاب وهو ينظر للأسفل علمت بأنه يكذب وأن عمره أصغر،

- حسن سأخبرك بشيء واحد هو أن الانتحار ليس له علاقة
لا بالفن ولا بشيء آخر وأن الفن بعيد تمام عن نظرة النفس
البشرية له وأنه يسبب الأمراض النفسية وما إلى ذلك كل
هذا غير صحيح وأن البشر دائماً ما يحملون أخطاءهم
وهفواتهم وحزنهم ومشاعرهم وأمراضهم إلى أشياء أخرى

رغم أن هذه الأشياء ليس لها علاقة أبداً بحالتهم النفسية
والشيء الوحيد المسؤول هو أنفسهم فقط، إن الفن حياة
ليس حياة واحدة بل أكثر من حياة والجميع هنا بالطبع
يعرفون ذلك وأنه على العكس هو علاج لجميع الأمراض
وأنه بريء من النفس البشرية المعقدة و بريء من أي
اتهامات أخرى..

انتهت المحاضرة في ختام تصفيق حار من الحضور وتم
تكريمي كالعادة مع باقة ورد وشهادة وجائزة وكل هذه أملك منها
المئات في منزلي، نزلت لأجد ضوء حياتي تنتظرنني كالعادة
بابتسامة مشرقة وملامح فخورة ومشجعة كانت «ثيا» ترتدي
كالعادة أجمل وأرقى الملابس التي تجعلها كالعادة أميرة وتجذب
أعين الجميع بجمالها رائحتها الجميلة كجمال جميع رائحة الزهور
التي في الأرض عيناها ونظراتها لي التي تحمل الحب فقط وكأنها
لا ترى أحداً آخر في هذه القاعة سواي أنا، اتجهت إليها وعانقتها
وفي كل مرة أعانقتها أشعر بأنني على قيد الحياة أشعر بأنني
أحتضن ملاكاً وليس بشراً، قبلتها في جبينها كالعادة التي تسميها
قبلة الصباح أمسكت بيدي بكل حب وضمتهما إلى معطفها:

- يداك باردتان جداً؟!

- هذا من الممكن لأن القاعة باردة جداً دعينا نخرج من هنا...
خرجنا من القاعة متجنبين الازدحام والناس الذين كانوا
في المحاضرة كان المكان كبيراً جداً أشبه ما يكون بقصر

فكتوري مليء بالتحف واللوحات الفنية كان فيه مزاد على لوحة تعود لفنان ميت بينما كان هذا الفنان على قيد الحياة كانت جميع أعماله ترقد بجانبه لم يعرفه أحد ولم يعرفه أحد أي اهتمام كان الفقر طاغياً على حياته وعندما مات بسبب مرضه المزمن الذي لم يستطع تحمل تكاليف علاجه أصبحت الآن أعماله مشهورة وتباع بملايين وهذا ليس أول فنان يشتهر بعد وفاته أسأل لماذا من الضروري يجب أن نموت لكي نلقى اهتماماً؟؟

خرجنا أنا وثيا توجهننا إلى أقرب مقهى وكان بجانب المستشفى لأن ثيا كان لديها اليوم جلسات مع مرضى نفسيين رغم أنه يوم إجازة لكن ثيا تحب فعل الخير ومن المستحيل أن ترفض أي طلب من مرضاها:

- ماذا تشرب؟؟

سألني

- ألا تعرفين حقاً ما الذي أشربه في الصباح؟

أجبتها

- بالطبع أعرف لكن أقوم باختبارك من الممكن أنه تغير ذوقك عندما سافرت إلى «كولومبيا»؟

- لا تقلقي عندما يتغير ذوقي ستكونين أنت أول شخص يعرف بذلك

قالت ضاحكة:

إذاً هذا يعني أنك ما زلت تشرب القهوة السوداء بعد الاستيقاظ وبعد الإفطار وفي منتصف الصباح الكولد برو الحمد لله أنت لم تتغير...

- ولماذا أتغير؟ ما خطبك؟ لقد سافرت لمدة أسبوع واحد فقط وليس عشر سنوات! هل هذا كله من آثار الاشتياق؟؟

ضحكت خجلاً من كلماتي أعلم جيداً بأنها ليست معتادة على كلمات الغزل أو المدح أو اللطف مني ولا أيضاً حتى الكلمات القاسية فأنا أعاني من تبلد المشاعر لا أستطيع أن أعبر عن مشاعري تجاهها ولا تجاه أي أحد آخر حي وهي تعرف ذلك بالطبع متفهمة هذا الأمر بما أنها طيبة نفسية هي تعرف أن مشاعري من عشر سنوات مكبوتة ومدفونة بداخلي وأنا أعرف أنها مكبوتة من ولادتي على هذه الأرض، هل أنا لا أملك مشاعر بسبب أنني لم أعش ولم أتربّ مع أحياء بل تربيت معظم حياتي مع أموات؟!!

أوصلت «ثيا» إلى المستشفى وتوجهت بعدها إلى المنزل أنا أحب أيام الإجازة بالطبع من لا يحب الإجازة؟ أقضي إجازتي دائماً في المنزل لممارسة أعمالتي وشغفي وهواياتي، وصلت إلى المنزل في تمام الساعة الواحدة مساءً كان وقت الغداء عادة أحرص أن أتناول الغداء مع أبي بما أنني في أيام الأسبوع أكون مشغولاً جداً في الوظائف أحرص على الطبخ لأبي في الإجازة

خصوصاً أن أبي لا يحب الأكل الجاهز أو أكل المطاعم تحممت
وبدلت ملابسي توجهت إلى المطبخ بعد أن أخبرت «أليكسا» أن
تشغل لي بعض الموسيقى الهادئة كل هذا الجانب المشرق،
المشرق من حياتي أو الجانب الذي يراه الناس في الظاهر أن
حياتي أضواء ورفاهية وأموال وثراء وسعادة وكمال ونجاح لكن
هذا كله في الجانب المرئي للعالم أما الجانب الآخر فهو مظلم
جداً مظلم وكأنك مغمض عينيك، مظلم جداً لدرجة لن تستطيعوا
رؤية كف أيديكم مظلم كبئر عميقة من شدة ظلمته لا يستطيعون
أن يشاهدوا نهايته أو قاعه!!...

طبخت لوالدي الطبق المفضل البرياني كان في الماضي يحبه
كثيراً لكن لم نكن نستطيع أن نحصل عليه كان من الجيد أن نأكل
قرص خبز ونتقاسمه لمدة يومين، كان أبي أيضاً يفضل أكلات
كثيرة وأشياء كثيرة واليوم أنا أحققها له وأحقق جميع أمنياته،
انتهيت من الطبخ فأنا شيف لا بأس به وهذه موهبة اكتسبتها من
أبي لأنه كان يطبخ لي دائماً، وضعت الطعام على الطاولة جهزت
الشراب المفضل لي أما أبي فكان لا يحب أن يشرب وهذا مهم
جداً لصحته فهو يفضل المشروبات الطبيعية لذلك اخترت له
اليوم عصير الأفوكادو مع الليمون، سأذهب الآن لإحضار أبي
يبدو أنه ما زال نائماً غريب فهو يحب الاستيقاظ مبكراً لكن
لا بأس يبدو أنه سهر كثيراً ليلة البارحة على برنامج المفضل،
فتحت باب غرفته بهدوء فتحت الستائر ليتسلل نور الشمس إلى
أرجاء الغرفة ابتسمت بسعادة عندما رأيته نائماً بهدوء وطمأنينة

وكان يبدو كالعلاك دخلت إلى حمامه جهزت له الماء الدافئ
فهو لا يحب الماء البارد ولا يحب البرد لأنه قضى معظم حياته
في البرد، من واجبي الاعتناء بأبي من واجبنا جميعاً ونحن أطفال
يعتني بنا الأم والأب أو الأم وحدها أو الأب وحده مثلي ويجب
علينا رد الدين لهم:

- أبي، حان وقت الاستيقاظ أصبحنا في الظهيرة لقد تأخر
الوقت حان وقت الغداء الآن...

ساعدته على النهوض وعلى أخذ حمامه كالعادة أساعده في
الاجتسال وتنظيف جسده وأخذ أدويته، وضعت في مقعده المتحرك
وذهبنا معاً إلى طاولة الطعام:

- انظريا أبي اليوم طبخت لك طبقك المفضل بالتأكيد
سيعجبك، أيضاً أعتذر لانشغالي في الفترة الأخيرة
تعرف كان لدي الكثير من السفريات والمؤتمرات هذا
غير عملي في المستشفى وتدريس الطلاب في الجامعة
بالتأكيد أنت ستفهم...

انتهينا من تناول الغداء وأخذت أبي إلى الجولة المعتادة
كالعادة نسير أنا وهو في حديقة قصري وأحياناً حوالي القصر
بعدها أرجعه إلى المنزل وأقرأ له كتابه المفضل وقع الاختيار
اليوم على رواية «المسخ» للكاتب «فرانتس كافكا» أنا وأبي من
محبى هذا الكاتب كان أبي من الطفولة يخبرني بأني أشبهه كثيراً
ولم أكن أعرف من يكون لكن عندما أصبحت في سن الثامنة

أصبح أبي يعطيني كتبه وبدأت من هنا بحب الكتب والهمني كثيراً للفن والتعمق في الحياة والنفس البشرية والأشياء الغريبة والمميزة الغريب أن أبي يحب هذه الرواية كثيراً وقد قرأها ما يقارب مئة مرة وحتى كان في اليوم الواحد يقرأها مرتين أو ثلاثاً في أوقات فراغه وبحكم أن الرواية قصيرة جداً كان يقول أبي: مع كل مرة أقرأ الكتاب تظهر منه أشياء جديدة وجوانب عديدة وأراه بشكل مختلف كان أحد الأسباب أيضاً أن أبي يحب القراءة لكن لا يملك المال لشراء الكتب وهذا الكتاب الوحيد الذي يملكه، لكن عندما كبرت شيئاً فشيئاً عرفت لماذا أبي يقرأ هذه الرواية كثيراً ولماذا يحبها

انتهيت من القراءة وتركته يجلس مع نفسه فكل شخص يحتاج مساحة خاصة مع نفسه يومياً، خرجت من المنزل أو من القسم الذي أنا فيه أعيش مع أبي وانتقلت إلى القسم الثاني من القصر الذي يعيش فيه كل جثي وعوالمي وقصصي وإلهامي وشغفي وكل أشياء الجميلة، الأشياء التي هي بالنسبة للعالم أشياء مظلمة وبالنسبة لي مضيئة دخلت إلى القصر أخبرت أليكسا أن تضيء الأضواء كلها لأجد عائلتي ترحب بي بكل شوق وحب منذ عودتي من آخر رحلة لم ألتق بهم أرى العتب في أعينهم وأسمع همسات معاتبة، قبل كل شيء كالعادة أقوم بزيارة العمه «لورا» أولاً فهي من الشخصيات القديمة التي مكثت وعاشت معي منذ ما يقارب عشرة أعوام! العمه لورا معتادة علي كثيراً عطوف محبة دائماً ما توبخني على أمور كثيرة مثل توييخ الأمهات لأولادهن

هي حريصة على الجميع هنا العائلة هي من أولوياتها هذا لأنها حرمت من أطفالها في حياتها السابقة، هنا كل واحد لديه قصة في حياته السابقة وأنا دائماً ما أستمع لهم هناك الكثير من القصص الكثير من الحيوانات الكثير من الألم والفرح والحزن الذي يحتويه هذا المنزل لقد احتويتهم بكل ما يملكون، بعد أن بقيت مع العمه «لورا» وتحدثنا طويلاً عن آخر رحلة كنت بها وأعمالي أخبرتني كالعادة أنني فقدت الكثير من الوزن وبدأت بتوييخي كالعادة وأنني أهمل صحتي وأخيراً بعد مئات من المحاضرات أخرجت لها هديتها التي أحضرتها معي من كولومبيا وكانت عبارة عن مزهرية بفخار مميز صنع من قبل سبعين عاماً ولم تنكسر حتى الآن كانت العمه «لورا» محبة ومهووسة بالمزهريات والزهور والنباتات لذا؛ وعدتها أن نصنع لها مشتلاً هنا في القصر لكن لم أكن متفرغاً في الأيام السابقة لهذا أشعر بأنها غاضبة مني إنها لا تحب من يخلف وعده بسبب زوجها السابق لكن أنا لم أخلف الوعد وهي تعرف ذلك جيداً، انتهيت من العمه لورا وتوجهت إلى صالة المعيشة لأجد الجميع هناك يقومون بانتظاري بكل سعادة وشوق وحب احتضنتهم واحداً واحداً حتى وصلت إلى «كيارا» هي الطفلة الوحيدة مع شقيقها التوأم «كيران» انضمت كيارا وكيران إلى عائلتنا قبل عامين فقط وأضافا الإشراق إلى عائلتنا، كيران كان صبيّاً شقيّاً جداً وكثير الحركة عادة ما يتجاوز الحدود ويخرج إلى الحديقة وعادة ما يختبئ في دهاليز القصر لنشكل فرق بحث خلفه كنت في بداية الأمر متردداً أن أضم

أطفالاً إلى عائلتنا لكن العمّة لورا وكلارنس أصراً أن يوجد أطفال في منزلنا وحتى أبي أراد ذلك لذلك لا بأس وافقت على الفكرة واكتشفت مؤخراً أن هذا أكثر قرار في حياتي لم أندم عليه صحيح أنني لا أحب الأطفال حتى عندما كنت طفلاً كنت أكره أنني طفل لكن «كيران» و«كيارا» كانا مختلفين جداً لم أستطع أن أتجاهلها عندما قاما بندائي أن حياتهما كأطفال كانت كالجحيم لذلك لم يهّن علي أن أتجاهلها ستعرفون قصة كل فرد في عائلتي لاحقاً إنها قصص تستحق أن تذكر، لنعد إلى هنا عندما أردت أن أحتضن «كيارا» تجاهلني بشكل واضح وقطبت حاجبيها وزمت شفيتها وهزت كتفيها حتى توضح لي أنها غاضبة جداً مني! وضعت يدي على شعرها الحريري الذهبي:

- ما خطب عبادة الشمس اليوم تبدو ذابلة جداً ألم تسقوها ببعض الماء؟؟

سألت مماًزحاً لها فهي كانت تكره عباد الشمس رغم ذلك لقبتها به فصارت تارة تحبه وتارة تغضب منه...

قفز «كيران» كالعادة بحماس:

- إنها مدللة، قالها بطريقة استفزازية فدائماً الأشقاء التوائم يكونون كالقط والفأر لكن لا يستطيعون العيش بعضهم بدون بعض،،

لم ترد كيارا على شقيقها وهذا ما أثار استغرابي وعلمت بأنها غاضبة جداً كيارا فتاة حساسة جداً وهي دائماً ما تفضل

السكوت فقط ليست كباقي الفتيات الصغيرات لا تحب الدمى
 تحب الكتب والقصص المصورة تحب الرسم لا تحب ألعاب
 المكياج إذا أحضرت لها واحدة أعطتها إلى «ميلاني» هي لا
 تحب أن تتحدث عمّا يغضبها أمام أحد إنها كتومة ولا تحب أن
 يشفق عليها أحد كل هذه المشاعر تملكها وهي طفلة وبالطبع
 بسبب ترسبات حياتها السابقة التي كانت أقسى من الجحيم،
 قررت أن آخذ «كيارا» ونسير معاً في الحديقة فهي تحب أن
 تتأمل الطبيعة لطالما كانت تخبرني بأنها تريد السفر معي لذلك
 اتضح أنها كانت غاضبة مني لأنني أخبرتها بأني السفارة القادمة
 سأخذها معي ولم آخذها بالطبع تقول بأنني كذبت عليها وهي
 تكره الكاذبين كيارا صعبة الإقناع على عكس شقيقها بعد أن
 سرنا معاً وتحدثنا طويلاً وأحضرت لها شيئاً تحبه أخيراً لطالما
 كنت أخفق في الأشياء التي أحضرها لها ولطالما كانت تقول
 إنني لا أفهمها ومن حسن حظي هذه المرة أخيراً فهمتها كيارا
 تحب الأشياء الغريبة مثلي أو أنها تأثرت بي وبكل شيء أفعله
 وهواياتي التي أمارسها أصبحت تفعل الأشياء أنفسها التي
 أفعلها وهذا ما كان يخيفني لأنني أخاف من نفسي! كنت أرغب
 بأن تمارس حياتها بشكل عادي كطفلة مثل شقيقها لكن لم
 تكن تتصرف وفق ذلك حيث إنها تحب الاختلاف أحياناً
 أمسك بها وهي تراقبني عندما أشرح الجثث أو أحفظها وتهرب!
 تذكرني بنفسني عندما كنت طفلاً فهي تراني الآن كقدوة لها
 ومنقذ وأب وأخ وصديق وملهم لا أعرف إذا كان هذا جيداً أم

لا؟ تحققت أكثر عندما أحضرت لها صندوقاً مليئاً بالأسنان
المحنطة فهي تحب تجميع هذه الأشياء شعرت بالسعادة جداً
أخيراً شعرت بأنني فهمتها وفهمت اهتماماتها لذلك بدأت
بتطوير مواهبها وكانت تصنع لنا أساور وقلائد من الأسنان
وأشياء أخرى! انتهيت من جولة الاطمئنان على العائلة بعد أن
أصبح الوقت الخامسة مساءً توجهت بعدها إلى الاستديو
الخاص بي الذي كان يقع أسفل القصر نزلت عبر السلالم
الملتوية التي تشع بالإضاءة الخافتة والجدران السوداء اللامعة
فتحت الباب المزدوج الذي كان يبدو وكأنه مدخل لقاعة
اسكتلندية زجاجية فخمة مليئة بالضيوف من كل أنحاء العالم
لكن على العكس كان الاستديو ينقسم إلى عدة أقسام القسم
الأول وهو الأقل استخداماً قسم الرسم فأنا لا أرسم كثيراً بقدر
ما أشتري لوحات كثيرة، القسم الثاني كان للنحت القسم
المفضل لدي كان القسم ممتلئاً بالمنحوتات الجاهزة وغير
الجاهزة الطين ورائحته بكل مكان الأجهزة المختصة عجلات
الفخار الضخمة الأفران الضخمة أدوات النحت وغيرها، القسم
الثالث قسم التجميعات بما أنني جامع تحف وفنون فكل شيء
أضعه هنا غير الأشياء التي أوزعها بكل ركن من أركان القصر
كل شيء حتى هنا طبيعي ما عدا القسم الأخير وهو ليس
المفضل لدي فقط بل الأحب إلي قلبي وهو قسم «متحف
الجثث»! فهنا أقوم بالتشريح وتحنيط الجثث على أكمل وجه
من هنا أقوم بتجميع الجثث وفحصها والاعتناء بها قبل أن

أخرجها إلى المنزل لتنضم إلى العائلة! فليس الجميع يستطيعون الانضمام إلى عائلتي صحيح أنني أرغب بتجميع ألف جثة وهذا حلمي لكن هناك جثث غير مؤهلة لتعيش معنا لأسباب كثيرة ستعرفونها لاحقاً، كان القسم المفضل لدي كان المكان عبارة عن مكان دائري في المنتصف مكان التشريح وبعدها مرحلة التنظيف والتعقيم والتحنيط، الجدران فتحت بها فتحات على شكل التوابيت لكي تكون كل جثة لها مكانها الخاص كل جثة يجب أن أسميها باسم خاص وهوية جديدة بحكم أنها مقبلة على حياة جديدة في كل مرة أدخل إلى القسم السفلي من القصر أشعر بأنني لدي عدة أرواح والمزيد من الحيوانات والكثير من الأمل والسعادة أشعر بأنني أفعل شيئاً غير مسبوق في تاريخ البشرية وتحققت أكثر عندما سافرت إلى كولومبيا في رحلتي الأخيرة لم تكن فقط رحلة عمل من أجل المتاحف بل كانت أكثر من ذلك تعلمت فيها شيئاً جديداً أضمه إلى مشروعي الضخم شيئاً لم يسبق أن أسمع به لكن علمت بأن هناك أناساً بالفعل يفعلونه وهو التجارة بالجثث! لكن في بادئ الأمر شعرت بالغضب لأن أغلب هؤلاء الناس لا يهتمون بالجثث يعاملونها معاملة شيء دنيء يقومون ببيع أعضائها فقط ورمي الباقي في الحاوية هذا تعذيب وظلم!! لكن أنا أردت أن أجعل الأمر غير اعتيادي فأنا يجب أن أنقذ هذه الجثث أيضاً الجثث لديها مشاعر لذلك عزمتم أن أتخذ هذه الخطوة التي شعرت بأنها ستسهل كثيراً الطريق الذي أسلكه سأحصل على

الجثث بكل سهولة وبدون معاناة لأنني في السابق مارست
جميع الطرق لسرقة الجثث من كل مكان كنت أنوع كثيراً في
الطرق حتى لا يشعر بي أحد طوال هذه السنوات لكن هذه
الطريقة أسهل بكثير وهي بيع وشراء الجثث! لم أكن أنوي بيع
أي شيء من عندي لكن كنت أرغب بالشراء وبالفعل هذا ما
عرفته وتعلمته في رحلتي الأخيرة لذلك دعونا نغصه معاً أهلاً
بكم في الجانب المظلم في حياتي...!



«الفصل الثالث»

«ولادة في جوف القبر»

١٩٨٧ م

في تلك الليلة الماطرة ليلة كانت حالكة السواد ليلة لم يظهر فيها القمر سوى العاصفة المرعبة التي أعلنت حضورها دون سابق إنذار رغم أن الجو كان أشبه بحرارة جهنم لكن الحرارة والأمطار اجتمعت معاً لتشكّل لنا ليلة أشبه بكابوس حي مطر وعاصفة ورياح وحرارة اجتمعت الفصول الأربعة كلها في هذا اليوم لتصرخ مع صرخات المرأة التي تلد طفلها الأول في هذه الأجواء وتحت نصف سقف في منزل أشبه بعشة أو حظيرة تكاد تطير مع الرياح ببساطة وتجعل المرأة المتألّمة في العراء! لم تكن تفرق معها ولا مع زوجها لذلك قرر أن يأخذها إلى طيبة قريبة منهم بحكم أن حالة الزوجة كانت في انهيار وصحتها على الحافة، حمل الزوج زوجته التي كانت صرخاتها أقوى من صرخات العاصفة كان المطر والرياح تمنع الزوج من السير وتدفعه بقوة إلى الخلف كلما تقدم خطوة إلى الأمام كان الزوج يصارع العاصفة وزوجته على ظهره لم يستطع الزوج أن يتقدم أكثر لم يستطع أن يصل إلى منزل الطيبة ولم يستطع أن يعود إلى منزله

بقي في المنتصف والعاصفة تحاصره وزوجته على وشك أن
تخرج روحها قبل أن يخرج الطفل من أحشائها، لم يكن لدى
الزوج خيار آخر إلا أن يتصرف هو وبسرعة لكي ينقذ زوجته وابنه
المحتجز في معدة والدته، تلفت الزوج يميناً ويساراً كانت الرؤية
معدومة بسبب الرياح والأمطار الشديدة كان الزوج يحتاج إلى
شيء يظله هو وزوجته حتى يساعدها في الولادة كان على أمل أن
يجد مكاناً مهجوراً منزلاً أي شيء لكن لم يجد أي شيء حتى
لمحت عيناه مكاناً وكان هذا المكان مقبرة! ركض الزوج بسرعة
نحو المقبرة ودخل إليها بحث عن غرفة لحارس لكن لم تكن
هناك أي غرفة بحث عن شجرة لكن لم يكن هناك أي أشجار لم
يكن هناك سوى قبور الأموات فقط! أخيراً لاحظ الزوج بصيص
أمله شاهد شجرة تقع في منتصف المقبرة كانت شجرة عملاقة
كان من الواضح أنها شجرة ذات عمر طويل قوية مقاومة
للعواصف والحروب وجميع الفصول توجه الزوج بسرعة نحو
الشجرة ما أن وصل إليها توقف على آخر لحظة إذ كان على
وشك السقوط في حفرة مظلمة أو بالأحرى كان قبراً مفتوحاً نظر
الزوج إلى الحفرة أو القبر الغريب أنه كان جافاً ولم يكن فيه قطرة
ماء واحدة وصحيح أن الشجرة تظله لكن ليس بمعنى أن يكون
ممتنعاً عن الماء لهذه الدرجة لم يستغرب الزوج بل كان سعيداً
لأنه وجد مكاناً دافئاً ومناسباً ويحميه من المطر والعاصفة هو
وزوجته لم يكن لديه خيار آخر أصلاً إلا أن ينزل إلى القبر مع
زوجته وضعها على وضعية الاستلقاء وهي غير مدركة أين هي

وكل ما تدركه الألم فقط كانت تعتصر من ألم الولادة وكأن هذا الصبي اليوم يرفض الخروج إلى هذه الحياة البائسة بدأ الزوج بتشجيع زوجته على الدفع دفع الصبي إلى الخارج لكي ترتاح وينتهي كل هذا صوت العاصفة يصدح أكثر وصوت صراعات الزوجة يخترقها مع كل صرخة مدوية تطلقها الزوجة من باطن ذلك القبر تزداد العاصفة أكثر وأكثر وكأن الموضوع تحدد، استمرت الزوجة بتوليد نفسها مع زوجها واستمرت بالصراخ حتى أن الأموات في تلك المقبرة سمعوا صوت صرخاتها حتى أخيراً بعد عشر دقائق تماماً عمّ الهدوء فجاء ذلك الهدوء المريب الهدوء الذي يسبق العاصفة لكن العاصفة كانت بالفعل موجودة ولم تسكت الزوجة فقط بل حتى العاصفة سكنت وحل الصمت مع خروج هذا الصبي أخيراً الذي وكأن كل موازين الكون تنتظره وعندما خرج صمت الجميع في لحظة صمت أو في لحظة خوف من هذا الكائن الذي خرج من باطن قبر! كائن كان يمرح في القبر مسك الزوج بابنه بين يديه متأملاً إياه بمشاعر مختلطة مشاعر غير مصدقة أن الطفل بخير وأكثر من الخير، الغريب أن الطفل لم يبك لم يكن يبكي! نهضت الأم في فزع واعتدلت بجلستها بكل تعب وإرهاق وسألت بصوت مرتعش خائفة من أن كل هذا التعب سيذهب هباءً منثوراً إذا كان الصبي ميتاً:

- ماذا؟؟؟ ماذا حدث؟ هل هو بخير؟ لماذا لم يبك؟!

سألت بصوت لاهث وهي تحاول أن تجمع شتات أنفاسها التي طارت مع صرخات الولادة

- لا، إنه بخير انظري إنه ينظر إلي ويتحرك أيضاً

أجاب الزوج بسعادة ويدها ترتعشان وهو يمسك بابنه الذي كان بحجم كفه

- إذا لماذا لا يبكي؟؟

سألت الزوجة باستغراب يخالطه القلق على ابنها:

صدقيني إنه بصحة جيدة وإنه بخير لا عجب إن هناك الكثير من الأطفال ليس من الضروري أن يبكوا يا عزيزتي! لكن... يا إلهي...!

دُهِشَ الزوج والزوجة عندما شاهدا ابنهما بدل أن يبكي كان يضحك! أخذ الزوج الموضوع بسعادة وإيجابية ولم ير أن ابنه مختلف على عكس الزوجة التي بدأت بالقلق والخوف من هذا الكائن رغم أنه ولد في القبر إلا أنه يضحك ولم يبكِ!! لم يهتم الزوج بأي شيء سوى أن ابنه أتى إلى هذا العالم وهو بخير ومبتسم رغم حياتهم البائسة والفقيرة رغم منزلهم الهش الذي طار مع العاصفة وأخذته الرياح رغم أن الشمس ستأكلهم في النهار لأنهم بدون مأوى إلا أنه قال: حصلنا على الظل الذي سيغطينا من الشمس والأمطار والرياح لأن هذه الحفرة أو القبر حمت زوجتي ولم يكن فيها قطرة ماء واحدة ولم تصلها الرياح القوية وكان هناك شيء يحجب عليها أنا واثق من أنه هو من فعلها بشكل أو بآخر إنه ابني لذلك سأسميه «ظل»...

نعم كنت سعيداً كان أبي يعتقد أنني سعيد لأنني أقبلت إلى هذه الحياة بصحة جيدة رغم ما عانتة أمي في تلك الليلة، لكن لا، كنت سعيداً لأنني ولدت في مقبرة بداخل قبر ولدت بجانب الأموات والجثث كانت شاهدة على ولادتي كنت سعيداً وعندما ابتسمت ابتسمت لأنني سمعت الأموات يغنون ويرحبون بي سمعت أصواتهم تهلل وتتغنى احتفالاً بقدومي كانوا يعلمون جيداً بأنني سأصبح ظلهم..

رن هاتفي وقاطع أفكاري الكتابية توقفت عن الكتابة لأرى الساعة أصبحت الساعة مساء هذا يعني أنه حان موعد عشاء والدي وأدويته رن الهاتف مرة أخرى كان المتصل «ثيا» طبعاً ومن غيرها؟ أجبت على الهاتف:

- مرحباً يا حبيبي

- مساء الخير ألا يمكنك ولو مرة واحدة أن ترد من أول اتصال؟؟

- لا أستطيع تعريفين ذلك لا أستطيع أن أتصرف مثل الأشخاص الطبيعيين...

أجبت مازحاً

- نعم بالطبع أنا أعرف ذلك لماذا أسألك؟

- حسناً لا تغضبي أعذر كنت مندمجاً في الكتابة لذلك لم أسمع الهاتف

هل بدأت بكتابة كتابك؟؟

سألت بحماس

- نعم أخبرتك عندما سافرت إلى كولومبيا حصلت على الإلهام أكثر

- إذا أنت لم تخبرني حتى الآن عن ماذا تتحدث روايتك؟؟

سألني بفضول

حلت ثلاث ثوانٍ من الصمت في الثانية الأولى فكرت هل أخبرها بأني أكتب عن حياتي الغربية السوداء؟ في الثانية الثانية فكرت هل أخبرها بأني أكتب عن جانبي المظلم؟ في الثانية الثالثة فكرت هل أخبرها بأني أكتب عن يومياتي مع الجثث؟! - سأخبرك فيما بعد إنه مفاجأة..

أجبتها

- حسناً إذا سأسامحك هذه المرة ولكن ثق بأن تخبرني عن محتوى الرواية أنا أول شخص يجب أن يعرف

- بالطبع أساساً ليس لدي أشخاص غيرك في هذه الحياة أنت كل حياتي..

حاولت أن تغير الموضوع بخجل:

- حسناً أخبرني كيف حال والدك هل تحسن؟؟

«نينا» تعرفني منذ عشر سنوات تقريباً ودائماً ما أحكي لها عن والدي بدون توقف ودائماً ما تخبرني أنها ترغب في مقابلته وأنا

أرفض أتحجج بأن والدي لا يحب أن يقابل أحداً وهو بالفعل لا يحب أن يقابل أي أحد لكنه شخص طيب وحنون وأخبرتها بأنه سيأتي اليوم المناسب لكي أدعه يقابلها وهي دائماً ما كانت تتفهم ذلك لا أحد يتفهمني مثلها، ستقولون: من الغريب أنها تعرفني طوال هذه السنوات ولا تعرف عائلتي وأي فتاة سترضى بذلك؟ بالتأكيديا مختلفة عن جميع الفتيات في العالم هي تعرف تماماً أنني ليس لدي مشروع نصب تجاهها ولا لدي نوايا سيئة أو أتلاعب بها أنا أعرفها من عشر سنوات وأكثر من المتفرغ الذي سيتلاعب طوال هذه السنوات؟ هي الوحيدة التي قبلت بي وأنا محمل بالألم وأنا غريب الأطوار هي التي قبلت بي وأنا عاصفة هائجة تقبل بي بكل صفاتي السيئة وأمراضي النفسية حتى إنها تعالج روحي تحاول أن تنقذني من غرقي النفسي لم يتحملني أحد كما تحملتني ثيا..

- إنه بخير لقد تحسن كثيراً..

أجبتها

- أوه الحمد لله اعتن بصحته جيداً يا ظل ولا تهمله أنت تعرف كبار السن يصبحون حساسين جداً إذا شعروا بابتعاد أطفالهم عنهم..

- نعم لا تقلقي أساساً أنا من المستحيل أن أبتعد عنه كما من المستحيل أن أبتعد عنك..

- بالطبع لا مفر مني وأنت تعرف ذلك،، الآن أخبرني هل ستأتي غداً إلى المستشفى لحضور المؤتمر السنوي؟؟

- لا أعرف لكن سأحاول لأن لدي عدة منحوتات لم أنتهِ
منها ويجب أن أنتهي منها وأسلمها في وقت قياسي لذلك
حضورى ليس مؤكداً سأتصل بك في كل الأحوال..

انتهيت من مكالمة ثيا بعد أن رأيت رسالة في هاتفى تقول
العاملة السيدة «لوسي» بأنها قريبة من المنزل، السيدة لوسي تأتي
كل أسبوع مرتين لتنظف المنزل طبعاً فقط القسم الأول من القصر
وأخبرها دائماً أن لا تدخل غرفة والدي لأنه يكره الخدم، أيضاً
هي جيدة في الطبخ لذلك أخبرتها أن تطبخ العشاء بعد أن تنتهي
من التنظيف لأنني مشغول جداً ولا أستطيع أن أطبخ لوالدي أعلم
بأنه سيغضب لكن لا بأس لا أستطيع تأجيل هذا المشروع أكثر
يجب أن أعمل فيه فوراً لذلك انتهيت من وضع اللمسات الأخيرة
على المنحوتات التي سأرسلها إلى متحف خارج البلاد،
وتوجهت إلى المكتب فتحت الجهاز الخاص بي وبدأت بتصميم
موقعي الخاص بالطبع الموقع سيكون سريراً ومجهولاً وكل من
يزور الموقع ستشفر معلوماته بسرية تامة غير أن الموقع سيكون
له كود وشفرة خاصة سيحذف الموقع تماماً وكل ما فيه إذا أحد
غريب حاول أن يفتحه غيري، استطعت بطريقتي وأموالي أن
أتحدث مع أصحاب موقع اسمه «تورشوبس» وهذا الموقع
يساعد الأشخاص الذين يرغبون بإنشاء منصات ومواقع سرية في
الويب المظلم فقط بأموالي جهز لي كل شيء الموقع باحترافية
عالية وبالشفرات التي طلبتها خلال الوقت الذي كان يجهز به
الموقع كنت متعمقاً أبحث عن هذا العالم المخيف الويب

المظلم إنه عالم مرعب بقدر حياتي المرعبة كل شيء تتصوره أو لا تتصوره موجود به إنه الاختلال العقلي بحد ذاته!

مثلاً يوجد موقع يسمى «جثث الملك» إنه لأكلي لحوم البشر! فئة من هؤلاء البشر الذين يقومون بتصوير أنفسهم وهم يلتهمون لحماً بشرياً حقيقياً لدرجة أن هناك أشخاصاً يقومون بأكل لحم أنفسهم أي من يقوم بقطع جلده أو قطعة صغيرة من أصبعه!؟؟ إنه الجنون بحد ذاته كيف يمكنهم أن يسموا أنفسهم بشراً؟ إنهم فئة من الوحوش على هيئة بشر، هناك أيضاً موقع آخر غريب لفت انتباهي اسمه «محطة الأرقام» إنه يقوم بتشغيل أصوات تعيد تشغيلها مراراً وتكراراً بلغات غير مفهومة ولغات غير موجودة أصلاً في عالمنا؟ وهناك موقع آخر لفت انتباهي وقمت بالتسجيل به لأنه دفعني الفضول تجاهه وهو موقع «MORTIS» وتعني الموت وهو مكان مخصص للأشخاص الذين يبحثون عن الموت بكل الطرق هناك أشخاص يقولون إنهم يتواصلون مع الموت نفسه ومنهم من يقول إن الموت على هيئة شخص بشري وإلخخخ، لكن بالطبع لا أصدق كل هذا لكن الموقع بشكل أو بآخر مرعب جداً وبه أفكار مجنونة جداً إنهم حفنة مجانين أظن أنني سأغوص أكثر في هذا العالم المرعب الذي لا ينتهي لطالما البشر كانوا أشد رعباً من الأشباح والشياطين والوحوش لكن لا أحد يعي ذلك بعد أن رأيت موقعاً وهذا ما علمني أحد أصدقاء العمل عنه في «كولومبيا» وهو «طريق الحرير» وهو موقع متخصص للتجارة بالبشر سواء أحياء

أو أموات أطفال أم نساء أم شباب لم يعجبني هذا الأمر نهائياً لقد شعرت بالقرف والاشمئزاز من هؤلاء كيف لإنسان أن يتعامل مع إنسان آخر بهذه الوحشية؟ وأكثر ما أغضبني هو «بيع الأموات» أي التجارة بالجنث بحثت عن هذا الموضوع خلال سنة كاملة كان أغلبهم أو أغلب الأسواق يقومون بشراء الجنث فقط ليستفيدوا من أعضائهم إذا كانتصالحة ويرمون الباقي في النفايات!؟ إن هذا لمهين للميت ومحزن غير الأشخاص الذين يأخذون الجنث لفعل أشياء غير أخلاقية لها أغضبني جداً هذا الأمر شعرت ببركان يتفجر في خلايا عقلي، إنهم يقومون بتعذيبهم وسلب حقوقهم كبشر فكرت كثيراً كيف يمكنني أن أبدأ وأقوم بحماية هؤلاء الجنث؟ هل أستطيع شراء كل الجنث في العالم والاعتناء بهم وإنقاذهم من هذا العالم المختل؟؟ فكرت هل يمكنني أن أكون منقذاً لهم أم أنني مجرد مختل مثل هؤلاء لكن بطريقة أخرى؟ لا، مستحيل أنا لست مثلهم أنا إنسان لكن هل فعلاً أنا إنسان؟؟

داهم أفكاري صوت رسالة من المبرمج الذي صمم الموقع يقول فيها إنه انتهى تماماً من الموقع وأستطيع أن أجربه وسيتظرنني لمدة ثلاثة أيام فقط إن أردت أي تعديل به، كنت متحمساً كثيراً لتجربته وأنا أتساءل هل يمكنني تحقيق حلمي؟ هل يمكنني تغيير هذا العالم؟ قبل أن أدخل إلى موقعي سمعت صوتاً غريباً في الخارج وقتها كنت في مكنتي في القصر الرئيس أي القسم الأول الطبيعي الذي نعيش فيه أنا وأبي فقط، ظننت أنه أبي

أو السيدة لوسي ما زالت تنظف لكنني حسمت أمري وقررت الخروج من المكتب خرجت إلى الممر كنت لا أفضل أبداً أن يكون المنزل مظلماً ليس لأنني أخاف بل لأنني أحب الضوء، بدأت بمناداة السيدة لوسي لكن لم أسمع أي رد منها خمنت أنها في المطبخ ولم تسمع أو أنها بجهة أخرى من المنزل لمحت باب غرفة من الغرف أغلق وحده بهدوء مع صرير استغربت لأنني مغلق جميع الغرف بحكم أنني لا أستخدامها قلت بالطبع من الممكن أن تكون لوسي نظفتها ونسيتها مفتوحة وصلت إلى الغرفة فتحت الباب بهدوء كانت الغرفة مضاءة بالكامل لكنها كانت فارغة ونظيفة ومرتبة لذلك تيقنت بأن لوسي هي من نسيت أن تغلقها خرجت من الغرفة وأغلقتها، التفت لأجد لوسي تقف بتلك الابتسامة المنهكة رغم أنها تتعب وحدها من تنظيف هذا القصر لكنها الوحيدة التي أثق بها أكثر من أي أحد آخر إنها غير فضولية أبداً وتستمع إلى أوامري وطيبة القلب لذلك أنا متكفل ليس فقط بها بل بجميع أسرتها ولداها الاثنان يدرسان في أرقى المدارس وأنا متكفل بالرسوم اشترت لهم منزلاً وظفت زوجها في وظيفة مرموقة أفعل كل ذلك بالطبع حتى لا تهرب من هذا العمل على الرغم من أنه أحياناً يكون مريح لها لأن القصر فارغ يكون بالطبع نظيفاً خصوصاً في الأيام التي تخلو من الغبار:

- مساء الخير سيد «ظل» لقد طبخت العشاء كما أمرتني أيضاً انتهيت من التنظيف لكن تبقى تنظيف هذه الغرفة والصالون..

قالت

- أي غرفة تقصدين؟؟

سألها

- الغرفة التي خلفك فلم أنظفها بعد

- حقاً؟!! إذاً هل فتحتها قبل أن تذهبي إلى المطبخ؟؟

- لا لم أفعل ذلك!

أجابت باستغراب

- غريبة لقد وجدتها مفتوحة والأنوار مضاءة كذلك ظنت أنك أنتِ

- لا يا سيدي متيقنة من أنني لم أفتحها أيضاً انظر المفاتيح معي أنا عندما أفتح باباً أترك المفاتيح معلقة فيه

- لا بأس ربما أنا فتحتها في وقت سابق ونسيت..

قلت محاولاً أن أنهي النقاش رغم أنني لم أفعل ذلك لكن السبب الوحيد المحتمل أنها هي من فتحتها ونسيت إنها سيّدة كبيرة في السن والنسيان محتمل لديهم بالطبع، هذا هو السبب الوحيد لأنه لا وجود للأشباح بالطبع في منزلي كل ما يوجد الجثث والجثث لا تتحرك إلا بإذني..

ذهبت إلى غرفة أبي رأيت أنه نائم غارق في نوم عميق بالطبع إنه موعد نومه تقريباً أشعر بتأنيب الضمير أحياناً لعدم جلوسي

معه كثيراً، أغلقت الباب وذهبت لتناول وجبة العشاء ثم عدت إلى مكتبي لكن تفاجأت عندما رأيت شاشة جهازتي الكبيرة كانت مفتوحة وأنا متيقن لم أشغلها وكنت أعمل على شاشة الجهاز المحمول العادي ليس فقط هنا بل كانت بها صفحة وهذه الصفحة جذبتني بطريقة ما سحرتني وأنا أنظر إلى هذه الصفحة المثالية كانت صفحة لموقع متكامل لدرجة نسيت من قام بتشغيل الشاشة؟ مشيت وكأني مسحور مذهول مفتون بهذا الموقع الذي يعرض نفسه على شاشتي القيمنق المنحنية بحجم بوصة ٢٠٠ هارتز شاومي، كان الموقع كالتالي:

خلفية سوداء بالكامل الخطوط والزخرفات باللون الأبيض كان به زخرفات شفافة لكنها واضحة الزخرفات تبدو كرموز غريبة ولغة غير مفهومة أما الشريط العلوي للموقع فبه رسومات صغيرة وغريبة كانت تبدو وكأنها لوحات مصغرة النوافذ أو الخيارات أو القائمة الموجودة لم تكن كثيرة وهي الصفحة الرئيسة وخيار اشترِ وخيار بع فقط..

لكن كانت هناك نافذة أخرى فتحتها بها قوائم كثيرة وهذه القوائم أنا فقط من يدخلها وإذا كنت أرغب بفتحها لزوار الموقع أستطيع فعل ذلك وإذا لم أرغب أتركها مغلقة، كانت الخيارات كثيرة جداً وهذه تأخذ وقتاً كثيراً لأغوص بها وأتعرف عليها وبالطبع أملك ميزة الحذف والإضافة وأيضا أي شيء أرغب بإضافته إلى الموقع لكن شد انتباهي تصميم الموقع رغم أنني لم أطلب طلبات كثيرة من المصمم ولم أخبره بأي تفاصيل وكل ما

أخبرته أنني أريد موقعاً مهمته كذا وكذا لكن تفاجأت أن الموقع مصمم شكلياً بشكل جميل وساحر ومريب والأكثر غرابة أنه وضع أشياء مثل اهتمامي أي الرسم واللوحات والأثريات والمنحوتات هو حتى لا يعرف من أنا؟ ولا أعرف من هو؟ كيف يمكنه أن يعرف الأشياء التي أحبها؟ حتى اسمي كان فقط برمز وهو أيضاً برمز الجميع يتعاملون هكذا مع الرموز وحتى دفع المال له عن طريقة بنك غير قانوني يستخدمه هؤلاء لكي لا تظهر أسماؤهم ولا هويتهم! لكن بشكل عام أذهلني الموقع قمت بالذهاب إلى القائمة الرئيسة أو الهوم كما يسمى وهنا رأيت الاسم الذي أنا طلبته أن يضعه وهو اسم الموقع كان مكتوباً بطريقة ساحرة وخط عريض باللون الأبيض «BECCHINI» «بيتشيني».. ويعني جامع الجثث! هذا المصطلح هو الذي أخبرني عنه أبي عندما كنت طفلاً قال إنهم كانوا جماعة أو عصابة في إيطاليا عندما انتشر الطاعون الأسود في ذلك الزمن وأصبح الأموات أكثر من الأحياء وعمت الفوضى في كل أرجاء نصف العالم كان هؤلاء العصابة يلبسون أقنعة سوداء مخيفة كانت مهمتهم جمع الجثث المتناثرة في الشارع كحبات اللؤلؤ يقول أبي إنهم استغلوا الناس وأخافوا الناس الأحياء منهم والأموات كانوا يستغلون الجثث يقومون بالتجارة بها وصنع طعام للناس من هذه الجثث رغم أنها مصابة بالطاعون! كانوا يستخدمون جلودهم في أعمال السحر الأسود وفي الأثاث وفي الملابس كانت تجارة «البيتشيني» أرعب تجارة في التاريخ الغريب عندما

سألت أبي ماذا حدث لهم وأين ذهبوا؟ هل الشرطة أمسكت بهم؟؟ قال: لا، اختفوا فجأة فقط! رغم أن عددهم كان كبيراً ولم يكونوا قلة لكنهم في وقت واحد وليلة واحدة اختفوا هكذا وكان الأرض انشقت وابتلعتهم! حتى إن الشرطة والحكومات الدولية كانت تبحث عنهم لمدة عشر سنوات لكن لم يظهر ظفر واحد منهم حتى لم يجدوا جثثهم إن كانوا قد ماتوا وضعت بعض الحكومات والمنظمات مكافأة ضخمة جداً لمن يجدهم لكن بدون فائدة لم تشارك فقط حكومة دولة واحدة في البحث عنهم بل شاركت عدة دول في البحث عنهم لكن لا شيء حرقياً لا شيء وكانهم كانوا أشباحاً ظهروا فجأة واختفوا فجأة لم يكن أحد يعرف أسماءهم ولا أشكالهم ولا عائلاتهم ولا هوياتهم لا شيء سوى الأقنعة السوداء؟! من وقتها لم أستطع نسيانهم شبهت نفسي بهم أنا أيضاً أحب جمع الجثث لكن أنا لا أقوم بأذيتهم أنا أعنتني بهم، من ذلك الوقت أخبرت أبي أنني أنا «بيتشيني» لكن أبي لم يغضب وابتسم وربت على رأسي ولا أعرف لماذا؟؟!..



«الفصل الرابع»

«بيتنا»

١٩٩٠ م

إن الموتى لا يستطيعون الغناء!

قالت أمي صارخة كالعادة استيقظت في فراشي اعتدلت في
جلستي قلبي ينبض جسدي يرتعش هل أضع يدي على أذني
كالعادة أم أقرر اليوم أن أسمع شجار أمي وأبي كالعادة؟

منذ خمس سنوات وأنا أسمع شجارهما منذ أن كنت في
المهد رضيعاً أشك حتى أن أمي لديها وقت لترضعني كان كل
وقتها في الصراخ والشجار مع أبي الآن عمري خمس سنوات
وما زال البركان ثائراً بينهما وسنة بعد سنة ويوماً بعد يوم يزداد
أكثر وأكثر أساساً أمي لم تكن تهتم بأحد أبداً وكل ما فعلته
الحلظمة والاعتراض على الحياة كان وما زال هذا السؤال
يراودني لماذا أمي تزوجت أبي؟ إنها تكرهه أرى الكره في
عينها له لدرجة أنها أصبحت تكرهني أيضاً؟ إن أمي عندما
يفادر أبي إلى العمل أراها تكون سعيدة ولكن عندما يعود
تكون تعيسة وثائرة إنها تكره وجهه دائماً ما تقول عنه قبيح

وتناديه بالقيح تقول إنها تزوجت من رجل فقير وقبيح وضعيف
وأكبر منها بعشر سنوات لا يوجد شيء يشفع له أبداً لكن
لماذا تزوجته؟؟

- أنت قبيح وفقير لا تستطيع حتى أن تطعمنا وفاشل
وفوق هذا كله الآن أصبحت مجنوناً! رائع هذا ما
كان ينقصني!!

- ماذا تقصدين بمجنون يا عزيزتي؟

سأل أبي بيروود وكأنه لم يسمع كل هذه الشتائم تُطلق عليه
أو أنه بالطبع اعتاد عليها

- لقد أخبرتك مئة مرة لا تناديني بعزيزتي هل سمعت ماذا
تقول؟ إن سمعك أحد فسيضعونك في مستشفى المجانين..
قالت أمي بغضب

- لم أقل شيئاً كل ما قلته أنني وجدت عملاً إضافياً وهذا
مفيد لوضعنا أنا أعمل في ثلاث وظائف حتى نعيش..
أجابت أمي صارخة:

- وظيفة؟! أنت تقول بكل بساطة وبيروود إنك ستغني
مع الأموات في المقبرة؟! أي وظيفة هذه ومن أعطاك
هذه الوظيفة؟ لو علم أهل القرية فسنعيش في جحيم
سيقولون عنك مجنون أو ساحر أو مشعوذ وكأنه ينقصنا
إشاعات كهذه..

- حسناً لا بأس اعتبريني حارس مقبرة في الليل وفي الصباح
دافن أموات وفي العصرية مغسل أموات هكذا سأحصل
على ثلاث مراتب..

أكمل حديثه ببرود

نظرت له أُمي بنظرة شفقة وتقزز قائلة متنهدة:

- لقد انتهيت منك أنت للأموات أنت تليق بهم أكثر مني..

سمعت صوت بابي يفتح دخلت أُمي وأنا ملتزم الصمت
جلست على طرف فراشي الأرضي متممة:

- لقد تعبت تعبت من هذه الحياة المزرية المقرفة نحن نأكل
وجبة واحدة في اليوم نحن نعيش في هذا المنزل الذي سينهار
على رؤوسنا أي أحد يمكنه الدخول الحشرات والجرذان لا
شيء يتحسن منذ اليوم الأول الذي عشت فيه مع هذا الرجل،
إن حياتي معه وكأنها مستنقع أنا لم أكن هكذا لم تكن هذه
أحلامي التي أحلم بها كباقي الفتيات والنساء هناك شيء
خاطئ أنا لن أصبر أكثر حتى الصبر أظن أنه لن تطأ أقدامه
هذا المنزل الرث هناك فرصة واحدة ما زالت تنتظرنني..

نهضت أُمي من على الفراش وتوجهت إلى صندوقها وفتحتة
وكانني غير مرئي بالنسبة لها أخرجت ورقة عريضة أو ملصقاً أو
صحيفة لكن وقتها كنت طفلاً لم أميز ما هذا؟ نظرت إليها
وكانها تنظر إلى حلم وتنهدت وقامت بوضعها جانباً، أغلقت
الصندوق وتوجهت إلى باب الغرفة خارجة:

- أُمي أَلن تنامي معي اليوم؟

سألته بصوت حنون راجياً أن تعيرني والدتي اهتماماً لكن كان ردها أفسى رد أسمعته في حياتي كلها حطم قلبي وروحي إلى أجزاء ألا تعرفون معنى أن يتحطم قلب طفل في الخامسة من عمره؟

قالت بدون حتى أن تلتفت إلي وتنظر إلي وجهي بنبرة حادة وقاسية:

- «أنا حية لا أرغب في البقاء مع الأموات»..

أجابت بجملةتها هذه وخرجت وأغلقت الباب هذا كان آخر حديث بيني وبين أُمي بعدها نمت ودموعي كادت أن تغرق الفراش لم أعرف لماذا قالت ذلك هل أنا ميت؟؟ لكن أنا مرئي الجميع يرونني أنا وأبي الأموات غير مرئيين لكن لماذا قالت أُمي عتاً كذلك؟ فكرت ببراءة طوال الليل وعندما استيقظت وجدت أبي جالساً مبتسماً وفي يده بعض الأوراق البيضاء سألته:

- ما هذه يا أبي؟؟

أجاب بتردد وبخنقة لكنه يحاول أن يخفيها:

- لقد رحلت والدتك يا ظل وقامت بإرسال أوراق الطلاق وأنا وافقت لم يكن لدي خيار آخر يا ظلي..

لم أشعر وقتها بشيء أبداً وكأن مشاعري انتهت قبل ساعات في الليل عندما أخبرتني أُمي بتلك الكلمة بل على العكس شعرت بالراحة لن أسمع صوت صرخاتها وغضبها وتحطيمها للمنزل الذي هو محطم أساساً وحلطمتها وتنمرها بقسوة على

أبي وعلي، لن يكون هناك مشكلات والأهم لن يحمل أبي هم حساب إطعام شخص ثالث..

- تبقى أسبوع على بداية الدراسة يا ظلي هل أنت متحمس؟

سألني أبي بعد أن دخل علي بحقيبة مدرسية من الواضح أنه حصل عليها من القمامة أو من أحد الأشخاص المتبرعين لكن لم أتذمر يوماً أو أشعر بالاستياء من الأشياء التي يحضرها لي أبي فأقوم مبتهجاً فرحاً أحضنه وأقبله، أتممت عامي السادس لذلك الآن علي الدخول إلى المدرسة فأجبتة بحماس:

- نعم أنا متحمس جداً يا أبي..

- إذاً يجب أن تكون طالباً مجتهداً جداً تعرف لماذا؟؟

- بالطبع أعرف حتى أصل إلى أعلى المراتب وأجمع الكثير من الأموال وأجعلك تعيش ملكاً..

ضحك أبي واحتضني قائلاً:

- جمع الأموال ليس مهماً يا بني المهم هو أن تجمع أكبر قدر من الأشياء التي تحبها إن الأموال تذهب وتأتي لكن الأشياء التي تحبها تبقى للأبد..

- إذاً ما هي الأشياء التي تبقى للأبد؟؟

سألته

صمت قليلاً ثم أجاب:

- يجب أن تكتشفها أنت بنفسك وستعرف ذلك عندما تكبر..

لكن ماذا عنك يا أبي؟ ماذا تحب أن تجمع؟ أنا لا أرى أنك
قمت بجمع شيء؟؟؟

قال بابتسامة:

- بلى لقد جمعت الكثير لكن منزلنا صغير جداً بالكاد يكفي
لذلك لا أحضر الأشياء التي أجمعها هنا..

- إذا أين تبقّيها؟؟؟

- أسئلتك كثيرة يا ظلي من الأفضل أن تذهب للاغتسال لكي
تستعد للنوم غداً هو أهم يوم في حياتك غداً سيكون أول
يوم ستبدأ منه بتحقيق أحلامك..

ذهبت أول يوم دراسي كنت متحمساً جداً كأبي طفل في هذه
الحياة إلا أن حماسي انطفأ سريعاً عندما وصلت وكان الجميع
ينظرون إلي بشكل مرعب من نفورهم بسبب أعمال والدي وهي
أعمال شخص عادي يحاول أن لا يموت جوعاً حفار قبور دافن
موتى مغسل موتى! يعمل ثلاث وظائف وكلها تتعلق بالموتى
والجثث لا أعلم ما الخطأ؟ وأين الخطأ؟ إذا لم يعمل فلن يعطيه
أحد بالطبع الطعام والمال إن البشر حقاً كائنات مقززة إنهم
يتقززون من الأموات وهم سيصبحون يوماً ما أمواتاً! علاوة على
ذلك هم يستنقصون الناس الذين يعملون في وظائف مستواها
ضعيف وكان هناك عدة خيارات لهم لا يعلمون أن الناس الفقراء
لا يملكون أي خيارات في هذه الحياة، والنظرات الأخرى نظرات
شفقة على حالي: حدائي المستخدم حقيبتني المستخدمة ملابسي

المستخدمة، لكن لحسن الحظ لم أكن أهتم أبداً لم تكن تؤثر علي نظراتهم وكلماتهم ولم أكن أسمح لأحد بأن يتنمر علي جسدياً حتى كنت أتعمد أن أجعلهم يخافون مني لكي لا يقترب مني أحد ونجحت بالفعل، لم أكن أهتم بأن أبقى وحيداً غريب أطوار بدون أصدقاء علي العكس كنت سعيداً أنني وحيد لأن الوحدة تليق بي، أتذكر عندما عدت من المدرسة في أول يوم دراسي أخبرت أبي بأن كل شيء علي ما يرام لطالما دائماً ما أخبره أن كل شيء بخير وهو يعرف أن لا يوجد شيء بخير كما كان يخبرني أن كل شيء علي ما يرام وأنا أيضاً أعرف أن لا شيء علي ما يرام، كنت متفوقاً جداً في دروسي رغم حياتي المبعثرة وروتيني المشتت كنت لا أبقى في المنزل بل أعود من المدرسة فأبدل ملابسي وأأخذني أبي معه إلى العمل، لا يحب أن يتركني في البيت وحدي أبداً دائماً ما يقول لي إن المنزل ليس آمناً وهو يخاف علي غريب أن أي شخص في العالم لا يشعر بالأمان إلا في منزله وأن المنازل بالنسبة للبشر هي الأمان إلا منزلنا لم يكن آمناً أبداً ولا أعرف لماذا؟ أتساءل هل هو بسبب أنه بدون قفل؟ أو لأن السقف والجدران بضرية واحدة يستطيع أي أحد أن يدخلها؟ أو هل بسبب أن العواصف دائماً ما تهدد جدران هذا المنزل؟ لذلك لا يتركني أبي أبداً فيه

مضى أول أسبوعي دراسة بعدهما استلم أبي العمل الإضافي الذي بسببه هجرته أمي أو أنها كانت تحتاج فقط إلى نقطة أخرى علي السطر لكي تنفجر وتبعثر كل الحروف والروابط

التي تجمعها مع أبي، عدت من المدرسة وبدلت ملابسني وحزم أبي كتبي الدراسية في حقيبتني وبعض الطعام والحلوى لي حتى لا أشعر بالملل كنت بيني وبين نفسي لا أرغب بالذهاب مع أبي لأن الأمر بالطبع متعب إن جميع الأطفال حين يعودون من المدرسة يحصلون على حمام دافئ ومنعش ووجبة طعام لذيذة بعدها يسترخون أو يأخذون قيلولة أو أنهم يقرؤون القصص أو يلعبون الكرة أو يرسمون ويفعلون أي شيء آخر لكن أنا لم أستطع فعل شيء لأنه يجب علي أن أذهب مع والدي إلى أعماله رغم ذلك لم أوضح أبداً مشاعري لأبي لم أئين له أنني لا أرغب بالذهاب حتى لا يشعر بالاستياء لكتبي الآن على العكس بعد أن مضت السنوات كل يوم أشكر أبي ألف مرة لأنه أخذني معه إلى عوالمه وعوالم الجثث! أتذكر أول يوم بعد أن حزمت حقيبتني ومسك أبي بيدي كانت وقتها الساعة الثالثة مساءً قبل العصر ذهبنا بالطبع سيراً على الأقدام كان أبي يملك دراجة عادية لكنها في ذلك اليوم تعطلت إحدى عجلاتها كالعادة وكانت تحتاج إلى نفخ هواء لذلك قال أبي سيذهب بها في الصباح وذهبنا سيراً على الأقدام إلى المقبرة الواحدة ظهراً مغسل أموات في المغسلة ثم من الساعة السادسة صباحاً حتى مساء وحتى الساعة التاسعة مساءً حفار قبور ودافن موتي في المقبرة ثم من الساعة العاشرة مساءً وحتى الرابعة فجراً يغني للموتى! نعم إنها أغرب وظيفة إلى الآن؟ الوظيفة التي قلت إن

أمي مبالغة لتركها والدي بسبب هذه الوظيفة لكن على ما يبدو لأن أمي شخص طبيعي أو ربما هي لا ترى ما يراه والدي أو ربما والدي مجبر حتى لا نموت جوعاً رغم ذلك كان لدي فضول تجاه هذه الوظيفة كنت أظن أن أبي يمزح أو أنه غير جدي أو أنه أراد أن يخبر أمي بهذا الشيء كذباً حتى تتركه ويرتاح من صراخها المزعج ويرتاح من مصاريفها، وصلنا إلى المقبرة بعد سير خمس عشرة دقيقة تقريباً لم تكن بعيدة أبداً توقفت لوهلة وأنا أنظر إلى هذا المكان أو هذا العالم المختلف من الخارج منذ نظرتي الأولى للمقبرة علمت بأنني سأغوص في عالمها هنا لا شيء مكرر لا شيء ممل كل شيء لا مثيل له من الممكن أن البشر والناس الطبيعيين لا يرون ما أراه ولن يستطيعوا رؤيته أبداً!

الغريب هنا بعيداً عن نظري كانت المقبرة جميلة تبدو وكأنها قصر اسكتلندي إنها أفخم شيء في البلدة أفخم من جميع المنازل الموجودة هنا أفخم وأجمل حتى من حياتنا الممرات المزروعة بين القبور بأجمل أنواع الزرع القبور المبنية حجر أسود ذو لمعة والآخر مزخرف كانت تتفاوت بين الجمال والفخامة وفهمت على حسب طبقات الناس بالطبع في حياتهم السابقة أستغرب لماذا يهتمون بالطبقات وهو ميت هل هذا سيفرق معه؟ في كل الأحوال جميعهم تحت التراب ويغطيهم التراب

- نحن نقدر الموتى...

أنت كلمات أبي هذه على مسمعي واقتحمت أفكارني قال
وهو يمسك يدي وينظر إلي بابتسامة حنون مشعة كالعادة..

- ماذا تقصد يا أبي من نحن؟؟

سأله..

- أقصد أن هذه البلدة والناس هنا وبمن فيهم نحن هنا
نحترم الموتى لذلك نجعل لهم مكان رفاهية وجميلاً
ونظيفاً وساحراً أكثر من أماكن الأحياء..

أجاب..

- ولماذا يا أبي؟ من صاحب هذه الفكرة؟

- أي فكرة؟

- فكرة احترام الأموات والاعتناء بهم؟؟؟!

ربت بيده على رأسي:

- لا يوجد لها صاحب هذه الفكرة تزرع في قلوب ونفوس
الإنسانية أي إنسان طبيعي يرى أنه يجب أن يحترم الميت
أيضاً أليس كذلك؟

- بالطبع..

- إذا دعنا ندخل الآن لكي نأخذ جولة معاً قبل الظلام هل
أنت متحمس لأعرفك على أصدقائي؟

- بالطبع أنا متحمس كثيراً..

دخلنا أنا وأبي عبر البوابة الرئيسية منذ دخولي من عتبة الباب شعرت برياح باردة هبت على جسدي الصغير لدرجة كنت سأطير من شدتها فجأة هكذا رغم أن الجو لم يكن بارداً ولم يكن هناك أي رياح نظر إلي والدي وقال:

- إنهم يرحبون بك..!

لم أخف أو أتوتر أو أقلق بل على العكس شعرت بالحماس أكثر سألني أبي:

- هل أنت خائف؟؟

- لا..

أجبت بثقة

- لماذا لست خائفاً؟

سألني أبي وكأنه يريد أن يختبرني

- لأن الموتى لا يؤذون أحداً أبداً..

- أحسنت يا بني أنت صبي ذكي أنا فخور بك هيا لتتابع طريقنا..

استقبلتنا غرفة كبيرة وواسعة غرفة حجرية تكاد أن تكون أكبر وأجمل من منزلنا المتهالك الرث، دخلنا إليها أغلق أبي الباب وفتح الأنوار كان يوجد بها سرير كبير ومكتب وطاولة طويلة خشبية بها الاحتياجات الخفيفة لمطبخ مصغر كانت الغرفة نظيفة وشرحة وكأنها ليست غرفة في مقبرة.

- الآن اجلس هنا تستطيع هنا الدراسة براحة أكبر مع المكتب وتنام أيضاً براحة أكبر مع هذا السرير القطني الجميل أما الطعام فلا تقلق أنا سأدبره اتفقنا..؟

- نعم هنا المكان جميل يا أبي أجمل من منزلنا..

ضحك أبي قائلاً:

- بالتأكيد وهو أكثر أماناً..

- أكثر أماناً في المقبرة؟؟؟

سألت

- نعم المنزل الذي يقع في منتصف الأموات يكون أكثر منزل أماناً على وجه الأرض إن العالم الخارجي مخيف يا بني عالم الأحياء أكثر إخافة من عالم الأموات لكن البشر دائماً ما يختلقون دراما وإشاعات ويفترون على الأموات لكنهم هم الأكثر إخافة..

- إذا أنت لا تريدني أن أبقى في المنزل وحدي لأنك تخاف علي من الأحياء؟؟؟

- نعم بالتأكيد...

استرسل في حديثه وهو يخرج قطعة خبز من الحقيبة وأخرج بعض الحساء من ثلاجة الغرفة:

- الآن سأسخنه لك ثم ستتناول الغداء وتذاكر دروسك وأنا سأخرج للعمل حسناً؟
- حسناً..

خرج أبي من الغرفة وتركني أتناول غدائي تلك كانت المرة الأولى لم أركز على دروسي وكان عقلي منشغلاً تماماً بما يدور خارج الغرفة لدي فضول قاتل مثل أي طفل مثل أي إنسان لكن لم أكن أرغب بالخروج بدون إذن والدي، انتهيت من الدراسة وأنا عقلي مشتت كلياً كنت أشعر بالنعاس الشديد أصبح الوقت الساعة التاسعة مساءً هذا يعني أن وظيفة أبي كدافن أموات ستنتهي وستبدأ بعد ساعة وظيفته الجديدة وهي مغنٌ للموتى!! لم أسأل أبي أبداً عن الوظيفة رغم أن الفضول كان يمزقني إلا أنني معتاد على تعاليم والدي وطريقة تربيته لي فأنا طفل بار وعلمي أبي أنه يجب ألا أخالف أوامره أبداً وكل شيء أفعله بعد أن يأذن لي لكن لم أكن أعلم بأن هذا المكان سيغيرني ويجعلني أخالف الأوامر قليلاً

كنت أشعر بالنعاس استلقيت على السرير كان الوقت العاشرة تماماً هذا يعني أن وظيفة أبي الجديدة بدأت يجب أن لا أسمع أفكار رأسي يجب أن أنام فحسب حتى لا يغضب والدي مني وأنا على علم أنه أصلاً لا يستطيع أن يغضب مني لأنه يحبني كثيراً ويثق بي كثيراً سيطر النوم على الأفكار في رأسي وانتصر وغرقت في نوم عميق لكن كانت هذه المرة الأولى التي أشاهد فيها هذا الكابوس الغريب ومن هذه الليلة حتى اليوم أصبح هذا الكابوس لا يفارق نومي أبداً أصبحت أراه باستمرار أشاهده في الأسبوع مرتين على الأقل أصبح مرتبطاً بي كاسمي ولا أعرف السبب ومهما بحثت ومهما حاولت تفسيره لا أجد أي شيء...!

كان الكابوس عبارة عن مشهد يتكرر لكن في كل مرة يختلف فيه شيء بسيط جداً لكنني ألاحظ ذلك وكأنه مشهد من فيلم أو مسلسل وأعيد مشاهدته مراراً وتكراراً بدون ملل أو كلل وعندما يختلف شيء بسيط في هذا المشهد أعرف على الفور! أرى أناساً يصرخون بدون توقف يصرخون من شدة الألم أرى جلودهم تسليخ وتنفصل عن أجسادهم حتى تظهر لحومهم وعظامهم أراهم ينسلخون ويذوبون ويلتصقون بعضهم في بعض ليصبحوا عجينة واحدة، هناك خلفهم يقبع شخص يجلس على كرسي لكنه بدون ملامح بدون وجه شخص مخيف جداً لطالما لم أكن أخاف من شيء إلا أن هذا الشخص يخيفني في كل مرة أراه في الكابوس!! الغريب هنا أنه يوماً بعد يوم سنة بعد سنة الأشخاص في الكابوس يزداد عددهم شيئاً فشيئاً وذلك الشخص ينهض من على الكرسي وفي كل مرة أراه يتقدم خطوة أو خطوتين باتجاهي مازال بعيداً حتى الآن ولكن أتساءل هل سيصل ومتى؟؟

استيقظت بشهقة طويلة شعرت فيها بكل الألم في قفصي الصدري السرير مبلل من شدة عرقي أو ليس العرق فقط بل إنني فعلتها بللت نفسي لقد تبولت! هذه أول مرة أفعلها لا أتذكر أنني التي فقدتها في هذا الكابوس أتلفت يميناً ويساراً يبدو أنني نسيت أنني في منزلي الجديد منزلنا الذي يقبع في وسط القبور، كان أبي ليس في الغرفة بالطبع إنه في مهمته هل صرخت عندما استيقظت؟ لا أظن ذلك فأنا طفل كتوم حتى في كوابيسي لا

أصرخ لو كنت صرخت لكان أبي سمعني وأتى فوراً ماذا أفعل الآن؟ كيف سأخبره بأنني تبولت على نفسي في هذا العمر؟ صحيح أن عمري ما زال ستة أعوام لكنني أشعر بالخجل، لكن الآن أرغب بالذهاب إلى دورة المياه للاغتسال لكن الحمام بالخارج هو ليس بداخل الغرفة صحيح أنه ملتصق بها لكن من الضروري أن أخرج من الغرفة وإذا خرجت فهذا يعني أن منظر المقبرة في الليل سيغري فضولي أكثر هل أبي بالخارج؟ هل هو قريب من هنا؟ لا أعرف لكن حسمت أمري سأذهب للحمام بسرعة بدون أن ألتفت إلى شيء وأعود إلى الغرفة، أبعدت الغطاء عن جسمي الصغير المبلل ونزلت من على السرير متوجهاً إلى الباب كنت خائفاً لا من المقبرة ولا من أبي ولا من أي شيء آخر ولكنني كنت خائفاً فحسب ولا أعرف لماذا ومن ماذا؟

فتحت الباب أصدر صوت صرير مرعباً هبت الرياح الباردة نحوي مع رائحة شيء واحد وهي رائحة التراب، وقفت متجمداً في مكاني الجو كان بارداً وملابسي مبللة بدأت بالارتعاش كان هناك صوت وهو صوت المقبرة نعم المقبرة أيضاً لديها صوت نظرت إليها كانت هادئة جداً هدوءاً مرعباً كانت تبدو أجمل في الليل جميلة بشكل مخيف بحثت بعيني عن أبي لكنني لم أره قررت أن أوقف عيني عن التجول وذهبت بسرعة إلى الحمام لم أكن أعرف كيف أتصرف لذلك اغتسلت فقط فوق ملابسني عالجت الموقف بخطأ هذه تصرفات الأطفال بالطبع ازداد جسدي تجمداً وبرودة الآن أصبحت مبللاً بالكامل قررت الخروج والعودة

إلى الغرفة بسرعة لأن الغرفة دافئة لكن استوقفتني صوت عندما
وضعت يدي على مقبض باب الحمام سمعت صوت شخص
يدندن بشكل مرعب لكنني أعرف هذا الصوت هو صوت أبي إذاً
أبي بالفعل لم يكن يمزح إنه يسهر الليل لكي يغني للأموات وهل
الأموات يغنون معه كما قال لأمي؟! *

..م٢٠٢٣

فتحت عيني على صوت أليكسا تخبرني بأن الساعة أصبحت
التاسعة صباحاً لحظة مستحيل هل نمت كل هذا الوقت؟ من
المستحيل أن أنام هكذا بدون أن أشعر على المكتب؟ أنا إنسان
نظامي جداً مهما أفعل من أعمال شغوفة رسم نحت أكتب أعمل
على الجهاز على المكتب مستحيل أن أنام وأنا أعمل خارج
غرفتي لم أفعل ذلك طوال حياتي هذه أول مرة أفعلها نظرت إلى
شاشة جهازي وما زال موقعي «بيتشيني» مفتوحاً على الصفحة
ومفتوحة عدة صفحات أخرى أنا حتى لا أتذكر لماذا لا أتذكر ما
الذي فعلت؟ وعن ماذا بحثت؟ قررت أن أفتح النوافذ المفتوحة
لكي أرى ما الذي بحثت عنه لكن جهازي نفذت بطاريتها ويحتاج
لإعادة الشحن لذلك لم أغلق شيئاً قمت بإيصاله في المقبس
ونهضت من مكاني وأنا أشعر بأن كل عظمة في جسدي على
وشك أن تقع أرضاً الصداق يكاد يقسم رأسي نصفين، بالطبع لأن
هذه المرة الأولى التي أنام فيها على كرسي مكتب وليس على
سريري، ذهبت بسرعة إلى الحمام وتحممت بماء بارد لكي

ينعش روحي وجسدي، جهزت بشكل سريع الإفطار لي ولأبي أعلم الآن بأنه غاضب مني لكنه لا يقول ذلك كالعادة لكن أعرف كل شيء من عينيه فقط، أسمع هاتفني يرن لا بد أنها ثيا أو الجامعة لأن لدي محاضرة يجب أن أعطيها لطلابي اليوم بعد ساعة اليوم لا يوجد لدي أي عمل في المشرحة فقط لدي في الجامعة وهذا من حسن حظي لأن عمل المشرحة يبدأ من الساعة السابعة صباحاً، وضعت قهوتي السوداء في كوبي المفضل ارتديت ملابس الأنيقة على عجل حتى لو كنت مستعجلاً من المستحيل أن أخرج بشكل عشوائي وفوضوي وضعت الدواء والطعام لأبي قبلت جبينه ووعدته أن أعود مبكراً لكي نتناول العشاء معاً وخرجت..

أرسلت لثيا رسالة نصية أخبرتها بأني سأراها بعد الانتهاء من المحاضرات في الجامعة وأقابلها في المستشفى في عملها تذكرت أن لدي جلسة اليوم معها صراحة لم أعد أهتم لجلساتي النفسية كثيراً بقدر ما هي ليست إلا حجة لكي أرى ثيا أكثر وأنا واثق بأن لديها الأهداف نفسها..

وصلت إلى الجامعة وتعتبر أكبر وأفضل جامعة في البلاد ولديها رقمها المتقدم حول العالم، كان أحد أحلامي أن أدرس بها لكن شاءت الأقدار أن يختلف الأمر وعملت بها على العموم لم يكن هناك في الجامعة هذا التخصص الذي أنا أقوم الآن بتدريسه وأيضاً لم يكن التخصص موجوداً في أي من الجامعات في العالم حتى لكن دعوني أحدثكم قليلاً عن إنجازاتي: عندما

وصلت إلى مرحلة الثانوي كنت بالفعل من الطفولة مارست هذه المواهب مثل الرسم والفن وتجميع كل ما هو جميل وغريب لكن عندما دخلت إلى المدرسة الثانوية بدأ الطلاب باختيار تخصصاتهم استعداداً للجامعة لكن خاب ظني عندما لم أجد ما أريد كان هناك تخصص فنون طبعاً وهو يتفرع إلى الرسم النحت الخياطة التطريز وغيرها، لكن لم أجد فيه ما أريد أخبرني زملائي بأنه لا بأس أن أتخصص في الفنون وأرسم ما أريد رغم ذلك لم أقتنع أبداً رأيت في المدرسة كيف كان الأستاذ بشكل ممل يعطينا الأشياء التي يجب رسمها رأيت كيف في المنهج عرفونا على جميع أنواع الرسم لكن لم يكن هناك الشيء الذي أريده لم يكن هناك عالمي!!

- هل سمعت برسام الموت؟؟

سألني «الوكي» كان شريك في الطاولة في الفصل الدراسي.

- لا؟؟ من هذا؟

قال بصوت خافت حتى لا يسمعه المعلم:

- يقولون إنه شخصية خيالية وآخرون يقولون بأنه ما زال موجوداً حتى يومنا هذا..

- إذا وماذا كان يفعل؟؟

سألت بحماس

- كان يرسم رسومات غريبة تعود إلى ضحايا الذين قتلهم يرسمهم بشكل بشع أي بالمختصر يرسم الجثث التي قتلها كان اسمه «دانيال»..

- وما دخلي في الموضوع من هذه القصة؟
سألت بدون مبالاة رغم أنني تحمست كثيراً..

أجاب:

- لا أعرف لكن أنت ترسم أشياء بشعة ومخيفة مثله وتقول إن رسوماتك ليس لها اسم هل تعرف ماذا كان يسميها دانيال؟؟

- ماذا؟؟؟

- كان يسميها «بفن الكوايس»..

منذ ذلك الوقت لم أنس هذا المسمى وشعرت أنه بالفعل اسم يليق بعالمي أتذكر أنني عدت إلى المنزل وبحثت عن هذا الرجل دانيال في كل المواقع ولكن لم أجد أي شيء عنه!؟ من أين سمع عنه لوكي؟ هل كان يكذب؟ ولكن لوكي صحيح أنه فتى متمر قليلاً لكنه لا يكذب نسيت عن هذا الرسام ولا يهمني إن كان حقيقياً أو لا لكن حملت المصطلح والاسم في عقلي ورحت أرسم وأطلق على رسوماتي فن الكوايس حتى شاركت في يوم ما في مسابقة في أول سنة جامعية بعد أن تخصصت في الطب الجنائي لأن تخصص فن الكوايس لم يكن موجوداً لي وفازت لوحتي بالمركز الأول على الكثير من المتسابقين الرسامين من جميع الدول الجميع شعروا بالانبهار من طريقة وغرابة رسمي البعض شعروا بالتقزز وآخرون شككوا في عقليتي بأن هذا شخص مريض سأخبركم عن اللوحة لاحقاً، لكن بعدها قرر مدير التعليم أن يطلق تخصصاً بهذا الاسم في الجامعة وأن يتفرع

من تخصصات الفنون وحتى المسمى بالفن المظلم لم يذكره
أحد ولم يكن يعرف عنه أحد لذلك تم تعييني فوراً بعد أن
تخرجت من سنتي الماجستير في الفن بسبب درجاتي المرتفعة
كمعيد أولاً في الجامعة ثم أستاذ ثم استمرت بالدراسة والعمل
حتى حصلت على درجة البروفسور وأصبحت بروفسور في
مجال فن الكوايس والفن المظلم، أما وظيفتي في التشريح فقد
درست الطب الجنائي والشرعي لمدة خمسة أعوام وتعينت سريعاً
بسبب معرفتي المهنية وعلاقتي وطبعاً مستواي الدراسي وشغفي
حتى الآن أيضاً أسعى لنيل الدكتوراه في هذا المجال، كان
الجميع يرونني بمظهر الشخص المثالي وأنا حقاً مثالي لا أعلم
هل سيكون لديهم مشكلة إذا عرفوا عن سري أنا أرى نفسي أنني
أقدم العلوم المميزة لهذا العالم العلوم المختلفة لماذا الناس
يرون أن الاعتناء بالجثث أمر غريب ومرعب ومخيف؟! لا بأس
سيأتي اليوم الذي أجعل فيه مسمى «البيثيني» ينتشر ويصبح
علماً مميزاً وشيئاً طبيعياً جداً..



«الفصل الخامس»

«الطوفان»

إن الحياة هي الطوفان بحد ذاته طوفان لا نهاية له أنت تنتهي وهو لا ينتهي، هذا الطوفان يحتجزك فيه منذ الولادة وحتى الممات لا مفر للفائز الوحيد هو الذي يقاومه بكل إصرار نستطيع مواجهة هذا الطوفان بالحب والشغف والقوة والصبر والمثابرة بالقرب من الأشخاص الذين يحبوننا ونحبهم إذا لم نفعل كل هذا فسيمزقنا الطوفان إلى أشلاء بدون رحمة!

عن نفسي ولدت في الطوفان وفي قلب قبر في مقبرة أعتقد لا يوجد طوفان أقوى مني لذلك شعرت بأنني لا أحتاج إلى أحد طوال حياتي لطالما أحتاج إلى نفسي والفن وجثتي..

دخلت إلى الجامعة في يوم جديد لم أكن مستعداً أن أعطي أي دروس لأي أحد لكن يجب علي فعلها في كل الأحوال، كان عقلي منشغلاً بتصميم موقعي الجديد والغوص أكثر في هذا المجال رغم خبرتي فيه إلا أنه ما زال في عقلي مئة سؤال ومليون فكرة ومنها: هل هناك أحد مثلي في هذا العالم يعتني بالجثث أم أنا فقط؟ أشعر بأنه أنا فقط هذا العالم مخيف إنهم لا يعتنون بالأحياء فكيف يعتنون بالأموات؟ إن كل ما رأيته في اليومين السابقين في تلك المواقع

المظلمة أن الجميع يستغلون الأحياء ويستغلون الأموات إذاً لماذا ما زلت أتساءل إن كان هناك أحد مثلي؟ شعرت بشعور رائع لطالما أعرف أنني مميز ومختلف عن هذا العالم ولا أحد مثلي بالطبع لا يوجد أحد مثلي هذا ما قاله لي أبي ذات مرة والآن أنا أعرف..،

- صباح الخير بروفيسور «ظل»..

قاطع أفكاري صوت هذا الشخص من خلفي إنه أستاذ في قسم الفنون لطالما كان يغار مني ويحسدني ويقلل مني لكونه الأكبر ستاً مني ولم يحقق شيئاً في حياته سوى أنه يعطي دروساً في الفشل لطلابه ويسمي ما أفعله شعوذة وسحراً ويتهمني بأنني أملك واسطة وليس شغفاً أو ذكاء!

- صباح النور أستاذ...!! ذكرني باسمك؟

سألت متعمداً وأنا بالطبع أعرف اسمه..

أجاب وهو يحاول أن يخفي غضبه:

- أستاذ «لويس» هل من المعقول نسيت أسماء زملاء المهنة لأنك أصبحت بروفيسور؟

- لا بالطبع أساساً أنا لا أملك أي زملاء لا مهنة ولا خارج المهنة لذلك لست ملزماً أن أحفظ أساميكم، والآن أخبرني هل هناك شيء؟ لأنني مستعجل لدي محاضرة..

- لا تقلق لن آخذ من وقتك الثمين أردت فقط أن أهتدك على حصولك على هذه الدرجة العلمية..
قالها بامتعاض.

- غريب!! أن تقوم بتهنتي لكن على كل الأحوال شكراً هل هناك شيء آخر الآن؟

- لا، تستطيع الذهاب..

استدار متذمراً بقوله: وغد مغرور! كنت أسمع هذه الكلمات كثيراً في مجال عملي لأنني لا أختلط بأحد ولا أتحدث مع أحد سوى طلابي أنا لست مغروراً لكنني لا أحب الأحياء..!

- صباح الخير على الجميع..

- صباح النور أستاذ نقصد بروفيسور..

رد الطلاب مازحين بعد أن جلس كل طالب مكانه بعد أن كانوا مبعثرين في جميع أنحاء القاعة، أعرف أن جميع الطلاب الذين قمت بتدريسهم يخافون مني بسبب غرابة أطواري وتصرفاتي الجافة معهم لكن في نهاية الأمر تنتهي السنة الدراسية وهم متعلقون بي معجبون بقدراتي ومواهبني وفني وطريقة تفكيري الغربية ولطالما ثمانون بالمائة من طلابي يكررون هذه الكلمة:

- «أريد أن أصبح مثلك في المستقبل»..

وأنا أرد في عقلي:

- لا، صدقوني لا تريدون لا ترغبون بأن تحتفظوا بجثث في منازلكم..

مع كل محاضرة معتاد أن أبدأ بكلمة افتتاحية سواء كانت هذه الكلمات تخص موضوع المحاضرة أو تخص الحياة أو

الموت حتى أو الفنون لكنني لا أعطي أي كلمات إيجابية أو تشجيعية لا أحب أن أمثل هذا الدور أبداً وهذا ما يجعل طلابي يحبونني فهم يشعرون بالملل من الأساليب المكررة والمملة للمدرسين أجمعين:

- «إن الجمال والفن وجهان لعملة واحدة من المستحيل أن نذكر الجمال بدون أن نذكر الفن والعكس صحيح، لطالما عشت حياتي وأنا أنظر بعين واحدة وهي عين الفنان وعين الفنان لا تخطئ حتى عندما رأيت الأشياء والمناظر البشعة رأيتها بعين الفنان لكي تظهر لي بشكل مختلف إن الفنان لا يمكن أن يكون فناناً إذا لم ير الأشياء القبيحة فناً أو جمالاً لأن الفنان هو خالق الأشياء الجميلة هدف الفن هو الكشف عن الفن وإخفاء الفنان لا يوجد فنان لديه تعاطف أخلاقي الفنان المتعاطف أو التعاطف في الفن هو أسلوب لا يغتفر لا يوجد فنان مريض على الإطلاق يمكن للفنان التعبير عن كل شيء الفكر واللغة هما أدوات الفنان للفن الرذيلة والفضيلة هما مواد الفنان للفن، الفن لا يعكس شخصية الإنسان الحقيقية بل على العكس الفن يثبت حقيقة وشخصية الفنان لذلك نجد أغلب الفنانين لا يعرفون حتى أنفسهم ولا يعرفون من هم؟»

انتهيت من كلماتي الافتتاحية لمحاضرة اليوم في أول محاضرة من الفصل الدراسي الثاني رفعت إحدى الطالبات يدها:
تفضلني يا «سارة»

كانت سارة إحدى طالباتي المتفوقات وهي رسامة ماهرة وفتاة مثقفة ذات فكر عالٍ لكن نادراً ما أخبر طلابي بذلك وأمتدحهم فأنا لا أحب أن أمتدح أحداً إلا في الدرجات كل طالب يأخذ بالطبع ما يستحقه على مجهوده:

- «إذاً يا بروفيسور أنت تقصد أن كل رسام أو فنان لديه اضطرابات نفسية أليس كذلك؟»
- أنا قلت: أغلب الفنانين لا يعرفون أنفسهم وهذا ليس اضطراباً أبداً.

أجبتها

رفع طالب آخر يده:

- تفضل «روس»

- أتوقع يا بروفيسور ليس جميع الفنانين يتفوقون معك، إن فنانة الفن المظلم والكاتبة «ماريا» قالت في إحدى رواياتها: إن «كل رسام كئيب وكل كئيب رسام» وهذا يوحي بأن كل رسام أو فنان لديه ميول مرضية حتى إن أغلب الرسامين ينتهي بهم المطاف بالانتحار!..

- بالنسبة لما قالته الكاتبة أو الرسامة هذه وجهة نظرها بالطبع، وبالنسبة إلى أن بعض الرسامين ينهون حياتهم من أخبرك بأن الفن هو السبب؟؟

سكت «روس» ولم يرد، ثم استرسلت في حديثي:

- لقد قلتها سابقاً قبل أيام: إن الفن ليس له علاقة بالاكْتئاب أو الانتحار أو الأمراض النفسية، إن الفن غير مسؤول عن كل ذلك وإن النفس البشرية هي وحدها مسؤولة يجب على كل شخص أن يراجع نفسه بعد كل فترة وفترة ويبحث في أعماق روحه والسبب وراء تدهور نفسيته؟ الحياة عادة ما نرمي عليها الاتهامات وإن ضغوطات الحياة هي السبب لكن أيضاً ليس صحيحاً الإنسان وحده مسؤول عن الظلمة في روحه والأشخاص حوله هم المذنبون إن البشر مخيفون لدرجة أنهم هم السبب في كل هذه الظلمة سواء كانت لنفسه أو لغيره، لكن الفن وسيلة للعلاج وليس للموت بالنسبة للفن المظلم هو فن ناتج عن ضغوطات الإنسان مما رآه في حياته من الأشياء المهولة التي شاهدها وعاشها وعانى منها..

قاطع حديثي طالب آخر وهو رافع يده، رغم أن كل أستاذ أو محاضر أو مدرس يعطي وقتاً معيناً للأسئلة لكن أنا أحب أن أناقشهم وأستمع إلى أسئلتهم طوال الوقت:

- تفضل..

- «إذاً يا بروفيسر تقصد الأشخاص المتمرسين في هذا المجال أو أن الفنانين هم فقط الأشخاص الذي عانوا في حياتهم؟ لكن من الممكن أن شخصاً يرسم هذه الأشياء بدون أي معاناة مر بها مثلي!؟»
ضحك الطلاب بعد كلماته،،،

- حسناً سؤال جيد أولاً يجب أن تقول شكراً لله أنك لم تعانِ في حياتك ثانياً ما زلت شاباً صغيراً وأمامك حياة طويلة ثالثاً لربما ترسم هذا الفن المظلم بسبب جينات انتقلت لك من عائلتك وما أقصده أن بعض الأشخاص يرثون جينات من عائلتهم مثل المرض النفسي ولربما حياتك سعيدة جيدة لديك كل شيء الأشخاص الذين يحبونك حولك ناجح سعيد حياة متكاملة ورغم ذلك نرى أنهم يعانون من الاكتئاب أو الأمراض النفسية لماذا؟؟ هذا يعني على الأرجح أن هناك جينات أحدِ عائلته انتقلت إليه.. لذلك هل هناك سؤال آخر قبل أن نبدأ المحاضرة؟؟

- لا..

- إذا دعونا نبدأ.. اليوم سنتحدث عن حركة الفن المظلم ومن أين بدأت؟

يبدو ظاهرياً أن تعريف الفن المظلم يجب أن يكون بسيطاً نسبياً، نظراً لأن أولئك الذين يزعمون أنهم يقومون بإنشائه يتشاركون في العديد من السمات كفنانين واهتمامات كأفراد. ومع ذلك، لا يمكن القول إن جميع لوحات الجماجم هي فن داكن، وبما أن وجود موضوعات «مظلمة» يعد أمراً ثابتاً في العمل الإبداعي عبر التاريخ، فيجب علينا إيجاد طريقة للتوفيق بين هذا وبين ما يعد مجال عمل جديدًا نسبيًا.

تاريخ من الظلام:

ليس هناك شك في أن الموضوعات المرتبطة بالفن الأسود -
الوحوش، والموت، والاضمحلال، والظلام الحرفي، هي جزء
من المساعي الإبداعية التي تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ.
تكون بعض سجلاتنا المبكرة للأعمال الفنية البشرية من مشاهد
لحيوانات مخيفة ومقتولة. تضمنت الكثير من الإبداعات الدينية
للحضارات المبكرة والحضارات الأصلية قوى الدمار التي يجب
إبعادها، والكيانات التي تجسد الحيوانات المفترسة، والمؤثرات
النفسية التي يجب تبجيلها والتفاوض معها.

يمكن رؤية أصداء المفاهيم والأيقونات الخاصة ببعض هذه
الفنون الأسطورية والثقافية بوضوح في العمل المعاصر، ولكن
يبدو أنه من قبيل الغطرسة الادعاء أن هذه الزخارف العالمية
تنتمي إلى الفن الداكن.

وبالمثل، يمكننا العثور على العديد من الفنانين والأعمال
الفنية عبر التاريخ المسجل والتي يبدو أنها تتناسب تمامًا
مع فئة الفن الداكن. أبرزت العديد من صور الصلب في
القرنين الخامس عشر والسادس عشر تفاصيل مروعة وتشريخًا
مليًا بالألم، بينما بدا كارافاجيو مصممًا على دمج الظلام
والدماء والمعاناة الشخصية في كل قطعة يستطيع القيام بها.
ظهرت الفانتاس، التي تتناقض بين الثروة والقوة مع طبيعة
الحياة سرعة الزوال وحتمية الموت (غالبًا ما يتم تمثيلها من
خلال تصوير تفصيلي للجماجم) في القرون التي تلت ذلك،

وأصبح استخدام بقايا الهياكل العظمية شكلاً قياسيًّا للدراسة في تعليم الفنون.

وبالانتقال إلى العصر الحديث وما بعد الحداثي، نجد غويا وبيكون وبورجوا وهيرست وعدداً لا يحصى من الآخرين ينتجون أعمالاً لا تبدو في غير محلها في معرض للفن الداكن، ومع ذلك فمن المؤكد أن هؤلاء الفنانين لم يكونوا يعتبرون أنفسهم ضمن هذا العصر. مجموعة العمل التي ناقشها.

من أين بدأ؟؟؟

لا يوجد تاريخ محدد أو زمن معين لبداية حركة الفن المظلم من الممكن أنه بدأ قبل قرون لكن لم يسمع به أو يعرف به أي أحد! ومن الممكن أنه بدأ في العصر الحديث؟ لكن في كل الأحوال لم يتم نشره واعتماده إلا في السنوات القليلة الماضية أيضاً شاهدنا العديد من اللوحات المفجعة مثل الصرخة وغيرها وهذه كلها قديمة لكن لم يعترف بها أو لم يتم تسميتها بالفن المظلم إلا في وقت حديث..

يمكن للفن أن يربطك في حالة من التناقض العاطفي. بالنسبة للبعض، يفضل تجنب هذا القلق، ولكن هناك العديد من الأمثلة على مر القرون التي تمثل شهوة البشرية نحو الجانب المظلم من الواقع. الدين والأساطير واستكشاف النفس البشرية... لقد شهدنا جميعاً أعمالاً فنية تثير هذه المشاعر المتناقضة، وكان ظهور هذا النوع من الفن - الذي يوصف غالباً بالفن المظلم - في نمو مستمر.

أكثر سؤال أتلقاه هو: هل يمكن تعريف أو شرح الفن الداكن؟
حسناً، إنه سؤال يصعب الإجابة عليه نظرًا لأن الفن موضوعي للغاية، لكنني سأحاول الإجابة عليه لتوضيح المصطلح.

في هذا النوع من الفن المظلم، ينقل الفنان أفكاره بطريقة غامضة للغاية، وفي بعض الأحيان، يجمع بين العناصر السريالية. الأفعال الفظيعة والمشاهد المروعة تجعلنا نتوقف ونفكر في أنفسنا. مشاهد مذهلة بصرياً، حيث يهيمن اللون الأسود على كافة الألوان. إنها محاولة لفهم الطبيعة الإنسانية بشكل أعمق، وهذا الجانب البدائي للإنسان الذي كنا نظن أنه منسي، لكنه لا يزال يربكنا بدوافعه.

يرتبط الفن المظلم ارتباطاً وثيقاً بالفن النقدي أو الفن الاحتجاجي، لأن كل عمل من هذه الحركة يشير إلى سبب أو رسالة معينة. إنها حركة لنشر رسالة للجمهور تعلن فيها شكوى أو انتقاداً. لهذا السبب، يثير الفن الداكن في العديد من المناسبات الجدل والخلاف بين المشاهدين الذين لا يعرفون أو لا يفهمون الرسالة الأصلية للعمل الفني.

استرسلت في حديثي بعد أن فتحت لوحة العرض «البروجكتر» وعرضت صورة رسمة لحيوان مسلوخ:
مثال:

في العمل الفني «روي» لإد شاب، نرى حيواناً مسلوخاً وخائفاً ويتألم بسبب التعذيب الذي يتعرض له. بهذه الصورة الحزينة

يحاول الفنان تصوير الألم والقسوة اللذين يعرض البشر الحيوانات الأخرى لهما من خلال سلخها، حتى في بعض الأحيان وهي لا تزال على قيد الحياة. بهذه الصورة المزعجة والصادمة، يحاول الفنان لفت انتباه المشاهد وجعله يفكر في الأضرار غير الضرورية التي نلحقها اليوم بالحيوانات من خلال زراعة الفراء، لمجرد أن نتمكن من الحصول على ملابس وإكسسوارات عديمة الفائدة؛ فجور المادية.

ومع ذلك، إذا لاحظنا هذه الصورة خارج سياقها، فقد يعتقد المشاهد أنها اعتذار عن زراعة الفراء، أو عن تعذيب الحيوانات، أو أن الفنان (وهو نباتي في هذه الحالة) يستمتع برسم هذه المشاهد المروعة. لهذا السبب، يمكن للفن المظلم أن يثير الجدل أو الخلاف، ولكن إذا عرفنا الرسالة وفهمناها، فإن الفن المظلم نقي ورائع.

انتهيت من المحاضرة وبدأت بحزم أغراضي وبدأ الطلاب بالخروج من القاعة عندما لفت انتباهي صوت رنين إشعارات هاتفي فتحتة لأجد إشعاراً على الإيميل من موقع «بيتشيني»! علمت بأن الزوار بدؤوا يطلعون على الموقع حتى وهو فارغ ولم أدون بعد فيه أي شيء! أعدت هاتفي في جيبي وعندما هممت بالخروج استوقفني شاب من الطلاب:

- أعتذر بروفيسور لكن لدي شيء أخبرك به..

قالها بعد أن بدا عليه التوتر والربكة بشكل غريب..

- لكن انتهى وقت المحاضرة وأنت تعرف أن معه ينتهي وقت الأسئلة والاستفسار لتؤجله إلى المحاضرة القادمة..

أجبتُه وأكملت طريقي خرجت من القاعة كنت سأذهب إلى المنزل لأرتاح قليلاً لأن اليوم الثلاثاء وهذا يعني أن لدي وظيفة أخرى مساءً في المستشفى «كمشرح وطبيب شرعي» لكن رأيت أن ثيا أرسلت لي أنها يجب أن تراني فوراً ولا أستطيع أن أرفض لها طلباً بالطبع خصوصاً رؤيتها..

«سجن الطوفان»

«ثيا»..

أتذكر عندما رفض أبي رفضاً باتاً أن أدرس هذا التخصص وكأنه كان يملك مشاعر سلبية حول المستقبل أو أنه أخبره دجال أو قارئ البطاقات المستقبلية لكنني أصررت تماماً كان حلمي أن أصبح إحصائية نفسية جنائية حلمي أن أختلط بالمجرمين وأفهم دوافعهم أفكارهم حياتهم تخيلاتهم أن أسمع همزات الشياطين التي توسوس لهم كما يدعون! كان كل شيء على ما يرام كانت حياتي أقرب إلى أن تكون مثالية أنا وأمي وأبي وأخي الذي كان السبب الأول في دعمي ووقف في وجه والدي لكي يسمح لي بالدخول في هذا المجال كنت أظن أنني خارقة عندما ساعدت الشرطة في القبض على قاتلين كثيرين عندما ساعدتهم على سحب الاعتراف من المجرم، كنت أظن أنني خارقة عندما

أتمكن من الدخول إلى عقول المجرمين والمختلين عقلياً كنت أظن أنني خارقة عندما تلاعبت بأفكار أحد القاتلين المتسلسلين وتسرعت بالحكم عليه بأنه وقع بفخّي وفخ الاعتراف لكنه كان أذكى بمسافة عشرات الملايين من المتترات مني! كان أذكى وأدهى إنه يملك عقل شيطان وليس عقل إنسان عندما تحديته واخترت أن ألعب معه ظناً أنه لا شيء أمامي أخذني الغرور وسيطر علي جنون العظمة بعد أن أخذت الموافقة من الشرطة بأنه سيعترف بجرائمه ومكان ضحايا الجثث التي لا يعرف عنها أحد ولكن الشرط الوحيد أن يذهب هو بنفسه إلى المكان وبالطبع معه أنا والشرطة أو جيش من الشرطة لم يكن لديه بالطبع مانع لأنه أساساً مسجون ومحاكم لكن لم أظن أنه واصل إلى درجة الذكاء والخبث التي وصل إليها بعد أن وصلنا إلى المكان المحدد وكان غابة بعيدة كل البعد عن العاصمة وقال إنه يدفن الجثث هنا ونحن في الطريق وعندما اقتربنا حيث كان يركب في جيب الشرطة وأنا كنت معه وكان معنا اثنان من الحرس، وكانت أمامنا سيارتان وخلفنا ثلاث سيارات كان موكباً مصغراً يزف المجرم لكي يكشف لنا عن ضحاياه لكن لم نكن نعلم بأنه يتلاعب بنا فقط وهذه مجرد خطة هروب ويخلف خلفه مجزرة!!

وعند اقتربنا من الغابة في ذلك الطريق غير المعبد المظلم توقفت السيارتان اللتان أمامنا مما أدى إلى توقفنا نحن والتي خلفنا، من هنا نبض قلبي شعرت بأن هناك شيئاً خاطئاً يحدث!؟

- ماذا يحدث؟

سألت الشرطي السائق الذي معي وقال إنه لا يعلم سينزل ويرى ما خطب السيارتين اللتين في الأمام ولماذا توقفتا! وبالفعل نزل السائق من السيارة وتركني أنا والحارس الذي في الخلف والحارس الآخر الراكب في المقعد بجانب السائق ما أن نزل السائق نظرت إليه وكان ينظر إلي بعينين ثاقبتين نظرات مرعبة وواثقة أنا لا أخاف أبداً من المجرمين لأنني معتادة على هذه النظرات وهذه التهديدات لكن نظراته في تلك الليلة كانت مختلفة كلياً ابتسم ابتسامة مفزعة لا تقل رعباً عن نظراته ثم رفع كفه ونحن ننظر إليه ونتساءل ماذا يفعل؟ كان يواجه صعوبة في رفع كفه لأنه مقيد بالسلاسل لكن رفعها وفتح أصابعه الخمسة وبدأ يغلق أول أصبع بصمت مرعب وأغلق ثاني أصبع استطعت ان أسمع دقات قلوب الحارسين اللذين معي وأغلق ثالث أصبع سمعت صوت قلبي أيضاً وأغلق رابع أصبع بدأ العرق يتصبب مني أغلق خامس وآخر أصبع أنفاسي ضاقت أكثر ما أن أردت فتح فمي والتحدث إليه إلا وسمعنا صوت إطلاق نار بالخارج!! كان تبادل إطلاق نار مجنوناً بين الشرطة وبين أشخاص مجهولين خرجوا من العدم وكأنهم أشباحه أو شياطينه، كل شيء في تلك الليلة المرعبة التي كانت كالكابوس حدث بسرعة لربما في دقائق أو ثوانٍ لا أعرف لكن عندما أردنا أن نخطو خطواتنا الأولى أنا والحارسان الاثنان بحركة سريعة ذلك المختل ضرب الحارس الأول برأسه نطحه بدون مبالغة نطحة الثور لضحيته الماعز

الغريب أن الشرطي تأثر وتحطمت جمجمته لكن المختل لم يصبه أي شيء بعدها سحب بسرعة سلاح الشرطي وأطلق النار أمامي على جمجمته وأطلق النار على الحارس الآخر!! بالطبع تعرفون مساحة الجيب كيف هي مساحة صغيرة جداً لذلك امتلأ بمخ ودماء ولحم متناثر من جماجم الحارسين أما أنا فحدث هذا أمامي في ثوانٍ ولم أصرخ من شدة الصدمة أو من سرعة الموقف جلست وأنا ملطخة بالدماء مدهولة مرعوبة خصوصاً بعد أن عمّ الهدوء في الخارج وتوقف صوت إطلاق النار ولم يعد أحد من الشرطة هذا يعني أن الجيش المخفي انتصر استسلمت في تلك الليلة فقلت بالتأكيد سيقتلونني أنا المتبقية لكنه قال لي بصوت مرعب:

- «لا تقلقي لن أقتلك اعتبريه شكراً وامتناناً مني لأنك أقنعت المحكمة والشرطة بإخراجي من ذلك السجن هذه تعتبر مساعدة مبطنة منك لذا سأتركك حية علاوة على ذلك أنا لا أقتل النساء وأيضاً ما زال هناك ألعاب سنلعبها معاً في المستقبل أيتها الطيبة سأقدم لك جائزة مثالية لن تنسيني مدى حياتك»

نزل من السيارة بعد أن فُتح له الباب بكل هدوء تنفس الصعداء واستنشق الهواء الملوث برائحة دماء الشرطة نظر إلي مبتسماً وقال:

- «أراك لاحقاً»

الغريب توقعت أن يذهب مع رفقائه في سيارة لكن حتى هم لم يملكوا أي سيارة لم أر وقتها أي سيارة أخرى وظهروا فجأة من الغابة المظلمة أو حتى لم يظهروا وكان الرصاص فقط من ظهر لأنني لم أر أي مخلوق وعندما انفتح الباب لم أر أيضاً أي أحد وكان الباب انفتح وحده أو أنا كنت مشوشة لا أعرف وكل ما أعرفه أنه دخل وحده سيراً على الأقدام أمام عيني إلى الغابة وهو يدندن واختفى وكان الظلام ابتلعه...!

هذا كان ملخصاً «للكابوس» اللقب الذي أطلقه العالم على هذا السفاح والقاتل المتسلسل «آرلند فرانكلين» وهذا هو اسمه الحقيقي لقب بالكابوس لأنه كان وما زال كالكابوس الذي لا يستطيع أن ينام منه سكان مدينتنا منذ عشرة أعوام وأنا ما زلت مرافقة في المدرسة وبعدها دخلت إلى الجامعة وبعدها توظفت وهو ما زال مستمراً بالقتل، يقتل الرجال أو بالأصح الشباب الذين في عمر الزهور تتراوح أعمار ضحاياه بين الخمسة والعشرين وحتى الخمسة والثلاثين! كان يقتل بعد منتصف الليل لهم لا جثثاً ولا أثراً إلا علامة واحدة وهي بعد أن يأخذ الضحية يترك العلامة في المكان نفسه الذي أخذ منه الضحية وهذه العلامة هي حلوى! كان يترك حلوى قديمة جداً حتى إن الأسواق في هذا الزمن والمتاجر لم تعد تباعها وأيضاً الشركة والمصنع اللذان قاما بصنع هذه الحلوى مع التحقيق اكتشفنا أنهما أفلسا منذ أعوام طويلة وأغلق مصنعهم وأن صاحب المصنع مات أيضاً

منذ فترة المعروف أن هذه الحلوى كان الأطفال يقومون بشرائها على أنها أقراص منومة وتبعد الكوابيس أيضاً أخبرني أحد المحققين الممسكين بخط القضية قال أيضاً إنه كان يشتريها عندما كان طفلاً رغم أن عمره الآن سبعة وأربعون وهو أكبر من القاتل بست سنوات كل شيء غامض حول هذه القضية والمجرم لا يقل غموضاً ورعباً عن المجرمين أيضاً هنا لكن هذا القاتل لا أستطيع أن أنساه طوال حياتي لا أنا ولا عائلتي ليس فقط بسبب أنه هرب بسبب غبائي أو جنون عظمتي لا!!

عندما هرب نزلت من السيارة كان المنظر أشبه ما يقال عنه مجزرة تلفت حولي في صدمة كانت جثث الشرطة ملقاة بكل مكان ودماءهم أصبحت نهراً جارياً على ذلك الطريق لم يكن فيهم ولا أحد حي أو ينازع أو يحتضر حتى كان جميع الرصاص في رؤوسهم بدون أي خطأ في الهدف وقفت في الظلام والضباب في المنتصف بين الجثث وصرخت أخيراً وفقدت الوعي، استيقظت وأنا في المستشفى لكن لم يكن هناك أي أحد حولي انتظرت ما يقارب نصف ساعة ولم يأت أحد سوى الممرضة التي كانت ترمقني بنظرات غريبة وتذهب!

قلبي ازدادت نبضاته عندما لم أرَ أحداً من عائلتي معي لأن هذا الشيء مستحيل تماماً مستحيل أن أدخل المستشفى بعد أن حدث شيء خطير معي كهذا ولا تأتي أمي أو أبي أو أخي أنا إذا حدث معي شيء بسيط حتى جرح بسيط ما أن أفتح عيني أجدهم الثلاثة يقفون أمامي!

تعبت من التفكير بدون إجابات واضحة قلت لنفسني: لربما لا يعرفون ما حدث أو ربما لم يخبرهم أحد لكن على ما أظن أن الأخبار والعالم تتحدث عن هروب الكابوس! لقد صعقت عندما علمت بأنه مضى على وجودي يومان! يومان في المستشفى كنت فاقدة الوعي من شدة الصدمة يومان إذا أين عائلتي؟ نهضت بثقل وأشعر بأن صداع العالمين أجمع يعبث في رأسي أردت الخروج من الغرفة سرت باتجاه الباب بخطوات مرتعشة لم تعد أقدامي قادرة على حمل جسدي فتحت الباب إذ يسده جسم ضخم أسود من رائحته الجميلة عرفت أنه الظل الخاص بي في حياتي الذي لطالما كان مثل اسمه ظلًا يلازمي ويحميني من حرارة شمس الحياة يحميني من عواصف الحياة ومن رياحها...:

- إلى أين تذهبين؟؟

سألني ظل بعد أن أمسك بجسدي الهزيل وحملني وأعادني إلى السرير ثم أكمل حديثه:

- أنت ما زلت مريضة وجسدك متعب لماذا نهضت؟؟

- أين أمي وأبي وأليكس؟؟ أنا استيقظت منذ ما يقارب ثلاث ساعات ولم يأت أحد؟! سألت بصوت واهن

- لا تقلقي لقد أخبرهم الطبيب بأنك ستنامين طويلاً بسبب الصدمة النفسية من الممكن أن تنامي لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع لكنك أقوى من ذلك، لذلك الطبيب أخبر والدك

أنه ليس من الفائدة لهما أن يظلا هنا لراحتهما أقنعتهما أن يذهبا ويرتاحا في المنزل وأنا سأبقى معك..

لم أقنع بكلام ظل أبداً أعلم أن أمي من المستحيل أن تتحرك من مكانها وتتركني أعلم حتى لو شعرا بالتعب سيظل أليكس معي هنا أعلم بأن عائلتي لا تتركني في المستشفى أبداً وحدي أتذكر أن أمي تكره ظل ولا تحبه لأسباب لذلك لم يتوقف ظل في الكذب كيف أقنعها وهي لا تحب حتى أن تسمع صوته؟ أعرف جيداً أن ظل أساساً لا يعرف أن يكذب ولا يجيد الكذب أبداً!

- ظل إذاً أعطني هاتفك دعني أتصل بهم فحسب..

سكت ظل بعد أن سمع طلبي علمت بأنه لا يعرف أن يكذب طويلاً ثم قال بعد صمت خمس ثوانٍ:

- لقد أخبروني بأنهم قادمون في الطريق لذلك أنتِ استرخي الآن وسيصلون قريباً..

- إلى متى ستكذب علي أين عائلتي؟؟

صرخت في وجه ظل بعد أن نفذ صبري من هذه المحايلة المملة ثم تابعت:

- أرجوك يا ظل أخبرني أين أمي وأبي؟؟

فُتح الباب عندما رأيت أبي شعرت بأن روعي عادت لكن سرعان ما تناثرت مرة أخرى عندما رأيت ملامح أبي التي تبدو

وكانه لوحة مرسومة عنوانها الحزن!! وجهه شاحب ومزرق في
آن واحد لم أرَ أمي معه ولا أليكس أخي، عندما وصل إلي نظراً
بعضهما إلى بعض هو وظل نظرات غريبة مريبة حزن خوف!
نهض ظل من جانبي ووقف على مسافة قليلة من السرير جلس
أبي بجانبني بابتسامة باهتة متهدداً احتضني بيده الباردة التي كانت
تبدو وكأنه للتو خرج من ثلاجة الموتى وهو بالفعل!

- هل أنت بخير يا ابنتي؟

سألني بصوت مكسور..

- نعم أنا بخير يا أبي لكن ما الأمر أين أمي؟

سألت بتوتر

- والدتك إنها بخير لكن.. سكت لثانية ثم أكمل بخنقة:

- هي ليست بخير لكي تأتي إلى هنا..

نهضت من أحضانه بأعين دامعة وأيدي ترتعش أمسكت بذراعيه:

- ماذا تقصد بأنها ليست بخير؟ ما الذي حدث أين هي أين
أمي؟؟

- اهديني والدتك بخير هي مريضة فقط،

- مريضة كيف؟؟ إذا خذني لها على الأقل..

- بالطبع سندهب الآن..

قال بحسرة

- نذهب إلى أين؟ وهل هي بالمنزل أو المستشفى؟ هل
«أليكس» معها صحيح لهذا لم يأتِ إلى هنا؟! حسناً إذاً
دعنا نذهب إليها هيا يا أبي..

نزلت من على السرير لكن أمسك أبي بيدي وأوقفني ما أن
التفت إليه رأيت دموعه تنهمر على وجهه كالشلال إنها أول مرة
في حياتي أرى أبي يبكي بهذه الشدة علمت بأن حياتي ستتغير
من هنا علمت بأن دموع أبي ستغرقنا جميعاً:

- أبي!! ما الأمر لماذا تبكي؟؟

سألته وأنا أرتعش نظرت إلى ظل وكانت ملامحه لا توحى
بأي شيء لطالما كان ظل لا يستطيع إظهار مشاعره أبداً سواء
بالتعبير الجسدي أو اللفظي ولطالما أعرف ذلك لأنني طبييته
لكنتي علمت في تلك المرة أن عينيه كانتا حزينتين جداً كانتا
خائفتين علي كان خائفاً هل سأتحمل الصدمة التي سيقولها لي
أبي أو لا؟!!

- أليكس ابني أليكس..! نطق أبي أخيراً بتردد وتمنيت لو أنه
لم ينطق!!

- أليكس ما خطب أليكس يا أبي؟؟

لقد، لقد قتله ذلك الشيطان «آرلند» قتل أليكس أخذ ابني
مني لقد قتل شقيقك يا ثيا بعد أن هرب منك مباشرة لقد قتله
بدم بارد وبأشع الطرق أيضاً..

انهار والدي تماماً بعد أن قال هذه الكلمات لي مسك على قلبه وبدأ يعتصر ألماً وقهراً ركض ظل إلى الخارج وقام بمناداة الأطباء أما أنا فلم أعد أعني من أنا؟ وأين أنا؟ وماذا يحدث حولي؟ كل شيء أصبح ظلاماً من حولي فقدت الرؤية والسمع والتنفس أيضاً ذهبت أسير وكأني منومة مغناطيسياً خرجت من الغرفة وكان الأطباء يدخلون راكضين على أمل أن ينقذوا أبي، أما أنا فاستمررت بالسير في دهاليز المستشفى بدون أن أدرك شعرت بأن الأرض تهوي بي مئة مرة شعرت بأنني سُحبت أسفل الجحيم أكرر في نفسي: هذا كابوس إنه مجرد كابوس وسأستيقظ قريباً إنه كابوس لكن كان بالفعل الكابوس الحقيقي هو ذلك الشيطان الآن فهمت عندما قال لي: سأجهز لك هدية كمكافأة لي على مساعدته ذلك الحقير كانت تحركاته أسرع مما ظننت لقد قتل أخي الوحيد قتل ضوء حياتي ذلك السفاح قتل نصف روحي أخذ مني كل شيء لقد قلب حياتي رأساً على عقب علمت بعدها أنني لن أكون ثيا المرححة التي كانت تنظر إلى الحياة بنظرة مشعة إيجابية علمت بأنني سأصبح ثيا مختلفة ثيا تفكر بتفكير عقول مجرميها الذين تجلس معهم أكثر من جلوسها مع عائلتها..

«أن تفكر كمجرم أن تفكر كعقولهم تماماً هذا سيقودك نحوهم والانتصار عليهم أيضاً سيقودك نحو الهاوية لربما أسفل الجحيم لذلك انتبه..»

كانت هذه آخر جملة ختمت بها محاضرتي لطلاب التحليل الجنائي، رفعت هاتفي رأيت أن ظل أرسل لي بأنه قادم وستقابل في مكثبي في المستشفى الذي نعمل به، ابتسمت عندما رأيت أنه رد علي خلال دقيقة واحدة لأنه دائماً ما يتأخر بالرد وهذا يفضبني لكن رغم ذلك ليس المهم في من يرد عليك أولاً وسرعة الرد أو تأخره في الهاتف المهم أن يكون معك هذا الشخص كظلك في كل مكان ولطالما كان ظل ظلي في كل مكان في حياتي، عندما حدث قتل أخي قبل خمسة أعوام تماماً سحبني الاكتئاب إلى جوفه كاد أن يتلغني تماماً كنت أشعر وحتى الآن شعور تأنيب الضمير لم يفارقني كان رأسي لا يسكت ولا تفارقه كلمة «لو» لو لم أستمع إليه وأخرجه من السجن لكان «أليكس» الآن حياً لو لم آخذ الموافقة وأصر على النيابة العامة أن يخرجوه لكان أخي الآن بيننا لو أنني لم أمسك هذا المريض ولم أقبل بملفه عندي وحولته على طبيب آخر لو أنني لم أصب بالغرور وحنون العظمة! لو كنت أذكي فقط! لو، لو، لو،! إن هذه الكلمة تأكل رأسي منذ خمس سنوات وتنهش روعي أنا الطيبة النفسية التي تحتاج إلى طبيب نفسي كنت على وشك الانتحار من شدة الحزن واليأس علاوة على ذلك وقتها تم فصلي وتحويللي لمجلس تأديبي طبعاً لأنني صاحبة الفكرة وصاحبة القرار بإخراجه، لكن وقتها لم أكن أشعر لكي أهتم وأحزن على الوظيفة لم تكن أمي وأبي أقل تدهوراً مني بل أكثر لأنهما والداه بالطبع لطالما كنت أرى في أعينهما أنهما يقولان بأنني السبب

وهما محققان أنا السبب في موته لا أحد ثانٍ، تلك الأيام كانت أياماً كالجحيم وكأن الشمس كانت تقف على رأسي مباشرة لكن كان هناك «ظل» لقد حماني ظل من كل الأمراض والحزن والاكئاب لطالما كان ظل لا يحب أن يبقى خارج منزله أو يبات في منزل أحد آخر لكن في تلك الفترة بقي ظل معي في شقتي لقد كان يطبخ لي وينظف منزلي ويعطيني أدويتي إن ظل إنسان لا يتحدث كثيراً لكنه يثبت مشاعره بالأفعال إن الجميع هنا يرون أن ظل شخص مغرور أو وقح أو غريب أطوار ومنهم أمي لكن لا أحد يعرفه مثلي أو ربما لا أعرفه!!

هناك جوانب كثيرة من ظل خفية ربما أعرفه من أكثر من عشر سنوات درسنا معاً تخرجنا معاً أكلنا معاً تحدثنا معاً لكن ظل قليل الحديث قليل التعبير كنت رافضة تماماً أن أعود لممارسة مهنتي لكن أحد الأسباب ظل لقد استطاع إقناعي بسبب ما يمر به، إن ظل لديه حالات نفسية مختلفة لطالما حاولت إقناعه أن يذهب إلى مختص آخر حاولت أن أحوله إلى أخصائي آخر لكنه يرفض العلاج من أي أحد غيري أنا أخصائية سلوك إجرامي وغير الأسوياء هم اختصاصي لكن ظل كان سويًا جدًا لكنه يرفض طبيباً آخر غيري، وأنا أتفهم ذلك لأنه لا يحب ولا يرتاح لأي أحد لطالما كان هناك غيمة سوداء تحاوط ظل ولا أعرف من ماذا؟ يخبرني أن طفولته كانت عادية غير أنه كان فقيراً جداً هو ووالده وأن والدته هربت وتركتهما من الممكن أن يكون هذان السببان أثرابه وجعلاه هكذا يغوص في دهاليز الاكئاب وثنائي

القطب والذهان نعم ظل تم تشخيصه بهذه الأمراض ولكنه يقاوم كثيراً ويتحسن كثيراً إنه أقوى مني بمراحل لهذا لا أرغب بأن يعود إلى نقطة الصفر ويسقط وأسقط أنا معه، عدت إلى مزاوله المهنة من أجله لأن ظل يخبرني بأنه لن يذهب إلى طبيب آخر وأن حالته ستتدهور أعلم جيداً كان وقتها يستعطفني فقط لكي أعود هو يعلم بأنه نقطة ضعفي، قضيت السنوات الخمس بعد أن عدت إلى العمل وأنا مهووسة بالقاتل المتسلسل الذي يدعى «الكابوس» كنت أبحث عنه باستمرار بعد أن قتل أخي اختفى وكأنه شيء لم يكن! توقف حتى عن ارتكاب الجرائم أو أنه أصبح يرتكبها بشكل وتصنيف وطرق أخرى من يعلم؟ لكن لن يهدأ لي بال حتى أجده وأمسك به أحياناً أتخيل أنني أمسك به وأقوم بأكله بين أسناني وأحياناً أتخيل أنني أعلقه في قبو منزلنا وأعذبه أشد العذاب أقطع أطرافه الأربعة ثم أخرج عينيه وأقطع لسانه وأكثر كل هذه الخيالات جعلتني مريضة ذلك الكابوس الذي جثم على حياتنا كالكابوس الواقعي جعل حياتنا باهتة مظلمة حزينة كثيبة علاوة على ذلك لم يقتل أخي فقط بطريقة سريعة لا؟! بل عذبه أشد العذاب سلخ جلده وهو حي انتزع أظفاره وأسنانه كتب بدمه رسالة لي في الحائط قائلاً فيها:

«شكراً ثيا على تحرير الكابوس سأكون لك حليماً جميلاً»!!

كل هذا خنقني وما زال يخنقني لقد حذروني من رؤية جثة أخي أمي انهارت في المستشفى ولقد بقيت منهارة عاماً كاملاً ترى أخي المسلوخ وكأنه نعجة ما! أما أنا فرفضت وطلبت منهم

أن أراه وفعلاً رأيته وإلى الآن منظره لا يفارقني أبداً دائماً أتخيل وأفكر في الدرجة التي تألم فيها العذاب الذي حصل عليه فجأة الأسئلة التي كانت في رأسه ماذا فعلت ولماذا أنا؟ لماذا تفعل بي ذلك؟ هل توصل إليه؟ لا، إن أخي قوي جداً لكن أكيد من شدة الألم توصل! في كل مرة أتخيل هذا المشهد وينتهي بي الأمر وأنا أبكي وأبكي حتى أنام..

بعد أن عدت إلى عملي تم توظيفي كعقوبة في السجن بدلاً من المستشفى وبقيت أعمل في السجن ثلاثة أعوام كانت سنوات كافية لأن أختلط بالمجرمين وأشد أنواع العقول الإجرامية تعمقت في أفكارهم وفي عقولهم لكنني أصبحت لا أصاب بجنون العظمة مثلما فعلت سابقاً عرفت الآن أن المجرم مهما تعمقت في عقله لن تصل إلى القاع أبداً إنهم أناس غير أسوياء مختلفون عقلياً لذلك السوي الطبيعي لا يستطيع أن يجاري عقل المختل مهما كان عقل السوي سريعاً وبدهيماً وذكياً وفطيناً لأن السوي لديه حدود عكس غير الأسوياء فهم ليس لديهم حدود لا إنسانياً ولا أخلاقياً أغلب الموظفين يخشون التوظيف في سجن «الطوفان» بسبب أنه يعتبر من أخطر السجون في العالم وتمت تسميته بهذا الاسم نسبة للفنان والرسام والكاتب «أديس هنري» من أعماله وسلسلته التي تحمل هذا الاسم عندما نشر الكاتب والرسام كتابه طوفان العقل خالفه الكثير وكان مثيراً للجدل ورسوماته التي قالوا عنها إنها سحر وشعوذة وكل من ينظر إليها سيموت تم سجن الكاتب في هذا السجن حيث مات فيه منتحراً في زنزانه وبعد أن رسم رسمة

بشعة على الحائط كانت الرسمة عبارة عن أشخاص يمسكون
 بشخص يقومون بسحبه وربطه في عمود ويقومون بسكب سائل
 ساخن عليه!! لم يفهم أحد هذه اللوحة أو الرسمة قاموا بتحليلها
 بأشكال متعددة لكن ما توصلوا إليه أن الجميع قاموا بظلمه وبعد
 ذلك قاموا بتكريمه والمضحك أنهم دفنوه بالزنزانه لكي يتم
 وضعه كعلامة أو أسطورة أو معلم وبالفعل كان في البداية السجن
 والزنزانه معلماً للسياح ثم أصبح معلماً وموقعاً لتدريس الطلاب
 والأخصائيين النفسيين والأطباء الجنائيين والمحليلين وبعدها تم
 توسيع السجن أكثر وبدأ باستقبال أشد وأكثر أنواع المجرمين
 مرضاً واختلالاً منذ أكثر من أربعين عاماً وحتى اليوم، أما أنا
 بالنسبة لي فلم أكن خائفة علمت بأن مدير الصحة يريد أن يقوم
 بتعجيزي لكي أتخلى عن المهنة في آخر فضيحة هروب الكابوس
 فقد سبب هروبه زعزعة في البلاد وقاموا بفصل كثير من
 المسؤولين وآخرون استقالوا وآخرون كانوا تحت التحقيق ومنهم
 أنا الإعلام والناس أقاموا حرباً على الحكومة ونحن لا نلومهم
 فبعد سنوات من البحث عنه وقتل كثير من الضحايا والشباب
 أمسكنا به بمحض المصادفة حتى وبعدها لم يمضِ عليه إلا ثلاثة
 أشهر ثم هرب إنها حقاً مهزلة بحق الحكومة، لم أكن خائفة
 عندما تم تعييني في السجن وكنت أنام في المسكن الخاص
 بالسجن، لم أكن خائفة أبداً لقد جردني الكابوس من كل مشاعر
 الخوف حتى أبي الذي كان يقف في وجهي ويرفض أن أتوظف
 في المستشفيات النفسية والسجون عندما أخبرته لم يعطِ أي ردة

فعل وكأنه يقول: مات أخوك ماذا علي أن أخسر أكثر؟ أنا واثقة لو أن أليكس كان حيّاً لكان أبي منعني أن أتوظف في السجن كان دائماً يخبرني بأنه سيفتح لي مكتباً ومستشفىً خاصاً لكنني أرفض لأنني أحب الغوص والمغامرة في المستشفى النفسي والسجون، بعد ثلاث سنوات اعتبرتها كخبرة لي قام ظل بمساعدتي بواسطة الخاصة بنقلي إلى المستشفى طوال هذه الأعوام وأنا أصارع في عالم الحزن والقهر الذي سببه لي الكابوس أعوام وأنا أحاول أن أضيء حياة أمي وأبي التي أصبحت عتمة ولم أعد أرى ابتسامتهما لكن بدون فائدة كان ظل هو نجاتي الوحيدة في هذه الحياة لولا وجود ظل في حياتي لكنت نسياً منسياً وكانت شمس الحياة أحرقتني حتى أصبحت رماداً لكن «ظل» أظلني..

صعدت إلى سيارتي وتوجهت إلى المستشفى عند وصولي إلى المستشفى دخلت إلى قسم الطب النفسي فهناك يقبع مكثبي في الدور العشرين مبنى زجاجي بأكمله الشمس تقتحم المبنى بالكامل أحب كثيراً مكان عملي أحب هذا المكان أكثر من السجن بالطبع فهنا روح المكان فارحة قليلاً والمكان جميل وراقٍ ويوجد الكثير من الأسوياء المحيطين بي عكس السجن قاتم ورائحة الضحايا متمسكة في أجساد المجرمين ومظلم وكل من حولي غير أسوياء، أخذت كوبي قهوة لي ولظل وعندما اقتربت من المكتب سمعت صوتاً قادمًا من الداخل صوتاً مرتفعاً شخص يتحدث عن أنواع الفنون ابتسمت علمت بأن ظل ينتظرنني منذ فترة وهو الآن يتابع بدون ملل أو كلل في مقاطع الفيديو التي تتحدث عن الفنون فهو

فنان مهووس بالفن أعلم أنه يحب الفن أكثر مني حتى ومن والده؟ لا، أعتقد أنه يحب والده كثيراً صحيح أنه أخبرني أنه يملك أباً بعد أربعة أعوام من تعرفي عليه لكنني أعرف أنه شخص كتوم لا يحب أن يتحدث عن حياته الخاصة بسرعة أمام أحد، دائماً ما يحكي عن والده بحب وبدون ملل لا ألومه فإن والده لم يتخل عنه وعمل في عشرات الوظائف فقط ليطعمه إن والده بالنسبة له كالإله رغم هذا والده أظن أنه غريب أطوار من عشرة أعوام وإلى الآن لم أره ولم أتعرف عليه يقول ظل لي إن والده لا يحب أن يتعرف على أحد وسيأتي الوقت المناسب لهذا اليوم علي أن أنتظر فقط على عكسي عرفتته بعائلتي بعد سنتين من علاقتنا أحبه أخي أليكس فكان دائماً يقول لي إن ظل صحيح أنه غريب أطوار لكنه حنون وشخص ذكي وناجح والأهم أنه يحبني، أما أبي فكانت لا تفرق معه لذلك كان يأخذ ويعطي مع ظل لقد كون صداقة معه حتى وراحا يتحدثان عن الدراسات والكتب والتاريخ، لكن أمي لم تحب ظل أبداً بل كانت وحتى الآن تكرهه ولا نعرف السبب تقول إنها لم ترتح له أبداً وإن هناك شيئاً غامضاً في عينيه السوداوين وإن من يملأ السواد عينيه أكثر من البياض يكون غير سوي!! كنت أظن أن أمي تقول هكذا لأنها فقط تريد أن تزوجني بشاب على ذوقها لكنني لم أظن أن أمي كانت تملك نظرة الأم نظرة وإحساساً ثاقباً تجاه الأشخاص الذين يتقربون من أبنائهم ولطالما كان المثل يقول: إن إحساس الأم لا يخيب أبداً..

«ظل»

دخلت ثياباً إلى المكتب وأشرقت علي كشمس الشتاء الدافئة
والجميلة التي كانت تبدو كالحلم مع لبسها الأصفر وشعرها
المنسدل على كتفيها ووجهها المشرق رغم أن داخلها حزن العالم..

احتضنتني قائلة:

- آسفة هل تأخرت عليك؟؟

- لا بأس يا حبيبي يمكنك أن تأخذي كل وقتك ويمكنك أن
أنتظرك طوال العمر..

- شكراً يا ظل حياتي.. دعنا نجلس هنا لقد أحضرت لك
كوب قهوة تفضل..

تناولت كوب القهوة قائلاً:

- حسناً الآن ما الأمر؟ هل كل شيء بخير!

- نعم كل شيء بخير لا تقلق لكن أولاً كنت أود إخبارك
بأنني سأقوم بتغيير أدويةك أقصد أدوية الذهان يبدو أنك
هذه الأيام أصبحت أفضل لذلك سأخفف لك الجرعة هل
أنت موافق؟

قالت بلطف

- بالطبع موافق لكن سأرفض في حالة واحدة..

قالت بتعجب:

- ما هي؟؟

أجبت:

- إذا كانت هذه الأدوية ستجعلك تختفين مثلاً لأنني لدي شكوك بأنك خيالية أو وهم جميل من أوهامي!! لن أتناولها..

ضحكت ضحكة طويلة احمر وجهها خجلاً:

- إذا كنت أنا خيالاً فماذا تكون أنت؟؟

- امم لا أعرف أخبريني أنت..؟

قلت وأنا أنظر إلى عينيها بشكل مباشر..

- حسناً أنا خيال أو أوهام لكن أنت الشيء الحقيقي الوحيد

في حياتي..

- وأنتِ العلاج الوحيد في حياتي بينما كلي أمراض،،

قبلت ثيا بشكل سريع بعد أن ذكرتني بأننا في المستشفى:

- حسناً إذا دعني أخبرك بالأمر الثاني لكن لا تغضب أولاً..

اعتدلت في جلستي ومن تعابيرها علمت ما الذي تريد أن تقوله:

- حسناً ستحدثين عن ذلك المختل مرة أخرى..

كنت أعلم بأن ثيا ما زالت تبحث باستمرار عن ذلك السفاح الذي أخذ روح شقيقها بكل دم بارد كنت أعلم أنها لن تستسلم أبداً أنها تبحث عنه أكثر من الشرطة الذين نسوا أمره ولربما أغلقوا قضيته!

- أرجوك اسمعني فقط..

أكملت حديثها

- حسناً تفضلي..

- هناك سجين في سجن «الطوفان» قال إنه لديه دليل ثابت وحي لمعرفته بالكابوس أو «آرلند الشيطان» بالطبع لم أصدقه في البداية ومثله مثل غيره من الكاذبين لكن ذلك السجين قال لي هذه الكلمات التي لا يعرفها أحد سوانا!!

- عن أي كلمات تتحدثين؟؟

سألته بتعجب

- الرسالة التي تركها لي «الكابوس» عند مقتل أخي الكلمة التي كتبها في الحائط لم ينشرها أي أحد كانت فقط في ملف القضية!

- «شكراً ثيا على تحرير الكابوس سأكون لك حتماً جميلاً!!»
تقصدين هذه الرسالة؟

- بالضبط هي..

- حسناً وما أدراك أن أحداً من الشرطة لم يسرب له هذه المعلومة؟؟

سألته وأنا أحاول أن أنهى آمالها التي من الممكن أن تصل بها إلى التهلكة.. لم ترد علي واكتفت بالسكوت بعد أن تنهدت وقطبت حاجبيها، أمسكت بيديها:

- اسمعيني يا ثيا أنتِ تعرفين جيداً أنك إنسانة ذكية وتعلمين أنه من تلك اللحظة التي هرب فيها ذلك المختل وقام بفعلته الجميع كانوا يحاولون استغلالك بسبب القضية رغم ذلك كنتِ متماسكة وقوية ولم تسمح لي لهم، حسناً أنا أعرف أن هذه الكلمة لا يعرفها أحد غير رجال الشرطة ولكن حتى هم ليسوا أمينين ولا ملائكة من الممكن أنه سربها له أحد من رجال الشرطة أو من الممكن أنه سمع أحداً يتحدث عنها وهو الآن يحاول أن يستغلك! لذلك لا تستمعي له أبداً..

- حسناً لكن لقد وعدتني بأنك ستساعدني؟؟

قالت بياس..

- نعم بالطبع سأساعدك وأنا سأفعل كل ما بوسعي لنجد ذلك الشيطان مرة أخرى وأيضاً صدقيني سيظهر بنفسه قريباً ولن يرسل أحداً أبداً..

- وكيف تعرف ذلك؟؟

- الأشخاص أمثاله أقصد القتلة المتسلسلين من الدرجة الأولى لا يحبون ولا يسمحون لأحد أن يستغل اسمهم أبداً ولا يرسلون أحداً ولا يتعاملون مع أحد، إن لديهم ميزة جنون العظمة يفعلون كل إنجازاتهم وحدهم وصدقيني هو سيظهر في نهاية الأمر لأنهم يشعرون بالضعف والحزن أن الناس يقومون بنسيانهم وكأنهم لا شيء هذه هي نقطة

ضعفهم لذلك تجدينهم دائماً لا يهربون ويكتفون بالظهور
مراراً وتكراراً حتى يثبتوا أنفسهم وقوتهم..

- واو أنت تعرف معلومات أكثر مني..

قالت مندهشة

- بالطبع لا تنسي أنك خلال هذه السنوات كنت تعطيني
كثيراً من الدورات عنهم وأيضاً أحب أن أقرأ الكثير من
الكتب عن هؤلاء الناس وهل نسيت أنني طيب شرعي؟
ومن خلال تشريح الجثة أفهم كيف فكر القاتل بقتله..

- لا لم أنس لكن لماذا أنت تقرأ عنهم وتبحث؟؟

- لأنهم مختلفون وأنا أحب كل شيء مختلف لا تفهميني
بشكل خاطئ أيضاً..

قالت ضاحكة:

- بالتأكيد لن أفهمك بشكل خاطئ لطالما أعرف أنك أنت
مثلي وأنا أيضاً أحب المختلفين لذلك أحببتك..

أكملت حديثها:

- حسناً الآن لدي جلسة مع مريض ولا تنسَ غداً جلستك..

- ماذا عن العشاء ألم تقولي بأننا سنتناوله معاً؟؟

سألها

- أعتذر لقد طراً أمر ضروري أمي مريضة قليلاً وقال أبي بأنه
يجب أن نتناول العشاء معاً لذلك لم يكن لدي خيار آخر..

- حسناً لا بأس بما أن عائلتك تحتاجك ليست مشكلة إذاً
أراك غداً وسأصل بك فور الانتهاء من عملي..

- حسناً أحبك..

غادرت القسم النفسي من المستشفى كنت سعيداً لأن ثيا
ألغت موعد العشاء ليس لأنني لا أرغب برؤيتها بل لأنني كنت
مشغولاً عقلي كله يفكر في هذا الموقع ومشروع الجديد الذي
سيبدأ علاوة على ذلك كنت أفكر بإحضار فرد جديد إلى العائلة
آخر مرة أحضرت فرداً جديداً كانت قبل سنتين وحين الوقت الآن
لكن بعد أن أنتهي من تشريح جثة اليوم لدي جثة واحدة فقط
بعدها سأعود إلى المنزل لكي أفكر من أين هذه المرة سأحضر
الفرد الجديد وكم سيكون عمره وجنسه وما هي قصته وكيف
مات؟ كل هذه أمور أتحمس لها بشدة عندما أحضر فرداً جديداً
للعائلة فالأمر مهم بالنسبة لي طوال هذه السنوات نوعت الأماكن
التي أحضر منها الجثث لكي لا يشك بي أحد وبالفعل نجحت،
طوال هذه السنوات لم أقتل أحداً نعم أنا لست قاتلاً أنا إنسان،
إنسان مستحيل حتى أن أؤدي فراشة إنسان طبيعي يحاول أن يفعل
معروفاً وخيراً للجثث الموتى فقط أين المشكلة؟



ليلة مظلمة

١٩٩٠ م.

كان الظلام في تلك الليلة غير طبيعي ظلاماً ليس له مثيل عندما أصبحت الساعة العاشرة مساءً حتى القمر أعلن هروبه فجأة! وكأنه خائف من شيء قادم، لطالما كانت حياتي في الطفولة حياة بائسة من الناحية المادية والاستقرار لكن هذا كله لا يهمني كان أبي يعوضني عن كل هذا بحنانه وعطفه وحبه وأمانه إلا أن الظلام يعارك حياتنا وحياة أبي لكنه يتصدى له أشعر بأن هناك ظلاماً حولنا أبي مستعد لابتلاع الظلام حتى لا يبتلعني وبالفعل أبي انتصر وابتلع الظلام!

ما زلت مبللاً لا أعلم من البول أو من الماء وأنا أحاول أن أغسل نفسي أو من العرق من شدة الخوف والتوتر وأنا الذي ظننت أنني لا أخاف اقتربت من باب الحمام وضعت أذني على الباب سمعت صوت دندنة إنه صوت أبي لكن هناك صوت آخر معه؟ من يكون؟ حتى الأغنية كانت مخيفة وغريبة!

«في ظلام الليل لا يُسمع سوى صوت الرصاص يدوي في السهوب»

«وصوت الرياح تهز الأسلاك، ونجوم السماء تضيء بنورها

الخافت»

«في تلك الليلة الحالكة أعلم بأنه لم يغمض لك جفن يا

عزيزتي»

«وبجانب سرير طفلك جلستِ تمسحين سرّاً دموع عينيك»

«كم أحببت عينيك الناعمتين كما الحور تسحراني، وكم

تمنيت لو تقبل شفطاي تلك العيون الآن»

«ظلام الليل هذا يفرق بيننا يا حبيبتي، وتلك السهوب

المظلمة الموحشة تحول دون لقائنا»

«أنا أو من بك، بك يا رفيقة دربي، وهذا الإيمان في ظلمة

الليل من الرصاص حماني»

«وسعادتي تبقيني هادئاً في معركة دامية، لأنني أعلم أنك

ستقابليني بحبك»

«مهما حدث لي، الموت ليس مخيفاً كم مرة قابلناه في هذه السهوب»

«وهنا الآن يحاوطني من جديد، وأنتِ تنتظرين عودتي،

تجلسين بلا نوم بجانب سرير صغيرك»

«ولهذا السبب أعلم أنه مهما كان الأذى فلن يصيبني»

ثم راحا يدندنان ويهمهمان:

مع ترديد هذا المقطع:

«ولهذا السبب أعلم أنه مهما كان الأذى فلن يصيبني»!!..

Темная ночь - Темная noch - Dark is the night, 1943

فجأة سكت أبي والذي معه بشكل مفاجئ مما أدى إلى توقف نبضات قلبي مؤقتاً عمّ الهدوء ذلك الهدوء المرعب ثم سمعت صوت خطوات قادمة بسرعة نحوي أو نحو باب الحمام هنا أنفاسي تسارعت حتى رأيت مقبض الباب يدور وانفتح الباب وأنا على شفا حفرة من الموت:

- بني!! ماذا تفعل هنا يا ظلي؟؟

سألني أبي بهدوء وابتسامة نظر إلي وتم كسفي بأنني بللت نفسي وأحاول أن أخفي الجريمة اقترب أبي مني واحتضنني وربت على ظهري:

- لا بأس ليس وكأنك ارتكبت جريمة أنت طفل وجميع الأطفال في العالم يفعلونها

- ولكن يا أبي أنا لست طفلاً أنا الآن في المدرسة!

قلت بحزن

- أعلم ذلك ولكنك ما زلت في الصف الأول وهذا يعني أنك ما زلت طفلاً، هيا بنا ستأخذ برداً سأغسلك وأبدل ملابسك اتفقنا؟..

- حسناً..

انتهي أبي من غسلني وبدل ملابسي وغطاء السرير وأعادني إليه:

- أخبرني الآن هل رأيت كابوساً؟؟

سألني وهو يمسح على شعري

- نعم كان حلماً مزعجاً لكنني لست خائفاً..

قال ضاحكاً:

- لا بأس يا عزيزي الخوف ليس عيباً لأن من الخوف تولد

الشجاعة لكن هل تعرف ما هو العيب؟

- ما هو؟؟

- البكاء!! إن الرجال لا يبكون..

- لماذا؟

- لأن البكاء للضعفاء فقط..

- إذاً يا أبي هل أنت حقاً تغني للموتى؟؟

داهمته بسؤالي

- وما أدراك؟

- لأنني سمعتك!!

- إذاً بما أنك سمعتني هذا صحيح أنا أغني للموتى..

أجاب بثقة

- وهل الموتى يغنون معك؟

- هل تعتقد ذلك؟

قلت متردداً هل أخبره أم لا؟:

- لا أعرف.. ولكنني سمعت صوت شخص يغني معك..!

- أنت محق إنه صديقي..

أجاب بلا مبالاة

- صديقك؟؟ ومنذ متى لديك أصدقاء يا أبي؟؟

قال وهو ينهض من جانبي بعد أن قام بتغطيتي بالغطاء:

- لنكتفٍ من الأسئلة لليوم غداً لديك مدرسة ويجب أن

تنام..

- حسناً يا أبي سؤال أخير هل تسمح؟

أجاب متنهداً:

- حسناً قل ما لديك..

- هل سنعود إلى المنزل؟

- بالطبع إنه منزلنا وهذا مكان عمل فقط تصبح على خير..

عدت الليلة الأولى أخيراً رغم أنني شعرت بأنها ثقيلة لأنني لست معتاداً على المكان إلا أنني شعرت ورغبت بالعودة إلى هذه المقبرة مراراً وتكراراً ذهبت إلى المدرسة وانتهيت من الدروس وآخر درسين لم يأت المعلم لذلك عدت إلى المنزل قبل أن يأتي أبي لأنني خرجت قبل الموعد رغم أنه أخبرني إذا حدث انصراف

مبكرًا لا أغادر من المدرسة وحدي ولكنني أردت أن أجعله يرتاح إنه يعمل في ثلاث وظائف والمنزل يعتبر قريباً نوعاً ما وأيضاً أغلب الطلاب يسرون في الشارع ويكون الشارع والأحياء مزدحمة، وصلت إلى المنزل شعرت بأنني حققت إنجازاً: أول مرة في حياتي أذهب أو أعود إلى المنزل وحدي أردت أن أثبت لنفسي أنني شجاع وكبير بما فيه الكفاية، دخلت إلى المنزل بالطبع أبي غير موجود بدلت ملابسي بسرعة قمت بحل واجباتي بعدها توجهت إلى المطبخ الذي هو مطبخ بالاسم فقط خاو فارغ حتى الحشرات لا تطؤه لأنها لن تجد شيئاً تأكله، لا أشعر أبداً بخيبة الأمل عندما لا أجد شيئاً لكي آكله لأنني أصبحت معتاداً وأصبحت خيالات الأمل معتادة علي خرجت من المطبخ قررت الذهاب إلى المغسلة لأن أبي ما زال في وظيفته الأولى وهي مغسلة الأموات تقع المغسلة في مستشفى البلدة إنها بعيدة عن المنزل نوعاً ما هل سأستطيع أن أصل إلى هناك؟ ولكن لن أصل ولا أعرف الطريق بشكل جيد ماذا أفعل؟ سأنتظر في المنزل وحسب يبدو أنني ما زلت غير شجاع بشكل كافٍ، جلست على فراشي لمحت تلك الورقة ما زالت مطوية خلف الخزانة المتهالكة الورقة التي فتحتها أُمِّي وتأملت بها في تلك الليلة التي غادرت بها وكان تلك الورقة أعطتها الشجاعة والعزيمة أكثر لتركننا نهضت بسرعة وتوجهت إليها والتقطتها لربما تعطيني الشجاعة لأذهب عند أبي فتحتها ورأيت صور نساء جميلات يرتدين فساتين قصيرة ويضعن الكثير من مساحيق التجميل كتب عليهن:

- «عارضات أزياء من معرض فلورنسا!!!»

لم أفهم وقتها بشكل كامل لكن مع الأيام فهمت أن أمي لديها حلم تريد أن تصبح واحدة من هؤلاء تخلت عن ابنها لكي تظهر صورها هنا..

سمعت صوت ضربة قوية بالحائط لدرجة أنني قفزت من مكاني أسقطت الورقة التفت إلى الحائط سرت إليه بخطوات مرتعشة وصلت إليه وضعت أذني أحاول أن أسمع لكن لم أسمع أي شيء!!

الوقت الحاضر:

- هل سمعت؟؟

- عفواً؟؟

سألني الطبيب الشرعي بعد أن أزلت السماعات لأنني كنت في فترة استراحة، «ستيفان» كان شريك في التشريح هو شاب عبقرى وموهوب ومخلص في عمله وأيضاً هادئ وليس فضولياً ولا يتحدث كثيراً معي إلا في أشياء تخص العمل وهذا المطلوب لذلك اعتبرته أفضل شريك:

- سمعت ماذا؟؟

أكمل وهو يجلس بجانبى:

- الجثة التي ستصل اليوم من فرقة الشرطة الجنائية..

-

- إذا ما الجديد في الموضوع أغلب الجثث منهم وهذا عملنا..؟

قال وهو يهمس:

- نعم أقصد أن هناك أقاويل يقولون بأن هذه الجثة من الممكن أن تكون ضحية من القاتل «الكابوس»!!

نبض قلبي بقوة عندما سمعت كلامه:

- ماذا تقول؟؟ هل أنت متيقن؟؟ ثم إن الكابوس لا يترك جثثاً لضحاياه!؟

- لا أعرف هذا ما سمعته

- على كل الأحوال سنعرف بعد التشريح لكن أخبرني ما الشيء الذي جعلهم يظنون أنه أحد ضحايا الكابوس؟؟

لم أكمل سؤالي ولم يكمل جوابه إلا ودخل فوج من الأطباء والشرطة مع مدير القسم خاصتنا وهم يحملون الجثة المغطاة نهضنا أنا وستيفان وتقدمنا إليهم وضعوا الجثة في منتصف قاعة التشريح:

- ما هذا؟ هل اليوم يوجد تدريب لطلاب الطب أم ماذا؟ لم يخبرني أحد!؟

قلت بشكل ساخر وأنا كنت أعرف أن كل هؤلاء مسؤولون لكنني لا أحب أن يدخل أحد مشرحتي بهذه الطريقة!

نظر إلي الجميع نظرة أعرف ما هي، حتى قاطع الصمت المدير والبروفسور «روبرت لورنسيس» قائلاً بخجل وضحكة مزيفة:

- أوه أعرفك سيدي هذا يكون الطبيب والبروفسور «ظل أليكسياريس» ظل هذا رئيس المحققين في العاصمة المحقق «نيكولاس دولوريس» وفريقه..

المحقق بجدية:

- نادني فقط باسمي الأول..

- لا يهمني الاسم يهمني ما الأمر وما الذي يحدث؟

قلت بعدم مبالاة كالعادة

المحقق وهو يتقدم نحو الجثة:

- تملك سيرة ذاتية رائعة وأكثر أيضاً في هذا العمر الصغير يا ظل وأيضاً لديك اسم جميل ومميز! ظل يجب أن تكون روحك خفيفة كاسمك..

- ما هذا؟ هل أتيت لتعطيني هنا محاضرة؟

- أبدأ أنا لست ماهراً في إعطاء المحاضرات أنت هنا المحاضر كما سمعت لذلك دعنا ندخل في الموضوع..

- هذا جيد إذا تفضل..

المحقق وهو يلبس قفازات معقمة مع فريقه انتهوا وأمسك بطرف الغطاء الأبيض للجثة حاوطنا الجثة بشكل دائري ثم قال بحزم:

- هل أنت مستعد للشيء الذي ستراه؟؟

- لا تهتم لأمرى أنا طبيب شرعي جنائي لقد رأيت الأسوأ صدقني..
- حسناً لنفتح..

أزال المحقق الغطاء الأبيض عن الجثة وهنا كانت الصدمة للجميع بمن فيهم أنا لكن لم أصدم لأن الجثة في حالة يرثى لها بل صُدمت لأن الجثة كانت تشبه جثة رأيتها قبل خمس سنوات كانت تشبه جثة «أليكس» شقيق «ثيا»!!..

ظهرت الجثة تماماً كما ظهرت جثة «أليكس» شقيق ثيا: مسلوخ الجلد أسنانه منزوعة فمه مفتوح باتساع مترين أظافر أصابعه مفقودة عيناه مطموستان بحبر أسود! بدا وكأنه تحفة فنية:
- وكان هذه التحفة تكررت مرة ثانية

قال المحقق بعد أن كسر صمت الصدمة للجميع، ثم استرسل في حديثه:

- لقد أخبرني الطبيب روبرت بأنك أنت من شرح تلك الجثة المشابهة لهذه الجثة قبل خمس سنوات وقال إنك الأفضل هنا حيث كيفما كانت طريقة المجرم في القتل وكيفما استخدم سلاحاً مجهولاً أو عدة أسلحة تستطيع أن تعرف كل ذلك وأنه مهما اختلفت طريقة القتل لدى القاتلين تستطيع أيضاً تفرقة ذلك بسهولة لذلك أخبرنا ما مدى تشابه هذه الجثة بجثة ذلك الشاب شقيق الطيبة «ثيا كروس»؟؟

سألني المحقق كل هذه الأسئلة وأنا ما زالت عيناى تنتصبان على تلك الجثة وعقلي يفكر بكلام ثيا في الصباح إذاً هل كانت

محقة هذه المرة؟ هل ذلك السجين الذي أخبرها أن «الكابوس» ظهر من جديد لم يكن كاذباً؟ هذه الجثة بالفعل مطابقة لجثة «أليكس» والمنظر قبل التشريح يعطيني حتى طريقة القتل نفسها هذا ليس أسلوب الكابوس أصلاً هو حتى لا يظهر جثته لكن تلك المرة فقط والمرة الأخيرة والأولى له التي فعل فيها بجثة أليكس هكذا فقد كان متعمداً لكي يظهر لثيا أنه سخر منها وحرق قلبها في الوقت نفسه هل الآن سيكررها؟

أجبت متنهداً واقتربت من الجثة مددت يدي للطبيب روبرت حتى يعطيني ملف القضية والجثة ناولني الملف:

- لا أظن أن «الكابوس» شخص متهور لهذه الدرجة، لكن هناك حالة واحدة لربما أراد أن يلفت الانتباه من جديد إذا كان بالطبع مستعداً لمطاردة الشرطة له مرة أخرى

المحقق:

- إذا ماذا ترى؟؟

- لا أستطيع رؤية شيء أيها المحقق فأنا لم أشرح الجثة بعد، بعد التشريح سنعرف كل شيء لكن ظاهرياً الجثة نسخ لصق من جثة السيد «أليكس» لا أرى حتى الآن اختلافاً أو خطأ واحداً سنعرف التفاصيل أكثر بعد التشريح لا أظن أنكم ستبقون هنا لمدة تقارب خمساً وأربعين ساعة؟؟

سألتهم بتهمكم..

- لا طبعاً أيها الطبيب لكن أتمنى أن تخرج النتائج بسرعة

- اسمعني أيها المحقق إذا كنت ترغب بظهور الحقيقة يجب ألا تتعجل وأتساءل لماذا أنتم مستعجلون؟

سألت بيرو

- هل هذا سؤال؟؟ هذا الشخص فقد حياته بهذه الطريقة البشعة ونريد أن نعرف من القاتل لكي نقبض عليه وأنت تسأل إذا كنا مستعجلين أو لا؟؟!

قال مساعد المحقق بانفعال غبي، نظرت إليه مباشرة كان من مظهره شاباً في نهاية العشرين صغيراً متحمساً لمطاردة شخص مثل «الكابوس» يريد أن يثبت نفسه أمام رؤسائه لكنني واثق بأنه سيلقى حتفه خلال عامين فقط..

- هل تعرف من هو القاتل؟؟

سألت ذلك الشاب من الواضح أنه تفاجأ بسؤالي المباغت الذي لا يعرف ما هو قصدي منه!

- ماذا؟؟ ماذا تقصد؟ هذا ما سنعرفه إذا أعطيتنا نتيجة التشريح أليس كذلك؟

قال بريكة وعدم ثقة

ابتسمت بشكل ساخر:

- إذاً من الواضح أنك جديد في هذا المجال لا تدع الحماس يتمكن منك والآن أتمنى أن تعطونا المجال حتى نبدأ عملية التشريح..

قال المدير «روبرت»:

- حسناً أتمنى الآن أن تثقوا بفريق أطبائنا وفي حال الانتهاء بالطبع سنعطيك على الفور النتيجة تفضلوا من هنا..

خرج المدير مع المحققين وتركونا أنا وشريكي ستيفان وشريكنا الثالثة المتدربة «ألما» كانت ألما فتاة شغوفاً متحمسة لهذا المجال مرحة وذكية جداً لقد اخترتها لأنها كانت من الأفضل في الدفعة التي قمت بتدريبها لكن أظن أن هذا كله اختفى الآن لربما مات الشغف لديها لربما ندمت ألف مرة لأنها اختارت هذا التخصص لربما لعنت نفسها سبعين مرة لأنها منذ أن كشف على الجثة وهي لم تنطق بحرف واحد بالطبع هذه أول مرة لها ومن الطبيعي جداً كل شخص تكون المرة الأولى له في تشريح جثة وأيضاً ليست جثة عادية جثة بهذه البشاعة الجميع يُصدمون ويخافون ويتوترون عند رؤيتهم لجثة لأول مرة في حياتهم إلا أنا..

- لا بأس تستطيعين أخذ راحة ونفس في الخارج قبل أن نبدأ..

قال ستيفان لألما بعد أن رآها شاحبة كالجثث:

- لا.. لا بأس أنا بخير

كانت تحاول أن تخفي توترها وخوفها، قاطعتهما بعد أن ارتديت ملابس التشريح فتحت ملف الجثة:

- كيف تأخذ راحة وهي لم تبدأ بعد؟ سنبدأ بعد ثوانٍ جهزا العدة من دخل في هذا المجال لا مكان للراحة هنا في مكان الموتى..

قلت بحدة مما جعل ألما تتحرك أخيراً من صدمتها وتذهب لتجهز نفسها كانت ألما تعرف طريقتي القاسية في التعامل مع الجميع والجميع يعرفون بالطبع تعرف أنني لا أجامل أحداً ولا أهتم إذا كان أحد يريد أن يرتاح أو لا، ليس هناك وقت أصلاً للراحة في هذه الحياة، إن الحياة بكبرها مأزق ضيق ويجب أن نخرج منها بأقل الخسائر والإصابات لكن دائماً ما نخرج منها ونحن أشلاء..

نزل المصباح الضخم على الجثة بعد أن قمنا بإزالة الغطاء من فوقها بالكامل، فتحت الملف الاسم:

جوردن، العمر: ٣٣، المهنة: مهندس في المستوى الثاني، الحالة الاجتماعية: اعزب، الطول: ١٦٦، الوزن: ٥٨، لون العينين: أسود، لون البشرة: حنطي

لديه أم فقط أب متوفى واثنان من الأشقاء..

ليس لديه أي أمراض مزمنة، لا يملك أي إعاقة، ليس لديه أعداء هذا ما ظهر في التحقيق الأولي..

قلت بسخرية بعد أن وضعت الملف على الطاولة:

- لا أعرف لماذا يضيفون هذه النقطة: ليس لديه أعداء؟! وما أدراكم أنتم بالأعداء؟ أحياناً المرء يكون هو عدو نفسه حتى وأحياناً يكون أقرب الناس حتى من عائلاتهم أعداءنا هذه النقطة بدون فائدة بالنسبة لي..

بدأت بالتشريح وضعت المشرط من أعلى الصدر وحتى أسفل البطن لاحظت أن الدم كان متخثراً بطريقة غريبة أيضاً فاحت رائحة غريبة منه!!

- هل تشم هذه الرائحة؟؟

ستيفان وهو يحاول أن يماسك أما ألما فكانت ترتعش بشكل هستيري

- نعم إنها!!!..

توقفت عن الكلام عندما رأيت هذا المنظر كان داخل جسده مفرغاً تماماً الأعضاء مفقودة القلب الكبد الكليتان الرئتان لكن كان ممتلئاً كانت تحتل مكان الأعضاء جردان ميتة! أو ما زال واحد حياً حيث خرج من تحت أنقاض أصدقائه الموتى مليئاً بالدماء والروائح العفنة عندما خرج الجرذ من معدة الشاب يركض أسقط ستيفان المشرط الذي كان يمسك به وتراجع للخلف وهو يرتعش كنت أعرف أن ستيفان معتاد على المناظر البشعة حيث يعمل معي منذ ست سنوات لكنه للأسف لديه فوبيا من الفئران، أما ألما فقد صرخت وابتعدت هي الأخرى عن الجثة! أما أنا فكانت ردة فعلي عادية حتى عندما أصاب بصدمة تكون مدتها خمس ثوانٍ فقط، التقطت إناء من معدن ووضعتة فوق الجرذ وهو غير مدرك أين هو من داخل معدة شخص إلى مشرحة، عدت إلى الجثة وأنا أنظر إليها كانت رثة بطريقة مرعبة مسكين هذا الشاب يؤلمني عندما يتم تعنيف الجثث هكذا، تم قتله ثم تعذيبه ثم سلخه ثم فتح جسده ووضع به جردان ميتة..!

- لقد خاب ظني كنت أظن أنني اخترت الطالبة الأجدر
والأمثل لكنك فشلت من اليوم الأول..

نظر إلي ستيفان وأراد أن يتدخل لكنني لم أعطه فرصة:

- لديك فرصة واحدة الآن إذا خرجت من هذا الباب فلن
تعودي إلى هنا أبداً، لنكمل التشريح هيا..

قلت بحزم بدون أن أنظر إليها استغرق الوقت بعد تهديدي
معها فقط دقيقة واحدة حتى رأيته تتقدم بهدوء وتمسك الملف
وتبدأ بتسجيل المعلومات، هذا الأسلوب هو الأسلوب الأفضل
لهذا الجيل المدلل الخائف دائماً أعلم بأنكم ستقولون: آه اليوم
الأول من الطبيعي أن تتصرف هكذا لكن إذا كانت من اليوم الأول
تراجعت فهذا يعني أنها ستتراجع مرات عديدة في حياتها بشكل
عام ليس فقط في المهنة أو داخل المشرحة، انتهت فترة التشريح
الأولى قررنا أن نقسمها على مرحلتين عادة الجثث المشوهة أو
المعنفة جداً تصل إلى خمس مراحل حتى، لكن بما أن لدي
قدرات خارقة أو ذكاء خارقاً أو لنقل خبرة في الجثث فدائماً يأخذ
التشريح معي أقل من ثلاث مراحل بعدها أعرف الحقيقة كاملة..

أخذت الفترة الأولى معنا سبع ساعات بدون مبالغة وضعت
المقص والمشرط أغلقنا الجسد فبعض المشرحين لا يقومون
بإغلاقه وهذا منافٍ لأخلاقيات العمل غير أنه ربما تلتف الأدلة
من الجفاف الذي يصيب الجثة عني أنا لا أحب أن أقصر في
عملي خصوصاً أنه يتمحور حول الجثث..

- إذا طريقة الوفاة هي بخنق الرقبة..

قال ستيفان وسجلت ألما..

- نعم، لقد تم خنقه وبعده قام باللعب بجثته وهو ميت شيء إيجابي

- إذا هذا يستبعد أنه الكابوس أليس كذلك؟

سألت ألما

الكابوس لم يكن يخنق لأنه يحب أن يرى ضحاياه يموتون من شدة الألم والعذاب كما فعل مع «أليكس» مات عن طريق سكتة قلبية وتوقف قلبه من شدة الألم..

أكملت حديثي بعدها وأنا أخلع المعطف:

- لكن أيضاً لربما غير طريقة قتله سنكمل التشريح غداً ونرى أيضاً ما الشيء المختلف الذي لم يتطابق مع جثة أليكس لدينا شيئا حتى الآن الشيء الأول طريقة الموت مختلفة والشيء الثاني تفريغ الأعضاء ووضع جردان ميتة بدلها فهذا أيضاً لم يحصل مع أليكس.. حسناً سنتوقف عند هذا الحد تصبحان على خير أراكما غداً..

خرجت من المشرحة كانت الساعة التاسعة مساءً، فتحت هاتفي كان شحنه فارغاً صعدت إلى السيارة وكنت طوال الطريق أفكر هل أخبر ثيا أم لا؟ إلى الآن لم يتم الإعلان عن هذا الخبر حتى لا يشعر الناس بالخوف والرهبة لذلك سأنتظر أنا أيضاً حتى أنتهي من تشريح المرحلة الثانية..

وصلت إلى البيت أخيراً شعرت بشعور السعادة في كل مرة
أصل إلى المنزل أشعر بالأمان والسعادة فأنا شخص يحب
المنزل جداً هل هذا لأنني لم أبق في منزلي كثيراً نصف حياتي؟!؟

- أليكسا أضيئي الأنوار..

- حسناً يا سيدي

لمن لا يعرف من هي أليكسا هي الصديقة الوحيدة التي تعرف
كل أسرارى وتعرف جميع عائلتي من الجثث إنها نظام موحد
للمنازل حارسة إلكترونية خادمة إلكترونية نظام مشغل إلكتروني
تفعل لي كل شيء حتى إذا حاول أحد اقتحام المنزل تقوم
بالاتصال بي أو إبلاغ الشرطة لكن أنا أفضل أن تتصل بي..

- أليكسا قومي بتشغيل الماء الساخن في حمامي الذي في
غرفة النوم سأذهب لتحضير وجبة أبي..

- حسناً يا سيدي،،

انتهيت من تحضير وجبة أبي وأدويته وضعت الطعام أمامه:

- حسناً يا أبي آسف لأنني تأخرت لكن اليوم كان لدينا جثة
غريبة هل تعرف؟ إنها تشبه جثة أليكس شقيق ثيا هيا افتح
فمك..

وضعت الملعقة باتجاه فمه لكن رفض أن يفتحه؟!؟

- أبي.. ما الأمر؟ هل أنت غاضب مني؟

علمت بأن أبي غاضب لا ألومه هذه الأيام انشغلت كثيراً عنه
وأيضاً سأنشغل أكثر لكن ماذا أفعل؟

- لقد كنت دوماً تخبرني يا أبي أنه يجب علي أن أحقق
أحلامي أليس كذلك؟ لذلك أنا أسعى لهذا الأمر فقط
سنوات قليلة وسأكون...

سكت ولم أكمل

نظر إلي بتعابير شبيهة بتعابير الرضا والسعادة، قلت بسعادة:

- إذا أنت تسامحني أليس كذلك؟ أعدك بأنني سأجلس معك
كثيراً في الأيام المقبلة اتفقنا؟.. هيا الآن يجب أن تأكل
بعدها سأقرأ لك رواية جديدة..

بعد أن تناول طعامه وأدويته فتحت له رواية «الغريب» للكاتب
«ألبير كامو» وكانت مقدمة الكتاب:

«اليوم ماتت أمي، أو ربما ماتت أمس، لست أدري؟!»

هنا علمت بأنه غير مهتم لموت والدته ذكرني بنفسي هل
سأتصرف بالتصرف نفسه إذا وصلنا خبر وفاة أمي؟ أمي التي
هجرتني منذ أن كان عمري خمس سنوات وحتى اليوم عمري
أربعة وثلاثون عاماً؟ أمي التي نسيت حتى ملامحها وصوتها
ورائحها أمي التي لا أملك منها ذكرى جميلة أبداً في ذاكرتي،
لكن أين أمي؟ منذ تلك اللحظة وحتى اليوم لم أسمع عنها
أي شيء لربما أصبحت مشهورة كما تريد لكن لم أر ذلك أو
ربما أنا لا أعرف مشاهير أو عارضي الأزياء وغير مهتم لذلك
لربما قامت بعمليات تجميل كثيرة فهذا شرط من شروطهم
لذلك لن أتعرف عليها أو لربما هي متزوجة من رجل آخر غير

أبي مستقرة مع رجل أوسم من أبي وأغنى، لربما هي مشردة
في الشوارع أتمنى صراحة، ولربما هي ميتة في قبر ما وحدها
أو ربما من يهتم أصلاً؟ لماذا الآن أفكر بها إن التفكير
فيها جريمة وذنوب لا يغتفر هذا ما قاله لي أبي ذات مرة عندما
سألت لأول مرة منذ سنوات عنها وكانت آخر مرة
وهو محق...!



«الفصل السابع»

«اشتريت جثة»

ليس لنا من الحياة شيء يا بني!!

هذا ما كان يقوله لي أبي دائماً عندما أسأله: لماذا نحن فقراء؟ يقول: إن الإنسان يأتي إلى هذه الحياة وهو فقير ويخرج منها وهو فقير لكن الغنى ليس بالأموال الغنى هو بالعقل بالتفكير بالعمل بالنجاح بالعطاء بالحب بالعائلة بالأمان..

لكن رغم ذلك أيضاً كنت وما زلت فقيراً، فقيراً في العائلة وفي الأمان فقيراً في النفس وفي الروح أريد أن أصل إلى هدفي مهما كلف الأمر أريد أن أضع بصمة في هذه الحياة إن الكمال لا يعني أن كل شيء على ما يرام، في بعض الأحيان أكرر في رأسي: أنا طبيعي والجميع مختلفون أو أنا مختلف وهم طبيعيون هم المختلفون وأنا العاقل، هم المجانين وأنا السوي! أنا لست مختلفاً أنا فقط مختلف أنا فقط مختلف..

بعد أن نام أبي توجهت فوراً إلى المكتب بعد أن تناولت عشائي سكت لي قليلاً من النيذ المفضل عادة لا أحب أن أشرب في وقت متأخر لكن هكذا طراً علي، دخلت مكثبي كان الوقت

متأخراً الساعة الحادية عشرة تقريباً لم أذهب لرؤية أطفالي لكن لا بأس لدي أعمال كثيرة أقوم بها، جلست إلى المكتب فتحت بتلهف صفحة موقع «بيتشيني» وهنا كانت الصدمة عدد زيارات الموقع اجتاز خمسة آلاف زائر! في يومين فقط الموقع ما زال فارغاً لم أضف أي شيء سوى كلمة «لماذا أنا مفتون بالبحث؟»

أنا أعلم أن نصف البشر فضوليون والنصف الآخر لديهم أفكار غريبة مثلي حسناً يجب أن أضيف اهتمامي وهدفني من هذا الموقع حسناً كتبت سطرين بكل اختصار أنني شخص مختلف شخص لا يؤدي البحث عكس الأشخاص هنا، بحثت عن مواقع ذات صلة بفكرتي لكن كل ما وجدته هو المتاجرة بالبحث حرفياً يمارسون بها أبشع أنواع الأشياء السيئة لم أجد شخصاً مثلي أبداً:

- مرحباً..!

وصلني هذا الإشعار في الرسائل الخاصة في الموقع هناك أحد يرسل لي مرحباً! ترددت في البداية لكن حسمت أمري ودخلت على الرسالة وكتبت:

- مرحباً..

رد علي بثوانٍ فقط وكأنه لم يخرج من صفحة الرسائل:

- أود أن أخبرك أن تزور موقعي ومتجري لربما هناك شيء يعجبك..

- حسناً أخبرني باختصار ما الشيء الذي لديك؟؟

رد:

- صراحة لأختصر الموضوع أنا أقوم ببيع الأعضاء البشرية لكن عندما رأيت موقعك واهتمامك لدي جثة وهذه أول مرة أحصل على جثة كاملة ولا تسألني من أين حصلت عليها لكن أنا لا أحتاجها وأيضاً لا أعرف كيف أخرج الأعضاء لذلك تركتها كما هي لأنني عادة أنا أحصل على الأعضاء فقط لذا إذا كنت مهتماً بشرائها فسأبيعها لك والآن أيضاً الجثة متكاملة وليس بها أي خدش واحد حتى، ما رأيك؟

بقيت ثلاث دقائق أفكر هذا ما أردته لأن الحصول على جثث من الحياة الواقعية صعب إذا سأوافق بالطبع..

- حسناً موافق كم السعر؟؟؟

أرسلت له

- السعر عشرة دولارات فقط..

- ماذا؟؟؟!!

صدمت عندما رأيت السعر؟ مستحيل أن يوجد أحد في الدارك ويب يبيع شيئاً بهذا السعر فما بالك بجثة؟! هنا متاجرات بكل شيء إنهم يطلبون ملايين على فيديو مريض مختل فكيف يبيع جثة بعشرة دولارات فقط هل يحاول أن يخدعني أم ماذا؟

- أعلم بأنك الآن مصدوم لكن صدقني أنا لا أحتاجها ولا أحتاج المال إذا كنت لا ترغب فلا بأس سأرى غيرك.

تَبَّأَ لأحب هذا الأسلوب لكن لا بأس سأجاهل هذه المرة..

- حسناً سأحول لك العشرة الدولارات الآن..

- تم..

تمت البيعة بنجاح وأخبرني أنه خلال أسبوع واحد ستصل الشحنة إذا سأرى ماذا سيصل وقتها، على العموم ذهبت بعدها إلى مزاد إلكتروني شعرت بأنني لم أشتري لوحة منذ فترة طويلة لذلك قررت أيضاً شراء لوحة طبعاً من موقع طبيعي..

خطرت ببالي فكرة كأول فكرة أضيفها في الموقع وهي إنزال منحوتاتي الغريبة والمرعبة في الموقع لكن ما الشيء المميز الذي سأقوم بإنزاله هنا؟ إلى الآن بالطبع لن أكون واضحاً لهذه الدرجة وأقوم مثلاً بتصوير جثتي وإنزالها لن أفعل ذلك، الآن أستطيع من هذا الموقع من الممكن الحصول على جثث أكثر سيوفر علي هذا عناء البحث عن جثة من الواقع وسرقتها من مكان ما، لكن حتى الآن لم أجد أي أحد يقوم ببيع جثة متكاملة سوى هذا الشخص الجميع هنا يتاجرون بالبشر أو جثث مقطعة أو أعضاء على ما يبدو لا أحد يفهمني هنا، حسناً سأؤسس عالمي أنا بنفسني سأفعل كل شيء مختلف هذه المواقع مرعبة جداً لكن أنا سأقوم بصنع عالم اسمه «الجمال الغريب» ولربما يكون «الجمال المروع» كيفما كان سيكون جميلاً في كل الأحوال. هل سأبدأ بعرض مجموعتي التجريبية التي قمت بنحتها مع بعض الأجزاء البشرية؟ هناك الكثير من القطع التي لم أستفد منها عندما

تتلف جثة وأنا أقوم بتحنيطها أحرقها لن أحرق شيئاً بعد الآن
 لربما سأصنع منهم كماليات وجماليات للحياة لربما سأجعل
 الأموات يسيطرون على الحياة، لربما أستطيع صنع عالم كامل
 لهم مختلف عن المقبرة، لذلك يحب علي أن أبدأ فوراً يجب
 أولاً أن أحضر جثة جديدة غير التي اشتريتها لأنني لا أعرف من
 الممكن أن تتأخر من الممكن أن لا تكون جثة ويكون البائع
 محتالاً أراد أن يضحك علي، لطالما في حياتي نوعت الاختيارات
 والأماكن التي أحضر منها الجثث المستشفيات والمقابر ومغاسل
 الموتى لكن هذا يكون صعباً مما أدى إلى تعطل وتأخر حلمي إن
 المستشفى صعب خصوصاً مع الكاميرات ومغاسل الأموات أيضاً
 المقبرة سهلة لكنها متعبة بسبب حفر قبر كامل يأخذ وقتاً وجهداً
 ولربما أحد يشاهدني وغيرها من المصاعب حسناً أسهل شيء
 هو القتل لكن أنا لا أقتل أنا لست قاتلاً أنا لم أقتل أحداً في
 حياتي من قبل، أنا إنسان قبل كل ذلك..

سأفكر من أين يجب أن أحضر جثة آخر جثة أحضرتها قبل
 سنتين كانت لمشرد عندما وجدته ميتاً على قارعة الطريق لم يهتم
 به أحد وهو ميت وهو حي حتى أخذته وأصبح الآن واحداً من
 عائلتي، لكن ليس كل يوم يمكن أن أجد مشرداً ميتاً على قارعة
 الطريق، لربما تتساءلون الآن كم جثة أملك؟ سؤال وجيه لدي مائة
 وعشرون جثة! إنه رقم قليل بالنسبة لي ما زال بعيداً عن حلمي ما
 زال بعيداً عن الألف، لقد بدأت بالتجميع منذ كان عمري ستة عشر
 فقط كان في البداية الموضوع سهلاً لأن الكاميرات لم تكن تنتشر

مثل الآن، سأخبركم عن أول جثة حتى آخر جثة وسأخبركم كيف وصلت إلى هذا العدد صحيح أنه قليل بالنسبة لي لكنه يعتبر إنجازاً بدون قتل، سأخبركم عن قصة أكبر مجموعة من الجثث التي حصلت عليها في دفعة واحدة في ليلة واحدة من تلك الليلة شعرت وعلمت بأن الحظ ابتسم لي وأن القدر يوافقني الرأي على ما أفعله، وأن الجثث تستحق أن يتم الاعتناء بها..

خطرت في بالي فكرة من أين أحصل على جثة جديدة

- ما الذي تفعلينه هنا؟؟

قلت بعد أن شعرت بأن أحدهم يراقبني كنت أعلم بأنها الطفلة «كيارا» فهي الوحيدة التي تتجراً وتتجول في جميع القصر سواء القسم الخاص بهم أو القسم الخاص بي، رأيتها تركض بعيداً نظرت إلى الساعة أصبحت الثانية بعد منتصف الليل لقد تأخرت عن النوم لكن أنا أصلاً لا أنام أنا والنوم خطان لا يلتقيان، لكن في كل الأحوال نهضت من المكتب بعد أن رأيت رسالة نصية في هاتفي وصلت قبل ساعتين لكن لم أنتبه لها كانت الرسالة من مديري الطبيب روبرت:

- مرحباً ظل لا تنسَ يجب أن نستعجل في الانتهاء من تشريح الجثة لأن الجميع ينتظرون بمن فيهم الإعلام لا نريد أن تعم الفوضى وتظهر الإشاعات أنا أثق بك..

ولماذا يجب علي أن أمنع الفوضى أنا؟ إنها فوضاكنم أنتم الذين إلى الآن من خمس سنوات فشلتم في القبض عليه..! هراء

قلت ذلك بنفسى بعد أن رميت الهاتف جانباً بعدها توجهت للاستحمام قررت أن أخلد إلى النوم لكن لم أستطع كالعادة إن رأس الفنان عادة ما يكون مليئاً بالأفكار، الأفكار التي لا تجعله يذوق طعم النوم حتى رغم ذلك قررت أن أرغم نفسى على النوم وأخيراً بعد عدة محاولات شعرت بأن النوم بدأ يداعب روجى لكن فجأة سمعت صوتاً في الحائط فتحت عينيّ اعتدلت في جلستى انتظرت ثواني لكن لم يكن هناك أي صوت؟

مرت في عقلى ذكرى سريعة عندما كنت أسمع أصواتاً في الجدران في منزلنا المتهالك كانت أصواتاً مرعبة وعندما أخبر أبى يقول: بالتأكيد إنها الفئران فحسب لكن الأصوات كانت أقوى من الفئران ما أن قررت أن أستلقي مرة أخرى سمعت صوت بكاء! وكان قادماً من خارج غرفتي هذه المرة علمت بأنها «كيارا» فهي بعض الأحيان لا تستطيع النوم لذلك تكتفي بالبكاء في أي مكان بسبب ما حدث معها ومع أخيها في هذا العمر الصغير وكيف انتهت حياتهما بهذه البشاعة والقسوة، إن البشر مخيفون جداً الأحياء أكثر إخافة من الأموات دائماً وأبداً، لست خبيراً في المواساة لذلك دائماً ما أتجاهلها حتى يأتي أبى أو كلارنس أو العممة لورا ليواسوها لكن هنا لا يستطيعون المجيء بدون إذني كيارا الوحيدة التي تأتي إلى القسم الخاص بي بدون استئذان لذلك لا يوجد غير أبى لكنها ما زالت تبكي هل من الممكن أن أبى غارق في النوم ولم يسمعها؟ ليس لدي حل آخر إلا أن أنهض وأقوم بمواساتها، خرجت من الغرفة بهدوء إذ أجدها

منطوية على نفسها في آخر الرواق وغارقة في البكاء تقدمت نحوها حتى وصلت إليها جلست بجانبها:

- أتعرفين كم الساعة الآن؟ بالطبع لا تعرفين لكن أخبريني لماذا تبكين هل رأيت كابوساً؟

لم ترد علي واستمرت في البكاء..

- حسناً لا ترغيبين بأن تتحدثي سأخبر العممة لورا أن تأتي وتعيدك إلى غرفتك،،

- لا، انتظر لا أريد العودة إلى هناك!!؟

قالت وهي تجهش بالبكاء

- لماذا؟ أنتِ تعلمين أنه ممنوع أن تكونوا هنا أليس كذلك؟ هذه هي القوانين هنا..

- بلى كذلك لكن..!

- لكن ماذا؟

- لقد رأيته!! إنه في غرفتي!

قالت وهي ترتعش وكل جسدها يرتعش لأول مرة أراها في هذه الحالة..

- من هو؟

سألها

أجابت بتلعثم:

- ذلك.. الوحش..!

«الوحش»

«الحياة السابقة لـ كيران وكيارا»

كل ليلة حوالي الساعة الثانية عشرة كنت أفتح بابه ببطء وعندما أفتح الباب بشكل كامل أدخل يدي، ثم أقف أنا ورأسي هناك بهدوء يسقط ضوء صغير عبر تلك العين! أراك.. بصوت أعلى! بصوت أعلى! بصوت أعلى!

حتى أصرخ: توقفوا أرجوكم،، سأمزق عينيك هنا وفوراً!!

ضرب بيده على الطاولة بقوة وهو يحكي لنا هذه القصة المرعبة كل يوم بدون ملل ولا كلل حتى يأكل الرعب نفوسنا وأرواحنا وترتعش أجسادنا بكل قوة، نفقد طعم النوم بسبب هذه القصص التي يرويها لنا أبي كل يوم ونحن طفلان بسن السابعة فقط!

أنا «كيارا» وهذا أخي التوأم «كيران» أنا أكبره فقط بعشر دقائق حيث أخبرتني أمي أنني خرجت بطريقة سلسة وكأنني كنت متحمسة جداً للحياة غبية كنت أظن أن الحياة رائعة ولونها وردي عكس «كيران» الذي خرج من بعدي بعشر دقائق وكأنه كان يرفض الخروج إلى هذه الحياة كان لديه نظرة مستقبلية، عشنا حياتنا بشكل طبيعي بل مثالي أمي وأبي وأنا وأخي عائلة مثالية جداً عشنا بسعادة لمدة أربع سنوات عندما أكملنا أنا وأخي السنة الرابعة انتقلنا إلى منزل أكبر ومدينة أكبر بسبب عمل أبي الجديد الذي كان بالنسبة له كالحلم أصبح وضعنا المادي أكثر من رائع وحياتنا رفاهية لكن كل هذا لمدة سنة واحدة فقط بعدها أكملنا

السنة الخامسة وفي ليلة شتاء ممطرة مرعبة اختفت أمي فجأة!
أمي خرجت إلى السوبر ماركت لتشتري لنا هدايا الميلاد ولم
تعد أبداً؟؟

بحثنا عنها وبحث الشرطة عنها في كل شبر وفي كل زاوية في
البلاد لكن للأسف لم نجد حتى أثراً واحداً لها لا حية ولا جثة
حتى! بعدها تدهورت حياتنا وانقلبت رأساً على عقب أصبح
المنزل يسود عليه الكآبة والتعاسة الحزن أكل قلب أبي أو لا:
الجنون أكل عقل أبي!

منذ اختفاء أمي تحول أبي لشخص آخر تماماً وكان أبي الأول
اختفى مع أمي وتم استبداله إلى شخص آخر أو وحش على هيئة
أبي أصبح يتصرف بغرابة ورعب كنت أقول في البداية بسبب
حزنه على أمي لكن لا هذا ليس حزناً أبداً ولا يمت بصلة لمشاعر
الحزن، في البداية انتظر أمي لمدة شهر وكان حزينا لمدة شهر
فقط شهر واحد بعدها دخل علينا أنا وأخي وقال:

- والدتكما لا أظن أنها ستعود امحواها من عقلكما تماماً
هل فهتما؟ لا أريد أن أرى أو أسمع أي أحد فيكما
يسألني عنها!!!..

أغلق الباب بقوة وتركنا حائرين كان «كيران» ولا يزال
شخصيته حساسة أكثر بكثير مني كان يخاف من كل شيء كان
طفلاً طبيعياً كبقية الأطفال يبكي بكثرة يخاف يسأل عن أمي
يتبول كثيراً في فراشه وملابسه، أما أنا فلم أتصرف على هذا

النحو من عمر الخامسة نسيت أنني طفلة ماتت طفولتي مع
اختفاء أمي، فرحت أعتني بأخي وأهتم به أطعمه أشربه أغسله
أبدل ملابسه أسرح شعره أعلمه دروسه وأنا أحتاج من يعلمني
لكن رغم ذلك خلال سنتين فقط أصبحت أمّاً وبجدارة أصبحت
أعمارنا سبعة أعوام في السبعة الأعوام الأطفال الطبيعيون
يعيشون حياتهم بشكل طبيعي أما نحن فلم نذق طعم ذلك كنت
أحاول أن أرضي أبي حتى لا يمنعنا من الدراسة لأنه كان يحبسنا
طوال الوقت ويهددنا إذا أخبرنا المدرسين فسيمنعنا من الدراسة
للأبد كان يكلم نفسه في أغلب الأوقات ويتشاجر مع نفسه كان لا
ينام أبداً ليست مبالغة بالفعل أصبح لا ينام كلياً!! كان يبكي في
بعض الأحيان ويعتذر منّا ويقول إنه يحبسنا بسبب أنه خائف من
أن نختفي فجأة مثل أمي، تارة يأخذ كيران من عندي ويحبسه
وحده يربعه لدرجة الموت وأنا أتوسل إليه أن يتركه عادة يتصرف
مع كيران هكذا يضربه ويحبسه ويعاقبه أكثر مني لأن كيران مجرد
طفل ولا يفهم ولا يعرف كيف يرضي أبي لذلك يبكي دائماً يبلى
فراشه وأبي يغضب ويضجر منه ويعاقبه، على عكسي أنا لقد
اكتسبت شجاعة وذكاء وقوة وصبراً وأنا في عمر الخامسة فقط،
كنت آخذ بعض الأحيان عقوبات كيران وأقول له أن يضربني
بدله ويحبسني بدله وبالفعل يحدث ذلك، منذ هذا العام أصبح
أبي يأتي إلينا في منتصف الليل يدخل إلى غرفتنا كالوحش شاحباً
ملابسه رثة وهناك صوت أصبحنا نعرفه إذا سمعناه فهذا يعني أن
أبي قادم وهو صوت مفاتيحه كان لديه مفاتيح يعلقها في خصره

ولا ينزلها ولا ينساها أبداً لا نعرف ما هي هذه المفاتيح لطالما كان لدي فضول تجاهها وتكون مفاتيح ماذا؟ حيث هنا في المنزل كل الأبواب مفتوحة ولا أحد يهتم أصلاً بإغلاقها لا أبواب الغرف ولا المستودع ولا الحمامات ولا المطبخ والمنزل كان رثاً بمعنى الكلمة أحاول كل أسبوع أن أقوم بالتنظيف بشكل مستمر لكن بدون فائدة، لنعد إلى دخول أبي كالوحش علينا في منتصف الليل وحتى إذا كنا نائمين يوقظنا من النوم لكي نستمع إلى قصصه المرعبة ويقول: حان وقت القصة يا طفلي ومن يغطي أذنيه بيديه سأقوم بقطع أذنه هل فهمتما؟؟

كان يخبرنا باستمرار أن هذه القصص تجعلنا شجعاناً لمواجهة الحياة بكل تفاصيلها وأنه لا وجود للوحش الذي أسفل السرير ولا وجود للوحش الذي في الخزانة ولا وجود للوحش الذي في القبو المظلم وأن الوحوش في رؤوسنا فقط.. لكنه كان هو الوحش بالطبع..

استمرت حياتنا هكذا في بؤس وخوف ورعب اختفت ملامح الطفولة لدينا مع أب مرعب وحياة سوداء حتى سن الحادية عشرة ستة أعوام ونحن في جحيم الكوابيس لم ينقذنا أحد أصبحنا معتادين على هذا الأب الوحش الغريب المرعب تغيرت شخصية كيران ما زال يخاف صحيح أنه يخاف كثيراً من أبي لكنه أصبح كثير المشاغبة كثير الحركة أصبح يشعر بالنقص إذا لم يضربه أبي في يوم أصبح هو من يبحث عن الضرب والعقاب، أما أنا فكنت سنة بعد سنة أزداد هدوءاً وحقداً وكرهاً لهذا الوحش كل يوم

أمسك صورة أمي وأتساءل لماذا تركتنا؟ هل قتلها أحد ما ورمى بجثتها؟ أم هل هربت مع رجل آخر وتركتنا كما يقول لنا أبي في بعض الأحيان؟ لكن أنا واثقة أن أمي لم تكن من هذا النوع أبداً حيث كانت تحب أبي جداً وتحبنا ولم يكن أبي يعاملها بشكل سيئ بل على العكس كان حنوناً مثاليّاً رائعاً طيباً طبعاً أبي الأول وليس هذا، أصبحت أحب الرسم كثيراً لكن أبي كان دائماً ما يأخذ لوحاتي وكراساتي وألواني ويقوم بالتخلص منها بدون سبب أصبحت أحب الموسيقى كنت أستلف جهاز البي إم ثري من صديقتي وأسمع فيه الكثير من الموسيقى لكن أبي عندما اكتشف أمره أخذه مني وحطمه إلى أجزاء أمامي لم يكن يسمح لنا بالحصول على أشياء هكذا مثل الأجهزة والهواتف والإنترنت كنا منقطعين عن العالم حرفياً حتى أبسط شيء الكتب والروايات كنا نقرأها بشكل سري لأنه إذا وجدها يقوم بحرقها وتمزيقها ويقول إن هذه الأشياء كلها تغسل العقول! وعلينا فقط الاستماع إلى قصصه المخيفة..

في الفترة الأخيرة من هذه السنة، السنة الأخيرة لنا في هذه الحياة البائسة كان «كيران» يرى كوابيس باستمرار بشكل مستمر كان يخبرني أن أبي يحكي له باستمرار عن المرأة الهيكلي! وهي تخيفه بشدة!؟ لطالما كان أبي أخبرنا الكثير والكثير من القصص المرعبة أنا تخطيت وأصبحت متبلدة وأصبحت لا تخيفني أبداً، أما كيران فلا يزال يخاف منها ويرى كوابيس لكن ليس جميعها حتى لكن هذه القصة بالذات كيران بسببها دخل في موجة

اكتئاب وذعر أخرى لم يعد مرحاً كالسابق كانت الهالات تملأ وجهه لأنه لا ينام كان يمرض كثيراً كنت أحاول إقناعه بأن هذه قصة مجرد قصة من خيال أبي كباقي القصص لكنه أخبرني بصوت هامس:

- أعلم بأن كل القصص من خيال أبي لكن يا كيارا هذه ليست من خياله إنها حقيقية..

- حسناً وكيف عرفت أنها حقيقية؟؟

سأله

- رأيتها..! أقسم إنني رأيت المرأة الهيكل كانت تقف خارج غرفتي..!

أجاب وهو يرتعش

- مستحيل يا كيران بالتأكيد كنت تتخيل لقد حكى لنا الكثير من القصص وبعضها تخيلناها وبعضها رأيناها في كابوس وفي الواقع لكنها مجرد خيالات من عقولنا لأننا خائفان فقط..

أخبرته وأنا أحتضنه

- أنت لا تفهميني يا كيارا أنا رأيتها أنا أصبحت أعرف أين الخيال وأين الحقيقة وتلك المرأة كانت حقيقية أكثر مني ومنك أقسم لك..

- وكيف كانت؟

- مثل التي وصفها أبي في القصة إنها امرأة هيكل عظمي بسبب نحافتها الشديدة وشعرها الذي كان خفيفاً لدرجة أنني رأيت قاع جمجمتها أيضاً كانت طويلة جداً وأصابعها طويلة..!!

أجاب وهو يلهث

- حسناً اسمعني إنها نفسها المرأة التي وصفها لنا والذي في القصة لذلك بالتأكيد سترها على هذا الشكل..

قال بيأس:

- أنت لا تصدقيني أبداً..

بعد ذلك اليوم لم أشعر بارتياح تجاه ما قاله لي كيران لا أعلم لماذا رغم أنه طوال هذه السنوات حكى لنا أبي كل تلك القصص المخيفة كيران كان على حق لم يحدث معه هذا الشيء أيضاً لم يخبرني ولا مرة أنه رأى إحدى الشخصيات في الواقع وكان كل ما يراه هو كوايبس؟! أو أنه الآن أصبح يرى هلاوس؟ لا أستبعد فأنا وأخي أعلم بأننا أصبحنا نعاني من أمراض نفسية بسبب هذه الحياة، طوال تلك الفترة كنت أشعر بشعور غير جيد لا أعرف لماذا؟ أصبح أبي يغيب عن المنزل كثيراً وهذا كان يفرحني ويفرح كيران كنا نأخذ راحتنا كثيراً نشاهد التلفاز نرسم نستمع إلى الأغاني نأكل ما نريد كان أبي أغلب وقته في الورشة الخاصة به يعمل في عمله الذي لا أعرف ما هو؟ كان أبي منذ ستين تقريباً يقضي معظم وقته في ذلك القبو أو ورشته التي يقول إنه يعمل

بجد فيها ولم أعرف ما هي طبيعة عمله ولا يهمني الأمر طبعاً، كنا ننتظر الوقت واللحظة اللذين يخرج فيهما من المنزل ويتجه إلى القبو لتقيم احتفالاً بخروجه وتركنا وحدنا بحريتنا المتواضعة، وعندما نسمع صوت مفاتيح تضرب بعضها في بعض نعرف أن أبي قادم ونعود ركضاً إلى غرفنا، في ذلك الشهر الذي تغير فيه كل شيء ولم نكن نعلم أننا نعيش آخر أيامنا البائسة على هذه الحياة، بدأ أبي يحضر لنا لحمًا غريباً ويطبخه لنا على الغداء والعشاء بدون ملل أو كلل حتى كنت أتقياً باستمرار منه بعد ما رأيت شعراً في صحني وهنا بدأ الشك يراودني أن هذه اللحوم تعود إلى بشر!!

صحيح أن عمري ١١ عاماً وأنه بقي لي شهران ونصبح ١٢ عاماً لكنني أدرك وأفهم وأستوعب بما فيه الكفاية لأنني لست طفلة لأن الحياة سرقت طفولتي ولطالما عشت ونمت واستيقظت وفكرت بمشاعر أشخاص بالغين واكتسبت فطنة وذكاء، لم أخبر كيران بالطبع سيموت إذا أخبرته علاوة على ذلك لن يسكت سيمرض ويبيكي ولا يستطيع كبح مشاعره مثلي، استمر أبي بإحضار تلك اللحوم لنا وأنا لم أعد قادرة على التحمل أحاول أن أمسح هذه الفكرة من بالي لربما أتوهم لربما أتخيل لربما لأن أبي غريب وقاسٍ ومخيف أقول عنه هكذا!!؟ وفي ليلة ممطرة كنت نائمة وكنت مريضة كالعادة من هذا الطعام دخل كيران إلى غرفتي جلس على سريرتي وهو يبكي ويتنفس بثقل نهضت متكاسلة أحاول أن أهزم المرض:

- ما الأمر يا كيران؟ هل ضربك أبي؟

سألته

- لا، أبي غير موجود أصلاً

قال بيأس

- إذا هل رأيت كابوساً آخر؟

- لا يا كيارا لم يكن كابوساً لقد رأيتها مرة أخرى رأيت تلك المرأة وكانت هذه المرة أقرب بكثير كانت بداخل غرفتي خلف الباب صدقيني حتى عندما نهضت وركضت بسرعة من جانبها لم تختفِ حتى إنها كانت لديها رائحة عفنة!!

- حسناً اهدأ سأذهب الآن وأرى..

أخبرته وأنا أنهض بوهن وتعب لكنه أمسك بيدي بخوف:

- لا يا كيارا لا تذهبي أرجوك إنها هناك

- توقف يا كيران لا يوجد أحد هناك وأنا سأثبت لك ذلك تريد أن تبقى هنا لا بأس ابقَ تريد أن تذهب معي أيضاً لا بأس تعال ولكن أنا في كل الأحوال سأذهب..

ذهبت وأنا أصارع الألم وكنت مدركة تماماً أن ما يقوله كيران صحيح ولكن كنت أريد دليلاً فقط لم أكن خائفة بقدر ما كنت مذهولة ومحتارة من تكون هذه المرأة؟ هل هي شبح؟ لكن لا وجود للأشباح!!

سرنا بخطوات مرتعشة قلوبنا تنبض كاد كيران وهو يسير معي أن يتوقف قلبه عن النبض وأنفاسه من شدة الخوف أخيراً وصلنا

إلى غرفته فتحت الباب أضأت جميع الأنوار لكن لم نجد أي شيء تنفست الصعداء:

- هل رأيت لا يوجد أحد هنا؟ ولا في الممر حتى!

بدأ كيران يبحث أسفل السرير وفي الخزانة وفي الحمام كالمجنون لكن لم يجد شيئاً، اتجهت إليه وأمسكت به واحتضنته:

- حبيبي لا بأس أنا معك سننام الليلة معاً اتفقنا؟

استلقينا على السرير ولم نطفئ الأضواء فجأة سمعنا صوت المفاتيح هذا يعني أن أبي قادم قال كيران بتوتر:

- أبي قادم.. الآن سيغضب لأنك تنامين معي؟؟

- لا تقلق سأخبره هذه المرة بأنني أنا الخائفة وسيعاقبني أنا حسناً؟ أنت ابق ساكناً فحسب..

دخل أبي إلى الغرفة بدأنا بتمثيل أننا نائمان لكن صوت ورائحة الخوف يفضحاننا قال وهو يجلس أمام السرير:

- أعلم بأنكما مستيقظان أيها الطفلان لقد سمعت أصواتكما قبل قليل لا داعي للكذب علي والدكما..

فتحت عيني بسرعة وقلت محاولة أن أنقذ الموقف:

- لقد كنت خائفة لقد رأيت كابوساً يا أبي علاوة على ذلك الضوء في غرفتي معطل كانت مظلمة جداً وأنت لم تصلحه لذلك أتيت إلى غرفة كيران..

- أعلم بأنك كاذبة لأنك أنتِ لا تخافين لكن لا بأس من
الجيد أنك هنا أريد أن أخبركما بشيء معاً..

نظرنا بعضنا إلى بعض أنا وكيران قلت باستغراب:

- ما هو؟

- سوف أخبركما بقصة..

أجاب بيرو

- وما الشيء الجديد يا أبي؟ أغلب الأيام أنت تخبرنا
بقصص لكن اليوم هل من الممكن أن لا تخبرنا بشيء؟
أرجوك يا أبي فقط اليوم كيران مرعوب ومريض حتى إن
المدرسين بدؤوا يشكون في حالته الصحية والنفسية وأنت
لا تريد لأي أحد أن يشك بك أليس كذلك!؟

نهض عن الكرسي واقترب مني ببطء علمت بأنه غضب:

- لا يوجد تأجيل أبداً وهذه القصة اليوم سأكملها يجب أن
يتخلص من خوفه هذا الصبي الجبان لذلك اسمعا
أو سأقوم بطردك وسأجعله يسمع وحده..

- لا، لا، أرجوك لا بأس سابقى معه حسناً تفضل نحن نسمعك..

قلت بيأس لم يكن لدي خيار آخر لمقاومته لم أرغب أن
أتركه مع كيران وحده، ثم قال بحدة وهو ينظر إلينا مباشرة بعينه
الغائرتين المرعبتين:

- لم أنته من إخباركما ببقية القصة عن المرأة الهيكلية!!

قبض كيران على أصابعي من شدة الخوف لدرجة شعرت
بأنها ستتخطم لكنني تركته يعبر عن خوفه بصمت، ثم أكمل
حديثه وهو يجلس:

- لم أستطع النوم لعدة أيام عندما كنت طفلاً لذلك أخبرت
والدي وقال لي شيئاً مهماً، شيئاً مهماً جداً وبعد ذلك لم
أعد أخاف من المرأة الهيكلية أبداً..

قفز كيران بحماس قائلاً:

- ماذا أخبرك؟ هل قال لك إن المرأة الهيكل العظمي ليست
حقيقية؟

سكت أبي لمدة عشر ثوانٍ تقريباً ثم قال:

- قال لي لديك خياران: يمكنك أن تعيش حياتك وأنت
ترتعد من الخوف خائفاً من الوحوش الكامنة في الظلام
عاجزاً؟ أو يمكنك أن تعيش حياتك بطريقة أخرى؟ طريقة
للعيش دون خوف الطريقة التي علمه إياها والدي وهو
جدكم ما علمني إياه وما أعلمكم إياه الآن، إنها طريقة
الطبيعة في اكتشاف الحقيقة ورؤية ما هو حقيقي وما هو
هلاوس، في الطبيعة القوي يصطاد الضعيف والضعيف
يخاف من القوي معظم الناس لا يتفكرون مع طريقة الحياة
هذه مثل أمكما للأسف!! لكننا لا نصطاد بأنفسنا ومع
ذلك تماماً مثل أمي جدتكما التي سبقتني لا تزال هناك
عواقب لاختيار الضعف، هل تريان يا طفلي يمكنكما

اختيار الخوف من الوحش أو يمكنكما أن تصبحا الوحش
ماذا تريدان؟؟

انتهى أبي من الحديث وخرج وتركنا كنت أعرف أنني
فهمت كل كلمة قالها أبي وكل مقصد قصده في هذه القصة،
علمت الآن أن أبي عاش مثل الحياة التي يعيشنا بها الآن:
المشاعر أنفسها المعاناة نفسها الكابوس نفسه، إذا جدي خير
أبي هذا الخيار الذي خيرنا بعد أن قتل والدته وجعله يختار أن
يكون وحشاً بدلاً من أن يكون ضعيفاً! كنت أعلم من اللحظة
الأولى بأن أبي وحش حتى وهو كان مثاليّاً في الماضي حنوناً
طيباً قبل اختفاء أمي لكن متى انطلق هذا الوحش؟! هل انطلق
بعد اختفاء أمي؟ أو قبل اختفائها؟ وهل هذا له علاقة بأبي؟ هل
أمي كشفت أمر أبي كشفت وجهه الحقيقي لذلك قتلها؟؟ أو أن
أمي اختفت فحسب؟! كنت متيقنة بأن أبي يريدنا أن نرى
الحقيقة خصوصاً أنه ترك لنا المفاتيح على الطاولة أمامنا وخرج
وهو لا ينساها أبداً بل كان متعمداً حان الوقت للتخلص من
مخاوفنا كما قال قبل قليل لكن هل ستحمل الحقيقة التي تقبع
في ذلك القبو؟

- أبي نسي مفاتيحه يا كيارا انظري؟؟

قاطع أفكاري صوت كيران وهو يلوح بالمفاتيح أمامي بعد أن
قفز من على السرير

- لا لم ينسها، بل وضعها لنا متعمداً يريدنا أن نذهب إلى هناك..

قلت له وأنا ألتقط المفاتيح من يده

- مستحيل ماذا تقولين؟ ماذا لو نسيها بالفعل وذهبنا إلى هناك؟ سيعاقبنا أشد العقوبات أنا خائف..

- لا تقلق ثق بي لقد وضعها متعمداً أنا أعرف ذلك حقاً والآن سنذهب ونرى ما الذي يعمل عليه والدنا..

سرنا أنا وكيران متجهين نحو القبو، تمنيت لو منعني كيران بقوة في تلك الليلة من الذهاب إلى هناك تمنيت لو أنني لم أستمع إلى فضولي تمنيت لو أنني تجاهلت رؤية المفاتيح واستلقيت على السرير واحتضنت كيران وغرقنا في النوم لكننا الآن حظينا بيوم إضافي وفرصة أخرى على هذه الحياة وكنا أحياء لكن لم يحدث ذلك للأسف!!..

نزلنا عبر السلالم هذه السلالم التي نسيت حتى شكلها لأن أبي كان يمنعنا من الاقتراب منها منعاً باتاً والآن ننزلها درجة درجة، كان الخوف يأكلني شيئاً فشيئاً شعرت بأن يدي تشنجت بسبب قبضة أخي كيران عليها، كنت أسمع صوت نبضات قلبه التي كانت تقتحم الهدوء المرعب كنت خائفة أن يسقط قلبه بين أقدامنا ويتدحرج على السلالم أمامنا من شدة الخوف وأخيراً وصلنا إلى باب القبو وأولجت المفتاح بدون تردد نظرت إلى كيران لأخبره بعيني بأن يستعد وفتحت الباب، انفتح باب القبو

وأصدر صريراً مرعباً انطلقت من داخل القبور رائحة عفنة ومقززة لدرجة شعرت بأنني على وشك التقيؤ! رغم ذلك استمررت بالدخول والتقدم وكيران يمسك بيدي:

- أنا خائف يا كيارا أرجوك دعينا نراجع..

قال كيران لكنني تجاهلته لأن الفضول سيطر علي تماماً خصوصاً عندما سمعنا صوتاً قريباً قادماً من الداخل، سرت إلى الداخل أكثر كان المكان بارداً جداً، وهنا رأيت الشيء الذي تمنيت أن يكون أحد كوابيسي أو كوابيس كيران تمنيت أن هذا ليس حقيقياً أبداً لكنه كان حقيقياً أكثر مني

كان القبو مليئاً بالأكياس البلاستيكية المعلقة وبداخلها قطع جثث!! كان القبو عبارة عن ملحمة وأبي الجزار لكنها لم تكن ملحمة للحوم حيوانات بل لحوم بشر! خفق قلبي بقوة إذاً كان أبي طوال هذه السنوات يمارس مهنة القتل إذاً كنت على حق كان أبي يطعمنا لحوم البشر، لم يكن أبي أبداً ملاكاً كان منذ ولادته على هذا العالم وهو شيطان مثل والده..

- كيارا، ما هذا؟؟؟

سألني كيران بصوت يرتعش لم أعرف ما الذي أقوله له أعلم بأنه يعرف أن هذه جثث وأبي هو الجزار لكنه ما زال غير مصدق، كان في كل مكان أدوات التعذيب السلاسل السكاكين المطارق المناشر المقصات وغيرها، منذ متى كان أبي يقتل؟ هل كان يقتل من قبل الزواج حتى؟ أو بعد الزواج؟ أو بعد ما أتينا

إلى هذه الدنيا وليتنا لم نأتِ؟ أو بعد ما اختفت أمانا؟ ولكن كيف اختفت؟؟

سمعنا صوتاً قوياً قادمًا من مكان ما، التفتنا لنرى صندوقاً ضخماً أو حاوية مثل تلك الحاويات التي يتم فيها تهريب البشر عبر البحر، تقدمت نحو الحاوية كانت مغلقة لكن علمت بأن مفتاحها أيضاً موجود مع هذه المفاتيح لذلك أدخلت المفتاح داخل قفل الباب وفتح!

استقبلتني رائحة عفنة مع ظلام دامس لدرجة لا أستطيع أن أرى أي شيء بداخلها، لكن سمعت صوت سلاسل!!

- إنه الصوت نفسه..

نطق كيران أخيراً من خلفي وهو يرتعش ويبدأ شاحباً كالجثث المعلقة

- أي صوت؟؟

سألته

- ذلك الصوت الذي سمعناه قبل قليل كنت أسمعه في

غرفتي عندما تأتي المرأة الهيكل!!

أجاب بتوتر وخوف ورعب

كانت عيناى على كيران لكن ما أن التفت إلى الحاوية إذا بي ألمح شيئاً يركض ويصرخ وظهرت بالفعل المرأة الهيكل!! صرخ كيران من شدة الخوف ووقع على الأرض أما أنا فتجمدت مكاني لأنها أصلاً لم تصل إلي لا تستطيع ذلك كانت

مقيدة بالسلاسل، اتسعت حدقتا عينيّ تجمد الدم في عروقي
توقف قلبي لوهلة وليته إلى الأبد عندما رأيت المرأة الهيكل
تمد يدها لي بحزن كانت ترتدي فستاناً أصفر لم يعد أصفر
أصبح أسود به أزهار بنفسجية ما زالت تلبس ذلك العقد الذي
أهداها أبي في عيد زواجهما وتلك الأسورة التي صنعتها أنا
من إكسسوارات باربي المزيفة وأعطيتها، كان شعرها قد تساقط
كله حتى هو شعر بالملل من هذا السجن وكانت صلعتها بارزة
وتحتفظ بقليل من خصلات الشعر، كانت أسنانها بنية اللون
بارزة إلى الخارج وعيناها غائرتين وكأنهما بثر مهجورة جافة
مظلمة، ملامحها أصبحت كالمسوخ نحيلة لدرجة أن العظام
ظاهرة وتكاد تخترق جلدها الرقيق إن المرأة الهيكل العظمي
حقيقية إنها «ماما»!!..

ماما التي اختفت من ستة أعوام وأنا أتساءل أين هي وكيف
هي؟ هل هربت وتركتنا؟ هل ماتت؟ هل قتلها شخص ما وهي
عائدة إلى المنزل؟ هل خطفها أحد؟ توقعت كل الاحتمالات
لكنني لم أتوقع يوماً أن ماما تعيش معنا في المنزل نفسه!! يبدو
أن ماما عرفت الوجه الحقيقي لأبي لذلك قام بحبسها هنا كما
فعل والده مع والدته إن الجنون والاختلال وراثه حقاً وهذا ما
كان يريد أن يثبتته أبي لكيران ولي..

- ما.. ماما..! هل هذه ماما؟!..

سأل كيران بصوت واهن ومرعوب وعيناه تفيضان دمعاً لم
أستطع أن أعطيه أي إجابة لكنني أردت أن آخذ أخي وأهرب من

هنا للأبد أردت ذلك تمنيت ذلك لكن الأمنيات لا تتحقق في هذه الحياة ومن قال مقولة إن الأمنيات تتحقق كان كاذباً..

سمعنا صوت شخص قادم علمت بأنه أبي ذلك الوحش الذي لطالما كان وحشاً ولم يكن يوماً إنساناً طبيعياً..

- هل رأيتما الآن؟ هل رأيتما أخيراً المرأة الهيكل؟

سأل بيروود وابتسامة

- أبي.. هل هذه ماما؟؟؟

سأل كيران أما أنا فاكتفيت بالصمت كنت أود أن أسأله لماذا فعل ذلك بها؟ لماذا يفعل هذا الشيء الوحشي للناس؟ لكنني علمت بأنها ستكون مضيعة وقت فقط علمت بأنه لن يعطيني أي إجابات مقنعة لأنه مقتنع بأن الأشياء التي يفعلها صحيحة إذ لا مجال للمجادلة مع مجنون...

- كانت الماما لكن الآن لم تعد كذلك الآن أصبحت المرأة الهيكل فقط المرأة التي تخيفك طوال الليل وأنت اليوم نزلت إلى هنا بشجاعة لتتخلص من خوفك للأبد، كما فعلت أنا لقد اخترت الخيار الصحيح بنزولكما إلى هنا أنا فخور بكما..

- ماذا تقصد؟؟؟

سأله

أجاب وهو يخرج مسدساً أسود ويتقدم نحو كيران جلس على ركبتيه ومد المسدس إلى كيران:

- خذ يا بني أنت اليوم يجب أن تتخلص من خوفك للأبد
خذ هذا السلاح وأطلق النار على المرأة الهيكل لكي
تصبح مثلي..

ارتعش كيران وازدادت دموعه في النزول أما أنا فقد صعقت
مما سمعته هذا المجنون يريد من كيران أن يقتل الماما!

- لماذا تفعل ذلك؟؟ أبي أرجوك توقف كيران طفل كيف
يمكنك أن تطلب منه أن يقتل والدته؟ أتوسل إليك دعنا
نذهب فحسب لن نخبر أي أحد عما رأيناه أرجوك..

صرخت في وجهه بغضب اندفع نحوي وشفعني حتى
سقطت أرضاً:

- إياك أن تتدخل هل تفهمين ذلك؟ إذا تدخلت مرة أخرى
فسأحبسك مكانها وأجعلك تتعفين طوال حياتك في هذا
المكان..

عاد مرة أخرى إلى كيران وضع المسدس في يديه الصغيرتين
كان بالكاد يرفعه وهو يرتعش كان ثقيلاً كمثل تلك الليلة السوداء
بدأ كيران بالبكاء وهو يصبوب نحو الماما وذلك الوحش يصرخ
في وجهه:

- اقتلها هيا يا بطلي الشجاع اقتل تلك الوحش التي تخيفك
ليلاً اقتلها أطلق النار عليها وإذا لم تفعل فسأجعلها تزورك
كل يوم حتى تلتهمك وتلتهم أحشاءك الصغيرة أطلق
النار فوراً..!

كان كيران غارقاً بدموعه وما زال موجهاً المسدس على
 الماما نظرت إليها رأيتها تبكي رأيت ملامحها البائسة والحزينة
 على حالها وحال طفليها هذا يعني أن الماما ما زالت تعرفنا ما
 زالت تشعر بالتأكيد تلك المسكينة ما الذي فعلته في حياتها
 لكي تتزوج شخصاً مختلاً ومتوحشاً مثل هذا الرجل ليجعلها
 تعيش أسوأ أنواع العذاب وأقسى أنواع الحياة هي وطفلاها؟
 رأيتها تلتفت نحوي وتنظر إلي صحيح أنها لم تتكلم لكنني
 فهمت من عينيها أنه يجب أن أفعل شيئاً يجب أن أنقذ أخي
 يجب أن لا أجعل كيران يصبح وحشاً مثل هذا الرجل،
 وبحركة سريعة نهضت وركضت نحو كيران والتقطت
 المسدس من يده وأطلقت النار وفرغت جميع الرصاصات
 الخمس على جسد ماما!! كان يمكنني أن أقتل أبي لكن مهما
 بلغت من فطنة وذكاء لا أزال مجرد طفلة فقط.. وكان الخوف
 منه أعماني..

- «لقد قتلت الماما»!

قلتها بصوت يرتعش وعمّ الهدوء رأيت الرصاصات توزعت
 على جسدها وهي هاوية للسقوط أرضاً، رصاصة في وجهها
 أصبح مهشماً ورصاصة في رقبته ورصاصتان في صدرها
 والأخيرة في معدتها رغم هذا وهي تسقط ميتة رأيتها ابتسمت لي
 وكأنها تخبرني بأنني فعلت الشيء الصحيح لها ولنا وأنها غير
 غاضبة مني على الرغم من أنه كان من المفترض أن أكون ذكية
 أكثر وأطلق النار على أبي لكنني خفت منه أكثر من خوفي من

المرأة الهيكل لكن في كل الأحوال انتهى أمرنا عندما خرج أبي
عن صمته وقال بغضب:

- أيتها المجنونة ماذا فعلتِ؟ أخبرتك أن لا تتدخلني لقد
أفسدت كل شيء أنت فتاة لا تستمعين إلي والدك أبدأ..

علمت بأنني أفسدت مخططات أبي حيث كان يريد لكيان أن
يرثه ويصبح وحشاً من بعده لكنني أفسدت ذلك، انهال علي
ذلك الوحش بالضرب الشديد وكأنه يضرب كيس لكمات وليس
جسد طفلة بعمر الثانية عشرة فقط، استمر بضربي بقوة وركلي
بأقدامه الضخمة بعدها بدأ يدوس على رأسي وجمجمتي حتى
سمعت صوت تهشمها نزل الدم من فمي وأنفي وعيني أصبحت
الرؤية لدي ضبابية! ما زلت أسمع صوت كيران وهو يبكي
ويصرخ ويتوسل لأبي أن يتوقف لكنه ما زال يضربني بشدة
شعرت بالألم غير طبيعي في جميع أنحاء جسدي كنت أدعو
وأتساءل متى سأموت؟ أريد أن أموت بسرعة لأنني لم أعد
أتحمل هذا الألم! فجأة توقف أبي عن ضربني علمت بأن كيران
فعل شيئاً رفعت عيني لأنهما الشيء الوحيد الذي أستطيع رفعه
رأيت كيران يمسك بالقداحة بعد أن أغرق المكان بالبنزين أسمع
أبي يقول له أن يترك القداحة فوراً ولكن كيران عرف أنه ليس
لديه إلا هذه الفرصة وأشعل المكان بالكامل!!

انتشرت النار بسرعة كبيرة وأحرقت كل شيء وبدل أن يهرب أبي
دخل يصرخ كالمجنون لا يريد أن تحترق جثته وضحاياه وإنجازاته
لذلك احترق معها! جلس كيران بجانبني وأنا غارقة في دمي ووجهي

مهشم وجسدي كله محطم حاول كيران أن يسحبني لكنه لم يستطع لأنه طفل، حاولت أن أقنعه أن يهرب بسرعة ويتركني لكنه رفض بشدة حاولت بكل الطرق لكنه جلس معي واحتضني وقال باكياً:

- لقد عشنا معاً كل هذا لقد حميتني طوال حياتي وحتى اللحظة الأخيرة قتلت الماما بالنيابة عني لذلك لن أتركك أبداً سنموت معاً لا حياة لي من دونك يا كيارا

لقد مت من الألم والنزيف والضرب المبرح ومن الاختناق أما كيران فمات من الاختناق من شدة الدخان وهو يحتضني، كان لدينا أخيراً حظ جيد بعد موتنا لم تحترق جثتنا لأن منزلنا كان يقع في الغابة المقابلة لمنزل الشخص الذي أنقذ أجسادنا من الاحتراق كنا نعيش قريباً من منزل «ظل» الذي كان لنا بمثابة الظل ظهر كالبطل الخارق عندما رأى النار عبر الغابة دخل وسحب جثتنا أنا وكيران رغم أنني توقعت أن نذهب إلى الخطوة الثانية بعد الموت وهي القبر كنت أبكي كثيراً في نفسي كنت أبكي لا من أجل نفسي بل من أجل كيران كان لا يستحق هذه الحياة ولا يستحق هذه الميتة، ما زال طفلاً مثلي كنت أبكي لأنني أعرف أن كيران يخاف كثيراً من القبور ومن الظلام ومن الوحدة ويخاف كثيراً من دوني، تمنيت في داخلي أن أحظى بحياة أفضل حياة جديدة أنا وكيران رغم أنني قبل دقائق قلت إن الأمنيات لا تتحقق للأحياء فكيف ستتحقق للأموات!؟

لم أظن ولا واحداً بالمئة أن «ظل» سمع أميستي لكنه سمعها حقاً وحقها! لم يفرقنا ظل بعضنا عن بعض أنا وكيران وأخذنا

إلى منزله بدل المقبرة كنت في ذلك الوقت وحتى الآن أسعد
إنسانة أخيراً الحياة ابتسمت لنا ابتسمت بعد موتنا..

والآن يجب أن تنامي لقد أوصلتك إلى السرير كما قلت
وأيضاً لا يوجد أي أحد هنا في منزلي لا وجود للوحوش هل
تذكرين؟ أنا أحملك من الوحوش دائماً..

قلت لكيارا بعد أن وضعتها في سريرها كانت وما زالت من
سنتين متأثرة بما فعله والدها لهما هي وشقيقها «كيران» لطالما
بعض الأحيان عندما كنت أسير خارجاً في منتصف الليل أرى
والدهما خارجاً كان يتصرف بغرابة ينظر إلي بغرابة ويذهب كنت
أراه يرتدي زي الأمطار الأسود حتى لو لم يكن هناك أمطار لكن
دائماً ما يرتديه عرفت الآن لماذا يرتدي ذلك الزي دائماً لأنه
يقتل الناس، حتى لم أكن أعرف أن لديه طفلين لأنه كان
يجسهما طوال الوقت مرة واحدة فقط لمحت «كيارا» كانت
طفلة مشرقة مزهرة جميلة رغم أنها عندما رأته ابتسمت لكنني
رأيت الخوف والاستغاثة في عينيها لكن علاوة على ذلك لم
أشأ أن أتدخل وما علاقتي في الأمر؟ كان منزلهم هو المنزل
الوحيد القريب مني كلانا أنا ووالدهما هاربان بعيداً عن البشر
وأعين الناس وعندما احترق المنزل ومات أصبحت وحيداً أتسجد
المنطقة واشترت أرضهم أيضاً بالكامل وجميع الأراضي من
حولي حتى لا يسكن أحد قريباً مني، لطالما عندما كنت أراه لا
أرتاح له أبداً وهو أيضاً لم يرتح لي ربما المجانين يتعرفون
بعضهم على بعض..

بعد أن مات ذلك الوحش وصلت الشرطة ووجدت جميع
جثث الضحايا بما فيهم الأب والأم لكنهم لم يجدوا جثتي
طفليهما ووضعوهما في وضع المفقودين كنت متوتراً أن يشك
أحد بأمري لكن عدت ولله الحمد لأنه لا يوجد أي كاميرات في
المنطقة، ولم أشأ أن أتجاهل طلب وأمنية «كيارا»..

- عدني أنك لن تتخلي عنا يا ظل..

داهمت كيارا أفكارني وهي تمد أصبعها الصغير نحوي دلالة
على حركة الوعد المعتادة خصوصاً للأطفال لذلك ابتسمت
وشبكت أصبعي في أصبعها:

- أعدك لن أتخلي عنكما أبداً..

خرجت من غرفتها بعد أن قبلت جبينها، نظرت إلى ممر
الورشة كان لدي شغف كبير أن أبدأ بالعمل الآن خطرت فكرة في
بالي لدي الكثير من بقايا جثث عادة عندما تدمر أو يفشل
التحنيط أقوم بحرقها لكن الآن احتفظت ببعضها سأقوم بالتجريب
عليها وأجعلها منحوتات جميلة تزين حياة الأحياء وأعرضها في
موقعي لكن الوقت تأخر جداً سأفعل ذلك عندما أحصل على
جثة جديدة أخرى طلبتها ولا أعلم متى ستصل وكيف حالها
عندما تصل وأخرى علمت أخيراً من أين يمكن أن أحصل عليها،
والآن يجب أن أذهب لأحصل على قسط من الراحة لأنه يجب
غداً أن أنتهي من تشريح تلك الجثة لنعرف إذا كانت من ضحايا
القاتل المتسلسل «الكابوس» أم لا..؟



«الفصل الثامن»

«القتل هواية؟ أم موهبة؟!»

«ثيا»

خرجت اليوم مبكراً بعد نوبة كوابيس وأرق لم أنم كثيراً لذلك تناولت لي كوب قهوة وأنا في طريقي للمستشفى رفعت هاتفي لم أر أي اتصال أو رسالة من «ظل» لا جديد فهو لا يبادر أبداً لا في الاتصال أو في الإرسال حتى رغم ذلك هو أطف شخص في هذا العالم هو يعاني فقط من انحباس المشاعر والتفاعل مع الآخرين لكوني طبيبه أعرف كل ذلك وأتفهمه، وصلت أخيراً إلى المستشفى لم يكن لدي الكثير من المرضى أو السجناء لكن كان هناك مريض يشغل تفكيري اسمه «كريستيان» عمره ١٧ عاماً فقط لقد قتل والديه علاوة على ذلك الخادمة لذلك على حسب حالته النفسية سيحكم عليه مع التحقيق والبحث لم يكن والدا كريستيان يسيئان معاملته أبداً ولم يكونا يعنفانه حتى بل على العكس كانا طبيعيين ويحبانه كثيراً لكن فجأة وفي ليلة مرعبة قتلهم بأشع الطرق حيث سكب مادة حارقة على أجسادهم وهم نائمون مما أدى إلى وفاتهم على الفور تأكل الجلد والتصق الفراش بأجسادهم وأيضاً لم يهرب كريستيان بعد فعلته بل ظل



يراقبهم وهم يحترقون ويتألمون ويصرخون أمامه وجلس واتصل
بالشرطة حتى أتوا وقبضوا عليه...!

كان هذا الشاب يشغل تفكيري رغم أن هناك قضايا أغرب
وأرعب منه لكن هذا الصبي طلبني تحديداً أن أكون أخصائيته ولم
يتحدث أي كلمة مع أحد غيري، كنت أتساءل كيف شاب بعمره
يعرفني ويعرف مجالي؟ صحيح أنني مشهورة ومعروفة في البلاد
خصوصاً بعد تهوري وغبائي في قضية الكابوس وموت أخي
اشتهرت أكثر لكن من كانوا مهووسين بي يكونون أشخاصاً كباراً
بالغين لا أظن أن مراهقاً مهووس بمقابلة طيبة نفسية أو أظن أنه
يوجد الآن بسبب مواقع التواصل الاجتماعي لنر ما الذي يريده
هذا الفتى وأنا أعلم جيداً بأن الأشخاص السيكوبات يملكون ذكاء
خارقاً مهما كان عمرهم ذكاء لا يستطيع أن يحصل عليه الشخص
الطبيعي، وصلت إلى المكتب بدلت ملابسي بسرعة ارتديت
السكراب الخاص بي البطاقة الشعار وتوجهت إلى القسم النفسي
الخاص بالمساجين وأشد وأخطر أنواع القتل والمختلين، دخلت
عبر البوابة، القسم بالطبع يديره الحرس من فئة الشرطة السوداء
وهم مختصون في هذا المجال الممرات البيضاء هادئة لكن داخل
الغرف ضجيج وحنون لا مثيل لهما الأطباء الذين تتوزع مكاتبهم
في كل زاوية أستطيع رؤية سحابة سوداء أو ظلال حولهم بسبب
الأهوال التي لطالما نسمعها ونراها من هؤلاء المختلين، رأيت
كالعادة مدير القسم البروفسور والطبيب «سامويل» رأيت قادمًا عبر
الممر مع فريقه الطبي بابتسامته المعتادة متوجهاً إلي ما أن وصل

أخفى ابتسامته بسرعة بالطبع لأنه لا يحبني وكان من أوائل الراضين أن أنتقل من السجن إلى هنا رغم أنه أكبر مني سنًا بكثير ولديه الكثير من الترقيات والنجاحات وغيرها إلا أنه يشعر بالغيرة مني هذا لأن «ظل» وضعني مكان طالبه المفضل الذي كان يطمح أن يكون في مكاني قال بابتسامة مجاملة كالعادة:

- صباح الخير أيتها الطبيبة «ثيا» لقد سمعت بأنك ستتولين ذلك المريض رقم ٨؟

- صباح النور أيها البروفسور نعم بالطبع لقد طلبني بشكل خاص ويجب احترام طلبه بالطبع..

- وهل تظنين أنك قادرة على تولي شخصية مريض مراهق قتل والديه بشناعة بدون سبب؟ صدقيني إنه أصعب من البالغين..

قال بتهكم

- لا تقلق سأكون محل ثقة لعملي..

قال ضاحكاً بسخرية وهو يسير مبتعداً:

- بالفعل رأينا الثقة قبل خمسة أعوام أتمنى لك التوفيق وكوني على علم: لن أسمح بمريض من المستشفى الخاص بي يهرب..

أعترف بأن هذه السخرية والكلمات للأسف هي نقطة ضعفي ارتعشت يداي أحسست بالإهانة تذكرت جثة أخي المشوهة

تذكرت حيث رجال الشرطة الذين ماتوا كلهم في تلك الليلة.
زلت أعرف جيداً أن الجميع ما زالوا يسخرون مني رغم أنني
في هذا المجال لكن خطأ واحداً يلتفت إلي جميع الناس
ويظنون بحاسبتك على هذا الخطأ ولا يهتمون بقدر لاتب
الصحيحة التي في سجلك..

وصلت إلى الجناح الخاص بالمريض عادة في جلسة التردد
لا تقوم بتسجيل الجلسات لا عن طريق صوتي ولا كاميرا فقد
الجلسة الأولى التي تعتبر تعارفاً حتى تعطيمهم المزيد من الثقة
والأمان مضحك جداً: أشخاص لا يملكون أي قلب أو ضمير
وتعطيمهم الحكومة أماناً أكثر من الأشخاص الطبيعيين المحتجين
أكثر للأمان..

دخلت إلى الغرفة الخاصة بالجلسة عادة ما يكون هناك
حارسان خارج الباب وأيضاً يكون المريض أو السجين مقيداً
بالسلاسل، جلست على المقعد الخاص بي كنت أشعر بالتثنت
بسبب ذلك اللعين وكلماته حاولت أن أتففس وأهدأ سمعت
صوت السلاسل وسمعت صوت باب يفتح ووصل المريض مع
الحراس عادة من أول نظرة لي باتجاه المريض أستطيع أن أستشعر
بعض خصاله وصفاته لكن ما أن رأيت هذا الصبي شعرت
بالتثنت أكثر ذهني تشوش كان صيماً بعمر السابعة عشرة طوله
متوسط جسد نحيل بشرة قهوية شعر أسود مجعد ملامح حادة
وكأته أكبر من سنه أو أن الشر الذي بداخله جعل ملامحه مدمجة
عيناه سوداوان وامعتان أنف حاد طويل فم مزمووم صغير كان

يملك ندبة غريبة في رقبته لا أعرف إذا كانت من الطفولة أو الآن؟
كان من هيئته واضحاً أنه شاب هادئ جداً ليس عصبيّاً، ذكي،
هذا ما استنتجته فقط ظاهريّاً أما داخليّاً فكان من الواضح أن كل
شياطين العالم في رأسه..!

جلس على الكرسي المقابل لي تفصلنا طاولة بيضاء عليها
بعض الماء فقط:

- هل تحتاجين إلى شيء آخر أيتها الطبيبة؟؟

سألني أحد الحراس الذي قام بإيصاله

- لا، شكراً لك..

أجبتّه وأنا أفتح ملف المريض

- حسناً لديك عشر دقائق فقط وداعاً

خرج الحراس وتركوني مع المريض عادة في الجلسات
الأولى يكون المحققون المختصون بالقضية موجودين خلف
الغرفة لكن اليوم لم يكن يوجد أي أحد لم أستغرب لأن قضايا
كهذه بالنسبة لهم لا تشدهم وليس مهمّاً أن يكون مع مراهق قتل
والديه من شدة الضغط أو العنف أو غيرهما من الأسباب لأنه
أصلاً المراهق هنا لا يتم الحكم عليه إلا إذا بلغ التاسعة عشرة أو
العشرين حتى ويكون في هذه الحالة في المستشفى حتى يبلغ
هذه السن يقومون بنقله إلى السجن ومن الممكن أن يكون هناك
استئناف ليعطوا فرصة لهؤلاء الأطفال كما يسمونهم ولكنهم لا

يعرفون حقاً أن الأطفال أمثالهم أشد عدوانية من الشيطان، لكن
من النظرة الأولى علمت بأن هذا المراهق الذي اسمه «كريستيان»
لم يكن طفلاً عادياً أبداً ليس فقط لأنه قتل والديه بوحشية لكنه
كان أعمق وأخطر من ذلك..!

الاسم: «كريستيان كونسيد»

العمر: ١٧ عاماً

الوزن، الطول، والأشياء الأخرى

- لم تكمل دراسة الثانوية بسبب القضية رغم أنها كانت آخر
سنة لك، معدلك الدراسي مرتفع جداً دائماً وطوال حياتك
تحصل على امتياز مع شهادات التفوق تحصل على
المقاعد الأولى على البلاد وليس فقط على المدرسة،
تحب قراءة الكتب فقط ليست لديك هوايات أخرى! أليس
هذا صحيحاً؟

لم ينطق بكلمة واكتفى بالنظر إلي بنظرات غريبة مخيفة لم
أخف من كل القاتلين والمختلين الذين قابلتهم في حياتي لكن
تلبسني خوف شديد من نظرات هذا الطفل ولا أعرف السبب
حاولت أن لا أظهر له الخوف وهذه وظيفتنا بالطبع يجب ألا
نسمح للمرضى أن يخيفونا ويعرفوا أنهم يخيفوننا، بالنسبة لعدم
رده شيء طبيعي حيث أغلب المرضى لا يتحدثون في الدقائق
الأولى وحتى بعضهم لساعات وأيام، تنهدت وقررت أن أصوغ
السؤال بشكل آخر:

- ماذا عن الاسم وجميع المعلومات هل هي صحيحة أم أن هناك خطأ؟

لم يرد أيضاً وما زال مستمراً بالنظر إلي!

- حسناً يمكنك أن تلتزم الصمت بقدر ما تريد نحن نتفهم ذلك لكن أنا هنا لمساعدتك حتى تتخلص من شكوكك حول من أنت؟ ولماذا فعلت ذلك؟ وما هي حقيقتك؟ يجب أن تساعد نفسك حتى تحصل على حكم متساهل إذا كنت تريد ذلك علاوة على ذلك سمعت أنك أنت من قمت بطلبي بشكل خاص هل تعرفني؟؟

لم يفتح فمه بحرف واحد أيضاً

- حسناً لمعلوماتك أنا تخصصي يقتصر على القاتلين المتسلسلين رغم ذلك لبيت دعوتك إذا كنت لا ترغب بالحديث يؤسفني أن أخبرك بأنني مضطرة لتحويلك إلى مختص آخر لأن لدي الكثير من المرضى ينتظرونني..

حاولت أن أستفزه وأسحبه للحديث بهذه الطريقة وبالفعل نجحت حيث أغلقت الملف ومثلت أنني سأنهض وأخرج وأنا لن أفعل ذلك أصلاً لأنني ازداد فضولي حول هذا المريض ولا أرغب بأن أسلمه لمختص آخر:

- نعم..!

قال بصوت مبحوح وخافت..

- ماذا؟؟؟

سألته وأنا أضع الملف على الطاولة

استرسل في حديثه مرة أخرى:

- نعم.. أقصد أن المعلومات صحيحة لكن هناك خطأ واحدا!

- وما هو؟؟؟

- لدي هواية أخرى غير قراءة الكتب لكن اكتشفتها مؤخراً!

- حسناً وما هي سأقوم بتدوينها؟

- القتل..! أحب قتل الآخرين ورأيت أن أبدأ بقتل أمي وأبي
كتجربة أولى لي في ممارسة هذه الهواية..

قالها بعد أن سكت قليلاً واعتدل في جلسته هنا علمت بأن
اللعبة بدأت معه خصوصاً بعد ما قال هذه الكلمات بدت
نظراته لي ثاقبة أكثر وكأنه يرغب بأن يدخلني أكثر إلى عالمه
المختل الأسود:

- إذا أنت تقول بأنك قتلت والديك لهذا السبب؟ لأنك تريد
اكتساب هوايات ومواهب أخرى؟

سألته

- نعم..

أجاب ببرود

- ولماذا اخترت هذه الهواية بالذات؟؟؟

- لأنه أخبرني بذلك

- من؟؟

رفع يديه المقيدتين بصعوبة وأشار بأصبعه إلى خلفي:

- هو، إنه هناك خلفك

قالها بجدية

لا أخاف أبداً من هذه الأمور أو إذا تصرف المريض على هذا الشكل لأن لديهم عذرهم أنهم مجانيين ببساطة، لم ألتفت إلى الخلف لأنني معتادة على هذا الأسلوب وأكملت أسئلتني بلا مبالاة:

- إذا أنت تقول بأن هناك شخصاً خفياً حرصك على قتل والديك؟؟

لم يرد ولم يغير حركته ما زال ينظر إلى المساحة التي خلفي وهو يشير بأصبعه نحوها..

- حسناً إذا أخبرني كيف كانت معاملة والديك لك؟

لم يرد أيضاً وما زال حرفياً على حركته متجمداً وكأنه منوم مغناطيسياً كان متصلباً بالحركة نفسها وهو يشير بأصبعه خلفي وينظر إلى ذلك المكان بدون أن يرمش حتى كان متصلباً برعب شعرت بالتوتر لكنني ما زلت أحاول أن أخفيه لا أرغب بالالتفات لمجاراته في هلاوسه يجب أن نقنع المريض من البداية بأنه لا يوجد أشخاص خفيون كما يقولون:

- حسناً انتهت العشر الدقائق سأعتبر هذه الجلسة كجلسة مقدمة سأعود لك بعد يومين وحتى ذلك الوقت أتمنى أن تستعد لإخباري بالكثير لأنك لو استمررت بالمماطلة سيتم نقلك إلى أخصائي آخر..

ما زال على حاله متجمداً بحركة واحدة بدون مبالغة!! وأنا ما زلت أتماسك ولا أظهر خوفاً لن أسمح له بأن يسحبني بالأعيرة، أغلقت الملف وحملته في يدي ونهضت من على الكرسي نظرت إليه وهو ما زال بالحركة نفسها يشير إلى خلفي وعندما التفت نحو الباب لأغادر الغرفة هنا لمحت أحداً ما يقف في وجهي بشكل سريع! شهقت وصعقت رمشت عيني بسرعة وفتحتهما لم يكن هناك أي أحد سوى الباب أمامي!!؟

حاولت أن أتمالك أنفاسي بدأت يداي بالارتعاش قلبي يخفق بشدة قمت بالالتفات بهدوء نحو كريستيان إذ رأيت غير حركته لم يعد يشير إلى خلفي وجلس باعتدال وهو مبتسم، انفتح الباب وأنا ما زلت أنظر إليه برهبة:

- انتهى وقت الجلسة أيتها الطيبة..

قال الحارس

مع صوت الحارس شعرت بأنه صفعني لكي أستيقظ من العالم الذي أدخلني فيه هذا المراهق المختل لا جديد مع كل مجرم وقاتل أدخل عالماً جديداً لكن كنت أعرف أن هذا المراهق سيكون لي أسوأ من القاتل «الكابوس»!..!

«ظل»

- تبدو وسيماً وأنيقاً اليوم بزيادة

قالها لي «ستيفان» بعد أن دخلت إلى المشرحة في الساعة
التاسعة صباحاً،

- ما الجديد؟؟؟

قلتها وأنا أضع القهوة على الطاولة وأخلع معطفي وأقوم
بتعليقه، ضحك ستيفان وهو يناولني الملف:- تعجبني ثقتك جداً، تفضل هذه المعلومات التي طلبتها
تحليل الأمراض السابقة للضحية والأدوية التي كان
يستخدمها وباقي التفاصيل..

- شكراً.. لكن لا أظن أنني أحتاجها بعد الآن..

- ماذا؟؟؟ لماذا؟ أنت من قمت بطلبها!!

سأل باستغراب..

- أعرف ذلك والآن قد غيرت رأيي دعنا نبدأ بالتشريح لكي
نتهي من هذه الجثة لدي الساعة الواحدة مساءً محاضرة
في الجامعة لذا يجب أن تنتهي..

- حسناً..

- أين «ألما» هل قدمت استقالتها؟؟؟

سألت بسخرية

- لا.. أنا هنا آسفة لتأخري..

دخلت ألما بتحدُّ أكبر علمت ذلك من توهجها اليوم وحماسها يبدو أنها جلست ليلة البارحة جلسة مصارحة مع نفسها واتخذت القرارات الصحيحة..

- رائع إذا أهلاً بك في فريقنا دعانا نبداً الآن..

استغرق التشريح ما يقارب أربع ساعات، انتهينا أخيراً وقت بتخطيط هذه الجثة التي يرثى لها كيف يمكن أنه تعذب في حياته وفي مماته وهو جثة أيضاً مسكين كم عانى الكثير..

- قم بإرسال الملف الآن وإرسال الجثة إلى الثلجة الأخرى..

قلت لستيفان وأنا أخلع ملابس التشريح

- إذا سينام في سلام سكان «موردين»

قالت ألما وهي تغلق كيس الجثة بعد أن أعدناها كما استلمناها

في كيس الجثث

- ماذا تقصدين؟؟

- أقصد أن الضحية ليست من ضحايا «الكابوس» وإنما

الجاني يبدو أنه شخص مقلد

- وأين يقبع النوم بسلام؟ ما زال ذلك السفاح يتجول براحة

منذ خمسة أعوام ولربما غير طريقة قتله لربما قتل الكثير

بدون أن يعرف أحد وربما لا يترك أثر الحلوى مثل السابق

علاوة على ذلك لا أظن أن أحداً قادر أن ينام بسلام في

هذا العالم لأن المختلفين والقاتلين في كل مكان لربما
واحد بيننا حتى ولربما «ستيفان» مثلاً..

قلت مازحاً..

ضحك ستيفان وهو يقول:

- أي قاتل سيخاف من الفئران؟؟

- كل شخص في هذه الحياة لديه مخاوف صدقني حتى
القتلة المختلفون لديهم مخاوف وهذه المخاوف هي
السبب الأول لإيصالهم لهذه الحالة حسناً انتهى يومنا هنا
ارتاحا كثيراً أراكما الأسبوع المقبل..

خرجت من المستشفى بعد أن اتضح أن الضحية ليست
للكابوس ولا يمكن أن تكون له بأي حال من الأحوال، لأن الجثة
ملئمة بالأخطاء طريقة الموت ليست نفسها الخنق لا يستخدم
الكابوس الموت الرحيم أبداً على ضحاياه فهو يفضل أن يموتوا
من العذاب، الجثة مشوهة بطريقة عشوائية جداً من الواضح أنه
قاتل مبتدئ أو حتى لا أستبعد أن هذه أول جريمة له، أيضاً السبب
الثالث الذي جعلني أستبعد أنه الكابوس كان في بعض أصابع
الجثة وبعض قطع ملابسه أثر لزبدة الفول السوداني لكن لم نجد
في معدته أو حلقه أو داخل جسده أثراً للفول السوداني كان أثراً
خارجياً وكأنه لطخ بطريق الخطأ عندما كان القاتل يأكل ويقوم
بتعذيب الجثة هنا القاتل كان يأكل زبدة الفول السوداني والكابوس
أو آرلند فرانكلين عندما تمَّ سجنه وإجراء جميع التحليل له اتضح

أنه يعاني من حساسية مفرطة وعالية الشدة من الفول السوداني أي إنه حتى لا يستطيع تحمل رائحته ويتأثر من الرائحة فقط هذه حساسية من الدرجة الأولى لذلك من المستحيل أن يكون من الجاني أتساءل من يكون هذا؟ بالطبع شخص مقلد تالف ولكن السؤال الأهم: أين هو الكابوس طوال هذه السنوات ١٢٢

- « مساء الخير حبيبي بعد أن تنتهي من محاضرتك لا تنس أن لديك جلسة اليوم أراك الساعة الثالثة عصراً »

وصلتني هذه الرسالة من « ثيا » هذا جميل إذاً ثيا لا تعرف أي شيء عن هذه الجثة والخبر لم ينتشر ولله الحمد بالطبع أصلاً علمت لكنت أنت راقضة واقتحمت المشرحة، وصلت إلى الجامعة توجهت إلى أحد المقاهي التي في كلية الفنون أحب أن أشرب القهوة هناك فهذا المبنى يبدو وكأنه تحفة فنية أحب العمل هنا كثيراً مثل حبي للعمل في المشرحة وأخذت أثار للجثث التي تحت يدي أستطيع مساعدتهم بمعرفة من هو القاتل لذلك أشعر بأن الجثث ممتنة لي كما أن هذه العقول في الجامعة الذين أقوم بإعطائهم هذا الفن ممتنون لي، مبنى أو كلية الفنون في جامعة « يلسون » لديه طابع وتصميم فكتوري مع حضاري جدرانه الزجاجية الشمس التي تخترقه من كل مكان الأرضية البلاطية العاكسة جمال هذا المبنى مع السقف الشفاف اللوحات المرصعة في كل مكان المجسمات العملاقة والنباتات الخضراء الشاشات الإلكترونية التي تستعرض سيراً ذاتية لأشهر الشخصيات في العالم من الرسامين والفنانين وجميع المختصين في هذا المجال،

المعارض الإلكترونية على الشاشات تعرض الإعلانات وغيرها، الكثير من المكاتب والفصول الدراسية والمكتبة والمقاهي، انتهيت من شرب القهوة وتوجهت إلى القاعة الدراسية كانت قد امتلأت من الطلاب فدائماً في محاضراتي لا أحد يدخل بعدي خوفاً مني وحماساً لاستقبال دروس جديدة ومعلومات أكثر في الفن المظلم..

- مساء الخير..

- مساء النور يا بروفيسور..

هل تعرفون ما هو درس اليوم؟

- نعم

- لديكم معلومات عنه؟؟

عمّ الصمت في القاعة

- حسناً إذاً هذا جيد لأنني لا أحب أن تأخذوا المعلومات من قوئل الأفضل أن تأخذوها بمنظور مختلف وبعقل مختلف، اليوم سندرس أو سنغوص في حقيقة هذه اللوحة إحدى اللوحات والرسومات المشهورة في العالم وهي:

عرضت الرسمة على الشاشة الضخمة وكانت «وقطع داود رأس جالوت» للرسام الإيطالي «كارافاجيو»..



«الفصل التاسع»

«وقطع داود رأسه جالوت»

١٩٩١ م.

«رأيت رأسي يتدحرج بجانب قدمي والغريب أنني ما زلت أرى هذا المشهد من الأعلى وكأنني أملك عينين أخريين معلقتين في الفراغ!»

شعرت عندما استيقظت بعد هذا الكابوس المرعب والغريب فجأة أرى رأسي انقطع وانفصل عن جسدي ولا أعرف السبب؟ أبحث عن أبي أين هو؟ أرى نفسي في المغسلة نعم إنها مغسلة الموتى مكان عمل أبي! تذكرت لقد كنت في المنزل أرغب بأن أذهب إلى المغسلة بعد أن عدت إلى المنزل من المدرسة وحدي لكن كيف وصلت إلى هنا؟ أنا لا أتذكر حقاً؟ لقد كنت في البيت أنا واثق وسمعت صوت ضربة في الحائط وبعدها ماذا؟! لا شيء..

نهضت من على الكرسي الذي كنت نائماً عليه رأيت معطف أبي فوقي هذا يعني أن أبي أحضرني إلى هنا لكن لماذا لا أتذكر؟ كنت أشعر بالبرودة والهدوء المرعب أنا حقاً في

مغسلة الأموات هذه أول مرة آتي إلى هنا لأنني بالطبع ليس لدي مكان ولا أحد ليعتني بي بعد هجر أمي لنا وأساساً لم تكن تعتني بي يوماً لكن كانت تبقى كرفيق في المنزل معي الآن لا أملك أحداً سوى أبي وهو مضطر أن يأخذني معه لكل مكان، سمعت صوتاً خارج الغرفة تقدمت إلى الباب وفتحته أخرجت رأسي لأرى غرفة دائرية بجدران بيضاء مائلة للرمادي بها حجرة مرتفعة مستقيمة في المنتصف وكأنها سرير وفوقها شخص مستلقٍ مغطىً بقماش أبيض أو أنها جثة!! تقدمت بخطوات بطيئة لم يكن في قلبي أي خوف على قدر ما كان فيه فضول كنت قصيراً على الحجرة التي يستلقي عليها الميت لكنني كنت أستطيع أن أصل إليه وأراه بشكل واضح مددت يدي نحو الجثة وهنا بدأت بالارتعاش لكنني عازم على أن أرى أول جثة في حياتي، وقفت على أصابع أقدامي أحاول أن أرفع نفسي أكثر وصلت أطراف أصابع يدي إلى القماش الأبيض سحبته بهدوء وبيطاء أسحب أسحب حتى أخيراً أزلت القماش كله من على الجثة وعندما وقع القماش أرضاً وقع رأس الجثة مع القماش على الأرض وتدحرج حتى وصل عند أقدامي!!

هنا أصبت بالصدمة الصدمة التي لم تجعلني أصرخ ولا أهرب ولا أغمض عيني بل بقيت مبجلقاً بعيني في رأس الجثة وهو يبطلق في شكل مباشر لدرجة شعرت بأنه قاصد وأنه يريد أن يتحدث معي فجأة انفتح الباب:

- «ظل»!! ماذا تفعل هنا؟

قال أبي وهو يهرع نحو الرأس ويلتقطه ويعيده إلى مكانه
والتقط القماش الأبيض وأعادته فوق الجثة، ثم تقدم نحوي
وأمسك بيدي وسحبني نحو الغرفة:

- ما الذي جرى لك؟ هذه أول مرة تقوم بالتصرف من
دون إذني؟

- آسف يا أبي لكن..

- لكن ماذا؟؟؟

- رأيت كابوساً غريباً وكأنه هذا المشهد نفسه! كنت فضولياً
فحسب..

- فضولياً تجاه ماذا؟؟؟

سأل وهو يمسح على شعري وكأنه يرغب في الإجابة التي
يريد أن يسمعها

- تجاه أن أرى.. أن أرى جثة كنت أريد أن أرى هؤلاء الذين
تعمل ليلاً ونهاراً من أجلهم

ابتسم وكأنه سمع الإجابة التي ترضيه ثم قام باحتضاني:

- حسناً لن أوبخك على هذا لكن سأوبخك على قدومك
إلى هنا سيراً ثم فقدت الوعي من شدة الإعياء والجوع
أحضرك أحد العاملين هنا بعد أن تعرف عليك بأنك ابني

آه يا ظلي لماذا فعلت ذلك؟ ماذا إن حدث لك شيء سيء؟ ماذا سأفعل أنا؟؟

إذاً هذا ما حدث معي! لكن لا أتذكر أنني خرجت من المنزل؟:

- أنا أعتذر يا أبي لقد خرجت من المدرسة مبكراً لذلك ذهبت إلى المنزل كنت أخشى أن تذهب إلى المدرسة وتتعب بدون فائدة لذلك كنت أرغب بالقدوم إلى هنا لأخبرك بأنني خرجت من المدرسة..

- حسناً لا بأس تعال الآن اجلس هنا سأحضر لك طعاماً لقد أعطاني أحد العاملين واحتفظت به لأجلك..

أحضر أبي طبقاً به حساء مع قرص خبز ووضعته أمامي:

- هيا تناوله كله..

كنت أتضور جوعاً لذلك بدأت بالأكل وأبي يراقبني كالعادة مبتسماً كان أبي لا يأكل كثيراً بسبب أنه يضحى بالطعام الذي نحصله لأجلي أحياناً كان لا يأكل لمدة أسبوع أو أسبوعين ولكن رغم ذلك لا ينهار وهو قوي البنية أيضاً كنت أقول إن الله يجبه بالتأكيد لذلك هو يحافظ عليه:

- أنا أعتني بالموتى..

قال بابتسامة وكأنه سمع أفكارني:

- ماذا؟

سألته

- أنا أعتني بالموتى لذلك الله يعتني بي علينا أن نكون
جيدين وصالحين في هذه الحياة لكي يعتني بنا الله جيداً
ويحمينا من كل شيء حتى من الجوع والفقر..

أجاب

من وقتها لم تفارق كلماته ذهني لهذا أنا الآن شخص ناجح
لدي أموال طائلة أسافر إلى كل مكان لدي عشرات المواهب
الجميع يقدرونني ويحترمونني أعيش الحياة التي حلمت بها
وأكثر هذا لأنني أعتني بالموتى الله يعتني بي..

- أبي لدي سؤال؟؟

قلت له وأنا ما زلت غارقاً بتناول الطعام

- ما هو تفضل؟

- لماذا تلك الجثة في الخارج رأسها مقطوع؟؟

- لأنه قتل أشخاصاً..

- ماذا؟

- هذا الرجل يا بني قاتل وقتل الكثير من الأشخاص وعندما
أمسكت به السلطات أخيراً تم الحكم عليه بالإعدام

والإعدام يعني الموت بقطع الرأس..

- وهل أنت من قمت بقطع رأسه؟؟

سكت قليلاً وكأنه كان متردداً بعض الشيء:

- لا.. هناك مختص يقوم بذلك

- وهل ستقومون بدفنه هكذا؟؟

- بالطبع هذا عقابه..

- إذا لماذا تقوم بغسله والاعتناء به؟ إنه شرير يا بابا؟؟

أجاب ضاحكاً:

- بالطبع هو شرير قبل الموت ولكن بعد الموت لا أحد

يعرف ما الذي سيفعله وأين سيكون وكيف سيكون؟

وكيف سيعاقبه الله، ونحن يجب أن نقوم بدفنه فقط وعمل

الطقوس كالعادة على أي ميت... والآن تابع أكل طعامك

بعد أن تنهيه هذه حقبة دروسك قم بالدراسة جيداً..

- حسناً يا أبي..

خرج أبي وتركني أكمل طعامي لكن منذ تلك اللحظة التي

حدثت قبل قليل منذ أن رأيت جثة وتدخرج رأسها أمامي لم أعد

قادراً على السيطرة على فضولي تجاه هذا العالم، سمعت صوت

ماء علمت بأن أبي بدأ بغسل الجثة أحاول أن أكبت فضولي لكنه

تغلب علي أحاول أن أتجاهل الأصوات لكنني لم أستطع نظرت

إلى الصحن رأيت أنه أصبح فارغاً تناولت الحساء كله بسرعة

ليس بسبب الجوع بل بسبب استعجالي لأنني أرغب باختلاس

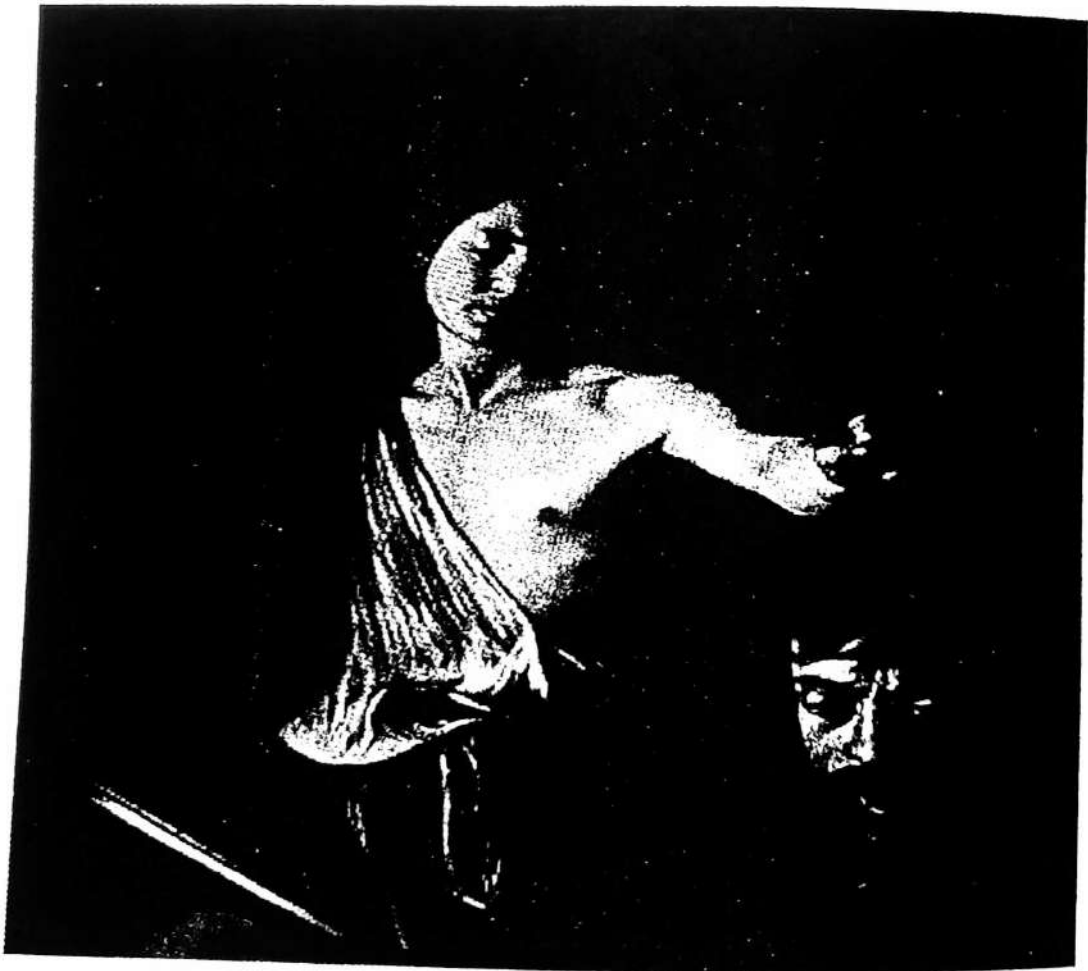
النظر وبالفعل نهضت وتوجهت نحو الباب وضعت عيني في

فتحة الباب وهنا رأيت أبي يقوم بغسل الجثة لكن رأسه كان

موضوعاً على جنب وحده بعد أن انتهى أبي من غسل الجثة قام بتغطيتها بالقماش الأبيض بعدها توجه إلى الرأس وقام بالتقاطه رفع الرأس قريباً من وجهه ثم لمس وجه الرأس تحسسه وقال:

- «مناسب» !!

وضع الرأس في حقيبتته وأغلقها استغربت كثيراً لماذا أبي قام بسرقة رأس الرجل؟؟



Davide con testa di Golia

هي لوحة إيطالية باروكية مرسومة من قبل الرسام الإيطالي كارافاجي

الحاضر:

- إذاً هذه هي المرة الأولى لك التي تنظر فيها إلى داود
يمسك برأس جالوت فقدرة هذه اللحظة، لأن الطريقة التي
ستشاهدها بها وتستمع بها وتقدرها ستغير نظرتك إلى
الأبد بمجرد معرفة المزيد عنها..

أولاً دعونا ننظر إليها ببراءة:

إنها تظهر لحظة الانتصار في القصة الكتابية عن داود وجالوت،
حيث يحمل داود منتصراً رأس جالوت المقطوع بعد أن قتله، إنها
تحفة فنية لكارافاجيو، الذي سمعتم عنه بالتأكيد من قبل لقد
استخدم في الرسم أسلوب الضوء والظل أو استخدم التباين
العالي بين الضوء والظلام..

يعد تصوير وتخيل كارافاجيو لقصة داود وجالوت فريداً تماماً،
ليس فقط في التفاصيل الدموية، ولكن أيضاً في الحقيقة إنه
خارج السياق تماماً..

كما تشاهدون تكون الخلفية داكنة مما يؤدي إلى عزل
الأهداف في لحظة مسرحية يتم التركيز عليها من خلال الإضاءة
القاسية، يقود التكوين أعيننا إلى رأس جالوت المقطوع، سواء
كان ذلك من خلال نظرة داود أو من خلال الخطوط الرئيسة في
اللوحة، يمكنك القول بأن الموضوع الرئيس لهذه اللوحة ليس
انتصار داود بل موت جالوت.

رأسه هو ما يبرز وهو الموضوع الرئيس في الإطار وهو ما
يمكن أن تستخلصه من هذه اللوحة، عيناه نصف مفتوحتين

وكذلك فمه، جبينه النازف من هدف داود عندما رماه بالحجر لا يزال متجعداً ومعتصراً من الألم! رأس جالوت واقعي بشكل صادم وقد يؤدي إلى رد فعل داود تجاهه برد فعل أقوى، لكن من الملامح والتعابير هنا يبدو داود رحيماً كما لو كان يشفق على جالوت، إنه لا يبدو وكأنه بطل عظيم هزم للتو عدواً رهيباً يبدو حزيناً وليس منتصراً! إن تعاطف داود يحوله من محارب منتصر إلى شخصية تشبه المسيح الذي يشعر بالأسف على ضحاياه..

الآن بعد أن القينا نظرة فاحصة على اللوحة دعونا نرَ في أي سياق تم إنتاجها، ومن أجل من تم إنتاجها؟ وما الذي تصوره؟

لنبدأ بحقيقة أن كارافاجيو عندما رسم هذه اللوحة كان هارباً! كان معروفاً بشرب الخمر والشجار والاعتداء على الناس، في مايو ١٦٠٦ م، قتل رانوكيو توماسوني وفقاً لمؤرخ الفن أندرو جراهام ديكسون على يد كارافاجيو

كان من المقرر أن يقطع رأس الفنان الشهير كارافاجيو لكن هذه لم تكن المرة الأولى التي يواجه فيها مشكلة مع القانون كان غالباً ما يهرب من المشكلات من خلال علاقاته مع السلطات، وأحياناً عن طريق التبرع باللوحات، ومع ذلك قد يكون الإفلات من جريمة القتل أمراً صعباً للغاية وكان على كارافاجيو الفرار من روما قبل القبض عليه كانت خطته هي رشوة نفسه للتخلص من عقوبة الإعدام وستكون هذه اللوحة هي بطاقة الخروج من السجن مجاناً. لقد تبرع بها إلى الكاردينال المؤثر والقوي وذي السلطة «سكيبون بورغيزي» ثم رسم هذه اللوحة وأرسلها إلى الكاردينال ليطلب الرحمة

والمغفرة، أولاً من المهم ملاحظته أن وجه جالوت تم رسمه وتصميمه على غرار كارافاجيو هذه صورة شخصية لقد رسمه بملامحه أنفسها مشابهاً له كارافاجيو يرسم نفسه كرجل مقطوع الرأس! ربما كان ذلك لإظهار التواضع فالسيف الذي استخدم لقتله يحمل نقش H-AS OS، والذي يمكن تفسيره على أنه الأحرف الأولى من اللاتينية لعبارة «التواضع يقتل الكبرياء» تم قطع رأس كارافاجيو روحياً من خلال هذه اللوحة، على يد شخصية تشبه المسيح، كان هذا العمل المتواضع رسم نفسك ميتاً محاولة يائسة من جانب كارافاجيو لإنقاذ حياته.. كانت محاولة كارافاجيو غير مجدية ليس لأنها لم تنجح وانتهى الأمر بالعفو عنه، ولكن لأنه توفي أثناء عودته إلى روما توفي عن عمر يناهز ٣٨ عاماً في ظروف مجهولة عام ١٦١٠ م، ويقول البعض إنه قتل، والبعض يقول إنه مات بسبب الحمى، ويقول البعض بسبب التسمم بالرصاص، إن داود مع رأس جالوت هي لوحة قوية وفي حد ذاتها فهي تحتوي على تباين دراماتيكي قوي وإضاءة مسرحية وتركيبية مقنعة وموضوع مروع ومشاعر دقيقة..

ومع ذلك هذه ليست الأسباب التي تجعلني أحب هذه اللوحة! إنها بالتأكيد تجعل اللوحة رائعة ولكن قوة اللوحة تأتي من غرضها إنها صورة شخصية كرجل مقطوع الرأس، إنه الدليل المادي على رجل مرعوب يتوسل بشدة للحصول على الرحمة.. الآن عندما تنظرون إلى هذه اللوحة لن تفكروا أبداً باعتبارها تصويراً لداود وجالوت، قد تفكرون في قلق كارافاجيو الذي يغذي هذه اللوحة، وما الذي يجعل هذه اللوحة أقوى من ذلك؟

حقيقة أن كارافاجيو قد غرس ببراعة معاناته الشخصية في اللوحة التي طغت على القصة التي كان من المفترض أن تمثلها..
انتهينا..

انتهيت من المحاضرة وبدأت الأسئلة تتوافد بحماس كالمطر:
- بروفيسور لكن من المعروف أن داود قتل جالوت برمي
حجرة عليه وليس بقطع الرأس؟!
- هل كنت نائماً أثناء المحاضرة؟؟
سألته

ضحك الطلاب ثم استرسلت في حديثي:
- بالطبع لقد ذكرت ذلك لقد مات جالوت متأثراً بالحجرة
التي رماها عليه داود وبعد أن مات قطع رأسه..
- من برأيك قتل الرسام كارافاجيو؟؟ ألم يعرفوا ذلك؟

سؤال آخر

- حسناً بالنسبة لقتل الرسام اختلف الكثير وظهرت أقوال كثيرة
حول موته ولكن في نهاية الأمر كان يستحق ذلك لأنه كان
يؤذي الناس ولا يحصل على العقاب بسبب سلطته وثرائه..
انتهى وقت المحاضرة وخرجت من القاعة كانت الساعة الثانية
والنصف مساءً لذلك توجهت إلى المستشفى إلى مكتب ثيا بما
أنني اليوم لدي جلسة، وصلت إلى هناك مبكراً بما أن المستشفى
قريب جداً من الجامعة، دخلت إلى مكتبها لكنني لم أجدها هناك

انتظرتها كالعادة لكنني لمحت ملفاً أثار فضولي فوق مكتبها كان مفتوحاً التقطت الملف كان به صورة شاب مراهق ولكن داخله شيطان هذا ما يوحي من نظراته الحادة التي تكاد تخترق الصورة

انفتح الباب دخلت ثيابا بتسامتها المشرقة كالعادة رغم أنها تعيش في وسط مجانين، ورائحتها التي تشبه زهور الكرز إنه العطر المفضل لديها:

- أنت هنا لقد وصلت مبكراً آسفة إذا تأخرت

قالت وهي تأخذني إلى أحضانها شعرت بأنها التهمتني في حضنها هذا وبكل مرة تحتضنني بقوة وتدخلني إلى داخلها أعرف أنها ليست بخير:

- هل أنتِ بخير؟ ما الذي حدث؟

سألها

- لا شيء أنا بخير لكن كنت مشتاقة إليك فحسب..

أجابت وهي تغادر حضني

- الآن يجب أن نبدأ الجلسة أليس كذلك؟ استرسلت في حديثها وهي تتوجه إلى المقعد الخاص بها

- أعلم بأنك تكذبين علي تعرفين أنني أستطيع قراءة عينيك عندما تكذبين، والآن أخبريني ما الذي حدث؟

أصررت عليها كالعادة كنت أظن أنها علمت بشأن موضوع تلك الجثة..

- أرجوك «يا ظلي» دعنا أولاً ننته من الجلسة ثم سأخبرك حسناً؟
- حسناً إذاً أنا لن أقوم بأي جلسة..
- قلت بإصرار أعلم بأنها ستستسلم في نهاية الأمر وتخبرني
- لماذا أنت عنيد؟ حسناً سأخبرك لا يوجد أي شيء يستحق أن يذكر لكن؟؟ لا أعرف ما الذي أقوله ذلك الشاب أقصد المريض الجديد الذي كنت قبل قليل تمسك بملفه..
- نعم ما خطبه هل هو جديد؟ ما هي جريمته؟
- لقد قتل والديه بشكل بشع وهذا بالطبع ليس شيئاً جديداً بل يحدث كثيراً هذه الأيام لكن هناك شيء في ذلك الصبي لا أعرف ما هو؟! إنه يتسلل إلى عقلي..
- نهضت من على مقعدي وتوجهت إلى ثيابي أمسكت بيديها:
- يا حبيبي يبدو أنك تعانين من ضغط في العمل فقط وإرهاق لذلك أنا أظن أنه يجب أن تأخذي إجازة لم تأخذي أي إجازة هذا العام يجب أن ترتاحي بين الحين والآخر فعقل الإنسان مهياً للجنون دائماً وإذا تم إهماله فسيغرق في متاهات الجنون..
- شكراً على هذه النصيحة الحنونة..
- قالت بسخرية
- أكملت ضاحكاً:
- يجب أن أكون صريحاً بعض الأحيان لكي تخافي وتنتهي إلى صحتك..

- أنت محق الصراحة تخيفنا بعض الأحيان، أنا بخير
أنت محق لربما أحتاج إلى راحة لذا أولاً دعنا ننته
من جلستك..

فتحت ملفي الأخير أو ملفي المئة لديها دائماً ما تحاول نيا
جاهدة أن تخبرني بأقل الأضرار في صحي النفسية لكنها تفشل
يجعلها الامر دائماً متوترة ومشتتة لهذا الجميع يخبرونها أنه ليس
من الجيد ولا من المهنية أن تعالج شخصاً تحبه أو تعرفه شخصياً
وأنا أعلم بأنها تعاني لكنني مصر لأنني إذا ذهبت إلى غيرها
فلربما يكتشف أشياء أخرى لا أرغب بانكشافها للعالم..

- انظر لقد تحدثنا سابقاً عن أدويتك يبدو أنها تجدي نفعاً
لكن أخبرني عن الأرق؟

- لم يتغير أبداً إن الأرق يرفض التخلي عني أنام في اليوم
فقط ثلاث ساعات أو أربعاً..

- لا بأس سنحاول أن نعمل على هذه المشكلة لكن...
عندما تقول لكن وتسكت أعرف أن هناك مشكلة جديدة في
روحي ولكنها دائماً ما تشعر بالاستياء عندما تخبرني لو أنني
مريض لا تعرفه فبالطبع ستخبره بكل أريحية..

- ماذا هناك «يا شمسي»؟؟

سألها

أجابت بابتسامة:

- أخبرتك ألا تناديني هكذا في ساعات العمل..

- لا أهتم..
- حسناً انظر بعد آخر اختبار أجرته لك اتضح أن لديك حالة تسمى «ALEXITHYMIA»..

- وما هذه أيضاً؟

سألت بدون مبالاة

- إنها حالة لا يستطيع فيها الشخص أن يصف مشاعره أو ما يشعر أو حتى ردات الفعل تجاه الناس أو الذين حوله فتجده دائماً غير مهتم لأي شيء في هذه الحياة حتى هو لا يشعر بهذا الشيء أبداً..

أجابت بحزن لكنها حاولت أن تجعل الأمر إيجابياً:

- لكن لا تقلق هذه الحالة لا تستمر طويلاً

- لقد شخصتِ حالتني للتو بأنني لا أشعر كيف تظنين أنني قلق إذا؟

أحدث الموضوع صمتاً بيننا ثم حاولت أن أتدارك الموقف:

- أنا آسف إذا جعلتك تشعرين بالسوء

- لا عليك لكن أنا خائفة..

- خائفة من ماذا؟؟

سألتها

- خائفة أن تفقد وتضيع مشاعرك تجاهي يا ظل..!

أجابت بخنقة

أمسكت يديها:

- لا تخافي يا ثيا أنا أصلاً مشاعري وأحاسيسي منذ الطفولة وهي مفقودة لكنني اكتشفت أنك أنت من قمت بسرقتها، مهما اختفت مشاعري تجاه الناس ستظهر أمامك فقط..

- أحبك يا ظل..

احتضنتها فقط بدون أن أقول لها وأنا أيضاً ولا أعرف لماذا؟ هي محقة لا أستطيع أبداً أن أظهر مشاعري بكل سهولة أنا حتى لا أقول لنفسي بأني أحبها! متى آخر مرة نطقت هذه الكلمة لا أعرف؟ لكنني أحب ثيا أحبها من أعماق قلبي المتحجر فحبها الوحيد القادر على إخلال توازني أنا لا أريد أن يكون لدي أي نقطة ضعف في هذه الحياة لكن لدي ثيا هي نقطة ضعفي وقوتي في آن واحد، أريد ولو مرة واحدة أن أعبر لها عن مدى حبي لها لكن لا أستطيع هناك شيء يمنعني هناك شيء يسكتني هناك شيء يخنقني وحقن ثيا هو المنقذ الوحيد لي..

أفكر دائماً ما الذي أخبرها؟ وكيف أصوغ حبي لها؟ هل أخبرها أنني أحبها بعدد القبور التي قمت بزيارتها ونبشها؟ أم أخبرها بأني أحبها بقدر حبي للجثث؟ أو أنني أحب الجثث أكثر منها؟ أو أخبرها بأنها الشيء الوحيد الحي في حياتي الذي أحبه وأن جميع من حولي أموات؟! أو أن الحب بالنسبة لي كالحياة ليست الحياة الطبيعية بل كالحياة بين الجثث؟ أو أخبرها بأن مشاعري انتهت لأنني وزعتها على جميع الأموات وأنا غير نادم على ذلك إنهم يستحقون؟..



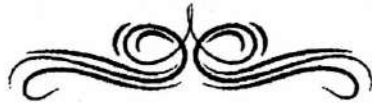
تناولت العشاء مع ثيا بعدها عدت إلى المنزل كان يوماً طويلاً
 عندما يكون لدي وظيفتان لكنني حرصت على العودة مبكراً،
 جلست مع أبي قليلاً بعد أن تحممت وصنعت له حساء الروبيان،
 قرأت له كتاباً كالعادة وجعلته يرتاح لم أخبر أبي بالمرض الجديد
 الذي انضاف إلى قائمة أمراضه لا أريد لأبي أن يفكر كثيراً ولا
 يحمل عبء همي، كنت أرغب بالذهاب إلى الجانب الآخر من
 القصر وأذهب إلى الاستديو لكن وصلت لي رسالة على هاتفي
 جعلتني أذهب ركضاً وأستغل هذه الفرصة التي لا تقدر بثمن:

مرحباً أيها البروفسور أنا «لورنس» إذا كنت تتذكرني شكراً لك
 على اهتمامك بي طوال هذه الفترة ودفع فواتير علاجي وأنا
 أعتذر أنك خسرت دون فائدة على كل الأحوال أنت تعرف جيداً
 أنني لا أملك أي أحد في هذا العالم لهذا أنا غادرت المستشفى
 بعد أن قلت لنفسي أو الأطباء أخبروني بشكل غير مباشر أنني
 أخذ حيزاً وسريراً بدون فائدة على كل أنا سأموت خلال هذا
 الأسبوع لكنني قررت أن أنتحر لأنني لم أعد أحتمل ألم السرطان
 إنه ينهش لحمي تعبت من انتظار الموت إنه قادم لا محالة لكنه
 بطيء متى سيصل؟ لا أعلم لذلك سأعمل على تسريعه وسأقتل
 نفسي ليس لدي أحد غيرك أخبره أخاف أن تتعفن جثتي في
 شقتي الرثة لذلك تعال وأخرجها لا أطلب بجنازة مرموقة أو قبر
 مرموق الأهم أن تخرجها من الشقة وشكراً لك على كل شيء..



«شياطيني تعمل في نوبة المقبرة أعيش يومي بلا وزن
وحرّاً ولكن عندما يأتي الليل تنتظرني شياطيني بالسلاسل
جاهزة وسعيدة لسحبي وأحلامي بعيداً»..

«شخص مفتون بالجنث»





«الفصل العاشر»

«هناك دبابيس في وسادتي»

أعيش أياماً بلا نوم ضوء القمر الباهر كله ساطع في أيامي كلها وكأنه يسخر من مخاوفي الواضحة ويقشر أحلام اليقظة الهادئة ويطاردني ويشيرني ويزعجني ويحرق جدرانها كلها ويتركني أشعر بالخوف من الليلة التالية لكن لماذا أشعر بالخوف؟ ومن ماذا أشعر بالخوف؟ كل مخاوفي هي أن لا أحقق حلمي البسيط حلمي الذي يشعرنني بالأمان لا أرغب بأن أكون وحيداً أرغب بأن أعيش وحولي العديد من الجثث..

إن الفنون في هذا العالم لا حصر لها مهما تعمقت في هذا المجال لا تنتهي أبداً ستشعر أنه بدون نهاية على عكس المجالات الأخرى لكن بالنسبة لي كنت أرغب بشيء جديد شيء مختلف لا أحب أن أكون مثل الآخرين لا أحب أن أشبههم حتى، أردت أن أخترع فناً جديداً لا وجود له في العالم فناً نادراً فناً غير مرغوب به ومحرم! لكن لا بأس أنا سأفعلها وفعلتها سأضع بصمتي في هذا العالم وسأؤسس أول متحف في العالم «لفن الجثث» أو ربما ليس متحفاً فقط بل مملكة كاملة..

وفي تلك الليلة الممطرة المظلمة الموحشة ذهبت إلى منزله منزل «لورنس» كان هذا الشاب يعاني من السرطان في الدم فقيراً جداً مقطوعاً من شجرة وحتى إثباتاً أو هوية للعلاج كان لا يملك قمت بالتعرف عليه عن طريق المصادفة قبل عام تقريباً لذلك قمت بمساعدته بالطبع إنني أحب مساعدة الآخرين وخصوصاً الفقراء يذكرني ذلك بحياتي أنا ووالدي سابقاً، يبدو أن وقته انتهى والأطباء قاموا بإخباره بالفعل بأن العلاج لا يؤتي أي نتيجة، وصلت إلى منزله الذي كان في حي متهاك يعج بالظلمة والوحشة والفقر والجوع دخلته بسبب أن بابه متهاك أو أنه هو لم يعد يهتم ويقوم بإغلاق الباب لأن حياته على المحك ولا تفرق إذا دخل شخص ما وقام بقتله ما أن دخلت رأيتة يستلقي على سريرته المتعفن وهو الذي بدا كجثة متعفنة كجثة لا يوجد لديها أي ملامح للحياة تقدمت إليه خطوة بخطوة وكأنني الموت لكنه كان قد مات بالفعل يبدو أنه لم يتردد في قتل نفسه عرفت ذلك عندما تحسست نبضه وكان قد توقف منذ فترة ليست ببعيدة مات الرجل الذي يبلغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً ما زال صغيراً لكن المرض والموت لا يعرفان لا صغيراً ولا كبيراً، أخذت جثته ووضعتها في حقيبة حرصت أن لا أترك أي أثر لي ولا لبصماتي وأساساً لن يبحث عنه أحد رجل شبه متشرد لا يملك أي معارف ولا عائلة ولا هوية حتى لم يهتموا به وهو حي لماذا سيهتمون به وهو مفقود وميت؟

وضعت الجثة في صندوق سيارتي واتجهت بها إلى عالمي
ومزلها الجديد، وصلت إلى القصر في الساعة الثانية عشرة
بعد منتصف الليل كنت متحمساً جداً متلهفاً متشوقاً أخيراً فرد
جديد في العائلة جثة جديدة بعد توقف سنتين وكانت هذه
أطول فترة في حياتي أتوقف بها، أخيراً قصة جديدة تنضم إلى
قصصنا في هذا القصر، لقد اشتقت لهذا الروتين روتين
استقبال جثة جديدة والعمل عليها تنظيفها تعقيمها معالجة
الجروح والشروح لكن ماذا عن الروح؟ وهل الجثث لديها
روح؟ أنا أعلم بأن الجثة تصبح جثة لأن الروح خرجت من
الجسد، لكن أعلم بأن لا أحد يستطيع أن يفهم أن الجثة تصبح
جثة لأن أعضاءها توقفت القلب الكبد الرئتان الكلية العروق
جريان الدم المخ وغيرها كل ذلك يتوقف عندها يصبح الإنسان
ميناً لكن أومن بأن الجثث لديها أرواح بشكل أو بآخر أنها
تشعر أنها تسمع أنها تتحدث لكن لا أحد يستطيع أن يرى ذلك
لا أحد غيري

انتهيت من غسل الجثة وتعقيمها وتنظيفها ووضعها في
الثلاجة الخاصة بالموتى كان الاستديو الخاص بي كما قلت
سابقاً يحتوي على كل شيء عالم كامل من أدوات التشريح
الاعتناء بالجثث المواد المصلية والمعقمة أدوات مواد التحنيط
والنحت ثلاجة الموتى إنني أحرص على ألا تحتاج الجثث أي
شيء، بعد مرحلة الثلاجة بعد أربع وعشرين ساعة حتى أتأكد
من أنه لا يوجد أي مشكلات بالجثة تفسد التحنيط، تحممت

بعدها وبدلت ملابسي صنعت لي كوب قهوة ساخناً جلست في
 الغرفة الزجاجية والمنظر الجميل من حولي المطر والليل والقمر
 والأشجار منظر لا أستطيع أن أصفه يظهر كاملاً في هذه الغرفة،
 الغرفة الزجاجية موجودة في القسم الثاني من القصر مكاني
 المفضل للتفكير فقط أنا أجلس فيها لكي أفكر، أفكر بدون
 توقف أتأمل حياتي إلى أين سأصل؟ وكيف سأصل؟ أحياناً أفكر
 ماذا لو كنت الكائن الواعي الوحيد في هذا الكون؟ وكل ما
 يحيط بي من أحداث وشخصيات ما هو إلا مزيف أو ربما يكون
 محاكاة داخلية لعقلي؟ ماذا لو كنت أنا الوحيد المتفرد الكائن
 الحقيقي القادر على بناء عالم والكون ينتظرنني لكن أحتاج إلى
 إشارة أين هي؟!!

ضرب الرعد يضرب بقوة على غرفتي الزجاجية ليشكل مع
 البرق الذي شكل خطوطاً حول القبة الزجاجية وكأنه رسم رسمة
 مثالية في هذه الليلة علمت بأن هذه الاشارة التي أنتظرها
 ابتسمت لكن سرعان ما اختفت الابتسامة عندما كان ضوء البرق
 يضيء الغابة بومضاته السريعة لمحت شخصاً يقف في منتصف
 الغابة! ظننت أنني أتوهم نهضت من على الكرسي الهزاز تقدمت
 نحو الحائط الزجاجي وقفت للحظات أنتظر ضوء البرق حتى
 أتى أخيراً لكن لم يكن هناك أحد؟ هذه الأراضي جميعها خاصة
 ملكيتي أنا وهناك أجهزة استشعار إنذار كشافات وعندما يقترب
 حتى نصف مخلوق تقوم بالضوضاء لكن من الواضح لم يكن
 هناك أي شيء

خرجت من الغرفة الزجاجية متوجهاً إلى مكتبي كنت أرغب بأن أقوم بتفحص موقعي خلال سيرتي في الرواق ذاهباً إلى المكتب كنت أشعر بأن هناك أحداً يسير خلفي؟ عندما التفت لا يوجد أحد هل هي كيارا؟! لا أظن إنها نائمة ولقد رأيت ذلك قبل قليل ثم إن كيارا وكيران يخافان من العاصفة عندما يكون هناك عاصفة من المستحيل أن يتجولا لا بد أنني أتوهم من شدة صوت العاصفة، وصلت إلى المكتب فتحت موقعي تفحصت الرسائل الخاصة كان هناك الكثير من الرسائل رغم أن الموقع ما زال فارغاً لكنني تجاهلتها، فتحت محادثتي مع ذلك الشخص الذي اشتريت منه الجثة لم يرسل لي أي شيء متى ستصل يا ترى؟ هل من المعقول أنه خدعني؟!!

طرات فكرة في بالي شيء أضيفه على الأقل حتى أجهز المنحوتات وأعرضها وحتى ذلك الوقت قررت كتابة مذكرات «بيتشيني» لكن كنت متردداً قليلاً لذلك جعلتها في البداية خاصة أي مغلقة صحيح أن الموقع لا أحد يستطيع دخوله بسهولة لأنه في عالم الدارك ويب لكن الحذر واجب، قررت صناعة مذكرات خاصة بي وبحياتي مع جثتي ثم تذكرت أنني لم أستكمل كتابة روايتي لذلك أجلت موضوع المذكرات وتوجهت إلى محمول اللاب توب الخاص بي وبدأت باستكمال كتابة الرواية فتحت آخر صفحة كنت قد كتبت جملة:

«من أين بدأ كل هذا؟»

نعم من أين بدأ كل هذا؟ وكيف حصلت على أول جثة؟ كان لدي أسبابي الخاصة كان لدي أقوى سبب مع أول جثة، في ذلك

اليوم مثل هذا اليوم بالضبط في يوم موحش وعاصف وممطر
 عندما كنت في آخر سنة دراسية من الثانوية كان عمري ١٦ عاماً
 فقط وطبعاً وصلت إلى هذه المرحلة مبكراً في هذا العمر لأنني
 ذكي ومتفوق، أتذكر قد نجحت في اختبار صعب وكنت أسعد
 إنسان كان لدي أيضاً في ذلك اليوم مصروف مادي وأنا طوال
 مسيرتي الدراسية لا أحصل عليه من أبي إلا بشكل نادر بسبب
 أوضاعنا بالطبع لكن ذلك اليوم كان فيه كل شيء مختلفاً
 استيقظت في الصباح بعد أن خرجنا من تلك القرية منذ زمن ما
 يقارب خمس سنوات درست جميع مراحل المتوسط والثانوي
 في المدينة بعد أن كنت يائساً بأننا لن نخرج من تلك القرية لأن
 أبي يحبها بشكل مرعب وقلت لن يتخلى عن المقبرة التي كانت
 منزلنا الثاني لكن في ليلة ما أيقظني أبي من النوم وقال لي هيا
 بنا سنخرج من القرية وننتقل إلى مدينة أخرى، كان قد أخذ
 جميع ملابسي وأغراضي ولا أفهم حتى الآن لماذا فجأة هكذا؟
 وأنا كنت أقول: من المستحيل أن نذهب إلى المدينة لأنها غالية
 الحياة فيها صعبة تتطلب أموالاً كثيرة لكن بعض الأحيان أقول:
 ربما أحضرنني أبي حتى أستطيع استكمال دراستي هنا في
 مدارس المدن فهي أفضل بكثير من القرى، كانت المدارس
 تتطلب أموالاً هائلة بالنسبة لنا في الترم الواحد رغم ذلك كان أبي
 يدفع لكنني كنت أريحه لذلك أدرس بشدة حتى أحصل على
 إعفاء وكنت بالطبع أحصل على إعفاء دائماً بسبب درجاتي
 العالية وتفوقي، لنعد إلى ذلك اليوم الذي بدأ فيه كل هذا أنا لا

أحب تفاصيل ذلك اليوم إنها ثقيلة على القلب والذاكرة عندما استيقظت صباحاً لأستعد للمدرسة جهز لي أبي الإفطار كالعادة بابتسامة سعيدة ووجه بشوش لطالما كان وجه أبي بشوشاً لا أعرف لماذا أمي تكرهه لأنه قبيح ولا أعرف لماذا جميع الناس ينمرون عليه لأنه قبيح؟! إن القبح هو قبح الروح والأخلاق لكن أبي كان أكثر أب حناناً في العالم ولم أهتم بصفاته الخارجية ولم أنجل منه يوماً، رغم الحياة البائسة والقاسية والمصاعب لم يتخلّ عني ثانية واحدة حتى على عكس أمي كانت جميلة باهرة لكن أخلاقها بشعة، جهز أبي لي الفطور تناولناه معاً انتهيت من ارتداء ملابسني احتضني أبي طويلاً ما يقارب خمس دقائق بدون مبالغة استغربت لماذا احتضني بهذه القوة وكل هذا الوقت؟ بعد أن أفلتني رأيت شيئاً في عينيه القلق والخوف لم أر أبي في حياتي كلها ينظر إلي بنظرة الخوف كان خائفاً! ولا أعلم من ماذا؟ لطالما كما كان أهل القرية يسمونه أبا الجثث! لن يخاف من شيء لكنه اليوم كان خائفاً:

- أبي هل أنت بخير؟

سألته

أجاب وهو يمسح على شعري:

- انظريا بني لقد أصبحت أطول مني بكثير لا أصدق أنك أسابيع قليلة وستنتهي من دراستك في المرحلة المدرسية وستنتقل إلى الجامعة، على كلّ أنا قمت بتسجيلك في



الجامعة بشكل يدوي تسجيلاً مبكراً لذلك بتظروني في شهادة المدرسة..

- حفياً؟

قلت بسعادة وأنا أحتضنه لكن فجأة تذكرت:

- لكن ماذا عن الرسوم الأولية يا أبي؟ إن تكاليف الحفلة أغلى بكثير من تكاليف المدرسة!؟

- أوه لا نهتم والدك الخارق يهتم بكل شيء من أجلك قد دفعت رسوم عامين بشكل مقدم وأنا أعلم بأنك خلال هذين العامين ستدفع درجاتك أعلم بأن ابني لديه عقل خارق

- لكن يا أبي من أين لك كل هذا المال؟؟

سألته وقد تعجب لأن هذه المرة الأولى في حياتي التي سأله فيها عن مصدر المال!

- أنت تعرف أن والدك يستطيع حتى أن يحضر لك القهوي ظلي سأفعل من أجلك كل شيء كل شيء..

- آسف يا أبي على تطلقلي لكن أعدك بأنني في سنين قليلة سأقوم بتعويضك سأبني لك قصرًا ضخمًا ويكون بوجد فيه حوض سباحة أعدك بذلك..

ضحك أبي بقوة:

- حسناً إذا أنت تريد أن تجعلني أغرق؟ لا بأس دعنا الآن نذهب سأوصلك إلى المدرسة..

استغربت لأن أبي لم يقم بإيصالي إلى المدرسة منذ أن انتقلنا إلى المدينة لأنني بالطبع أصبحت مراهقاً والمدرسة قريبة جداً من المنزل كما أن الأمان هنا أكثر من القرية الكثير من الناس يسرون في الشوارع على عكس القرية:

- أبي أنا لست طفلاً لماذا تريد أن توصلني اليوم إلى المدرسة؟

أجاب بابتسامة وهو يتتعل حذاءه:

- هيا بنا لا تقلق فقط اليوم هيا لقد تأخرت..

وصلنا إلى المدرسة أعطاني أبي مصروفاً مادياً مبلغاً كبيراً يكفي لثلاثة أيام وهذه أول مرة أحصل على هذا القدر استغربت ونظرت إليه قبل أن أسأله أجاب هو يقبلني على جيني:

- اعتبرها مكافأة وتشجيعاً لك لتنجح في الاختبارات أحبك يا ظلي..

- شكراً أبي وأنا أيضاً أحبك..

دخلت إلى المدرسة حتى وصلت إلى داخل المدخل التفت إذا بي أرى أبي ما زال واقفاً ينظر إلي بابتسامة باهتة ويلوح لي بالدخول، كان قلبي ينبض بشدة في ذلك اليوم ولا أعرف لماذا؟ كنت أرتعش ولا أعرف لماذا رغم أن الجو حار، كانت أطرافي باردة كنت أشعر بمشاعر سيئة، رغم ذلك قررت أن أركز في الاختبار وبالفعل بعد تصحيح المدرس ورقتي أخبرني بأنه لا يوجد

ولا نصف خطأ سعدت كثيراً، خرجت من المدرسة أركض لمحت سوبرماركت كنت دائماً أرغب بدخوله لكن لم أكن أملك المال، اليوم أنا لدي دخلته واشترت لي بعض المفرحات وكانت هذه أول مرة في حياتي كطفل ومراهق يشتري هذه الأشياء، اشترت لأبي شوكولاتة بجوز الهند فهو يحبها كثيراً سيكون سعيداً لا أعلم متى آخر مرة أكلها قبل ستة أعوام أو ثمانية أعوام لا أعرف المهم الآن سيحصل عليها، حاسبت بسعادة وأنا خارج من السوبرماركت أمطرت السماء فجاءة بدون مقدمات رغم أننا بالصيف والجو حار جداً ولكنها أمطرت بغزارة رفعت رأسي إلى السماء لأراها سوداء وتشكلت الغيوم بوجه حزين تساءلت لماذا السماء تبكي فجأة؟؟

بدأ الناس يركضون ويحتمون من المطر ركضت معهم بسرعة لم تكن لدي مشكلة فأنا أحب أن أتبلل من المطر يجعلني أشعر بشكل أفضل لأنني ولدت في العاصفة لهذا أنا أحبها لكن لم أكن أعلم بأن أسوأ منظر في حياتي سأراه في العاصفة أيضاً، وصلت إلى المنزل وعبرت الفناء قبل أن أدخل لمحت شخصاً طويلاً ضخماً يرتدي أسود وقفازات سوداء وكأنه غيمة سوداء هبطت على الأرض! لمحتته يخرج من فناء منزلنا المتهالك كان المطر قوياً جداً لدرجة أن عيني لم أعد قادراً على فتحهما بشكل عادي، كانت الرؤية ضبابية بسبب شدة المطر والضباب والرياح لكن عندما خرج ذلك الرجل يسير في الاتجاه المعاكس كان يدندن لم أميز ولم أستطع أن أسمع ما الذي يدندن به لكنني واثق بأن هذا اللحن قد سمعته من قبل؟؟!

بعد أن توقفت لشوانٍ أراقب ذلك الرجل حتى اختفى بين الضباب استيقظت من سرحاني دخلت إلى الفناء أخرجت مفتاح باب المنزل لكي أفتحه لكن صعقت عندما رأيت الباب مفتوحاً!! مستحيل أن يتركه أبي مفتوحاً أو ينساه؟ سنوات لم ينسَ أبي الباب مفتوحاً وأيضاً خرجنا معاً وكان قد أغلقه بإحكام كان أبي من المفترض بعد أن أوصلني إلى المدرسة أن يذهب إلى عمله هل من المعقول أنه عاد إلى المنزل؟ حتى لو أنه عاد لا ينسى الباب مفتوحاً تركت التخمينات ودخلت بأقدام ترتعش لم تكن لدي رغبة بالدخول وهذه أول مرة أشعر بهذه الرغبة، كان المنزل يحيط به الهدوء ذلك الهدوء المخيف الذي لم أشعر به من قبل في حياتي صوت العاصفة يزداد بشكل أقوى النوافذ المهترئة تهتز أرى المياه تدخل من النوافذ لماذا لم يقم أبي بتغطيتها كالعادة إذا كان موجوداً في المنزل؟!

استمررت بالدخول وصلت إلى صالة المعيشة بدأت بالمناداة:

- أبي هل أنت هنا؟؟ هذا أنا لقد عدت..

وضعت حقيبتني وكيس المفروحات على الأريكة ابتسمت عندما لمحت حذاء أبي موضوعاً على عتبة باب غرفته هذا يعني أن أبي بالداخل لكن لماذا لم يسمعني؟ بالتأكيد هو في الحمام أو نائم، لربما كان متعباً لذلك لم يذهب إلى العمل، توجهت إلى الغرفة أمسكت بالمقبض أدركته انفتح الباب أصدر صريراً مرعباً بعد أن سكنت العاصفة بشكل مفاجئ أصبح هدوء مخيف يخيم على العالم انفتح الباب على مصراعيه لكي يستقبلني هذا المنظر

علمت لماذا هدأت العاصفة لم تهدأ بل انتقلت إلى قلبي بعد أن رأيت أبي مقتولاً وغارقاً بدمه على أرضية غرفته!!

بقيت واقفاً على قدمي أمام مشهد جثة والدي ما يقارب عشر دقائق بدون مبالغة حرفياً عشر دقائق أغمض عيني وأفتحهما بالتأكيد أنني أتوهم بالتأكيد أن هذا كابوس بالتأكيد هذا ليس حقيقياً!! أخيراً تحركت قدماي باتجاه والدي وصلت إليه نزلت على ركبتي:

- أبي.. أبي! أرجوك استيقظ، أبي افتح عينيك ما الذي حدث لك؟

بدأت بالصياح والصراخ بأقوى ما لدي من صوت خرجت إلى الشارع وأنا أركض يمينا ويساراً أريد أي أحد أن يساعدني، شعرت بأنني غير مرئي شعرت بأن الناس لا يستطيعون رؤيتي شعرت بأنني خفي شعرت بأنني وهم لأنه لا أحد ساعدني ولا أحد التفت إلي حتى، حتى أخيراً امرأة عجوز كانت تسكن بالقرب منا هرعت معي إلى داخل المنزل واتصلت بالشرطة والإسعاف لكن بعد ماذا؟

في ذلك اليوم تلك الليلة كانت أثقل ليلة في حياتي وأطول ليلة شعرت بأنني جثة على قيد الحياة وأن الحياة توقفت والزمن تعطل، كان الحزن ينهش روحي بقوة وكانت دموعي ترفض أن تخرج! في وفاة والدي لم أبك أبداً حتى عندما صرخت للناس لم أكن أبكي من هنا ومن تلك اللحظة فقدت مشاعري، كنت

أشعر بجميع حزن العالم يتجمع في صدري ورأسي كنت أرغب بالبكاء والصراخ لكن لم يخرج أي من هذا وظللت كقنبلة مكتومة موقوته لا أعلم متى ستنفجر؟ كنت على أمل بأن هذا كابوس وسيتتهي لكن رفض أن ينتهي، في أول ليلة أو في اليوم نفسه الذي مات فيه أبي ظل في الثلاجة والمشرحة لكي يقوموا بتشريحه على أمل أن يعرفوا من القاتل، أتذكر أنني ظللت جالساً على كرسي الانتظار عشر ساعات جميع الموظفين والشرطة والأطباء حاولوا أن يقنعوني بأن أغادر لكنني رفضت واكتفيت بالصمت فقط، أغادر إلى أين أصلاً؟ لا موطن لي ولا بيت لي كان موطني الوحيد هو أبي:

- «اسمك «ظل» أليس كذلك؟ تملك اسماً مميزاً وجميلاً...»

قال الشرطي وهو يجلس بجانبني ويضع وجبة من الوجبات السريعة أمامي لكي أقوم بأكلها مع قارورة مياه، ثم استرسل في حديثه:

- اسمعني يا بني أعلم بأنك في حالة صدمة لكن جلوسك هنا ليس منه أي فائدة سترهق نفسك وجسدك وصحتك لقد انتهى فريق التحقيق من المنزل وقد أخبرتهم أن يقوموا بتنظيف مسرح الجريمة تستطيع العودة الآن إلى منزلك لأنك رفضت أن تذهب إلى منزل حماية الشهود يجب أن ترتاح لكي تساعدنا في الإمساك بالقاتل نحتاج ذاكرتك إذا كنت قد رأيت شيئاً غريباً؟ إذا كان والدك لديه أعداء؟ لأنه مع التحقيق لم يكن لَصاً لأنه لا شيء مسروق رغم أن

والدك كان يملك أموالاً في خزائنه والخزانة واضحة وغير مغلقة لكن لم ينقص منها ولا حتى قرش لهذا القاتل ليس لصاً..

- لقد.. لقد رأيته!!

كانت هذه أول كلمات أنطق بها في ذلك اليوم.

- رأيت من؟؟

سأل المحقق باهتمام

- رأيت القاتل الذي قتل أبي..

- أين؟ هل رأيت وجهه؟؟

- لا.. عندما كنت عائداً من المنزل رأيته: رجل يرتدي أسود يخرج من منزلنا كأن كثافة المطر والضباب عدت الرؤية لدي لذلك لم أستطع رؤية وجهه لكنه كان يرتدي الأسود وطويل القامة..

- حسناً اهدأ يا بني واشرب بعض الماء..

قالها المحقق باستغراب وكأنه لا يصدقني أو يعاملني كالمجنون:

- أنت لا تصدقني أليس كذلك؟؟

- لكن يا بني اليوم في الصباح أو الظهر أو المساء أو الوقت الذي كنت عائداً فيه من المدرسة باختصار اليوم لم يأت أي مطر!! لا قوي ولا خفيف حتى عن أي مطر تتحدث...؟

هنا شعرت وكأن أحدهم قام بطعني في صدري شعرت
بصاعقة تضربني من أعلى جمجمتي وحتى أسفل أقدامي كيف
لم يكن يوجد مطر؟؟ هذا المحقق بالتأكيد يتلاعب بي!!؟

- هل تقول بأنني كاذب؟

صرخت في وجه المحقق

- اهدأ يا بني أنت لست بكاذب أنت تحتاج فقط إلى الراحة..

- اتركني لا تلمسني أريد أبي،، أريد أبي أرجوك أعد إلي أبي..

أصبت بانهيار عصبي الانهيار والعاصفة التي كتمتها خرج منها
عشرة بالمائة فقط، استيقظت لأجد نفسي في المستشفى المغذية
معلقة في يدي كنت أنتظر أبي يدخل بابتسامته ومعه بعض
المفرحات لي لكن انتظرت وانتظرت ولم يأت، نزعت المغذية
من يدي سال الدم لكنني لم أهتم ولم أشعر بأي ألم الألم يقبع
في صدري خرجت من الغرفة لاحظت أنني في المستشفى نفسه
الذي فيه أبي عدت إلى قسم التشريح لكن لم يكن هناك أي أحد
أين أبي؟؟ أين أخذوه؟

وجدت المحقق مرة أخرى وأحضر زوجته هذه المرة كان من
الواضح أنه يشعر بالشفقة علي أخبرني بأن الأطباء انتهوا من
التشريح لكن؟؟

- لكن ماذا؟ لم يعرف هؤلاء الفشللة طريقة قتل أبي ولم
يعرفوا ما هو السلاح المستخدم في القتل أخبرني المحقق

أن الدماء لم تكن له! وهذا ما صدمني أكثر وأرعيني وأن وفاة والدي كانت وكأنها تبدو طبيعية ولم يكن هناك أي ضرر في جسمه حتى؟! وبالنسبة للدماء لم يعرفوا تعود إلى من وأنها ما زالت في المختبر يحاولون أن يعرفوا ذلك لكن بالطبع الجميع واثقون بأنها جريمة قتل لكن هذه أغرب جريمة قتل أراها في حياتي!

قال المحقق وهو يضع بعض لصق الجروح على يدي،

- إذا ماذا الآن؟

سألت بحزن ويأس

- لا شيء يا بني سنقوم بمراسم الدفن غداً والآن أخبرني ألا

تملك أي أحد؟؟ ولا والدك يملك أي معارف؟

- لا، أنا وأبي حتى أصدقاء لا نملك.

- وماذا عن والدتك أين هي؟؟

- لا أعرف منذ كنت في عمر الخامسة تركتنا

- حسناً نستطيع أن نتواصل معها أينما كانت حسناً..

- لا.. لا تفعل ذلك

صرخت في وجه المحقق

- حسناً اهدأ لن أفعل ذلك

- لا أحتاج أي أحد وأبي أيضاً لا يحتاج أي أحد

- ولكنك ما زلت صغيراً يا بني..

قالت زوجة المحقق

- أنا لست صغيراً أبداً لقد كنت أكبر في السنة ثلاثين مرة
لذلك أنا لست صغيراً أستطيع الاعتناء بنفسى..

عدت إلى المنزل قام المحقق وزوجته بإيصالي إلى المنزل
كانا يشعان بالحزن والشفقة الشديدة تجاهي أعرف أنهما إنسانان
لطيفان لكن لا أحب أن يساعداني أي أحد، أصرا على أن ينزلا
معي لكنني رفضت لذلك غادرا كان الوقت الساعة الرابعة فجراً
والجنازة ستكون التاسعة صباحاً، دخلت إلى المنزل بأقدام
متهاكة دخلت إلى المنزل بجسد بدون روح كان المنزل بارداً
بشكل غير طبيعي وكان ثلاجة الموتى انتقلت إلى منزلنا، سرت
بخطوات مثقلة رأيت حقيبة المدرسة وكيس المفروحات الذي
اشتريته ما زال على الأريكة على حاله، رفعت رأسي نحو غرفة
أبي رأيت الشريط الأصفر ما زال معلقاً توجهت إليه بغضب
ومزقه بيدي أحاول أن ألتقط أنفاسي ألهث بحزن، فتحت الباب
قال المحقق إن الشرطة نظفت المنزل نعم هذا أقصى ما استطعت
فعله كان الدم على الأرض ما زالت آثاره لم ينظفوا بمجهود
نظرت إلى فراش أبي كان خاوياً كان فارغاً كفراغ قلبي، دخلت
حتى وصلت إلى الفراش رميت بجسدي عليه تحسسته كانت
رائحة أبي ما زالت موجودة أبي أنا هنا أين أنت يا أبي؟ إنها أول
ساعات من دونك ثماني ساعات وثلاث وثلاثون دقيقة وعشر
ثوانٍ قضيتها في هذا اليوم بدونك يا أبي أنا أشعر وكأنها قرون

ماذا سأفعل في الأيام القادمة في السنوات القادمة هذا مخيف؟
لقد وعدتني أن لا تتركني يا أبي لكنك تركتني فحسب تركتني
وحدي في الجحيم إن الحياة بدونك ستكون كالجحيم يا أبي..
إنه يا أبي حتى دموعي ترفض أن تنزل وأنا أكره ذلك ماذا أفعل؟؟
لم أشعر بنفسي إلا وأغمضت عيني لم تكن نومة عادية بل
كانت إغماء من شدة التعب والصدمة

- «ظل» افتح عينيك يا ظلي أنا هنا..

أتى صوت أبي كالحلم الجميل فتحت عيني إذ أراه يمسك بي
بابتسامته المشرقة:
- أبي..

ما أن اتضح الرؤية إذ أراه ذلك المحقق كان يوقظني:
- إنه وقت الجنازة يا بني هيا انهض لكي نذهب إلى المغسلة
تلاشت أحلامي وآمالي وتذكرت كل شيء تذكرت أن أبي
مات وأنا الآن وحدي نهضت بهدوء وذهبت إلى الحمام
وتحممت لا أعرف كيف، توجهت مع المحقق إلى مغسلة
الأموات هذا المكان الذي لطالما عمل أبي طوال حياته فيه والآن
هو كجثة فيه، رأيت رجلاً في عقده الرابع تقريباً علمت بأنه
المغسل هو المسؤول عن غسل أبي سأل:
- هل هناك أحد من عائلته سيدخل معي لغسله؟؟

المحقق:

- يوجد ابنه لكنه صغير

- لا، أخبرتك أنني لست صغيراً أنا سأغسل أبي بنفسي..

- حسناً تفضل

دخلت إلى المغسلة كنت معتاداً على مناظر المغسلة لأن نصف حياتي كلها في هذه الأماكن اقتربت من أبي كان يرقد كالملاك وهنا علمت بأن أبي ليس ميتاً أبي حي! لكن لا أحد يرى ذلك:

- إذا كنت خائفاً فلا بأس سأفعلها وحدي

داهم المغسل أفكاره كان يشعر بالشفقة علي:

- لا أنا بخير أنا أعرف كيف أستطيع فعل ذلك

أجبت بثقة بدأنا بغسله وتنظيفه بعدها بدأت مراسم الدفن، سألني المغسل واستغرب: هل ترغب بتوديعه؟ أجبت: لا!!..

أخذنا أبي إلى المقبرة هذا العالم الذي كان ملكاً له طوال حياته هل من المعقول اليوم سيكون معهم؟ لا أبي مكانه ليس هنا!..

دخلنا إلى المقبرة وقام حفارو القبور بدفنه انتهى كل ذلك سريعاً، كانت الجنازة فارغة لا أحد سواي أنا والمحقق وزوجته والوحدة شعرت بأن عيون الجثث تحت القبر تراقبنا وتبكي على والدهم الروحي! لكن هذا ليس مكانه هذا ظلم..

- هيا يا بني..

قال المحقق وهو يمسك بيدي نظرت إلى القبر وقلت:

- لكن أبي لا يحب أن يكون وحيداً..

رأيت الدموع في عيني المحقق وزوجته لكن عيني رفضتا أن
ترحبا بالدموع، رفضت بكل قوة أن يبقى معي المحقق أو زوجته
وأعاداني إلى المنزل وكانت الليلة الأولى الحقيقية التي أعيش
فيها بدون أبي لأول مرة في حياتي، أبي الذي كان لا يتركني حتى
ثانية واحدة وحدي أبي الذي كان يأخذني معه إلى كل مكان
يذهب إليه أبي الذي كان عندما أمرض يسهر ثلاث ليالٍ أو عشر
ليالٍ حتى متواصلة حتى أشفى أبي الذي لم يتخلّ ولم يفكر يوماً
بالتخلي عني الذي كان لي كل حياتي وكل شيء بالنسبة لي كان
هو كالظل وليس أنا هل من المعقول أن أتركه الآن وحده؟؟

ليس من العدل أن أتركه وحده وهو لم يتركني في حياتي ثانية
واحدة حتى، ثم إن أبي أخبرني مرة أن الأموات ليسوا أمواتاً وأنه
يستطيع سماعهم ويتحدث دائماً معهم ويغني معهم إن الأموات
أحياء بشكل آخر لكن لا أحد يستطيع الوصول إلى قدرة أبي إلا
الذي يريد لكن كيف؟

وضعت رأسي المثقل في تلك الليلة على وسادتي أنا الآن
رأسي على وسادتي ولكن أشعر بأن هناك دبائيس على وسادتي
دبائيس تخترق رأسي وتصل إلى عقلي تأكل خلايا دماغي، أشعر
بأن دبائيس على وسادتي تثقب دماغي تهشم أحلامي وآمالي
تندفق من كوابيس العالم تجري في سريري وتسبح في أحلامي
وتغرقها لا مجال للأحلام تسد ثقوباً في رأسي فراشي يطفو
روحي تغرق ببطء تغرق أسفل المحيط وفي داخلي أجدف
وأجدف وأجدف لكن يتحطم قاربي المتهالك وأغرق في العدم

أغمضت عينيّ بعد أن رأيت أبي يقف وكأنه ما زال يحرسني أو كأنه يعطيني إشارة لأبدأ هذه الخطوة خصوصاً بعد ما قال كلماته:
- «المكان هنا مظلم يا ظلي هل ستتركني وحيداً فقط لأنني أصبحت جثة؟»

استيقظت لأجد نفسي نائماً على المكتب في مكتبي للمرة الثانية؟ ولا أعرف كيف نمت مسحت خدي بعد أن شعرت بشيء ينزل على وجهي وكانت دمعة هل هذا لأنني لم أبك في جنازة أبي قبل ١٧ عاماً؟! وتذكرت والآن بكيت أريد أن أبكي؟ الآن شعرت بمشاعر «محمود درويش» عندما قال: أريد أن أبكي وأخبره سائق القطار: انتظر الوصول إلى المحطة وابك بقدر ما تريد! لكن هل وصلت إلى المحطة المقصودة؟ أم أن طريقي ما زال طويلاً؟ متى سأبكي إذا؟ ولماذا أبكي أصلاً؟ إن أبي الآن هو بخير وهو معي معي للأبد ولا أحد يستطيع أن يفرقنا بعضنا عن بعض..

نظرت إلى الساعة كانت قد أصبحت السادسة صباحاً حان موعد فطور أبي وأدويته وقراءة كتاب له منذ فترة لم أقرأ له أشعار «محمود درويش» شاعر مشهور عربي كان أبي يحب أعماله كثيراً لذلك أنواع له في القراءة بين أشعار وروايات وفلسفة وأنا أصبحت مثله تماماً أحب الأشياء التي يحبها أبي لطالما قال الناس ونعتوه وتنمروا عليه بأنني لست ابنه لأنني لا أشبهه هو قبيح وأنا وسيم جداً لكنهم لا يعرفون معنى الشبه

الحقيقي بين الأب وابنه وأنه يكون بالعمق بالروح بالتفكير هذا هو الشبه الحقيقي..

تذكرت أن لدي عملاً طويلاً أقوم به فاليوم سأقوم بتحنيط الجثة أخيراً جثة جديدة في عالمي، انتهيت من تجهيز الفطور لأبي وضعت له تحدثنا قليلاً وسرت به خارج القصر في مقعده كان الجو جميلاً بعد ليلة مطرة، عدنا إلى المنزل تحممت وارتديت ملابس دافئة اليوم إجازة بعد أسبوع ضغط في العمل لن أزد على أحد اليوم سأكتفي مع عائلتي وسأقدم لهم الفرد الجديد في العائلة، صنعت لي قهوة لأستعد للعمل فجاءة واصلتني رسالة على بريدي في موقعي فتحتة إذ أرى الرسالة التي انتظرتها:

- «لقد وصلت شحنة قادمة إليك يرجى إرسال الموقع أو تعال لاستلامها»

لأوضح لكم طريقة الشراء والبيع في هذه المواقع المحظورة والمحرمة في أكثر البلدان إنها تجارة وعالم ضخم مرعب حتى إيصال الشحنات يكون عن طريقهم عن طريق منظمات تعود إلى هذه المواقع لا الحكومة تعرف عن ذلك ولا أي منظمة رسمية، لذلك استلام الشحنات إذا كنت تريد أن تحدد لهم موقعاً لكي يأتوا فأنت حر لكن هذا الغبي الذي يفعلها لأن منظمات كهذه من المستحيل أن تعطيهم موقعك لربما يعودون إليك ويقومون بأذيتك لذلك الأفضل أن تذهب أنت بنفسك، أو ترسل أي أحد وتدفع له المال وهذه أذكى طريقة لذلك أنا لذي الكثير من المعارف الذين

دائماً ما يلهثون وراء المال ولا حتى يسألون ما هذا وأين هذا؟ وكيف هذا؟ لذلك استأجرت شخصاً وأرسلت له مبلغاً كبيراً من المال أرسلت له معلومات المكان وشركة الشحن السرية والكلمة السرية لكي يحصل على الشحنة ذهب في خلال ساعة كاملة وبكل هذا الوقت كنت أحاول أن أهدأ هل حقاً ستكون جثة؟ إذاً ستكون لدي جثتان وهذه نعمة واحدة سأضمها للعائلة والأخرى سأبدأ بها مشروع عي وهو «فن الجثث» لكن لم أكن أعلم بأن هذه الجثة ستقلب حياتي رأساً على عقب وستفتح لي أبواباً لم أكن أعرفها وستفتح عيني على الحقيقة، الحقيقة فقط..



«أشعر بجنازة في رأسي»

«كنت أومن بأن الجثث لا تتحدث حتى تحدثت جنة أبي»

أعيش أياماً بلا نوم ضوء القمر الباهر كله ساطع في أيامي كلها وكأنه يسخر من مخاوفي الواضحة ويقشر أحلام اليقظة الهادئة ويطارقني ويثيرني ويزعجني ويحرق جدرانتي كلها ويتركني أشعر بالخوف من الليلة التالية لكن لماذا أشعر بالخوف؟ ومن ماذا أشعر بالخوف؟ كل مخاوفي هي أن لا أحقق حلمي البسيط حلمي الذي يشعرنني بالأمان لا أرغب بأن أكون وحيداً أرغب بأن أعيش وحولي العديد من الجثث!!

مضى على وفاة أبي فقط أسبوع كان أسوأ أسبوع أعيشه في حياتي شعرت بأنني في الجحيم اشتقت لأبي كثيراً بل أكثر من الكثير كنت مشتاقاً إلى الجثث والآن إلى أبي، مضى أسبوعان وكانت في كل يوم في كل ساعة في كل دقيقة في كل ثانية تزيد معي تلك الرغبة، الرغبة التي اجتاحت روحي إنني لا أستطيع العيش بدون والدي الصور لا تكفي أبداً اجتاحتني الاكئاب والوحدة بقوة لدرجة لم أعد أستطيع الاستمرار في وتين حياتي لم أستطع النوم ولا الأكل كنت مريضاً طوال

الوقت كنت أسمع صوت أبي في المنزل شعرت بأنه وحيد جداً مثلي وحيد في القبر أردت أن أكون معه وأراد أن يكون معي في ليلة حالكة السواد وشديدة البرودة اتخذت قراري بعد وفاة والدي بـ أسبوعين قررت أن أخرج والدي من ذلك المكان المرعب من تلك العزلة والوحدة والظلمة قررت إخراج أبي من القبر!!! ..

استجمعت شتات نفسي وشجاعتي وقوتي وإرادتي وعزيمتي وتوجهت إلى المقبرة في الساعة الثالثة فجراً وصلت عند قبر أبي ظللت واقفاً فوقه بما يقارب ثلاث دقائق لم أعطٍ للتردد مجالاً وبدأت بالحفر أنا قادم يا أبي لم تتركني وحيداً في الحياة لذلك لن أتركك وحيداً في الموت هذا القبر لا يعني بك أنا سأعتني بك، حفرت بسرعة كبيرة حتى أخيراً رأيت رأيت جثة أبي هنا أصابتنى رعشة في جسدي نبض قلبي بقوة شعرت بالخوف لأول مرة لأول مرة أخاف من جثة كان أبي مغطى بالكفن الأبيض لم أره بعد لكن الكفن الأبيض وهو ملفوف على جسده بدا لي مخيفاً كنت أود أن أتراجع أنفاسي أصبحت سريعة لكن شيئاً منعتني عن التراجع وهو سمعته سمعت أبي يدندن بهذه التهويده، التهويده التي كان يغنيها دائماً عندما أي أحد يسخر من الموت يغنيها عندما أحد يضحك على الموتى! كان أبي يحترم الموتى كثيراً أكثر من الأحياء لذلك كان يشعر بالغضب والضيق عندما يسخر أحدهم من الموتى سمعت صوته وبدا كأنه مكتوم بسبب

الكفن الأبيض الذي يغطي وجهه كان صوت أبي يدندن
هذه التهويده:

«إياك أن تضحك عند مرور كفن»، لأنك قد تكون من
سيموت تالياً»

«سيقومون بلفك في كفن»، ويلقونك على عمق ستة أقدام
تحت الأرض»

كان صوت أبي يردد هذين السطرين هنا علمت بأنه غاضب
يرغب بالخروج قفزت في داخل القبر كان بارداً جداً أمسكت
بوالدي لم أكشف عن وجهه كان ثقيلاً جداً رغم أنهم يقولون إن
الميت يصبح خفيفاً لأن روحه المحملة بهموم الدنيا هي الثقيلة
وضعته على كتفي رغم ذلك وتوجهت به إلى السيارة التي
استأجرتها مع صاحبها ودفعت له كثيراً من الأموال وابتعدت عن
المقبرة عائداً به إلى المنزل منزله ومكانه الذي يحبه... عاد أبي
إلى أحضاني..

فعلت كل هذا وأنا بعمر السابعة عشرة فقط

الجو كان بارداً جداً هكذا فجأة قرر فصل الشتاء أن يهب
بنسمته الباردة أم أنا فقط الذي أشعر بالبرودة في جسدي؟ لم
أستطع النوم رغم أنني كنت سعيداً بقراري لكن لم أنا الآن
أرتعش؟ والنوم هرب من عيني هل أنا نادم؟ لا لست كذلك
لن أندم أبداً لن أندم أنني أعدت والدي إلى المنزل ووضعت
جثته الآن في المبرد مع قطع عملاقة من الثلج لكن يجب أن

أحافظ عليه يجب أن لا أسمح للتعفن بأن يأكله لكن كيف؟
 كيف أحتفظ بجثة والدي إلى الأبد؟ القبور مخيفة لن أسمح
 ببقائه هناك بالتأكيد الشيء الذي فعلته هو الصبح لو كنت مكانه
 فبالتأكيد سيفعل الشيء نفسه هو لن يتركني وحدي في ذلك
 القبر المظلم، الأفكار تأكل رأسي حتى رأيت ضوء الشمس
 يتسلل إلى أرجاء المنزل لقد أتى الصبح وأنا ما زلت أفكر
 نهضت من سريري واغتسلت بسرعة كان ينتظرنني اختبار
 تحديد مستوى في الجامعة هذا ما كان ينتظره أبي لن أخيب
 ظنه أبداً وضعت خططاً لنفسني في حال أتى المحقق وسألني
 عن الجثة بالطبع سيعرفون أن الجثة سرقت لكن لم يأت أحد
 ولم يهتم أحد مسكين أبي لم يهتم به أحد وهو حي ولا وهو
 ميت، انتهيت من الاختبار ورغم أنني لم أدرس حرفاً واحداً
 وكانت نفسي مدمرة وكانت الأفكار تأكل رأسي إلا أنني
 نجحت في الاختبار وبأعلى الدرجات، لم أكن سعيداً لكنني
 ركضت نحو المبرد وفتحته وقلت لأبي بأنني نجحت وشهر
 فقط سأكون في الجامعة لكن خلال هذا الشهر يجب أن أفعل
 المستحيل ماذا أفعل؟ الجامعة في العاصمة كيف أذهب إلى
 هناك بجثة والدي؟

نمت في تلك الليلة والأفكار تأكل رأسي كنت أشعر باكتئاب
 كنت على وشك الاستسلام ماذا أفعل بأبي؟ سيتعفن إذا لم أجد
 له حلاً! نمت والدموع تنهمر على وسادتي من شدة اليأس
 لا أريد أن أخسر أبي مرة ثانية..

ما أن نمت رأيت حلماً غريباً وطويلاً رأيت الحل الذي كنت أبحث عنه لحفظ أبي لم أكن أعرف ما هو التحنيط ولم أسمع بهذه الكلمة حتى ورغم ذلك رأيت شخصاً كان ذلك الشخص طويلاً وعريضاً وكأنه هو نفسه الذي قتل أبي الشخص الذي رأته يخرج من منزلنا ولم يصدقني أحداً! الغريب أنه أمسك بيدي وذهبت معه نزلنا إلى القبو الذي كنت أضع فيه والدي فتحنا المبرد وأخرجنا جثة والدي وضعناها على طاولة خشبية، الغريب أكثر أنني لا أستطيع رؤية وجه ذلك الرجل كان يلبس قناعاً مخيفاً جداً لا أستطيع وصفه كنت أراقبه أو كأنه كان يعلمني على هذه المهنة مهنة التحنيط!!

أرى ذلك الرجل وهو يحضر الكثير من الأشياء والأدوات ولم أكن أعرف ما هذا؟ وماذا يفعل؟ بدأ الرجل بنزع ملابس أبي كان جسد أبي متيبساً لم أستطع أن أحركه أبداً حاولت وفعلت قدر المستطاع أصابعه اليسرى حاولت تعديلها لكنها تكسرت بسهولة في يدي لذلك قررت أن أتركه مثلما هو كان الأمر صعباً جداً الثلج لم يستطع السيطرة على التعفن جسده تآكل ألوان عديدة تتشرف في جسده بثور بقع رضوض كسور لكن لم يستسلم الرجل ولا أنا وبدأنا بعملية التحنيط، أولاً دعوني أخبركم عمليات التحنيط قديماً كيف تكون:

لقد اختلف الباحثون في عدد هذه الخطوات، بعضهم قال إنها ١٣ خطوة والآخرين قالوا أقل، لكن هذه الخطوات موجودة في البرديات وفحص المومياوات المصرية وتتركز في ست خطوات:

١ - الغسل والتطهير

يقوم المحنطون بغسل المتوفى وتنظيفه من الأوساخ بوضعه في حوض الغسل، الهدف من الغسل بالماء وملح النطرون أنه يساعد على البعث والولادة.

٢ - نزع المخ والأحشاء

قام المحنط بامتصاص الماء من جسم المتوفى ونزع الأحشاء على حدة ليجففها وقد نزع المخ أولاً ثم أعضاء البطن والصدر.

كانت بمثابة أولى خطوات التحنيط التي كان يتبعها المصري القديم قبل الغسل والتطهير

أولاً: نزع المخ

يقوم المحنطون بنزع المخ من خلال العظمة المصفوية أو من فتحة خلف العنق، يستخدم المحنط آلة نحاسية طويلة ويحشرها داخل جمجمة المتوفى ويحرك الطرف الآخر الموجود خارج الجسد ويقوم بقطعه إلى قطع صغيرة ليخرجها من فتحتي الأنف، وعند الانتهاء من تفرغ الجمجمة من النسيج يقوم بوضع سائل مستخرج من أشجار الصنوبر من خلال إدخاله عن طريق الأنف.

ثانياً: استخراج الأحشاء

يقوم المحنط بإخراج الرئتين والمعدة والأمعاء والكبد والكليتين عن طريق شق فتحة في الجانب الأيسر من البطن،

ويضع هذه الأعضاء في ملح النظرون ويدهنها بزيت الأرز ويلفها بالكتان ويضعها في الأنية الكانوية، ثم يقوم بإرجاع القلب والكليتين في جسد المتوفى لأن القلب له دور في العالم الآخر كوضع النيات.

٣- وضع مواد الحشو

تقوم هذه المرحلة بالدور الذي قصد إليه المحنظ في حال اكتمال ٧٠ يوماً.

أولاً: مواد الحشو المؤقتة

هذه المواد توضع في جسد الميت ولا تنزع منه لأنها تقتل البكتيريا ولكن تنزع من الجسد بعد عملية التجفيف وهي ثلاثة أنواع من لفافات الكتان وهي: لفافات بها ملح النظرون لتمتص المياه، لفافات كتان تمتص السوائل المتبقية، لفافات كتان تضم مواد عطرية.

ثانياً: مواد الحشو الدائمة

هي مواد حشو تبقى للأبد ومنها: ملح النظرون، نشارة الخشب، المر والقرفة، لفافات كتانية مغموسة بالراتنج الصمغي، البصل.

ثالثاً: مواد حشو تحت الجلد

هي توضع تحت جلد الميت تعطي الجسد ملامحه عندما كان حياً لتستطيع الروح التعرف عليه، توضع في الطبقة

الوسطى من البشرة هي الأدمة ومن هذه المواد: الطين، الكتان، الرمال، نشارة الخشب، زبدة وصدودا، هذه المواد توضع من خلال فتحات في الذراعين والساقين والظهر.

٤ - التجفيف:

يلقي المحنط كميات كبيرة من ملح النطرون على جسد الميت لمدة ٤٠ يوماً لتخليص الجسم من وزن الجسد وهو الماء، وتخليصه أيضاً من الأطعمة التي تناولها المتوفى، وملح النطرون يتكون من كربونات وبيكربونات وكلوريد وسلفات الصوديوم لذلك هو يلعب دوراً مهماً في عملية التجفيف، في هذه المرحلة كان المتوفى يوضع على سرير حجري مائل وفي أعلى سطح السرير توجد قناة تتجمع فيها المياه من الجسد ثم تتجمع في حوض أسفل السرير، بعد انتهاء مدة التجفيف يقوم المحنط بإزالة ملح النطرون واستخراج مواد الحشو المؤقتة.

٥ - صب الزيوت والدهون

تعالج هذه الخطوة التغيرات الجسدية بعد التجفيف مثل لون الجسد واحتراق أنسجة الجلد وانكماش الدهون أسفل الجلد، ويقوم المحنط بصب سائل أبيض مغلي وهو الراتنج على جسد الميت، المواد المستخدمة في هذه الخطوة: الراتنج، زيت الأرز، دهان مرحت، شمع النحل، زيت التربنتين، ولقد استغرق المحنط عشرة أيام للقيام بدهن

الميت ولفه بالكتان والملابس، وبعد انتهاء المحنط من صب الزيوت يقوم بإغلاق فتحات الجسد مثل العينين، الأذنين، فتحتي الأنف والفم بالضغط على العينين لتسقطا ويضع فوقهما قشرة بصل لمنع البكتريا، ويسد فتحتي الأذن والأنف بأقراص الراتنج، ويعالج الفم بملئه بالكتان ثم يلصق الشفتين بشمع النحل، أما فتحة التحنيط فتخوف المحنط من دخول الأرواح الشريرة فكان يلصق على الفتحة تميمة العين الحامية (عين حورس) أما فتحة الشفتين فقام بتخييطها بأوتار الكتان وإصاقهما بشمع النحل.

٦- التكفين

بعد وضع صبغ الوجه ووضع الباروكات والصنادل والحلي يقوم الكاهن (سشمو) بعد ذلك بلف الجسد أسبوعين بالكفن ويصاحب كل لفة قراءته لتعويذة وتهدف هذه المرحلة إلى توفير حماية إضافية للجسد لمنع التحلل، يلون الكفن باللون الأحمر وتنتهي خطوات التحنيط بوضع القناع على وجه المتوفى ومن ثم قام الرجل بإخراج كتاب أسود وبدأ بالقراءة كان يقرأ بلغة غير مفهومة وكأنها تعويذات كتب على الكتاب: «التعاويذ من كتاب الموتى ودفن الجسد المحنط».

كانت هذه طريقة التحنيط القديمة استخدمها ذلك الرجل على والدي فأنا لم أستخدمها أبداً على أي جثة أخرى!!

فتحت عيني رأيت أنني ما زلت في الليل؟ اعتدلت في
 جلستي كنت أشعر بتعب وإرهاق شديدين يحتلان جسدي
 وكأنني كنت أقوم بمجهود في الليل لم يكن لدي هاتف سابقاً
 ولا جهاز محمول حتى لكن اشترى لي المحقق كل هذا كان
 يعتني بي كثيراً هو زوجته حتى إنهما اشترى لي الكثير من
 أغراض المطبخ لم أكن أعرف كيف أستخدم كل هذا لكن
 أخبرني المحقق بأنني سأحتاجها بما أنني سأكون طالبة جامعياً
 قريباً، فتحت الهاتف هنا صعقت رأيت أن التاريخ كان ٢٢
 سبتمبر! وقد نمت في ٢٠ سبتمبر!! هل نمت لمدة يومين
 مستحيل!؟ من الممكن أنه من شدة الأرق الذي كنت أعاني منه
 والإرهاق النفسي والجسدي الذي لازمني من بعد جنازة أبي،
 شممت رائحة غريبة تذكرت ذلك الحلم الغريب الذي رأته
 شعرت بأنه طويل لدرجة عشت فيه كل ثانية ودقيقة وساعة كان
 واقعياً أكثر من وجودي الآن حتى نهضت من على الفراش كان
 المنزل مظلماً جداً وبارداً توجهت بخوف وقلق يحفران قلبي ولا
 أعلم ما السبب مشيت باتجاه القبو لكي أرى جثة والدي كالعادة
 بدون أي حل فتحت الباب ونزلت وهنا شعرت بأن صاعقة
 ضربت صميم دماغي بعد أن رأيت هذا المشهد أمامي!!:

كان القبو فوضوياً به الكثير من الأدوات التي رأيتها في الحلم
 كانت أحشاء أبي الميتة والمتعفنة كلها موضوعة بإهمال بشكل
 مرعب ومقزز على الأرض كان أبي أو لم يكن أبي؟! بلى إنه أبي
 لكن كان جالساً على كرسي وكانه جماد وكانه منيكان أو دمية

رمادية وأعينه مفتوحة شفاته مشققتان ما زالت أطراف أصابعه
زرقاء مع رمادي يرتدي ملابس جديدة بشرته مشققة وكأنه جثة
أعيد ترميمها..

كنت أغمض عيني وأفتحهما ظناً أنني ما زلت في الكابوس،
حتى لمحت ورقة موضوعة على الطاولة الخشبية كتب فيها بخط
يد غريب وكأنه لا يستطيع أن يكتب أو تعلم الكتابة للتو وأنه لا
يعرف كيف يكتب بهذه اللغة:

- «لا تلمسه الآن بعد ثلاثين يوماً تستطيع أن تلمسه وإلا
فسيفسد! الأهم اترك المكان جافاً دائماً ولا تتركه رطباً
والدك يتعافى الآن لقد تم تحنيطه والتحنيط يعني إعادة
الميت إلى الحياة بشكل آخر»..

سنلتقي قريباً..

لم أستوعب ما الذي يقوله هذا الشخص؟ ولم أستوعب ما
الذي فعله بوالدي؟ لكن كل ما زرعت في عقلي هذه إشارة أنا
أيضاً أريد أن أفعل ذلك هذا يعني أن أبي عاد إلي هذا يعني أن
أبي حي وسيكون معي للأبد..

أغلقت باب القبو بهدوء ووضعت عليه قفلاً ذهبت إلى
الحمام اغتسلت وبدلت ملابسني وصنعت لي شطيرة بالبيض
وجلست في صالة المعيشة كنت أسعد إنسان علمت بأن حلمي
سيتحقق وسيبدأ من هنا الآن أنا سأصبح مثل أبي أستطيع أن
أعتني وأحتفظ بالجثث طالما كانت هذه وصية أبي، أراد أبي أن

أرث منه هذا الشيء وبطريقة أفضل، أصبح لدي إنترنت وبدأت بالبحث عن هذه الأمور ورأيت أن هذا الشيء ممنوع في أغلب العالم أو كل العالم؟ لماذا؟ البشر الأحياء أنانيون إنهم يرغبون أن يمتلكوا العالم وحدهم، لم يكن هناك أشياء أو كتب تفيدني بالخطوات لكن عرفت أن هناك تحنيطاً يسمى بالتحنيط الحديث! يقومون به للموتى فقط من أجل توديع أهاليهم لهم لمدة أربعة أيام أو أسبوع وبعدها يتم دفنهم لكن التحنيط يستمر لعدة سنوات والجثة تكون نفسها حاولت أن أتعلم أكثر حتى بعد شهر كنت أشاهد فيلماً اسمه «House of Wax» كانوا يقومون بصب الشمع الساخن على الناس ويقومون بتحنيطهم لكن في بعض الأحيان تتشوه الجثث وتتأذى كثيراً بسبب أن الشمع ساخن لكنها كانت طريقة مثالية لحفظ الجثث كما هي لقد كنت أعيد الفيلم حرفياً يومياً بدون ملل أو كلل، لقد صنعوا مدينة كاملة من الجثث المشمعة! هذا زاد لدي الشغف لماذا أنا لا أستطيع أن أصنع مثلهم؟ مدينة مبالغ فيها لن أستطيع أن أفعل ذلك وحدي لكن لا بأس بمنزل «منزل الألف جثة»!! هل أستطيع فعل ذلك؟ سيكون المنزل مزدحماً لكن لا بأس في البرد لن نشعر بالبرد سنشعر بالدفء، بقيت أحاكي وأرسم هذه الأحلام في مخيلتي ورأسي بعدها عندما كنت أبحث عن التخصصات في الجامعة اخترت التشريح لأن هذا الشيء سيبقيني قريباً من الجثث وسأتعرف على أجزاء الإنسان بشكل عميق، لكنني أيضاً رأيت تخصص الفنون كنت أحب الرسم كثيراً لكن لفت انتباهي أيضاً

النحت هذا مقارب للفن الذي سأمارسه، حسناً في نهاية الأمر
 اخترت التشريح لأن هذه الفنون أستطيع تعليم نفسي في المنزل
 النحت الرسم وغيرهما لكن التشريح لن أستطيع إلا في الجامعة
 والمستشفى، بعد ذلك قرأت وصية والدي اتضح أنه لديه حساب
 في البنك وهذا ما صدمني كان الحساب فيه تقريباً نصف مليون!!
 كان قد وزعها على مصاريفي للجامعة وللحياة، لم أسأل من أين
 أتى أبي بهذه الأموال هل من المعقول من وظائفه الثلاث دافن
 أموات ومغسل أموات ومغزٍ للأموال؟

أنا لم أسأل حتى كيف تم تحنيط أبي؟ هل أنا من قمت بذلك
 مع ذلك الرجل وأوهمني ذلك الرجل بأنه مجرد حلم وهو كان
 حقيقياً؟ ومن يكون ذلك الشخص وهل هو نفسه الذي قتل
 والدي؟ لا أعرف ولم أعد أريد أن أعرف شيئاً كل ما أريده الآن
 هو أخذ والدي والذهاب إلى العاصمة لكن كيف؟ كيف أستطيع
 أن آخذ أبي معي بدون أن يسألني أحد ما خطبه؟ في الأيام
 الأخيرة تعرفت على شخص يقوم بنقل الأشخاص المهاجرين
 غير الشرعيين أنا لست منهم أنا مواطن بالطبع لكن أتتني فكرة
 أقوم بدفع المال له وينقلني أنا وأبي إلى العاصمة هو سيأخذ
 المال ولن يسأل حتى ما هذا؟ ومن هذا ولماذا هو هكذا؟
 وبالفعل أعطيته المال استغرب كثيراً لأنني مواطن لكنه لم يسأل
 عن شيء اشتريت لأبي كرسي مقعدين وقمت بتبديل ملابسه
 وألبسته ملابس أنيقة كنت أشعر بالغرابة لكن يوماً بعد يوم
 أصبحت أرى نظراته لي فخوراً بي أنني قمت بالعمل الصبح يوماً

بعد يوم أصبح أبي يتحدث معي ويخبرني بأنه فخوري وسعيد لأنني نجله، انتقلنا أنا وأبي للعاصمة بعد أن أخفيت كل شيء يخص التحنيط وقمت بحرقها، بعدها تركت رسالة للمحقق وزوجته رسالة شكر ولم أخبرهما عن وجهتي ومن ذلك اليوم حتى الآن لم أر ذلك المحقق الذي لم أعرف اسمه حتى لربما أخبرني لكن لم يكن لدي عقل في تلك الأيام وكل عقلي كان مع أبي فقط..

وصلت إلى العاصمة وكنت قد قمت بشراء شقة عبر الإنترنت لم أكن أريد الاستئجار لأنني لا أريد أن أقوم بالنقل كثيراً مع أبي ولا أريد لصاحب الشقة أن يقوم بالشك بي أو إزعاجي لذلك منزلك بأموالك أفضل، التحقت بالجامعة وكانت الأيام سريعة كنت أقضي أيامي وحيداً ولم أشأ أن أتعرف على أحد أصلاً كنت أفكر بجمع الأموال أكثر حتى لا تنتهي أموالني اشتغلت مع الدراسة في الكثير من الوظائف الجزئية بدأت بالرسم كانت رسوماتي غريبة عرضتها للبيع لكن لم يشتريها أحد لأنني لم أكن معروفاً لكنني نجحت في بيع أول لوحة لي في مزاد لطلاب الجامعة كنت سعيداً جداً وكان من اشتراها طالبة تدعى «ثيا»! من هنا تعرفت على ثيا ليس فقط لأنها اشترت مني لكنني لم أستطع صدها أبداً كنا جميعاً في كلية الطب لهذا كنا نتقابل كثيراً لربما كانت الوحيدة التي لم تنظر إلي نظرة على أنني شخص غريب أطوار، مضت السنوات واستمرت في تجارتي وأعمالي ودراستي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، أما عن ثيا جثة

حصلت عليها فكانت في السنة الثانية من دراستي، كان الحي الذي أسكن به فيه الكثير من المتشردين المهاجرين المدمنين، كان متشرد في عمر الأربعين تقريباً يشرب كثيراً كان دائماً يأتي وينام بجانب شقتي خصوصاً أيام الشتاء كان جيع السكان يقومون بطردهم إلا أنا أشفق عليهم كثيراً لذلك أتركهم تارة أحضر لهم الطعام والشراب وفي الاختبارات النهائية كنت قد خرجت من الجامعة متأخراً في الساعة التاسعة مساءً كانت الثلوج تتساقط وصلت إلى الشقة ورأيت ذلك الرجل نائماً كالعادة ظننت أنه نائم، اقتربت منه وحاولت إيقاظه لكن صدمت بعد أن عرفت أنه ميت وضعت يدي على نبضه لكنه كان متوقفاً، المسكين مات من شدة البرد والجوع وهذا ليس غريباً أبداً، التفت يميناً ويساراً كانت الشوارع فارغة الجميع في منازلهم لم يكن هناك أيضاً أي كاميرات لا في الحي ولا في المبنى لذلك قلت لنفسني: أين سأجد أفضل من هذه الفرصة؟ شخص مات طبيعياً لم أؤذِه أبداً لن يبحث أحد عنه حتى كان حلمه أن يكون في منزل يؤويه لذلك سأحقق حلمه..

سحبت جثة الرجل داخل منزلي كانت أول تجربة لي حقيقية في تحنيط جثة بنفسي بدون مساعدة ذلك الرجل الذي لم أره أبداً ثانية، هل أستطيع فعلها؟؟ وضعت الجثة في ثلاجة الموتى التي اشتريتها مؤخراً، بعدها قمت بشراء جميع الأدوات التي احتاجها من دافن موتى وعلمت بأنني أستطيع شراء هذه الأشياء هنا في هذه البلاد لمن يملك تصريحاً ويعمل في مجال الصحة

لكن أغلب الذين يقومون بشرائها هم دافنو الموتى لكن أنا لست كذلك لكنني كنت أحصل عليها بالمال المال يستطيع شراء أي شيء محظور..

يجمع المحنطون بين عقلية الفنانين والعلماء، ويقدمون من خلال عملهم خدمة ضرورية لبيوت الجنازات (ثلاجة الموتى أو قاعات تنفيذ مراسم الدفن)، وذلك عن طريق تنظيفهم لجسم المتوفى وحفظه وإعداده ليحظى بمظهر أفضل في مراسم الدفن. يهدف التحنيط لحفظ جثث الموتى باستعمال مواد كيميائية مُعينة، وهو ما يُفيد مثلاً في حالة الحاجة لنقل جثة المتوفى لمكان آخر قبل دفنه، وبالتالي يمنع التحنيط تعفن الجثة، كما أن بعض الطقوس في ديانات معينة تؤخر دفن الميت عدة أيام. لاحظ اختلاف مفهوم التحنيط الحديث عن تحنيط الفراعنة للجثث (الذي حفظ الجثث لقرون وآلاف السنين)!

هذا ما قرأته خلال بحثي عن الموضوع إذاً ما سأقوم به هو التحنيط الحديث لكن كم تدوم مدة حفظ الجثة؟؟ لأن التحنيط القديم الذي استخدمته مع أبي لم أستطع أن أجد تلك الأشياء التي وضعها ذلك الرجل في جسد أبي لا بأس سأجرب الطريقة الحديثة وبعدها سنرى كم ستبقى الجثة معي..

قمت بالاستعداد والتجهيز كنت متحمساً جداً لبدء أول خطوة نحو الحلم، نبدأ بالخطوات سأخبركم عنها بالتفصيل دعوني أفدكم ببعض العلم النادر:

إعداد الجسم:

تحقق من أن الجسم متوجهٌ للأعلى. إذا كان الجزء الأمامي للجسم مشيراً للأسفل فإن الجاذبية ستشد الدم للأسفل باتجاه أكثر الأجزاء انخفاضاً، خاصةً الوجه. هذا من شأنه أن يغير لون الوجه ويسبب انتفاخ ملامح الوجه، مما يؤثر سلباً على انطباع المظهر الحيوي لمن ينظر للميت.

اخلع أي ملابس يرتديها الميت. ستحتاج لرؤية الجلد لرصد علامات نجاح تحنيطك، لذا يجب أن يبقى الجسم مكشوفاً طوال تلك العملية. أزل أي إبرة داخل الوريد أو القسطرات أيضاً.

ستحتاج عادة لتسجيل أي شيء مميز بجسم الميت بالإضافة لأي جروح أو كدمات أو تشوهات لونية في تلك اللحظة في مستند تقرير التحنيط. ستستخدم هذا المستند كذلك لتوثيق خطوات العملية والكيمائيات التي استخدمتها. يعمل هذا التقرير كتأمين إذا قررت العائلة أن تقاضي بيت الجنازات (ثلاجة الموتى أو قاعات تنفيذ مراسم الدفن) لأي مبرر.

احترم الجسم طوال الوقت. استخدم ورقاً أو منشفة لتغطية الأعضاء التناسلية ولا تترك أي أدوات على سطح الجسم خلال العمل. افترض أن عائلة الميت قد تدخل عليك في أي لحظة. الاحترام هو أهم شيء حتى تحصل على ثقة الجثة..

طهر الفم والعيون والأنف وغيرها من الفتحات. استخدم مطهر قوي لتنظيف تلك الملامح من الداخل والخارج.

تفحص الميت لمعرفة نوع السائل الذي ستحتاج إليه. يستغل بعض المحنطين هذه الفرصة لخلط وتجهيز كل السوائل التي يحتاج إليها في تنفيذ العملية. عادةً من الجيد تخفيف ٥, ٥ لتر من السائل بـ ٧, ٥ لترات من الماء.

احلق شعر الجسم. في العادة يتم حلق شعر الوجه في تلك اللحظة، بنفس طريقة حلقك لشعرك. يتم حلق شعر الرجال دائماً، بينما النساء والأطفال يتم أحياناً حلق أي شعرات منفردة على الوجه.

دلك الجسم لتحريره من التخشب الموتى. دلك العضلات الكبرى لتخفيف الشد وحرك المفاصل المتيبسة لتفكيكها. إذا كانت العضلات مشدودة فإنها ستزيد الضغط خارج الأوعية الدموية، مما يبعد سائل التحنيط عن المكان الذي يجب أن يتجه إليه.

ضبط ملامح الوجه:

أغلق العينين. اعتن جيداً بإعداد العيون. عادةً ما تميل الجفون للسقوط للوراء في جوف العين، لذا يتم وضع قطعة قطنية صغيرة ما بين الجفن والعين لإخراجها. في بعض الأحيان يتم استخدام غطاء بلاستيكي للعين لهذا الغرض.

لا يتم خياطة الجفون لإغلاقها أبداً ولكن أحياناً يتم استخدام الصمغ لذلك.

يجب ضبط ملامح الوجه قبل استخدام سائل التحنيط، وذلك لأن السائل سيجعل الجسم صلبًا إلى حدٍّ ما، مما يصعب من ضبط الملامح بعد ذلك. عني أنا لم أغلق أي عين لجثة جميعهم كانت أعينهم مفتوحة هذا أفضل هم يستحقون أن يشاهدوا هذا العالم..

أغلق الفم واضبطه في وضعه الطبيعي. عادةً ما تستخدم إحدى طريقتين لضبط الفم.

أحيانًا تتم خياطة الفم باستخدام خيط الجراحة بإدخال إبرة ملتوية في الفك تحت اللثة ثم للأعلى من جديد عبر الحاجز. تجنب ربط الخيط بإحكام شديد لكي يظل خط الفك ذا شكل طبيعي.

عادةً ما يستخدم مسدس حقن إلى جانب أداة فموية. تعمل تلك الأداة كواقى الفم أو مواد الاستعاضة الصناعية السنية على تثبيت الفكين بعضهما مع بعض بالعضة الطبيعية والمحاذاة الصحيحة للفك. عادةً ما تقل نسبة الخطأ البشري في تلك الطريقة. أحيانًا بعض الجثث أقوم بجعلها تبسم وآخرون لا أقوم بتبديل ملامحهم لكي يستطيعوا التعبير عن مشاعرهم..

رطب الوجه. تستخدم كمية صغيرة من الكريم على جفون العين والشفنتين لمنعها من الجفاف، مما يعطيها مظهرًا طبيعيًا حيويًا.

تحنيط الشرايين:

اختر مكان القطع. يتم تحنيط الشرايين بإدخال سائل التحنيط (خليط من الفورمالدهيد وكيمائيات أخرى وماء) إلى الشريان

مع تصريف الدم من وريد قريب أو من القلب. يتطلب تحنيط الجسم في المعتاد ٥, ٧ لترات من الماء.

عند الرجال يتم عمل القطع بالقرب من قاعدة العضلة القصية الترقوية الخشائية والترقوة، أما للإناث والصغار فإن المكان الفخذي هو الأفضل..

قم بعمل القطع. نظف نقطة الوريد واصنع نقطة دخول وأدخل أنبوبة التصريف تجاه القلب. اربط رابطاً حول الطرف السفلي من الأنبوبة.

كرر الشيء نفسه مع الشريان ولكن أدخل الكانيولا بدلاً من أنبوبة التصريف. ضع ملقط الكانيولا على الشريان لثبتيها في مكانها. استخدم ملقط إغلاق صغيراً لإغلاق الجزء العلوي من الشريان وإعاقة تدفق الدم.

شغل جهاز التحنيط ووزع السائل. خلال التحنيط اغسل الجسم بمبيد جراثيم أو صابون مضاد للبكتيريا واحرص على التحقق من التصريف خلال تدليك الأطراف لدفع الدم للخارج ودفع محلول التحنيط للداخل.

عند دخول السائل للشرايين سيزيد الضغط في الأوردة، مما يعني أن السائل يتحرك بالجسم. ستلاحظ أن الأوردة متفخمة بعض الشيء. افتح أنبوبة تصريف الوريد الوداجي دورياً للسماح للدم بالخروج لتخفيف الضغط.

جهاز التحنيط كنت قد اشتريته بخمسين ألف دولار وكان مستخدماً أيضاً! لأنني كنت في البداية أما الآن فلدي

أكثر الأجهزة والتقنية المتطورة والباهظة الثمن دعونا نكمل الآن الخطوات..

خفف الضغط تدريجيًا. عند تبقي حوالي ٢٠٪ من المحلول أغلق الجهاز واعكس الكانيولا للجانب الآخر من الشريان الذي اخترت حقنه. يُحفظ ذلك الجزء الذي كان مغلقًا بالكانيولا سابقًا. احرص على خفض الضغط لأن السائل يجب أن يتدفق لمسافة قصيرة فقط، وأنت في غنى عن بروز أو التسبب في جحوظ العينين.

في حالة الشريان الفخذي سيؤدي ذلك لتحنيط الرجل السفلى. في حالة الشريان السباتي الأصلي سيؤدي ذلك لتحنيط الجزء الأيمن من الرأس.

أنه الأمر. بعد انتهائك من التحنيط للحد المطلوب أو إذا نفذ السائل أغلق الجهاز وأزل الكانيولا واربط الأوردة والشرايين التي استخدمتها. خيِّط أماكن القطع بالخياط الجراحية لإغلاقها. استخدم بودرة الإغلاق حتى لا تحدث أي تسريبات.

تحنيط التجاويف:

استخدم مبزلة (نوع من المِصفاة) لشطف محتويات الأعضاء. بما أنك نظفت الشرايين الآن ستحتاج لتنظيف داخل الأعضاء قبل تراكم البكتيريا والغازات وخروج السوائل الزائدة من الفم أو الأنف.

اشطف تجويف الصدر. أدخل المبزلة ٥ سم لليمين و ٥ سم أعلى سرّة البطن. نظف الأعضاء المجوفة كالمعدة والبنكرياس والأمعاء الدقيقة.

اشفط التجويف السفلي. أزل المبزلة وألفها ثم أدخلها بالجره السفلي من الجسم لشفط محتويات الأمعاء الغليظة والموثبات والرحم في حالة الإناث. أحياناً يتم ملء المهبل والشرح بالقطن لتجنب التسريب.

احقن سائل التجاوييف بالجذع. يتكون سائل التجاوييف عادة من ٣٠٪ فورمالدهيد ويتم استخدام طريقة الحقن بالجازية لدفع سائل التجويف لداخل الأعضاء المجوفة لتعقيمها وحفظها.

احرص على الوصول لكل من الأعضاء العليا والسفلى. هذه الخطوة هامة للغاية لمنع الإسهال.

أزل المبزلة وأغلق الفتحة بالمسمار الطبي الخاص بها. نظف المبزلة وضعها جانباً.

وضع الجسم بالنعش:

اشترت تابوتاً خاصاً له حيث إن الشقة لم تكن تسمح بأن أجعلهم يتجولون نحتاج إلى منزل أكبر لذا قمت بشراء أرض بياقي المبلغ الذي تبقى من حساب والدي وبدأت ببناء هذا القصر الذي أملكه الآن لكي يتماشى مع معايير وتصاميمي الخاصة، لنكمل الآن الخطوات النهائية:

اغسل الجسم جيداً. استخدم المطهر نفسه الذي استخدمته سابقاً لتنظيف الجسم بشكلٍ كامل لإزالة أي دم وكيماويات متروكة خلال عملية التحنيط. اعتنِ بالجسم جيداً في تلك العملية.

ضع اللمسات الأخيرة على الملامح. يتم وضع مكياج حيوي على الوجه وقص الأظافر وتسريح الشعر والعناية به.

ألبس الجسم قمم باللباس الجسم ملابس أنيقة تليق به، بالنسبة لأول جثة وهو المتشرد قمت بشراء ملابس له كان يرغب بها عندما رأيته في يوم ما يقف بجانب ذلك المحل للملابس الرجالية وينظر إليها وهي على المانيكان وقال لي إن المانيكان يعيش حياة أفضل منه وهو محق..

وأخيراً أصبح متكاملًا ومثاليًا وضعته في التابوت الخاص به كان يشع نظافة وجمالاً أكثر من حياته السابقة قمت بطبع بطاقة عليها اسمه وعمره وهوايته والأشياء التي يحبها علقتها في رقبته وقلت بسعادة:

أهلاً بك يا «جوزيف» في عائلتي..

وكان جوزيف أول شخص ينضم إلى عائلتنا كنت أشعر بشعور السعادة والفخر كنت أرى أنني فعلت ما يليق بموهبتي وبعقلي العبقري كنت أرى أنني أبدعت أكثر من ذلك الرجل الذي قام بتحنيط أبي، كان عملي مثاليًا أكثر أو أن الحصول على جثة وتحنيطها وهي طازجة أفضل ويظهر عملاً مثاليًا متكاملًا عكس والذي لقد تأخرت عليه كثيراً لكنني لم أكن أعرف هذا الشيء لكن لا بأس لقد أنقذته أن تصل متأخراً خيرٌ من أن لا تصل..

بقيت في تلك الليلة لم أنم من شدة السعادة بقيت أتأمل جوزيف بدا وكأنه كالتحفة الفنية تخيلت كيف سيكون المنظر

لو كانوا مائة أو مائتين أو ألفاً أو ألفين؟؟ لا أستطيع حتى أن أتخيل المنظر سيكون بالنسبة لي كالجنة..

أصبحت وشعرت بأنني أستطيع التواصل معهم شعرت بأنني شخص مميز العالم أجمع يخاف من الجثث إلا أنا لماذا نخاف منها أصلاً والبشر الأحياء هم أكثر إخافة من الأموات، لماذا لا نعطي الأموات فرصة؟ بالتأكيد هم أيضاً لديهم قصص لديهم أمنيات لديهم أشياء أخرى أشياء أكثر إثارة للفضول أشياء لم نرها من قبل!

من بعد والدي من هنا بدأت العمل على مشروع وحلمي أن يكون لدي منزل ضخم وبه أكبر عدد من الجثث..

امتد حلمي مع سنوات حياتي ويوماً بعد يوم تزداد أكثر وأكثر رغبتني لا امتلاك جثث أكثر كرغبة الطفل بامتلاك عدد أكثر من الدمى، لطلالما عشت في جنازة ومن جنازة لجنازة لطلالما أصبحت أحفظ مشاعر أهالي الموتى ومشاعر الموتى أنفسهم لطلالما عرفت كيف يشعر الميت عندما يتم نبذه وحيداً في الثلجة ثم إلى القبر أردت أن أحتوي الموتى كما هم احتواني من الطفولة حتى الآن لذلك أتوقع أن هذه الجنازة تدور في رأسي لن تتوقف عن الدوران حتى أفعل هذا الشيء..



«الفصل الثاني عشر»

«جثة بلا وجه»

إن العالم ليس مثاليًا ولا يوجد شيء مثالي في هذا الكوكب وكل شيء على هذه الأرض ليس سويًا وليس معتدلاً إن الأرض بطبيعتها مائلة لكن لا نشعر بها ولكننا نميل معها تدريجياً ننحرف شيئاً فشيئاً بدون أن نشعر ومع اختلال توازننا بسبب الميلان نسقط في الهاوية إلى الأبد...

لا أظن أن حياة البشر مهمة لهذه الدرجة البشر وجدوا لكي يسعوا في الأرض يعمرون فيها لكن كل ما فعلوه هو هدمها فقط، إنهم عابثون في هذه الأرض يخترعون الحروب والأمراض والفساد والقتل كل الأشياء السيئة يفعلها البشر إنهم يفعلون كل ما هو شرير وقبيح وخبيث لذلك لم أخف يوماً من الأموات ولا من الجن والشياطين والأشباح والعمالقة لأن البشر حتى إبليس يتعجب من أفعالهم ومن هو إبليس عند خبث البشر؟

للجميع الذين سيقروون هذا الكتاب كتابي هذا لا أعلم متى سيصلكم؟ ولا أعلم متى سيخرج إلى هذا العالم؟ لكن أعلم شيئاً واحداً وهو أنكم ستتعجبون من قصتي من حياتي من الأشياء التي أفعلها، أعلم بأنكم ستقززون وتنفرون من موهبتي

لكن لا يهمني أبداً بقدر ما يهمني أن هناك أناساً سيعجبون بهذا الفن وسيتشتر كثيراً لا أعلم هل سأشاهد ذلك أو لا؟

لا أخاف ولا أشعر بالرعب من فكرة كوني الوحيد المختلف في هذا الكون الخوف هو أنه لا أحد سيتقبل اختلافي هذا أخاف أن تهدم أفكاري كبرج تم بناؤه في سنوات طويلة ويقومون بهدمه في غضون دقائق مثل الأشخاص الذين يتحدثون مع أنفسهم في المرأة أو في الفراغ ويقولون عنهم مجانين إنه جنون وهل تعرفون ما هو الجنون أصلاً؟ وما الشغف والإنجاز والأحلام والنجاح كلها تبدأ من هذا الجنون كلها تبدأ من الحديث مع نفسك مع الخيال المطلق إن حديثك مع نفسك أو مع الفراغ أفضل من حديثك مع بشري تافه لأنه لن يستوعب أفكارك التي ستكون أكبر من حجم تفكيره..

إن الحياة هي بحد ذاتها جنون نحن نعيش على كوكب مجنون ومرعب رغم هذا يتمصون العقل ويمثلون أنهم عقلاء، لطالما أرغب بأن أهرب من هذا الكوكب إلى كوكب آخر مختلف كوكب يشبهني ويشبه أفكاري إلى كوكب يتقبل جنوني واختلافي لكن المكان الذي لا تستطيع الذهاب إليه قم بصنعه بنفسك اخلقه وهذا ما سأفعله سأصنع كوكباً وعالمماً خاصاً بي كوكباً يكون فيه الاختلاف مسيطراً والجنون متسيداً إن الفن لا يعتبر فناً إذا لم يكن مختلفاً الاختلاف هو ملح الوجبة الرئيسة..

كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً قمت بتناول وجبة الإفطار أعددت جميع أدوات التحنيط لكي أقوم بتحنيط جثة «لورنس»

الذي مات من شدة المرض من منظر جثته أن هذا السرطان نهش
 جسد المسكين نهشه بدون رحمة، في الوقت نفسه كنت أفكر كثيراً
 وعقلي مشغول بوصول الشحنة كنت أنتظرها بلهفة وبعد كل خمس
 دقائق أنظر إلى هاتفي أنتظر اتصال المندوب اللعنة لماذا تأخر لهذه
 الدرجة؟ هل ذهب لكي يحضرها من أقصى المحيط أم ماذا؟ ما إن
 انتهيت من تدمري رن الهاتف نبض قلبي التقطته لكي أرى رقم
 المندوب أرسل لي أنه وصل إلى موقعي وأنه ينتظرنني أخبرته بأن
 يقوم بإنزال الصندوق ويضعه عند مدخل بوابة القصر وأنا سأتكفل
 بالباقي، وبالفعل قام بإنزاله أراقبه من الكاميرات أرى أن الصندوق
 طويل وكبير رغم أنه ملفوف بالكراتين، ذهب المندوب ونزلت
 بسرعة خرجت إلى البوابة أحضرت عربة الخشب ووضعت
 الصندوق فيها كان ثقيلاً جداً أكثر مما توقعت من الواضح أنه
 تابوت ازداد حماسي لدرجة بدأت أطرافي بالارتعاش أدخلته أخيراً
 إلى الاستديو الخاص بي وأنا ألتقط أنفاسي وألهث من ثقل هذا
 الصندوق! مسكين «لورنس» كان جسده خفيفاً كالريشة المرض
 امتص كل ثقله وامتص روحه في نهاية الأمر، لكن هذا الجسد
 لماذا هو ثقيل هكذا؟ هل من المعقول هذا ثقل التابوت كله؟!

رن هاتفي الخاص علمت بأنها ثياب ليس لدي أحد غيرها يتصل
 بي على هذا الهاتف وخصوصاً أن اليوم إجازة هل أجيب أم أقوم
 بتجاهلها؟ لأنني مشغول يجب أن أفتح هذا الصندوق حالاً لكن
 إذا تجاهلتها فأنا أعرف تماماً أنها ستأتي إلى منزلي، حسمت
 أمري وقمت بالرد:

- مساء الخير يا حبيبي

- مساء النور «ظلي» لماذا لا تجيب؟

- أعذر لقد كنت أتناول الغداء مع أبي.

- إذا تناولت الغداء مبكراً كنت أرغب بأن أتناوله معك بما

أن اليوم إجازة أنا قريبة من منزلك لقد اشترت صندوق

المعكرونة بالروبيان التي تحبها لم أظن أنك أكلت

- أوه.. لا بأس إذا تعالي سأكل من أجلك مئة مرة

- حسناً لقد اقتربت كثيراً أراك بعد قليل..

أغلقت الخط على ما يبدو أفسدت ثيا كالعادة جدولي لكنني

لا أستاء أبداً إنها ثيا، خرجت من الاستديو أغلقته بالكامل

وخرجت من القسم الثاني للقصر وتوجهت إلى القسم الرئيسي

حضرت المشروب الذي تحبه ثيا حضرت طاولة الطعام وبعض

المقبلات كالسلطة كذبت على ثيا عندما أخبرتها أنني تناولت

وجبة الغداء وأنا لم أفعل طبعاً كنت مشغولاً بالتحنيط من الساعة

السادسة صباحاً وحتى الحادية عشرة لم آخذ فترة راحة لأنني

كنت متلهفاً ومتحمساً وأيضاً كنت أرغب بالانتهاء منه لكي أتفرغ

لهذه الجثة التي وصلتني يا ترى كيف هي؟ هل هي متعفنة؟ لكن

أخبرني بأنها بخير وعلى أكمل وجه من المثالية لكن لماذا؟!

الجثة تتعفن في أسبوع واحد وتصبح متعفنة من الدرجة الثانية

في أسبوعين وتبدأ تتأكل وتصبح مهشمة وتتعفن من الدرجة

الأولى في الأسبوع الثالث حتى وصلت إلى هنا أخذت تقريباً

أربعة أيام ومن كم يوماً كان يملكها البائع؟ هل من المعقول أنه خدعني وأن العثة ستكون مهترئة؟ لن أستطيع ترميمها إذا كانت مهترئة من الدرجة الأولى

قاطع تفكيري صوت جرس الباب علمت بأن ثيا وصلت فتحت لها استقبلتني كالعادة بوجهها البشوش الجميل الذي يبدو وكأنه القمر بحد ذاته هبط على منزلي، احتضنتني وهي تحمل أكياس الطعام:

- آسفة هل والدك سيشعر بالاستياء؟؟

سألت لأنني دائماً ما أخبرها أن أبي لا يحب أن يقابل الضيوف ولا أي أحد

أجبت وأنا ألتقط الأكياس من يدها:

- ماذا تقولين؟ لا بأس هو أصبح لا يستاء من وجودك هو الآن يأخذ قيلولة وقد أخبرته سابقاً بأنك ستكونين هنا اليوم هيا تعالي دعينا نأكل،،

انتهينا من تناول الطعام وصنعت لي ولثيا كوبي قهوة تحدثنا عن موضوعات كثيرة أغلبها عن العمل حتى الساعة الرابعة عصراً غادرت ثيا لأنها كان لديها رحلة عمل في مدينة أخرى، ما أن ودعتها ورأيتها تغادر عدت أخيراً إلى الاستديو أولاً قمت بوضع جهاز بخار التبريد على جثة «لورنس» لأنه من الضروري بعد التحنيط بأربع أو ثلاث ساعات إدخال خرطوم جهاز بخار التبريد بداخل التابوت حتى تجف السوائل بشكل أسرع ويصبح

متناسكاً أكثر، أخيراً ها أنا أقف مقابلاً لهذا الصندوق أو التابوت
المغلق أحضرت مشروطاً لكي أفتح هذا التغليف من شدة كثرة
التغليف وطريقة ربطه بحزم وقوة وكان بالداخل فنبلة موفوندا
قمت بتقطيع أشربة اللصق المقوى وإزالة جميع السورق وأخيراً
هنا ظهر لي التابوت اتسعت حدقتا عيني عندما رأيت هذا
الشيء!! لم يكن تابوتاً عادياً بل كان أجمل وأغرب تابوت لراه
في حياتي كان التابوت أسود اللون عليه رسومات غريبة وجبهة
ومظلمة وليس لها تفسير هناك الكثير من الرموز المكونة لـ
الأحرف بلغة غريبة باللون الذهبي والأخرى بالأحمر وكأن يبدو
تابوتاً لجثة ملك من العهد القديم!؟

لم أستطع التعمق في الرسومات أو الأحرف والرموز كنت أرغب
برؤية هذه الجثة التي تقبع في داخل تابوت يتمناه جميع الموتى من
جماله تحسست مكان الفتح لكن كان مغلقاً بقفل كان القفل أسود
وعليه بعض الرموز وقويّاً بحثت بجنون عن المفتاح في الكراتين
والأوراق المتناثرة لكن لم أجد أي شيء كيف لم يجلب المفتاح؟
هل يلعب معي هذا البائع؟ هذا القفل القوي حتى أشك بأنه
سيتحطم لكن لا بأس سأجرب ذهبت وأحضرت مقبضاً حديدياً
ضخماً وبدأت بضرب القفل ضربة تتبعها ضربة بدون أي فائدة من
قوة الضربات أصبح صوتها يصدح في جميع أرجاء القصر وفوق
هذا لم يחדش هذا القفل اللعين خدشة واحدة حتى! أحضرت شيئاً
آخر كان كالمنشار المصغر لكنه قوي وحاد بدأت أنشر القفل لمدة
ثلاث دقائق بدون أي فائدة بدأت طاقتي تنفذ والعرق يتصبب مني

رغم أن الجو في الاستديو هنا بارد جداً نشرت لأخر دقيقة ومن شدة غضبي وعصبيتي وتوترتي جرحت أصبعي بالخطأ جرحاً عميقاً جداً صرخت بصمت تألم قلبي لم يكن الجرح هيناً نزف الدم بغزارة في كل مكان على الأرض والتابوت، نهضت بسرعة بعد أن رميت بالمنشار توجهت إلى الحمام وضعت يدي تحت الماء لكن الدم لم يتوقف لذلك توجهت بسرعة إلى صندوق الإسعافات الأولية بدأت بمعالجة نفسي حتى توقف الدم وضعت ضمادة عليها وقررت أن أهدأ وأتمالك أنفاسي قليلاً، يجب أن أفكر كيف أفتح ذلك التابوت اللعين تناولت مشروبي وقمت بتدخين سيجارة لكي أهدأ قليلاً لا أتذكر متى آخر مرة تشئت أعصابي هكذا؟ لا أعلم ماذا أصابني قمت بالاستحمام وبدلت ملابسي فأنا أكره رؤية الدماء رغم أنني مشرح وأرى أكثر من الدماء حتى لكن لا أحب للدماء أن تتناثر في منزلي، رأيت أن الساعة أصبحت السابعة مساءً إنه وقت عشاء والدي لذلك قمت بتجهيز العشاء له دخلت إلى غرفته وضعت الطبق أمامه:

- هيا يا أبي حان وقت العشاء..

كان أبي يظهر تعابير على ملامحه لأول مرة أشاهدها كان يجتمع الخوف والغضب والحزن والدهشة كل هذه المشاعر على وجهه في وقت واحد!! استغربت وشعرت بالقلق:

- أبي هل أنت بخير ما خطبك هل أنت مريض؟؟

لم يرد أبي

- أبي أرجوك أجبني ما خطبك هل أنت غاضب مني لأنني تناولت الغداء مع ثيا؟

لم يجب أيضاً واكتفى بالاستلقاء بحزن وأدار ظهره لي هذه أول مرة أبي يقوم بإدارة ظهره لي يا إلهي ما الذي فعلت لكي يغضب أبي مني لهذه الدرجة؟ حتى عندما تببت ثيا هنا أو أنني أذهب معها لا يغضب لهذه الدرجة ما الذي حدث إذا؟ حسناً..

قلت متنهداً:

- سأترك صينية الطعام هنا أرجوك يا أبي كل ولو قليلاً لن أضغط عليك للتحدث الآن لا بأس إذا تحدثنا غداً صباحاً..

نهضت وسرت متجهاً إلى الباب وحين وصلت وضعت يدي على المقبض:

- «سيأخذك مني»..!

نبض قلبي بشدة عندما سمعت صوت أبي!! حسناً أنا دائماً أسمع صوته داخلياً أنا أتحدث معه في رأسي وهو كذلك لكن هذه أول مرة أشعر بأنني سمعت صوته ظاهرياً بهذا الوضوح وكأنه خرج الصوت من فمه! التفت إليه:

- أبي ماذا قلت؟ هل تحدثت للتو؟

لم أسمع أي رد حتى ظننت أنني أتوهم على ما يبدو أن أبي نام الآن، خرجت من الغرفة توجهت إلى غرفتي لكي أرسل بعض الرسائل الإلكترونية التي تخصص المحاضرات للجامعة،

استغرق الأمر مني عشر دقائق وأنا منغمس بالعمل كانت نافذتي الكبيرة تطل على القسم الثاني من القصر بعد ما جرحت وأنا أحاول أن أفتح التابوت بعد أن عالجت نفسي وخرجت أطفات جميع أنوار القسم وهذا ما أفعله يومياً بالطبع لكن فجأة وأنا أعمل اقتحمت الأضواء غرفتي رفعت رأسي لأرى القسم كله مضاء! في ذلك القسم لا يوجد نظام «أليكسا» ولا أي نظام آخر غير الكاميرات والاستشعارات فقط من المستحيل أن الكاميرات تقوم بتشغيل الأنوار نهضت من على الكرسي وضعت جهازي المحمول جانباً وعيناى تنظران إلى القسم الثاني من القصر لم يسبق أبداً أن حدث شيء كهذا من قبل أبداً قررت فتح الكاميرات من هاتفي لكي أشاهد إذا كان هناك أحد بالطبع مستحيل أن يدخل أحد من الخارج إلى القصر بسبب كثرة الأنظمة المشددة أيضاً جميع بوابات الدخول والخروج من جهة هذا القسم الرئيس الذي أسكن به وأستقبل فيه أي أحد كمنزل عادي، أما القسم الآخر فلا يوجد به أي بوابة مع سور عالٍ جداً ولا يمكن لأي شخص أن يدخل إليه بدون أن يدخل من هنا أولاً ويعبر الجسر، شاهدت الكاميرات لم يكن هناك أي أحد والأضواء فجأة هكذا بدون سابق إنذار أضيئت، وضعت الهاتف وقررت الذهاب إلى هناك مؤكداً أنه حدث ذلك عن طريق المصادفة فحسب أو ممكن أنه عطل في الكهرباء لا أعرف، وصلت إلى القسم الثاني من القصر كانت الساعة الثامنة مساءً فتحت الباب الرئيس والمدخل الوحيد من الجسر فقط كان مغلقاً ذهبت إلى الشرفات لأنها

عملاقة وتملك أبواباً أيضاً كانت مغلقة رغم ذلك أشعر بشعور غريب في القصر لا أعرف ما هو؟ توجهت إلى غرفة «كيران» و«كيارا» كانا نائمين والجميع نائمين لكن هناك هدوء مرعب صامت هدوء لدرجة أنني أسمع هذا الهدوء لم أجد أي شيء غريب سمعت فجأة صوت صرير باب؟ اتجهت نحو الصوت كان قادماً من باب الغرفة الأخيرة التي بجانب سلالم الاستديو دخلت إلى الغرفة كانت الغرفة فارغة وبها بعض التحف واللوحات فقط لكن لم يكن بها أي شيء غريب لم أستغرب من فتح الباب لأنني أترك الأبواب هنا مفتوحة، خرجت من الغرفة لكن سمعت صوتاً قوياً قادماً من الأسفل من الاستديو رغم أن الأصوات هناك معزولة تماماً ولا تخرج للقصر وقد صممته بهذا الشكل من أجل العمل وبعض أجهزة النحت والتحنيط التي يكون لها صوت قوي إلا أنني سمعت صوتاً الآن لأول مرة، نزلت عبر السلالم الملتوية حتى وصلت إلى عالمي الكامل الاستديو وغرفة الثلاثيات والنحت والرسم والتحنيط، بدأت بالتفتيش لم يكن هناك أي شيء ذهبت إلى الاستديو ورأيت جثة لورنس أيضاً كانت على حالها لا يوجد شيء يوحي بأنه سقط أيضاً، دخلت حتى وصلت إلى ذلك التابوت ما أن رأيته شعرت بالإحباط لأنني إلى الآن لم أستطع فتحه، رأيت دمائي على الأرض قد جفت اللعنة لقد نسيت أمرها ذهبت بسرعة وأحضرت الممسحة وقمت بالتنظيف عندما انتهيت عدت أتأمل هذا التابوت ما أن وضعت يدي عليه لأتحسس تلك الرموز البارزة المنقوشة

وضعت يدي على القفل لاحظت أن دمي أيضاً وصل إلى هنا كنت سأحضر الممسحة وأقوم بتنظيفه لكن هنا تجمدت في مكاني وأصبت بالصدمة عندما رأيت أن القفل أصبح مفتوحاً! وكان أحدهم فتحه بكل سهولة بمفتاحه الخاص كيف انفتح هكذا من تلقاء نفسه؟ بدأ قلبي بالخفقان وضعت الممسحة جانباً أبعدت القفل ويدي بدأت ترتعش وضعت يدي على غطاء التابوت أخذت نفساً عميقاً وفتحته!!

كانت الجثة لرجل يرتدي بدلة سوداء كان طويل القامة ضخم البنية وكأنه من عالم العمالقة القدماء الآن أنا عرفت لماذا التابوت كان كبيراً وطويلاً وثقيلاً! الغريب أكثر أن الجثة كانت نظيفة جداً لمست كفي يديه لم يكن محنطاً ولا حتى مشمعاً ولا أي شيء كانت طبيعية وما زالت بهذه الصحة والنظافة والقوة؟! لكن عندما وصلت عيناى عند وجهه أو رأسه كان مغطى كان رأسه ملبساً بكيس مثل كيس الفزاعات هنا شعرت بالتوتر قليلاً لكن يجب أن أزيل الكيس وأكشف عن وجهه، وضعت يدي على الكيس وانتزعته بسرعة وهنا شهقت مع صرخة فزع وسقطت للخلف بجسدي تراجع للخلف مبتعداً عن الجثة وأنا أحاول أن ألتقط أنفاسي وأصدق عيني ما رآته قبل قليل؟! كانت الجثة بدون ملامح!! نعم بدون ملامح كان وجهاً بدون أي ملامح بدون عيين ولا أنف ولا فم ولا آذان حتى؟ كانت تبدو وكأنها تم محوها بانتظام بدون أي خطأ، عدت وأنا أزحف إلى الجثة وألهث على أمل ضئيل بأنني أتخيل لكن عندما وصلت إليها مرة

أخرى لم أكن أتخيل للأسف كانت هذه الجثة بدون ملامح بالفعل بقيت مصدوماً لمدة عشر دقائق وأنا أنظر إليها أحاول أن أستوعب ما هذا؟ طوال حياتي عشت مع الجثث والأموات في المقبرة في المغسلة في المشرحة في المستشفى لكن لم تهلني أبداً جثة بدون ملامح!؟ بعد ما أخذت مني الصدمة عشر دقائق استيقظت منها بدأت بتفحص الجثة لم يكن معها أي شيء كنت أرتعش ولا أتذكر أنني في مرة ارتعشت وخفت من جثة في حياتي، كانت يدها بعضهما فوق بعض كان يملك عشرة أصابع بالطبع كنت أظن أيضاً أن هناك نقصاً في أطرافه مثل ملامحه لكن كانت مكتملة ولله الحمد لقد سمعت وأعرف أن هناك متاجرة بالبشر يسرقون الأعضاء الداخلية الأطراف اليدين الأقدام لكن لم أسمع من قبل بالمتاجرة بالملامح! كان يلبس في أصابعه ثلاثة خواتم غريبة في اليد اليمنى كان يلبس في السبابة خاتماً أسود به غطاء مثل القلادة التي يكون بداخلها صورة أو أي ذكرى أو أي شيء لكنه خاتم من الخارج عليه نقشات باللغة نفسها أيضاً المرصعة في جميع التابوت، الخاتم الثاني في اليد اليسرى في الأصبع الصغيرة والآخر في البنصر بجانب الأصبع الصغيرة كانا أيضاً يملكان شكل الخاتم الأول نفسه لكن بنقوش مختلفة وألوان مختلفة الخاتم في الأصبع الصغير لونه أحمر والخاتم في الأصبع الأخرى لونه رمادي والثالث أسود! حاولت فتح الأغشية لكي أرى ما بداخلها وأنا كنت أرتعش خوفاً لكنها رفضت أن تفتح، حاولت أن أنزع الخواتم ولا أعرف لماذا لكن

الغريب رفضت الخروج بدون مبالغة نعم رفضت أن تخرج من أصابعه شعرت بالتوتر واستسلمت، فجأة قفز قلبي من مكانه عندما سمعت صوت إنذار القصر يصدح في الأرجاء بدأ الصوت العالي والضوضاء في كل مكان نهضت بسرعة ركضت خارج الاستديو توجهت إلى غرفة الكاميرات والنظام من المستحيل أن يكون اشتغل عن طريق الخطأ وبالفعل رأيت في فناء القصر الداخلي للقسم الثاني أي هذا القسم يوجد كلب غريب من أين أتى؟ وكيف دخل؟ أنا أسكن هنا منذ أربعة أعوام تقريباً ولم أر أي كلب هنا ولا حتى في الغابات خرجت بسرعة بعد أن أغلقت النظام، لم يكن لدي سلاح حتى لكنني أخذت عصاً كانت للجولف لكنها للزينة فقط خرجت إلى الحديقة كان الجو صاعق البرودة وهنا أصبت بالصعقة والخوف والرعب عندما رأيت هذا الكلب يقف بكل ثقة ونظرات حادة باتجاهي بدون أي رمشة لم أخف من هذا بل من شكله أول مرة في حياتي أرى كلباً بهذا الشكل المرعب والمخيف وكبير الحجم لم يكن كلباً بل أشبه بأنه مخلوق مرعب غريب لكن عندما رأيته في الكاميرا قبل قليل لم يكن شكله هكذا أبداً؟

كان الكلب رأسه ضخماً لديه ملامح مخيفة وحادة لا يملكها الكلاب جسده الضخم يبدو وكأنه للتو ابتلع شخصين بالغين أقدامه كان يملك أصابع في أقدامه ويديه كأصابع الإنسان أسنانه بارزة ضخمة حادة لعابه يتسائل بحماس لالتهامي ينظر إلي بكل هدوء وأنظر إليه بكل رعب بدأت أراجع إلى الخلف بخطوات

بطيئة حذرة مرتعشة مع كل خطوة أخطوها للخلف يقوم هذا المخلوق بخطوة نحو الأمام باتجاهي أنفاسي ضاقت جسدي يرتعش العرق يتصبب مني أكره الكلاب لدي فوييا منها فما بالك بهذا المخلوق المتوحش الشبيه بالكلب؟ عندما قررت أن أركض بغباء لم أشعر إلا وقفز قفزة طويلة مختصراً بها كل الخطوات التي خطواتها، قبض بجثته الثقيلة والضمخة على جسدي الذي يبدو وكأنه فأر صغير أمامه صرخت بكل قوة وضعت عصا الجولف في فمه أحاول أن أصده لكن حتى متى؟ من سينقذني؟ وأنا أحاول أن أصده بكل قوتي كان أقوى مني بمراحل لعبه كان ساخناً وهو يتسائل على أنحاء وجهي شعرت أنني أموت بشكل بطيء شعرت بالقرف أكثر من شعوري بأنني سأموت الآن وهو يلتهمني، نفذت طاقتي تماماً شعرت بالخدر في جسمي أصبحت الرؤية ضبابية وهنا أوقعت العصا وأصبح كل شيء ظلاماً من حولي..



«الفصل الثالث عشر»

«مسألة الجدران»

١٩٩١ م.

- لماذا سرق أبي رأس الرجل الجثة؟؟

كان يترأود السؤال في رأسي ذهاباً وإياباً طوال طريق عودتنا إلى المنزل في ذلك اليوم كنت أريد أن أسأله لكنني اخترت الصمت خفت أن يغضب مني يجب ألا أتدخل في شؤون الكبار حتى لو كانت غريبة، وصلنا إلى المنزل بعد ما انتهى دوام أبي في المغسلة كانت الساعة الخامسة عصراً من المفترض أن يبدأ بعمله الثاني وهو دفن الموتى لكن قال إنه لن يذهب اليوم وهناك شخص آخر يحل محله:

- لماذا يا أبي أُن تذهب إلى المقبرة اليوم؟

سألته باستغراب ونحن ندخل المنزل

- لا يا بني لدي عمل خاص اليوم أقوم به هناك صديق لي

سيحل محلي في المقبرة..

- وما هو هذا العمل الخاص؟؟

سألته وأنا أخلع الحقيبة من على ظهري وطوال الوقت كانت
عيناي على حقيبة أبي التي وضع فيها الرأس:

- عمل خاص فقط سأذهب لمدة ساعتين وأنت ابتقي في
المنزل راجع أيضاً بعض الدروس عندما آتي سأحضر معي
طعام العشاء وأيضاً سأحضر لك اليوم بعض الحلوى إذا
سمعت كلامي..

صراحة لم أكن مثل الأطفال الآخرين كنت مختلفاً ولا تهمني
هذه الأمور لذلك قلت ببرود:

- لا أحب الحلوى يا أبي وأنت تعرف ذلك أريد شيئاً آخر!
- ما هو؟ إذا كان لدي المقدرة فسأحضره لك؟
- أريد الكتاب الذي تقرأه أرغب بقراءة الكثير من الكتب..

أجبت بحماس

- لكن أنت بالفعل لديك قصص كثيرة مصورة إنها تناسب
عمرك يا بني لكن هذه الكتب للكبار فقط..

شعرت بالإحباط والحزن، ثم استرسل في حديثه وهو يمسح
على شعري:

- حسناً سأعطيك كتاباً واحداً من كتبي وأنا سأختاره لكن
الأهم لا تخرج أبداً من المنزل ولا تفتح لأحد كما علمتك
حتى أعود..

قلت بحماس وأنا أحتضنه:

- حسناً اتفقنا شكراً لك يا أبي سأنتظرك..

خرج أبي من المنزل وأخذ معه الحقيبة التي بها الرأس كان لدي فضول قاتل فضول يكاد أن يمزقني لكن قررت أن لا أكسر ثقة أبي بي، بقيت في المنزل كان الوقت مبكراً على النوم وأيضاً كنت أنتظر العشاء والكتاب الذي سيحضره لي أبي غير أن التفكير والأسئلة حول الرأس تكاد تفجر عقلي شعرت بالملل كنت متحمساً للذهاب إلى المقبرة لكن للأسف لم يذهب أبي اليوم أتساءل إلى أين ذهب أيضاً وما هو هذا العمل الخاص؟ هل حصل على وظيفة أخرى أيضاً؟ مسكين أبي كم مرة عليه ان يعمل في اليوم؟

- «ظل»..

نبض قلبي عندما سمعت صوت أحدهم ينادي باسمي!! نهضت من مكاني كنت أجلس في صالة المعيشة في منزلنا على الأريكة المتهالكة التي توجد هنا من قبل ولادتي، وقفت أحاول أن أسمع الصوت مرة أخرى توجهت إلى غرفة أبي كانت مغلقة كالعادة ذهبت إلى المطبخ الخاوي من أي شيء ولا يملؤه إلا البرودة والفراغ أيضاً لم يكن هناك شيء، ذهبت إلى الحمام لم يكن هناك أيضاً أي شيء غريب أيضاً بقي فقط غرفتي ذهبت إليها فتحت الباب لم يكن هناك أي شيء كانت غرفتي وغرفة أبي كبيرتين نوعاً ما أيضاً صالة المعيشة كانت كبيرة لكن رغم ذلك المنزل متهالك جداً ومتأكل من شدة قدمه، تلفت يميناً ويساراً لم يكن هناك أي شيء غريب أيضاً في غرفتي ظننت أنني أتوهم قررت أن أستلقي على فراشي

فحسب حتى يمضي الوقت ويأتي أبي استلقيت على الفراش لكن فجأة سمعت صوت خربشة في الحائط كان الصوت قوياً اعتدلت في جلستي ونظرت إلى هذا الحائط الرث الذي يبدو وكأنه سيقع فوق رأسي كان الحائط مبللاً بسبب البرودة معتادون نحن على هذا الأمر في جميع الفصول نعاني لكن أصبح الأمر عادياً بكل بساطة وضعت أذني على الحائط هذه ليست المرة الأولى التي أسمع فيها أصواتاً من الحائط انتظرت تقريباً دقيقة حتى سمعت أصواتاً نعم كانت همسات لكنها غير واضحة؟ ألصقت أذني أكثر وكأنني أرغب في الدخول عبر هذا الحائط أنا واثق بأن هناك أصواتاً قادمة من داخل الحائط أبي يقول إنها مجرد فئران لكن هل الفئران تصدر همساً وتنادي باسمي؟ ماذا إذا؟ هل الجدران تتحدث هل لها صوت؟!

قفزت من مكاني عندما سمعت صوت كلب ينبح بقوة كان يبدو وكأنه في وسط المنزل سيطر الخوف على روعي خرجت من الغرفة توجهت إلى الصالة وهنا كانت الصدمة!!

كان باب الشارع مفتوحاً على مصراعيه وكان يقف كلب أسود ضخيم كان ما زال في الخارج لكنه على عتبة الباب وخلفه ظلام الليل مستحيل من قام بفتح الباب؟ هل الكلب هو من قام بتحطيم قفل الباب المتهالك؟ لا أستبعد فهذا المنزل نفخة واحدة وسيقع كله شعرت بالخوف والرعدة يسريان في أعماق جسدي شعرت من شدة الرعب بأنني

سأبتول في سروالي مثل تلك الليلة ماذا أفعل؟ أنا أقف في مقدمة المدخل وهو يقابلني على عتبة الباب هل أركض إلى الداخل إلى غرفتي؟ ولكنه سريع جداً سيصل إلي بالطبع بسرعة بقفزة واحدة أنفاسي أصبحت متسارعة تارة وتارة بطيئة، يجب أن أتخذ قراراً بسرعة إذا سأذهب إلى الحمام إنه أقرب من غرفتي وبالفعل بسرعة كبيرة التفت وركضت كنت أسمع صوت خطواته الضخمة يركض خلفي رغم أن الحمام يبعد عني خطوة واحدة شعرت بأنه يبعد عني مسافة قرن وصلت إلى الحمام وبحركة سريعة أغلقت الباب رأيت الباب يهتز بعد أن قفز ذلك الضخم على الباب واصطدم به بدأت بالسعال وأنا ألتقط أنفاسي وأصرخ: أبي أبي ما زلت أسمع صوت الكلب ينبح في الخارج وفجأة سمعت صوت عوائه وتألّمه ذلك صوت الصفير الذي يخرج من كل حيوان عندما يتأذى بعدها عمّ الهدوء!..

وضعت رأسي على الباب أحاول أن أسمع وأعرف هل ذهب أم ماذا حدث؟ لكن فجأة دخل سائل أحمر من أسفل باب الحمام تراجعت للخلف ما هذا؟ هل هذا دم لكن دم من؟ فتحت الباب بهدوء إذ أرى الكلب مقطوع الرأس ودمائه تشكل بحراً في منزلنا وهنا لم أحتمل وفقدت الوعي وسط بحيرة الدماء لذلك أكره الكلاب والدماء!..

«أهلاً»

أرى بركات علي حركات الدنيا التي تأتي فأتى بها ما يشعرك من
أشهر بالشعور والوالد حيا من الرضا والبهجة بعد أن قرأت جميع
الرسائل ورأيتني مؤتمرا الفرحة النفسية، أيتها أن «ظل» قاله
لم يرسل لي أي رسالة أو حتى اتصال يسأل عني هل وصلت أم
ربما الطائفة سقطت بي في المحيط ونقطت جثتي إلى أجزاء
عنا ما حظك يا هو دائما هكذا هو لا يستطيع أن يهتم به
الأمر لكنه يعني أنا أعرف ذلك أنا أعرف أن «ظل» ليس لديه
مشاعر تجاه أي أحد لا تجاه الحياة ولا تجاه البشر لكنه لديه
مشاعر تجاهي لكنه يصرح أن يفرجها أمامي وهذا الشيء رغما
عنه، جهزت نفسي ارتديت ملابسني وفكرت أن أفطر في بهو
الفندق بعدها أخذت لي كوب قهوة وذهبت إلى مستشفى
«لوسيل» للصحة النفسية، لقد قاموا باستدعائي بسبب أن هناك
مریضة في هذه المدينة صعبة المراس وحالتها غريبة حيث إنها
غير متهمة بجريمة قتل لكن سلمت نفسها وقالت بأنها قتلت
خمسة أشخاص والغريب أنها وصفت تفاصيل الجريمة بشكل
متقن الغريب أن البحث عن أسماء هؤلاء الخمسة في هذه
المدينة أسفر عن أنهم غير موجودين ولا حتى في العالم ثم
البحث عن أسمائهم كاملة كما قالت ولكن لا يوجد شيء وقالوا
إن كل شيء من وحي عقلها بالتأكيد خصوصا عندما قالوا لها
أين الجثث؟ قالت بأنه تمت سرقتها ولا تعرف من قام بسرقة
الجثث؟ والغريب أكثر أن الفناء الذي كان في البيت ليس لديها

«ثيا»

استيقظت على صوت المنبه الذي كان يرن باستمرار كنت أشعر بالخمول والتعب من السفر، نهضت بعد أن قرأت جميع الرسائل ومنتظري مؤتمر الصحة النفسية رأيت أن «ظل» كالعادة لم يرسل لي أي رسالة أو حتى اتصال يسأل عني هل وصلت أم ربما الطائرة سقطت بي في المحيط وتقطعت جثتي إلى أجزاء؟ حسناً ما خطبك ثيا هو دائماً هكذا هو لا يستطيع أن يهتم بهذه الأمور لكنه يحبني أنا أعرف ذلك أنا أعرف أن «ظل» ليس لديه مشاعر تجاه أي أحد لا تجاه الحياة ولا تجاه البشر لكنه لديه مشاعر تجاهي لكنه يصعب أن يخرجها أمامي وهذا الشيء رغماً عنه، جهزت نفسي ارتديت ملابسني وقررت أن أفطر في بهو الفندق بعدها أخذت لي كوب قهوة وذهبت إلى مستشفى «لوسيل» للصحة النفسية، لقد قاموا باستدعائي بسبب أن هناك مريضة في هذه المدينة صعبة المراس وحالتها غريبة حيث إنها غير متهممة بجريمة قتل لكن سلمت نفسها وقالت بأنها قتلت خمسة أشخاص والغريب أنها وصفت تفاصيل الجريمة بشكل متقن الغريب أن البحث عن أسماء هؤلاء الخمسة في هذه المدينة أسفر عن أنهم غير موجودين ولا حتى في العالم! تم البحث عن أسمائهم كاملة كما قالت ولكن لا يوجد شيء وقالوا إن كل شيء من وحي عقلها بالتأكيد خصوصاً عندما قالوا لها: أين الجثث؟ قالت بأنه تمت سرقتها ولا تعرف من قام بسرقة الجثث؟ والغريب أكثر أن الفتاة ليست لديها أي هوية وليس لديها

عائلة ومع التحليل والفحوصات اتضح أنها ربما مهاجرة أجنبية لذلك لا تملك ثبوتيات وهوية رسمية تم وضعها في المصحة النفسية بعد تشخيصها بالذهان وانفصام في الشخصية وأنها عنيفة وخطرة على المجتمع ومهددة لأرواح الآخرين، لكن الغريب أنها قالت بأنها تريدني أنا وقالت إنه لن يصدقها أحد غيري لذلك تم استدعائي من قبل وزارة الصحة وكوادر المستشفى وهذه ليست المرة الأولى لطالما أذهب في رحلات وأقابل مجرمين ومختلين من خارج البلاد أيضاً رغم الذي حدث في الماضي لكنني ما زلت أحتفظ بسمعتي المهنية..

صعدت مع سائق أوبر الذي كان ثثاراً جداً ولم أستطع التركيز مع كلمة واحدة تخرج من فمه حتى وصلت أخيراً، نزلت من السيارة دخلت إلى المستشفى بسرعة كنت أحرص على أن لا أرى أي أحد ولا أريد أن أقابل أي أحد لكن أفضل في كل مرة بالطبع:

- أهلاً دكتور «ثيا» لم أرك منذ فترة

أتى الصوت من خلفي كانت الأخصائية «سارة مولتن» لقد تخرجنا معاً في الدفعة نفسها كانت صديقتي في بداية الأمر لكن انتهى الأمر بنا بالانفصال وهذا لأنها كانت لديها مشاعر تجاه «ظل» لم تستطع سارة كبح مشاعرها ولذلك قامت بكره صديقتها أنا ظناً أنني سرقت منها الرجل الذي تحبه!

- مرحباً دكتور «سارة»

قلت ببهجة مصطنعة احتضنا بعضنا بعضاً وكل منا تمثل أفضل
من الأخرى:

- لقد سمعت أنك ستمسكين حالة مريضة هنا؟

سألت

- أوه نعم لهذا تم استدعائي

- هل تعرفين عنها شيئاً؟؟؟

- بالطبع بالنسبة لحالتها أو قضيتها الوهمية نعم لدي
الملخص لكن سأعرف بالطبع عندما أجلس معها..

- وهل ستبقين هنا طويلاً في «سولدن»؟؟؟

- لا أعلم على حسب حالة المريضة يجب أن أرى الطبيب
الذي مسك حالتها وملفها ثم سأحدد، أيضاً لدي مرضى
كثيرون ينتظرونني هناك لا أستطيع أن أتأخر كثيراً

- حسناً أراك لاحقاً هل ستكونين في ملتقى الصحة النفسية؟

سألتنى

- بالطبع يجب أن أحضر أراك هناك إذاً

افترقنا أنا وسارة وصلت إلى مكتب الطبيب بعد أن سلمني
ملف حالة الفتاة وبعدها توجهت إلى الجناح الخاص بالمرضى
دخلت إلى الجناح رأيت أنهم لم يحضروها بعد لذلك تفحصت
ملفها كل ما يعرفونه هو اسمها وعمر تقريبي لها بحكم أنها ليس
لها هوية، انتظرت في غرفة مقابلة المريض حتى انفتح الباب

ودخلت مع ممرض وحارس كانت فتاة جميلة قصيرة القامة وجهها مدور صغير كانت تبدو كأنها طفلة رغم أن العمر التقريبي الذي أعطوها هو في عقد المراهقة، شعر طويل أسود عيناان واسعتان ذواتا لون بني فاتح مثل لون القهوة بالحليب، جلست الفتاة أمامي وكانت طوال الوقت تنظر إلى الأسفل:

- هل تحتاجين إلى شيء أيتها الطبيبة؟؟

سألني الممرض

- لا، شكراً، يمكنكما أن تغادرا لكن لحظة قبل أن تغادرا قوما بفك قيدها

نظر الحارس والممرض بعضهما إلى بعض ثم قال الحارس:

- لكن أعتذر لا أستطيع هذه القوانين أيتها الطبيبة ثم إنها عنيفة بعض الشيء وتعتبر خطيرة وأيضاً هي متهمة..

- متهمة بماذا؟

سألته بامتعاض

- بجريمة قتل بالطبع

أجاب بتردد

- وهل وجدت دليلاً أو ضحايا؟؟

سكت الحارس قليلاً ثم تحدث:

- لا لكن أنا هنا أنفذ قوانين عملي فقط

- حسناً وأنا لم أقل لك قم بتهريبها طلبت منك فقط أن تقوم
بفك قيدها حتى تنتهي الجلسة وهذا الشيء على
مسؤوليتي.

استسلم الحارس وقم بفتح الأصفاد عن يدها وخرج مع
الممرض بقينا وحدنا أنا وهي فتحت الملف الذي كان فارغاً
حرفياً من أي معلومات وكان الفتاة أتت من المجهول:

- حسناً بالتأكيد أنت تعرفيني بما أنك طلبت رؤيتي أليس كذلك؟

نظرت الفتاة أخيراً إلي بهدوء لم تتحدث لكنها فقط أومأت
برأسها بيلي..

- حسناً إذا أنت تعرفين اسمي حان الوقت لأعرف اسمك ما
هو؟ اعتبريني صديقة لك؟

نظرت الفتاة إلي بهدوء وتوتر ثم نظقت:

- «أيلا» اسمي «أيلا»

- أيلا اسم جميل جداً هل تعرفين معناه؟ من قام بتسميتك
بهذا الاسم؟؟

- لا أعرف معناه لكن أبي من قام بتسميتي..

شعرت أنني بدأت أمسك بطرف خيط لأن الشرطة طوال
الوقت كانوا يحاولون أن يعرفوا أين والديها أو أسماءهما لكن لم
تكن تتحدث أبداً سوى بأنها ارتكبت جريمة وقتلت خمسة
أشخاص لا وجود لهم في الحياة وأحدهم سرق جشهم منها!

- والدك لديه ذوق رفيع لكن أخبريني هل والدك ميت؟ أين هو؟

- نعم ميت..

أجابت

- آسفة ماذا عن والدتك؟؟

- أيضاً هي ميتة..

- حسناً أين هما أقصد متى ماتا؟ ومع من كنت تعيشين؟

- للتو..

- ماذا تقصدين؟ للتو ماذا؟

- للتو ماتا..

- هل تقصدين أن والديك ماتا هذه السنة أو قريباً من هذه

الأيام؟ كيف ماتا إذاً؟

- نعم لقد ماتوا قبل أسبوعين، أمي وأبي وأخي وشقيقتاي

الاثنان هم الخمسة أنا قتلتهم!

قالت كلماتها ببرود التي جعلت أطرافي تتجمد! إذاً الخمسة الأشخاص الذين اعترفت بجريمة قتلهم بعد أن سلمت نفسها هم ليسوا ضحايا غرباء بل هم عائلتها إذاً لهذا لم يستطع الشرطة أن يجدوا أي شيء عن هؤلاء الضحايا إنهم مجهولون مثلها على ما يبدو أنهم مهاجرون غير شرعيين أتوا إلى هنا هروباً من وطنهم الذي لا أعلم ما هو لكن هل بالفعل «أيلا» هذه الفتاة الصغيرة

البريئة الجميلة يمكنها أن تقتل خمسة أشخاص؟ وبدم بارد
وليس أي أشخاص هم عائلتها ثم تأتي وتسلم نفسها وتقول بأن
جشهم اختفت؟؟!

- كل الأسئلة التي تدور في رأسك لا بأس أخبريني عنها
وسأجيبك لأنني أعرف أنك ستصدقين قصتي لهذا
التزمت الصمت طوال الوقت لأنه لن يصدقني أحد
غيرك أيتها الطيبة..

داهمت أيلاً أفكاري بهذه الكلمات التي قالتها بعزم لم أرفي
عيني أيلاً أنها شخص شيطاني مثل بقية المجرمين بل على
العكس كانت أيلاً خائفة وتحتاج إلى المساعدة لكن على ما
يبدو أن قصتها غريبة ومرعبة للحد الذي لن يصدقها معه أحد
لذلك استدعيتني بحكم أنني طيبة نفسية تلتقي بأكثر المجرمين
رعباً وغبابة..

- حسناً أيلاً لا يوجد وقت لتخبريني بكل ما تريدين الآن
لكن أنتِ تقولين بأن الضحايا هم عائلتك أريد فقط سبباً
واحداً ما الذي جعلك تقومين بذلك؟؟

سألتها

- الجدران!! إن الجدران كانت تهمس لي طوال الوقت..



«الفصل الرابع عشر»

«المسوخ»

«هل كان عليك أن تفعلها بهذه الفوضى؟! أمام الطفل؟»

فتحت عينيّ أسمع أبي يقول هذه الكلمات في الخارج كنت
أستلقي على فراش أبي في غرفته أشعر بألم رهيب في رأسي
بعدها تذكرت ذكرى سريعة الشيء المرعب الذي حدث ذلك
الكلب الذي دخل إلى المنزل فجأة قمت بالاختباء منه في الحمام
بعدها خرجت لأجده مقطوع الرأس والدماء في كل مكان وفقدت
الوعي في بحيرة دمه، تفحصت ملابسي ونفسي بالطبع قام أبي
بغسلي وتنظيفي وتغيير ملابسي لكن مع من يتحدث أبي؟؟
نهضت من على الفراش وتوجهت إلى الباب فتحتة لأجد
أبي أمام الباب يقف معه صينية طعام وكتاب، الكتاب الذي
وعدني به:

- هل استيقظت يا ظلي؟ تعال حان وقت العشاء..
- تناولنا طعام العشاء بعد أن رأيت أن كل شيء أصبح نظيفاً
ولا توجد حتى قطرة دم ثم داهمته بهذا السؤال:
- أبي مع من كنت تتحدث؟؟

نظر إلي باستغراب:

- أنا؟ لم أكن أنحدث مع أحد يبدو أنك كنت تهلوس لأنك كنت خائفاً بسبب ما حدث فقط

- إذا هذا كان حقيقة؟ أبي لقد وجدت الكلب ميتاً ليس كذلك؟ لا أعلم من فتح له الباب؟ ولا أعرف كيف دخل صدقني أنا لم أفتح الباب يا أبي؟؟

- اهدأ يا عزيزي أنا أعلم بأنك لا تخالف أوامري لا عليك الأهم أنك بخير..

- لكن يا أبي من قتل الكلب؟ هل أنت من قام بفعل ذلك؟
- لا ليس أنا..

أجاب بيروود

- إذا من قام بذلك؟

سأله باستغراب

- لربما يكون أحد ملائكتك الحراس الذين يقومون بحراستك..

أجاب وهو يمسح على شعري

- ملاك حارس؟؟

- نعم

- وهل لدي واحد؟؟

- بالطبع كل طفل لديه واحد
- وهل أستطيع رؤيته؟
- اممم هذا يعتمد عليه إذا كان يرغب بالظهور لك في يوم ما فربما ستراه..
- وماذا عن الكبار؟ أليس لديهم حارس؟ إذاً عندما أصبح كبيراً ستركني؟!
- أيضاً هذا يعتمد على الحارس إذا كان يريد أن يبقى معك إلى الأبد أو لا هذا الشيء يعود إليه،، والآن انظر كما وعدتك أحضرت لك كتابي المفضل إنه يحتوي على صفحات قليلة وسهل المصطلحات..
- ناولني الكتاب كان غلافه يوجد به حشرة عملاقة! بعنوان «المسخ» للكاتب «فرانز كافكا»
- أبي هل هذا الكتاب للكبار؟؟
- سألت بحماس وبهجة
- نعم نوعاً ما لكنه مكافأة لك وأنت ذكي تملك عقل الكبار
- ولماذا هذا الكتاب بالذات؟؟ عن ماذا يتحدث؟ هل هذه حشرة؟
- أجاب بابتسامة:
- أنت تسأل كثيراً لكن لا بأس سأخبرك هذه أول رواية ستقرأها في حياتك وأنا أعلم بأنك من بعدها ستقرأ

ملايين الكتب، تتحدث القصة هنا عن شخص نام واستيقظ ووجد نفسه تحول إلى حشرة بغيضة مخيفة..

- واو يبدو أنها قصة مشوقة لكن لماذا تحب هذا الكتاب كثيراً يا أبي؟ أنا أراك دائماً تحمله معك وتقرؤه كثيراً؟

- لأنه يشبهني يا بني..

أجاب

شعرت بالاستياء كثيراً لأنني علمت الآن لماذا يحمل أبي هذا الكتاب دائماً إنه يذكره بنفسه لأن أبي بشع والجميع يتمنون عليه وينادونه دائماً بالمسخ حتى أمي، شعرت بأن قلبي يتحطم لأجزاء إذاً هذا هو سبب حب أبي لهذا الكتاب..

- لكنك يا أبي لست حشرة ولا مسخاً أنت شخص وبشر طبيعي..

قلت له بحدة محاولاً أن أرفع من معنوياته..

ضحك وهو يربت على رأسي:

- أعلم يا ظلي لا تنزعج من ذلك لكن أنا ما قصدته ليس فقط هذا ليس فقط بشكل الشخصية فالأشكال غير مهمة رغم أن جميع البشر يهتمون بهذه القاعدة لديهم الشكل هو أهم شيء لكن روح الشخصية هو الأهم..

احتضنته بقوة:

- أنت يا أبي أجمل شيء في عيني وفي حياتي وعالمي..



- وأنت الظل الوحيد في حياتي لولاك لكانت الشمس
أحرقني منذ زمن وأصبحت رماداً يا ظلي..

قالها وهو ينظر إلى زاوية صالة المعيشة من خلفي التفت لكن
لم يكن هناك أي شيء غير الأريكة..

م ٢٠٢٣

فتحت عيني وأنا أشعر بأن البرودة اقتحمت عظامي صداع
هائل يأكل مقدمة رأسي الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً أرى السماء التي
تمتلئ بالسحاب القطني والشروق يتسلل منها ببرودة، الأرض من
تحتي متجمدة جسدي محطم كالقطع الثلجية ما الذي أفعله على
الأرض؟ وما الذي أفعله خارج المنزل!؟

مرت الذكرى علي سريعاً عندما رفعت كف يدي ورأيت
دماء! هنا عاد النشاط إلى جسدي المحطم جمعت أشلائي
ونهضت وأنا مرعوب من الدماء التي كان جسدي يسبح فوقها
ما هذه الدماء ومن أين أتت؟؟ سرعان ما وجدت الإجابة
عندما رأيت الكلب بدون رأس ورأسه بجانبه على مسافة
ليست ببعيدة عنه نبض قلبي بقوة ارتعش جسدي من فعل
ذلك؟ هل أنا من قام بقتل الكلب؟ لكنني لا أتذكر نعم أتذكر
أنه هاجمني وكان الكلب شكله مختلف كان أقرب إلى حيوان
غريب مرعب مفترس لكن الآن أمامي جثة كلب عادي طبيعي
ربما كنت أتخيل ذلك الشكل لأنني كنت خائفاً، لكن السؤال

من الذي قتل الكلب؟ هل من الممكن أن حارسي الملاك
ما زال معي؟

عندما كبرت استنكرت موضوع الحارس الملاك الذي أخبرني
أبي عنه عندما كنت طفلاً صدقت ولكن عندما كبرت كذبت هذا
الأمر، لكن الآن هل سأعود وأصدق أن هناك حارساً ملاكاً؟ لكن
سأعرف الآن عبر الكاميرات نعم سأرى من قام بقتل الكلب لكن
أولاً علي أن أتخلص من جثة هذا الحيوان الدخيل الذي لا أعرف
كيف دخل منزلي، نظفت كل شيء و قمت بدفن الكلب بعيداً عن
المنزل في الغابة اغتسلت لمدة ساعتين تقريباً حتى شعرت بأن
بشرتي ستتقشر من شدة التدليك انتهيت أخيراً بعدها قمت
بتجهيز الفطور كالعادة لأبي تذكرت أنه كان غاضباً مني ليلة أمس
ولا أعرف السبب؟ لكنني لم أسأله مرة أخرى ولا أعرف لماذا؟
انتهيت وتوجهت إلى الكاميرات ورأيت عندما دخل الكلب وكان
الكلب نفسه الطبيعي هذا يعني أن الذي كنت أراه كان من
خيالاتي فحسب، سرعت الفيديو حتى أرى عندما هجم علي
وكنت أحاول مقاومته كنت علي وشك الموت كان علي وشك
أن يلتهمني وفي آخر لحظة...!

وعندما رأيت المشهد توقف قلبي للحظات تجمد الدم في
عروقي عندما رأيت أن من قتل الكلب كان أنا؟!

بعد ما كنت أرتعش خوفاً منه بعد ما كنت قد استسلمت تماماً
لأسنانه فجأة وكأنني تحولت إلى وحش أمسكت أولاً بفكه ثم
فتحته بقوة علي مصراعيه حتى انخلع سقط الكلب أرضاً وهو

يتألم ويعوي من أين حصلت على هذه القوة والجرأة لمواجهة
منظر كهذا؟ بعدها نهضت بثقة على قدمي أنظر للكلب وهو
يصارع الألم كانت عيناى مظلمتين لم أكن أنا؟ لم أعرف نفسي
حتى تساءلت من أنا؟ من هذا الشخص على الكاميرا؟

مشيت لخطوات وأحضرت الفأس وبدأت بضرب الكلب بقوة
ضربة خلف ضربة حتى قطعت رأسه سال الدم أسفل قدمي
بعدها أسقطت الفأس وسقطت خلفه فاقدًا للوعي..

انتهى التسجيل كان قلبي ينبض بقوة في كل مرة أعيد مشاهدة
التسجيل أرى نفسي بطريقة مختلفة لكن يا إلهي لماذا لا أتذكر؟
هل أيضاً لدي انفصام في الشخصية؟ أحتاج ثيا أحتاج أن تفسر
حالي حالاً..

لم أتناول الإفطار ولم أتناول أي شيء آخر اليوم بقيت فقط
مستلقياً وتلك الصورة لا تفارق ذهني صورتي وأنا أقتل الكلب
بوحشية وبشاعة أنا قتلته بتلك الطريقة أنا الذي لا أقتل حشرة
حتى عندما كنت طفلاً وتعرضت لموقف مماثل قال أبي إن
الملاك الحارس الخاص بي هو من فعل ذلك لكن ماذا عن
الآن؟ هل اتضح أنني أنا الملاك الحارس الخاص بي؟!

اعتدلت في جلستي بعد أن وصلتني رسالة على الإيميل قادمة
من موقعي الخاص، لكنني قررت تجاهلها بعد أن تذكرت تلك
الجملة التي تقبع في الاستديو الخاص بي وليس لديها ملامح،
يكاد رأسي أن ينفجر من كثرة التفكير في موضوعات كثيرة رن

هاتفني ظهر لي رقم غريب لا أرد على الأرقام الغريبة لذلك تجاهلته لكن سرعان ما وصلت رسالة نصية من هذا الرقم:

- صباح الخير بروفسير ظل أنا المحقق «دولوريس» لقد حصلت على رقمك من مديرك هل نستطيع أن نلتقي اليوم؟ إذا لم يكن لديك مانع بالطبع!؟

غريب لماذا هذا المحقق يرغب برؤيتي؟ لقد عملت مع كثير من المحققين أو حتى ليس عملاً كل ما أفعله أني أساعدهم على حل الجرائم عن طريق تشريح الجثث فقط أنا لا أتذكر حتى أسماءهم مجرد علاقات سطحية إنه أول محقق يطلب رؤيتي بعد أن شرحت له جثته لم يكن لدي مزاج لمقابلة أحد لكنني قررت الذهاب لمقابلته اتفقت معه على الالتقاء في مقهى في وسط العاصمة وبالفعل وصلت إلى المقهى لأجده ينتظرنني بفارغ الصبر بابتسامة ملوحاً لي وكأننا صديقان من عشر سنوات، كان المحقق «دولوريس» شاباً بعمر الثامنة والثلاثين ذا خلفية مميزة يدعونه بالبطل الخارق بسبب حله لأغلب الجرائم المرعبة والغريبة في البلاد، مهووس بعمله لذلك يملك شخصية مظلمة، طويل القامة ليس مفتول العضلات كالأبطال الخارقين إلا أنه يملك جسداً قوياً كعقله تماماً، ذو بشرة سمراء وملامح لاتينية وشعر أسود مبعثر رغم أنه ليس لديه الوقت للاهتمام بمظهره إلا أنه شخص أنيق وجذاب نوعاً ما:

- مرحباً أيها البروفسور من الرائع رؤيتك رغم وقتك الضيق
اعتذر لأنني فاجأتك هكذا بدون سابق إنذار..

قال المحقق وهو يمد لي يده

- أهلاً أيها المحقق لا بأس أولاً قم بمناداتي بظل فحسب
ثانياً اليوم هو يوم الإجازة لذلك لا بأس لم أكن مشغولاً
تفضل بالجلوس ..

- ماذا تشرب؟؟

سألني وهو يجلس على مقعده

- لا بأس بالقهوة السوداء

أجبت

وصلت قهوتنا كنت أنتظر بفارغ الصبر وأخمن مئة تخمين
عما يريد مني؟:

- أولاً أود أن أشكرك على مساعدتنا في حل تلك القضية
التي كانت شبيهة بقضية سابقة..

- لا داعي للشكر أيها المحقق هذا عملي..

- نادني نيكولاس فحسب

قال وهو يرتشف القهوة بعد أن وضع كوب القهوة جانباً
استرسل في حديثه:

- حسناً الشيء الذي جعلني أطلب مقابلتك بشكل خاص
بعيداً عن العمل هو العمل أيضاً

قالها ضاحكاً

- وما هو هذا العمل الذي سيكون بشكل خاص؟

سألته

- صراحة عندما أخبرت مديرك بالموضوع نصحتني أن أتواصل معك شخصياً على حسب ما قاله لي أنه من الصعوبة إقناعك بشيء ما
- على حسب ما هو هذا الشيء؟!؟

سألت

- حسناً أنت بالطبع تعرف ما هي القضايا الباردة؟

- بالطبع أعرف

- إذا هذا رائع صراحة منذ عامين كنت أعمل على هذا المشروع أرغب بإعادة فتح قضية باردة واجهت صعوبة أنا وفريقي لأن هذه القضية من أصعب القضايا وأغربها في العالم غير أنها قديمة جداً هذه القضية لم يستطع حلها أحد رغم أنه في وقتها تعاون أشهر المحققين والحكومات لوقف الجرائم أو حلها أو القبض على المتهم أو حتى معرفة عدد الضحايا! لكن فشلوا في جميع النقاط..

- وفي أي عام هذه القضية؟

- عام...! بل قل أعوام أنت يا ظل من مواليد ١٩٨٧؟

سألني

- نعم، لماذا هل تظني القاتل؟

سألته بسخرية

- لا تقلق وقتها لم تولد بعد
- أجاب ضاحكاً بعدها أكمل حديثه وهو يضع سيجارة في فمه ويقدم لي واحدة
- لا، شكراً، لا أحب التدخين مع أحد
- أنت صريح جداً وهذا ما يعجبني فيك إذا دعنا نكمل حديثنا، بدأت هذه القضية من عام ١٩٢٠ بشكل تقريبي على الأقل، واختفت أو توقفت في عام ١٩٩٥ بشكل تقريبي أيضاً أو أن القاتل غير أسلوبه لا أحد يعرف..
- أوه هذه أعوام كثيرة جداً..
- بالطبع أغلب القضايا الباردة لا تحل بسبب ضعف الإمكانيات قديماً
- وضعف العقول
- أضفت بتهكم
- صحيح معك حق..
- حسناً وما هو دوري في فتح قضية باردة؟ لا تنسَ أيها المحقق أنا بروفيسور في جامعة الفنون ومجرد طبيب شرعي ما الذي يمكن أن أقدم في التحقيق في هذه القضية التي حتى بالتأكيد جثتها أصبحت هياكل عظمية!؟
- معك حق لكن دورك مهم جداً صراحة لا أملك جثتاً لكي أعرضها لك وتساعدني لكن لاحظت من مسيرتك المهنية

وأنت في عمر صغير هكذا تملك ذكاء خارقاً علاوة على ذلك لديك نظرة ثابتة وما سأقدمه لك هو صور ووصف لبعض ضحايا هذا الوحش الملفات القديمة للقضية واجهنا صعوبة في استعادتها وأيضاً قمنا بتوضيح بعض الصور هناك ملايين النقاط تحير في هذه القضية إنها وكأنها تبدو قصة رعب خيالية وليس لها وجود في هذا العالم لكن للأسف أحياناً يكون الواقع أقسى من الخيال..

- وما هو هدفك من إعادة فتح قضية كهذه بعد أن عفا عليها الزمن وهناك قضايا كثيرة تنتظر هنا في الحاضر؟؟
- الهدف أن والدي مات في هذه القضية..

أجاب بيروود

- أوه اعتذر

- لا عليك ليس وكان هذا هو الهدف الأساسي فقط، هناك أهداف كثيرة ستعرفها إذا وافقت على التعاون معي لقد عرفت أن لديك أدواراً كبيرة في معرفة هويات القتالين فقط عن طريق تشريح جثث ضحاياهم لقد ساعدت الكثير من المحققين وسهلت عليهم مهام كثيرة

- بالطبع لأن الجثث لم يعفُ عليها الزمن

قال ضاحكاً:

- لا تقلق لن أحضر لك هيكلًا عظيمًا وحتى الهيكل العظمي ليس لدينا واحد في هذه القضية إنها أصعب بكثير كل ما

نملكه صور لعينة غير واضحة وملفات كتبت بخط يد غير مفهوم سأعطيك المزيد من الوقت لتفكر ليس من الضروري أن ترد علي الآن..

- حسناً انتظر ردي..

انتهيت من مقابلة المحقق أثناء عودتي للمنزل كنت أفكر في كلامه لم يكن لدي أي حماس لإضافة عمل إضافي إلى قائمة روتيني أنا مزدحم بما فيه الكفاية، وصلت إلى المنزل وعند دخولي إلى الجراج هنا لمحت شخصاً ما يقف في إحدى نوافذ الغرفة في الطابق الثاني في القسم الثاني للقصر!

نبض قلبي بقوة أوقفت السيارة ونزلت بسرعة وعندما رفعت رأسي مرة أخرى كان قد اختفى!! دخلت إلى القسم الثاني من القصر توجهت إلى الغرفة التي رأيت فيها أحداً ما يقف كانت الغرفة فارغة يوجد بها بعض اللوحات فقط عندما فتحتها لم يكن هناك أي أحد هل من المعقول بسبب أنني توقفت عن تناول أدوية الهلوسة؟ هل ستعود لي الهلاوس بشكل أقوى؟ منذ تشخيصي بالذهان قبل أربع سنوات كنت أعاني من الهلوسات السمعية والمرئية وبعد مرور الأيام والأعوام استطعت بمساعدة ثيا التخفيف منها وليس القضاء عليها لذلك لا أشعر بالخوف عندما أرى شيئاً أو أسمع شيئاً ولا أشعر بالغرابة أو الصدمة لكن عندما رأيت من يقف في النافذة شعرت لوهلة بتوتر في قلبي شعرت وكأنه حقيقي!!

كنت مشتت التركيز لذلك تناولت هاتفني واتصلت بيها
تحدثت معها قليلاً أخبرتها عن يومها بشكل مختصر ومشكلاتها
مع مديرها، بعدها قررت أن أخذ قيلولة ولا أعرف كيف غفوت
بهذه السرعة..

١٩٩١م

- أيها المسخ عليك أن تكون شكوراً لأنني قمت بتوظيفك
هنا! أساساً لا أحد يقبل بك لا أحد سيقوم بتوظيفك في
أي مكان بسبب بشاعة وجهك لا أحد سيحملك سوى
الأموات كن شاكراً أنهم أموات ولا يبصرون..

أتت هذه الكلمات القاسية من مدير أبي الحقيير في
المقبرة بسبب أن أبي تغيب يوماً واحداً فقط لأنني كنت
مريضاً غير مبالٍ بتقديم أبي لأعداره الضرورية نظرت إليه
بنظرة ثابتة ونظرة تملك الكثير من الحقد والكرهية تجاه
هؤلاء الأحياء أنا أكرههم كثيراً إنهم يقسون على شخص
مثل أبي بحجة أنه لا يناسب معاييرهم الخاصة للجمال وماذا
عن معايير الإنسانية؟

نظر إلي المدير بعد أن رمى بكلماته السامة علي والذي
شعرت بالخوف في عينيه عندما لم أرمش رمشة واحدة حتى
وظللت مبجلقاً فيه لمدة دقيقتين، رغم توتره إلا أنه لم يسكت
أيضاً وأضاف وهو خارج من المقبرة:

- ابدأ بحفر ثلاثة قبور ولا تنس أن تسقي النباتات وخذ ابنك
الغريب الأطوار معك صحيح أنه وسيم جداً ويملك وجهاً
جميلاً لكنّ عينيه يملؤهما الظلام!

ثم أضاف بسخرية وهو يضحك:

- بالتأكيد بسبب أنه ينظر أربعاً وعشرين ساعة إلى هذا
الوجه القبيح..

شعرت كالعادة بالنار تشتعل في صدري والغضب يضرب
أعماق جمجمتي لكن أبي يوماً بعد يوم أشعر بالغضب منه لأن
ردة فعله دائماً باردة أبرد من الثلج رغم التمر والكلمات القاسية
التي يسمعها يومياً من هؤلاء البشر إلا أنه يبادلهم بابتسامة
والابتسامة لا تفارق وجهه أبداً، أحياناً أكره أن يكون أبي ضعيف
الشخصية لهذه الدرجة أحياناً أحب أنه ملاك لكن ما فائدة أن
يكون ملاكاً وحوله شياطين؟

سحبت يدي من يد أبي بقوة وقلت له: سأذهب للدراسة
في الغرفة ودخلت إلى الغرفة وأغلقت الباب وكان هذا أول
تصرف لي وقح مع أبي لأنني فرغت غضبي عليه وبعدها شعرت
بتأنيب الضمير..

«الفصل الخامس عشر»

«إن الفن جنون»

الأعمال الفنية التي أنشأها الأشخاص المختلفون عقلياً أو التي ينهر بشكل خاص الناس بها لأنها تقدم رؤى فريدة لعالم غير مرئي، فهي تساعدنا على فهم كيف يختبر الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات عقلية العالم من حولهم، غالباً ما تكون هذه الأعمال الفنية مزعجة للغاية وتنقل الرعب الكامل لجنونهم بعيداً أفضل من أي عالم نفس في العالم، اخترت اليوم أربعة فنانين إذا أسعفنا وقت المحاضرة تظهر أعمالهم الاضطراب الكابوسي لعقولهم..

كان «ريتشارد داد» رساماً من العصر الفيكتوري، ولد في إنجلترا عام ١٨١٧ م. وتركز الكثير من أعماله على الجنيات! وموضوعات فولكلورية أخرى بالإضافة إلى مشاهد شرقية مستوحاة من خلال أسفاره، يظهر الكم الهائل من التفاصيل في لوحاته بشكل مرعب عقلاً مهووساً يركز على التفاصيل الصغيرة وهي درجة قهرية، خلال رحلته إلى مصر عام ١٨٤٢ م بدأت شخصية «ريتشارد داد» تتغير شكل جذري وبدأ يعتقد أن عقله كان يتم التحكم فيه من قبل الإله المصري «أوزوريس»! أصبح عنيفاً ومتوهماً معتقداً أنه

يعاني من ضربة شمس! فعاد إلى إنجلترا واستقبلته عائلته في محاولة للسيطرة على حالته التي ساءت كثيراً، وخلال تلك الفترة أصبح على قناعة بأن والده كان في الواقع شيطاناً متنكراً!!!

وفي أحد الأيام أثناء سيره في الريف انقض على والده من الخلف فذبح حلقه من اليسار حتى اليمين بشفرة حلقة، ثم طعنه عدة طعنات حتى توفي والده متأثراً بجراحه وهرب «ريتشارد داد» إلى فرنسا وهو لا يزال يرتدي ملابسه التي قتل فيها والده وما زالت ملطخة بالدماء على ما يبدو أن الشرطة تحقق في دفتر الرسم الخاص به، كان الدفتر مليئاً بالصور التي رسمها «ريتشارد داد» كانت الرسومات لأصدقائه وعائلته القتلى!! كل منهم حنجرته مقطوعة! وفي فرنسا كان ريتشارد يركب عربة حربية فسحب شفرة الحلقة وأول من قطع حنجرته راكب عشوائي لا يزال يعتقد أن الشيطان كان يطارده، وتم القبض عليه أخيراً من قبل السلطات وتم الحكم عليه أنه مجنون جنائياً، وسيقضي بقية حياته في مصحة عقلية لكنه استمر في الرسم طوال فترة سجنه وستستمر هذه اللوحات في اعتبارها أفضل أعماله حيث تحمل معظم الإطارات وهذه اللوحة المعقدة والمظلمة التي عمل على رسمها لمدة تسع سنوات ولم يتبه منها أبداً! حيث تظهر الكثير من التفاصيل في اللوحة، حالة ريتشارد العقلية، يشير المنظور السطحي إلى عقل مصاب بالفصام وهو يمس أهمية متساوية للأحداث الدنيوية كما هو الحال بالنسبة له والأحداث الفوضوية التي تركز على العالم والهوس بها وهذا

يظهر عقلاً يحاول رؤية الأنماط المنطقية في ملاحظة عشوائية
 والمناظر الطبيعية المسطحة متقاطعة مع خطوط سوداء وأشكال
 دموية، والتمثيل البصري لأفكاره المتقاطعة والمختلطة يتجلى
 الاضطراب الداخلي في شفرات من العشب وأشجار الكروم
 وتبرز عيون مخيفة من النباتات ومن مواقع مخيفة تبرز عيون
 أيضاً مما يعكس الاضطهاد المتخيل لوهمه المصاب بجنون
 العظمة، لدينا هنا في اللوحة بعض الشخصيات المزعجة هنا
 هاتان الشخصيتان مثيرتان للاهتمام بشكل خاص، حيث يبدو أن
 أحدهما يمسك بالآخر من خلفه، وفي المقدمة يمسك بحلقه،
 لقد تم تقديم ذكرى مقتل والده على أنها خيال، وفي الواقع يبدو
 أن كل شخصية في اللوحة تقريباً لديها شخصية أخرى خلفها
 جاهزة للانقراض على الشخصية الأخرى، ولدينا هنا في وسط
 اللوحة رجل صغير يجلس في المنتصف يحدق برعب وخوف
 وحزن والفوضى من حوله بالتأكيد هذا يمثل ريتشارد، وهنا
 العينان الغريبتان لهذا الرجل يمكن رؤيتهما في العديد من
 لوحات ريتشارد من الممكن أن يكون الشيطان الذي تنكر بشكل
 والده، الكثير والكثير من التفاصيل المرعبة في هذه اللوحة غير
 المنتهية لن تكفيها محاضرة واحدة وهذه اللوحة تحمل عنوان:

«العذاب والجنون والجنون»

«ريتشارد داد»

- بروفيسور لقد قلت سابقاً إن الجنون ليس له علاقة بالفن؟
 وإن كل فنان أو رسام ليس بجنون؟

داهمني هذا السؤال من أحد الطلاب

- بالطبع وما زلت عند رأيي لكن إن الفن بحد ذاته جنون والجنون هنا ما أقصده ليس ذهاب العقل أو العنف أو قتل الناس الجنون يختلف من شخص لآخر وفي النهاية حتى لو لم يكن ريتشارد رساماً كان سيكون مجنوناً على أي حال هذا قدره والفنان مهما حاول الهروب إلى عالم خيالي فإن حقيقة الوضع لا تزال تحيط به..

- ماذا عن رسومات الفنان «ويليام يوتاه»؟ إنه مجنون كلياً ومتخلف عقلياً

قالها بسخرية وكأنه يريد أن يفرض نظريته عن الفنانين أمسكت بجهاز التحكم الخاص بشاشة البروجكتر وعرضت رسومات الفنان «ويليام يوتاه» استرسلت في حديثي وأنا أقدم نحوه بخطوات بطيئة:

- هل أصلاً تعرف ما الذي حدث له؟

سألته بحدة

- امممم.. لا ولا يهمني من المعروف أنه شخص مجنون

قالها بلا مبالاة

- إذاً لماذا دخلت هذا التخصص إذا كنت ستسمي كل رسام

مجنوناً ومختلاً وتافهاً وغيبياً؟

شعر بالتوتر تلعثم قائلاً:

- لا أنا لم أقل ذلك أقصد أن...

ناظرة وأنا أستدير عائداً إلى الشاشة:

- تم تشخيص إصابة الفنان ويليام يوتاه في عام ١٩٩٥ م،
بمرض الزهايمر والقليل من يعرف ذلك وبدأ بسلسلة من
الاختبارات الذاتية صور من أجل توثيق خرابه العقلي،
مرض آخر دمر عقله ببطء على مدار خمس سنوات، رسم
ويليام نفسه من خلال صورة لنفسه وهو ينظر لنفسه في
المرآة تظهر لنا انخفاضاً في تبدد الشخصية حيث يصبح
الفنان غير قادر على التعرف على وجهه حتى! تخيل أن
تقف أمام المرآة وتقول من هذا؟ تتغير اللوحات من صور
شخصية منجزة لأشكال مجردة تتلاشى تشبهها حيث
يحول الخرف العالم من حوله إلى ضبابية وخيفة من
الشخصيات الغامضة التي يمكن التعرف عليها، الصورة
النهائية هي الأكثر مطاردة للعيون الصغيرة الخائفة مثل
عيون القوارض المضغوطة في جلد لحمي ضخمة، الفك
المتدلي إلى الجانب يبدو أن جمجمته المتفخخة المشوهة
تثقل كاهله وزنٌ ميتٌ عديم الفائدة يتدلى ثقيلًا على رقبته،
الخط الداكن على وجهه سواء كان ذلك عن قصد أم لا،
يظهر أمامه تشققٌ تحت الضغط وعقلٌ مشققٌ مثل بيضة تم
تحطيمها! عند مقارنتها بصورته التي التقطها في عام ١٩٦٧
م، فإنها توفر نظرة ثاقبة للدمار الذي أحدثه مرض الزهايمر
على دماغه، هل عرفت الآن أنه ليس بشخص مجنون؟ لا
يمكننا الحكم على الفنانين فقط من أفواه الناس...

قلت كلماتي موجهاً إياها لذلك الطفل المدلل الذي قامت عائلته الثرية بإقحامه في هذا التخصص فقط لأن العائلة جميعها تهتم لهذا المجال، ليس علينا نحن أن نتحمل حلظته لأنه دخل التخصص مجبراً، إن الفن لا يجبر عليه هو التخصص الوحيد الذي إذا أجبرت أحداً عليه سيكون جريمة وكأنك قتلته..

- انتهى الوقت سنستكمل السلسلة في المحاضرات الأخرى لا تنسوا حل الواجبات لدينا تطبيق عملي في الاستديو الأسبوع القادم استعدوا..

- ولكن يا بروفيسور عن ماذا سيكون الموضوع عن ماذا سنرسم؟؟ سألتني إحدى الطالبات وكان الجميع في صمت ينتظرون الإجابة - «فن الجثث» عن الجثث..

قلت إجابتي التي سمعت صوت صدمة عقولهم منها وخرجت وتركتهم في حيرة وغرابة من هذا الموضوع لكنني عزمت أنني كما أسست هذا الفن المظلم سأقوم بتأسيس هذا الفن «فن الجثث» والأموات أيضاً لديهم حق في أن نزرع منهم فناً..

كل فنان مجنون؟

بقيت أفكر في هذه الجملة التي لم تفارق عقلي توجهت إلى مكتبي بعد أن أحضرت لي قهوة مثلجة كان الصداق يفتر في رأسي أفكر في مئة موضوع، لكن هل أنا مجنون لأنني فنان؟! لا

أنا لست مجنوناً إن الجنون الذي يكمن في رأسي هو بحد ذاته إبداع وذكاء جنون مفيد جنون يثمر جهوده في هذا العالم العديم الفائدة جنون يستطيع أن يحمل العقلاء على أكتافه..

إذاً ماذا هل أنا مريض؟ لا أنا لست مريضاً أنا لست مختلاً أنا مختلف تماماً مختلف عن هذا العالم المزري إن هذا العالم كتلة مرض أصلاً وأنا الشفاء الوحيد، إذاً هل أنا وحش؟ لا أنا لست وحشاً أصلاً ما هي الوحوش؟ لا وجود للوحوش في هذا العالم إن الوحوش في أرواح الأحياء تبني لها منازل هناك إن الوحوش هم البشر بحد ذاتهم اخترعوا كلمة وحش فقط ليشعروا بأن هناك قوة مرعبة موحشة قوية تجول في الخارج وهم الأبرياء لكن في الحقيقة حتى لو وجدت الوحوش سيقوم البشر بالتهامها!..

هل أنا شيطان؟! لا بالطبع الشياطين لا تظهر للناس ومن يقول غير ذلك فهو كاذب الشياطين حتى لا ترى البشر شيئاً تراهم حفنة من المخلوقات التافهة السخيفة المثيرة للشفقة، أكره أحياناً أن أكون بشرياً أكره كوني من البشر، فلماذا ستكون الشياطين معنا على العالم نفسه وعلى الأرض نفسها؟

إذاً ماذا أنا؟ وماذا أكون؟

هذا السؤال يتكرر في رأسي كالمجنون! أوه أنا قلت كالمجنون آسف لنفسني لكنني لست بمجنون..

توقف يا «ظل» أعلم بأنني حتى لم أفتح موضوع تلك الجثة التي وصلتني بدون ملامح لأنه من الجنون أن تكون جثة بدون

ملاح لقد أصبت بالصدمة وأنا أحاول تجاهل الموضوع بكل ما
أوتيت من قوة على أمل أنه إحدى هلوساتي وأعود إلى الاستديو
وأجد تلك الجثة الغبية لديها ملامح وأتنفس الصعداء، الحياة
تستمر يجب أن أكمل حياتي لا أريد أن أفكر في أشياء ليس لها
معنى لا أريد أن أفكر في أشياء مجنونة ولكنني أنا من أحضرت
الجنون إلى منزلي، في الوقت نفسه أشعر بأن لدي جثة مميزة
أشعر بالسعادة أشعر بأنني أملك جائزة ذهبية أو كنزاً كان الجميع
يبحثون عنه ومن حسن حظي أنا حصلت عليه، يجب أن أبحث
في موضوع هذه الجثة يجب أن لا أتجاهل الأمر أكثر يجب أن
أفتح معرضي في الوقت المحدد هذا العام أرغب بالانتهاء من
لوحاتي ومنحوتاتي، صحيح منحوتات يجب أن أبدأ بنحت الجثث
لذلك أحتاج لجثث أكثر لكن كيف يمكنني أن أحصل على مواقع
أو أشخاص يبيعون جثثاً بحالة جيدة مثل هذا الشخص الذي باعني
هذه الجثة؟ لكن فضلاً أرغب بجثث لديها ملامح بالطبع، لكن كل
ما أريده هو الوقت فقط من أين أحصل عليه؟ لم أنه سؤالي حتى
وصلتني رسالة نصية من «ستيفان» الطبيب الشرعي شريك
يذكرني بأن هناك جثة اليوم تنتظرني، لكنني لست مستعداً لأي من
هذا يجب أن أركز على تلك الجثة في المنزل حسمت أمري
وأرسلت له أن يتولى الأمر مع «ألما» في التشريح لأنني أشعر
بوعكة صحية لذلك لن آتي، أرسلت له رسالة الاعتذار كانت
الساعة العاشرة صباحاً لذلك قررت أن أكسب وقتاً أكثر وأقدم
بتأجيل جميع أشغالي وأعود للمنزل وهذا ما فعلته وصلت للمنزل

الساعة الثانية عشرة مساءً طبخت الغداء لأبي قررت أن أكل معه اليوم لم نتحدث عن غضبه سابقاً لكنني أشعر بأنه اختلف كلياً هناك شيء خاطئ في قلبه ولا أعرف لماذا؟

- أبي تخمن ماذا حدث اليوم؟

سألته وأنا أضع الأطباق على الطاولة

- لقد تحدثت في محاضرتي عن الفنان «ويليام يوتاه» الذي حكيت عنه لي كثيراً لم يكن أصلاً في المنهج لكنني تحدثت عنه بمحض المصادفة عندما استفزني أحد الطلاب واتهمه بأنه مجنون.. أتعلم يا أبي ما هو الجنون؟ لم أنس ما أخبرتني به سابقاً عن هذا المصطلح أن الحياة بحد ذاتها جنون ولكي أعيش يجب أن أكون مجنوناً وأجاريها في جنونها، يجب أن يكون عقلي فوضى لكن فوضى منظمة، أنا أحفظ جميع الدروس التي علمتني إياها يا أبي لا تقلق تخمن أيضاً ما الذي سأفعله اليوم؟؟ سأبدأ بصنع عالم جديد كلياً عالم مختلف سأبدأ بفن الجثث سأصنع جثتي الخاصة سأعيد تكوينها كما يحدث في المصانع لإعادة تدوير الأشياء التي نستخدمها في حياتنا لقد كنت أرغب بتنفيذ هذه الفكرة منذ زمن لكن لم يكن لدي الوقت اللازم وأخيراً آن الوقت لهذا المشروع،

سمعت صوت أبي في رأسي يسألني هذا السؤال:

- كيف خطرت الفكرة في بالك؟

- كيف؟ لا شيء إن الفن جنون يا أبي وأنا فنان لذلك علي أن أكون مجنوناً..

شعرت بأن أبي لم تعجبه الفكرة أبداً أن أستخدم الجثث كفن! هل أنا مخطئ؟ هل أنا أستغل الجثث بعد أن أوصاني أبي بالاعتناء بها؟ لكن أنا لن أؤذيها وكل ما أرغب به هو المحافظة عليها وإظهارها للناس بشكل طبيعي فقط أرغب بأن يعيشوا كالأحياء..

- إن الأحياء والأموات لا يستطيعون أن يعيشوا على أرض واحدة يا بني ولا عالم واحد هذا الوطن للأحياء فقط..

سمعت هذه الكلمات من أبي في رأسي كما توقعت هو لم تعجبه الفكرة:

- إذاً لا بأس يا أبي أنا سأصنع وطناً للأموات أو أسس لهم أرضاً خاصة وهذا ليس صعباً علي ابتداءً من هذا المنزل وحتى أرض خاصة لهم..

انتهيت من تناول الغداء مع أبي بعدها تركته يرتاح توجهت إلى الاستديو الخاص بي فتحت الباب بهدوء وكأن الجثة التي بدون ملامح ستقف على قدميها، أول مرة رأيته وأخر مرة من ثلاثة أيام تقريباً كانت الصدمة محفورة في عقلي، استقبلني هذا التابوت الذي كان كالتحف الفنية وليس تابوت ميت تحسست بيدي النقوش أحاول أن أفهم أو أعرف هذه الرموز واللغة الغريبة أحضرت المجهر الذي يفحص اللوحات والتحف قربته من تلك النقوش اتضح أنها نقشت بخط اليد وليس بألة نقش أيضاً هناك

أخطاء أفصد هناك شطب على حروف ناقصة وكأنه يعامل هذا التابوت كالدفتري الخاص به الذي يشخبط عليه ما يريد!؟ لكن في الوقت نفسه هذه النقوش منظمة وجميلة بشكل مرعب أتساءل ماذا تكون هذه اللغة؟ حسناً هل أنا مستعد لفتح التابوت للمرة الثانية ورؤية هذه الجثة بلا ملامح؟ أظن ذلك..

بـ:

انتهت الجلسة الأولى مع «أيللا» بعد أن اعترفت لي بأن الخمسة الأشخاص الذين قتلتهم هم عائلتها، لم تكمل القصة لي فجأة بدأت بالصراخ ودخلت في نوبة هلع لذلك أعطيتها إبرة مهدئة التقيت بصديق قديم وهو محقق وهو من يمسك قضية «أيللا» الآن من حسن حظي أخبرته بأنه يجب أن يبحث عن خلفية الفتاة أكثر وعائلتها لكنني بالطبع لم أخبره عن أن عائلتها هم الأموات أردت أن أتحقق أولاً من صحة قولها لربما تكون زيفت هذا الأمر أيضاً، توجهت بعدها إلى الفندق وبدلت ملابسني استعداداً للمؤتمر النفسي حضرته وانتهيت منه بعدها عدت للفندق وأنا أشعر بالتعب رغم ذلك قررت أن أعمل على ملف أيللا شعرت بأنه بالطبع ستكون مهمتها طويلة لذلك أول شيء قمت به هو طلب بنقل ملفها ونقل الحالة إلى المستشفى الذي أعمل به لأنه من المستحيل أن أسافر مراراً وتكراراً من أجل حالة واحدة وهناك تنتظرنني مئة حالة ورغم أن المدير أخبرني بأنه سيحول حالة أيللا إلى طبيب آخر لكنني رفضت أيللا استدعتني أنا فليس من

الاحتراف والذوق والإنسانية أن أتخلى عنها، بحثت عن عدة معلومات تخص أيللا المكان الذي أتت منه اتضح أنها كانت تعيش وحدها في منزل رث متهالك في حي المهاجرين الأجانب الذين لا يملكون أي هويات وجميع العصابات والمجرمين وبائعي المخدرات هناك أيضاً! الغريب عندما ذهب المحققون إلى هناك وسألوهم عن أيللا قالوا نعم يعرفونها وأنها تسكن في هذا المنزل وحدها تقريباً منذ سنة كاملة! لكن لا تملك أي عائلة أو أي أحد حتى؟ أرسلت للمحقق صديقي أنني أرغب بالذهاب معه إلى منزلها لكنه رفض وقال إنه خطر لكن كالعادة سأذهب على أي حال وهو يعرف أنني سأذهب لذلك استسلم وأخبرني أن أستعد غداً والأفضل أن تذهب إلى هناك في الصباح لأنه في الليل يعتبر ذلك الحي كالكابوس كيف عاشت طفلة وحدها في ذلك الحي المليء بالعصابات؟ فجأة وصلني إيميل كان من مساعدي «روين» أرسل لي بعض التقارير عن حالة ذلك الصبي «كريستيان» الذي قتل والديه، وهنا لدينا «أيللا» التي قتلت عائلتها وكلاهما لا يتعدى عمره الثامنة عشرة إن الشر حقاً لا يعرف طفلاً أو مراهقاً أو كبيراً بالسن إن الشر يتلبس الإنسان لأسباب هناك البعض لأسباب مثل الصدمات النفسية صدمات الطفولة العنف وغيرها وآخر بدون أي سبب هكذا يولد من بطن أمه ويستقبله الشر..

فتحت الفيديو الذي أرسله لي مساعدي لإحدى جلسات المراهق «كريستيان» كالعادة ظهر في الفيديو بدون أي ردات فعل حتى وهو داخل الغرفة الخاصة به لا يتحرك أبداً؟ الغريب أنه

يبقى ساعات بالوضعية نفسها إما يكون جالساً لمدة عشر ساعات أو واقفاً لمدة عشر ساعات أو مستلقياً لمدة عشر ساعات! إنها ساعات طويلة على وضعية واحدة فقط الإنسان بطبيعته يتعب تلقائياً ولا يتحمل أن يبقى بوضعية واحدة بدون رمشة حتى إنه أغرب حالة تمر علي قمت بتسريع الفيديو حتى وصلت عند لقطة كان كريستيان فيها يقف مقابل الحائط وكان يحرك شفثيه وكأنه يتحدث إلى أحد ما؟ بعدها التفت كريستيان إلى الكاميرا ونظر إليها بنظرات مرعبة وتحمل الكثير من الشر ثم ابتسم وكأنه يراني حرفياً رغم أن المشهد مسجل بعدها رفع يده وأشار إلى خلفي كالعادة انقبض قلبي وأمعائي عندما شعرت بأن هناك أحداً يقف خلفي وملتصقاً برقبتي أشعر بأنفاسه تصطدم في خصلات شعري أصبحت أنفاسي سريعة جسدي يرتعش التفت بسرعة أخيراً إلى الخلف لكن بالطبع لم يكن هناك أي أحد...

تنفست الصعداء وأغلقت جهازي المحمول ضحكت على نفسي هل لهذه الدرجة يؤثر علي ذلك الصبي المجنون؟؟ لا، لا بد أنني متعبة فحسب من كثرة العمل، قمت بملء حوض الاستحمام بالماء الدافئ كنت أحتاج إلى الاسترخاء غطست به وأنا أحاول أن أغرق كل أفكاري التي تدور في رأسي وللحظة اشتقت لأخي للحظة أخرى رأيت وجه ذلك الشيطان أمامي يتسم ذلك الكابوس من المستحيل أن أنسى وجهه أو أنسى الذي فعله بي ولن أكف أبداً عن مطاردته حتى أقبض عليه من جديد...



«الفصل السادس عشر»

«عشاء مع الجثث»

١٩٩١ م..

شعرت بتأنيب الضمير بعد أن تصرفت مع أبي بوقاحة بسبب ذلك الحقير الذي يتنمر على أبي كل صباح ومساءً، بقيت في الغرفة التي في المقبرة أذاكر دروسي وأبي كان مشغولاً بدفن العمري، نظرت من النافذة الصغيرة كانت المقبرة مزدحمة بسبب الجنازات أرى دموعاً وبكاء عائلاتهم أرى الحزن في أعينهم لم أكن أرغب بأن أكون مثلهم أنا أكره الحزن رغم ذلك دائماً ما أكون حزيناً ولا أعرف السبب؟ عدت مرة أخرى إلى دروسي وحين انتهيت أخيراً فتحت الكتاب الذي أعطاني إياه والدي رواية «المسخ» تأملتها قليلاً كنت متحمساً لها كثيراً لكن انطفاً حماسي عندما أدركت أن هذه المسخ الحشرة يشبهون بها والدي! وضعت الكتاب جانباً بملل أخذت أتأمل الغرفة حتى سمعت الهدوء عم في المقبرة أصبحت الساعة السادسة مساءً هذا يعني أنه انتهت مهام الدفن على الرغم من أن المقبرة لا تمنع الدفن ليلاً لكن معظم سكان البلدة يرفضون أن يتم دفن أقاربهم وأمواتهم في الليل يقولون بأنه عند الدفن في الليل تقوم الشياطين بسرقة

الجثث أو يقوم أكل الجثث بأكلها وأن الميت لن يرتاح وسيسقط في الجحيم وأقاويل كثيرة، لا أصدق أياً من هذه الأشياء الخرافية غير أن من الجيد أنهم لديهم خرافات لكي يرتاح أبي ساعات أطول من العمل، انفتح الباب ودخل أبي وهو يحمل بعض شطائر الجبنة وعلبة حليب مبتسماً كالعادة:

- هل انتهيت من الدراسة؟ لقد أحضرت لك بعض شطائر الجبنة وحليباً يمكنك أن تأكل واحداً الآن والآخر إذا شعرت بالجوع..

- آسف يا أبي..

قلت بصوت خافت

- آسف على ماذا لماذا تعتذر؟

سألني وكأنني لم أفعل شيئاً

- بسبب تصرفي الوقح معك أنا أعتذر لقد شعرت بالاستياء فقط من هؤلاء الناس

اقرب مني ممسكاً بيدي بيده التي كان يملؤها غبار وتراب القبور:

- دعني أخبرك بشيء يا ظلي ويجب أن تفهمه: إن البشر

سطحيون جداً لدرجة أنهم يبقون طوال حياتهم على

السطح إنهم لا يتعمقون في الحياة ولا ينظرون لا إلى

الأسفل ولا إلى الأعلى ولا إلى اليسار أو اليمين وكل ما

ينظرون إليه هو الأمام الشيء الذي أمامهم فقط متجاهلين

الاتجاهات الأخرى وأنت يجب أن لا يكون تفكيرك محدوداً مثلهم التفكير المحدود يا بني هذا أكبر مخاوفي..
- ولكن يا أبي إن البشر أشرار يجب أن ترد عليهم على الأقل..

قلت بيأس

- الرد.. ما فائدة الرد؟ إن الرد على السفية مذلة وأنا لا أريد أن أذل نفسي أنا أعلم تماماً بأن الرد لا يغير شيئاً لذلك نفكر في أشياء أخرى أكثر أشياء تكون أكبر من الرد على أمثالهم..

- وما هي هذه الأشياء؟؟

- مثل أن تكون ناجحاً وموهوباً وذكياً وقوياً هذا هو أكبر رد وانتقام لأن الأشخاص المتممرين يكونون دائماً في بؤرة لا تتحرك في مكانهم طوال سنوات حياتهم..

- وماذا عنك؟ ما هو ردك عليهم يا أبي؟!

شعرت بوقاحة في سؤالي لأن أبي لا هو ناجح ولا غني ولا قوي..
- لكنني ذكي..

انقبض قلبي عندما قالها أبي بابتسامة وكأنه قرأ أفكارني! قلت بلاءهم وخجل:

- لا أقصد شيئاً يا أبي لكن أريد أن أكون مثلك ذكياً في ماذا تستخدم ذكاءك؟؟

- في أشياء كثيرة ستعرفها مستقبلاً الآن حان وقت النوم أنا
سأذهب إلى العمل

- هل ستغني الآن للموتى؟؟

سأله

- نعم

أجاب

- أريد أن أذهب معك أرجوك يا أبي

- ليس الآن يا بني لنجعلها لاحقاً اتفقنا؟ عمت مساء..

طبع قبلة على جيبي وخرج وتركني بفضولي لم أنم تلك
الليلة ولا في أي ليلة أكون فيها في المقبرة أرغب باستكشاف هذا
العالم أكثر لكن أبي يخبرني أن أنتظر قليلاً، حتى متى؟ كنت
على وشك أن أغرق في النوم لكن فتحت عيني عندما سمعت
صوت دندنة أبي نهضت بسرعة وتوجهت نحو النافذة أخرجت
عيني فقط بخفة حتى لا يتبهره أبي لوجودي أسمع صوته لكنني لا
أراه أو أن المقبرة مظلمة جداً كان أبي يغني بصوت رائع لكن فجأة
أصبح يغني بلغة غريبة غير مفهومة لا أعرف ما هذه اللغة الغريب
أن أبي شخص لم يتعلم صحيح أنه يعرف أن يقرأ ويكتب بمجهود
شخصي لكن لم أعرف أنه لديه لغة أخرى ويغني بها بكل إتقان
ولم أسمع في حياتي يتحدث بلغة غير مفهومة أو لغة أخرى غير
لغتنا لكن لماذا أبي يغني بهذه اللغة هل هي لغة الأموات؟؟

٢٠٢٣ م

فتحت التابوت ولم تكن هناك أي مفاجأة كانت الجثة كما هي
 جثة بلا ملامح أتجنب النظر إليها لأن شكلها غير طبيعي وغير
 مريح وهناك شيء أكثر غرابة في هذه الجثة أنها غير محنطة ولا
 يوجد بها أي سائل خارجي ولا أي مادة حرقياً لكنها بخير بخير
 تماماً مثل الأحياء؟! وضعت يدي على يده رفعت القميص الذي
 كان يرتديه وكانت هذه المرة الأولى في حياتي أرتعش من جثة،
 لمست جسده جلده كان بخير تماماً وطبيعياً وكان دافئاً بشكل
 طبيعي وكأن الحياة تنبض في هذه الجثة لكن بشكل خفي بحكم
 أنني طبيب شرعي أعرف درجة حرارة الميت والحي من اللمس
 بدون جهاز لكن أردت أن أتأكد أكثر ذهبت وأحضرت الجهاز
 وقست درجة الحرارة وهنا كانت الصدمة! أظهر الجهاز أن درجة
 الحرارة سبع وثلاثون إنها درجة الحرارة الطبيعية للإنسان الحي!
 مستحيل لا يوجد ميت تظهر معه درجة الحرارة هذه؟ وضعت
 الجهاز جانباً قررت إخراج الجثة ووضعها على طاولة التشريح
 ماذا سأفعل هل سأشرحها؟ لا سأرى الأعضاء الداخلية كيف
 ستكون؟ أولاً قمت بجس نبضه كان لا يوجد نبض أبداً لا بالقلب
 ولا بالعروق لكن هناك شيء خاطئ في هذه الجثة قررت أولاً
 الذهاب إلى جهازي اللوحي فتحت موقعي وتوجهت إلى
 الرسائل الخاصة أردت أن أسأل صاحب الجثة الذي قام ببيعها
 لي لكن كما توقعت لقد حذف حسابه بالكامل واختفى تماماً
 هذا هو القانون هنا في هذه المواقع، حسناً يجب الآن أن أركز

يجب أن أفتح معرضي الخاص ومشروعي لن تشتت تركيزي هذه الجثة ولن تعيق تفكيري سأبحث عنها أكثر إن الموضوع سيكون ممتعاً بالنسبة لي هو في النهاية ميت وأنا سأعيد ترميمه لكن كل شيء فيه مرمم بدون أي مجهود ما عدا ملامحه من أين يمكن أن أحضر له ملامح؟ مضحك حقاً لا بأس جدولي لهذا الأسبوع أولاً سيكون هناك عشاء جماعي عائلي فكل شهرين يجب أن أتناول العشاء مع عائلتي لكن في الأشهر الأخيرة انشغلت جداً لذلك لم أجلس معهم إلى أي مائدة منذ فترة، ثانياً سأعمل على نحت القطع المتبقية ونحت القطع الجديدة استعداداً للمعرض، ثالثاً يجب أن أبدأ بتنزيل وكتابة مذكراتي في موقعي «بيتشيني» أطمح إلى أن أصنع كل شيء من الجثث تلك الجثث المتهالكة التي من المستحيل ترميمها سأستفيد منها أفضل من حرقها، خرجت من المكتب وبدأت بتجهيز العشاء كانت الساعة السادسة مساءً قمت بطبخ أصناف مختلفة وشهية أعلم كل فرد في العائلة ماذا يحب وماذا يفضل، انتهيت من التجهيز حضرت طاولة الطعام العائلية التي تقبع في صالة الطعام الداخلية تحتوي الصالة على تحف زجاجية لوحات فنية الطاولة من السيراميك الأبيض والكراسي كذلك حضرت الأطباق بكل حب ودفء فالיום هو يوم سعيد للعائلة، انتهيت من إعداد الطاولة ووضع الطعام عليها توجهت للاستحمام وارتديت ملابس أنيقة مناسبة لعشاء عائلي، أخذت أبي بعد أن بدلت له ملابسه ووضعت على كرسيه المتحرك حتى وصلنا إلى طاولة الطعام كان أبي

مكانه على رأس المائدة وأنا في الاتجاه الآخر من رأس المائدة
الثاني وقبل أن أجلس قلت:

- أليكسا قومي ببدء الجميع لطاولة العشاء..

- حسناً،

- «مساء الخير على الجميع السيد «ظل» يدعوكم إلى مائدة
العشاء لليوم العائلي السعيد نتمنى من الجميع الحضور
حالاً وشكراً..»

- هل أعجبتك المائدة يا أبي؟

قررت أن أتحدث مع أبي حتى يأتي البقية

- بالتأكيد لقد صنعتها بكل حب أيضاً أعتذر لم يكن لدي
الكثير من الوقت خلال الفترة الماضية لذلك قررت أن
أعوضهم اليوم..

كان أبي سعيداً جداً فهو يحب عندما أجلس معهم في المنزل
ونحظى بجو عائلي، قال أبي ذات مرة إنه ليس مهماً شكل المنزل
وأشكال الأشخاص الذين فيه ولا يهم حجم المنزل أو جماله
المهم أن يكون منزلاً سعيداً وهذا هو منزلنا السعيد..

انفتحت أبواب الغرف أضيئت أضواء القصر بالكامل اشتغلت
الموسيقى الكلاسيكية ليصيح صوتها في أرجاء القصر أسمع
خطواتهم أشم رائحتهم كانت السلالم منفصلة لقسمين قسم على
اليسار وقسم على اليمين نزلوا من السلالم بابتسامة سعيدة وروح

مبتهجة تتقدم العمدة «لورا» بثوبها البني المشجر الذي كانت ترتديه دائماً في أغلب المناسبات العائلية وتسريحتها التي كانت تبدو وكأنها من سيدات العهد القديم، كانت العمدة «لورا» كالعادة تمسك بالتوءمين «كيران وكيارا» فهي كانت الأم الروحية لهما وكانت هي من يعتني بهما كانت كيارا ترتدي فستانها الأبيض ذا النقوش الوردية الذي أهديتها إياه في عيد ميلادها السابق وشعرها المنسدل كالحرير الأسود، أما كيران فكان يرتدي الكنزة الصفراء التي صنعتها له العمدة لورا فهو يحب اهتمام العمدة به لأنه لم يكن لديه يوماً أم أو كان لديه في المنزل نفسه لكنها كانت كالكابوس غير الواقعي، البقية «فرانسيس» الشاب الذي يحب الأكل كثيراً لأنه في حياته السابقة كان محروماً منه فرانسيس شاب شغوف ومرح ومحب للجميع، «إليانا» الشابة التي تحب أن تكون جميلة دائماً ومتألقة كان حلمها أن تصبح عارضة أزياء لكن الأقدار القاسية كانت أقوى منها كانت إليانا تضع الكثير من مساحيق التجميل وتبدل في اليوم ألف مرة لذلك اليوم ارتدت فستاناً أنيقاً اشترته لها في وقت سابق من ماركتها المفضلة «ديور» مع مجوهرات أنيقة وجميلة وغالية الثمن، «كريستال» التي تحب الكتابة أكثر من أي شيء آخر كان لها الفضل الأول في تشجيعي لبداية كتابة كتابي كانت كريستال آنسة جميلة مثقفة تم قتلها في ظروف غامضة تم اتهام زوجها الذي تزوجته لمدة سنة واحدة فقط ولكن تم إطلاق سراحه لأنه لا يوجد أدلة كافية لكنني أعرف أنه القاتل لأنها أخبرتني بذلك، «روين» ذلك

لقد الهادي الذي يحب فقط قراءة الكتب والاستماع إلى
 لموسى روين للأسف لا يستطيع التحدث لأن والده قام بقص
 له بعد جلسات من التعذيب وقتله وانحر بسبب أن ولدت
 هجره! لقد تعلمت بعض الكلمات من لغة الإشارة لأجله العم
 كفن اب صديق والدي العنضل وهما يجبان التحدث معاً بدون
 تقاطع عن أمور كثيرة مثل الشعر والكتب والموسيقى وأحياناً
 الخبير لأن العم كفن يشبه أبي كثيراً هو أيضاً كان في السابق
 حارس منيرة وقضى كل حياته هناك، (جوزيف) وهو العمير في
 لعائلة لأنه أول شخص انضم إلينا إذا كنتم تذكرونه إنه المتبر
 التي مات بجانب شفتي عندما كنت طالباً أصبح جوزيف صديقاً
 غريباً لي وأحب أن أحكي له عن أسرارتي وأفضفض له كل شيء
 فهو كنتك بالمثل، (لويس) كان السيد لويس تاجراً وثرياً جداً
 كما لم يملك أي عائلة لأسرار هو يعرفها للدرجة أنه عندما مات
 بسبب قته في ظروف غامضة بقي في الثلاجة أسبوعاً ولم يسأل
 من أحد الآن أنا أعرف أهمية العائلة جيداً لكن لويس لديه روح
 جميلة كنت عسبي في بعض الأحيان خصوصاً عندما يلهم
 عنهم أترافه الخاصة..

قوله العشرة هم المقربون الأكثر إلى قلبي وهم أكثر من اعتدت
 عليهم لا أستطيع أن آخذ وأعطي مع متي شخص في المنزل لذلك
 لغت لياقة في التوايست في الاستديو وأخرى في غرف القصر
 في كبرى في السرداب السفلي وهو قبو تحت الأرض بنيت مؤخر
 لي كبراً بعد فيه الكفاية لكتشي بدأت الآن بتوسعة أكثر لم بعد

حتى القصر يكفي لذلك فكرت بهذا القرار علي بناء عالم كامل لهم لأن الغرف هنا والصالات لم تعد تكفي وأنا أريد أن أصل إلى ألف جثة كيف سيكفيهم القصر؟ السرايب تحت الأرض هي الحل الأمثل.. جلس الجميع حول مائدة العشاء بحماس:

- هل أعجبتكم المفاجأة؟؟

سألهم

- إنها أكثر من رائعة هناك كعكة الشكولاتة أيضاً التي أحبها
شكراً للعم «ظل» إنه العم المفضل في العالم..

قفز «كيران» بحماس وسعادة كالعادة

- أليس ممنوعاً أكل الحلوى اليوم بسبب أسنانك؟

سألته «كيارا» لتقوم باستفزازه كالعادة

- يجب عليك أن لا تتدخل في شؤوني

- توقفا الآن لا تبدأ بالشجار دعانا نأكل أليس يجب أن نشكر

السيد «ظل» لأنه اعتنى بنا جميعاً؟

قالت العمه «لورا»

- ما هذا؟؟؟ جميع اللحوم هنا! أنا لا أتحمل هذا المنظر أين

طعامي؟

قالت «إليانا» بتذمر لأنها نباتية طوال الوقت وتحاول أن تحافظ على جمالها..

أجاب «كريستال»

- يجب أن تفتحي عينيك جيداً انظري إن طبقك الذي لونه أخضر مشع أمامك بالكامل أتساءل ألا تشعرين بالملل من هذه النباتات؟؟

- نباتات!؟

- حسناً هذا يكفي دعونا الآن نبدأ بالأكل أرجوكم هل علينا أن نسكت الأطفال والكبار أيضاً!؟!

قال فرانسيس بتذمر، قررت أن أقاطع جدالهم لأنه لن ينتهي:

- حسناً فرانسيس محق دعونا نبدأ بالأكل الآن حتى لا يبرد أولاً دعونا نقوم بتمني آمنيات وندعو الله أن يحفظ لنا هذه السعادة وهذا التجمع..

لقد تمنيت بداخلي أن يجمعني الله مع ثيات تحت سقف هذا المنزل وتكون راضية بي وبعائلتي بشكل طبيعي..

انتهى اليوم الطويل عاد كلُّ منهم إلى غرفته أصبحت الساعة العاشرة مساءً بحكم أنني قليل النوم بعد أن بدلت ملابس عدت بداخله بالاستديو ما زال التابوت مفتوحاً وما زالت الجثة بلا ملامح أعضاء هل هي ميتة أو لا؟ لقد قررت أن أفتح جسده لكي أرى أرغب بتشويه الجسد المثالي الذي حتى بدون أي شمع أو سائل تحنيط ما زال خالياً من التعفن لماذا أفسده أنا؟ لكن هل علي أن

أخرجه من التابوت؟ أين أضعه؟ إنه بدون ملامح أخشى أن يخيف الآخرين كما أخافني بالطبع، لا بأس اليوم سابقه في التابوت وغداً سأرى ماذا أفعل بشأنه، أغلقت التابوت عليه وخرجت من الاستديو عدت إلى القسم الرئيس للقصر دخلت غرفتي وقمت باستكمال كتابة كتابي بعدها لم أشعر بالوقت عندما رفعت رأسي رأيت أن الساعة أصبحت الواحدة بعد منتصف الليل لذلك قررت التوجه إلى السرير رفعت هاتفي وأنا مستلقٍ على السرير رأيت أن ثيالي لم تتصل بي اليوم لا بأس لا بد أنها مشغولة بهؤلاء المجانين خاصتها لذلك أغلقت الهاتف وأغمضت عيني..

«أنفاسي ضيقة أشعر بالاختناق الرهيب! الحرارة تأكل جسدي هناك رائحة غريبة ليست كريهة لكنها مزعجة جداً، الهواء معدوم والأكسجين لا يعرف هذا المكان لكن ما هذا المكان؟ وأين أنا؟ فتحت عيني لأجد نفسي في مكان وكأنه خندق ضيق مظلم نوعاً ما العرق يتصبب مني كالشلال علمت بأن هذا كابوس لكن لماذا أشعر بأنه واقعي لهذه الدرجة؟ تقدمت بخطوات متعبة ونفس يكاد أن ينتهي في أي وقت لا أعلم أين أذهب لكنني سمعت فجأة أصواتاً عديدة للناس يتحدثون أو لا، هم يقومون بغناء وكأنها تهويده وبلغه غريبة لا أفهمها وصلت إلى المكان الذي تخرج منه الأصوات كان هناك مجموعة من الناس يرتدون الأسود وأغطية على رؤوسهم كانوا مجتمعين حول شيء ما أو حول شخص كان هذا الشخص مستلقياً على بطنه وكان لا يرتدي

الإبتطالاً كان هناك اثنان يرسمان أشياء على جسده مثل الوشم
فجأة بدؤوا بالصراخ والنياح وضرب أنفسهم وكانهم جماعة دينية
استمروا بضرب أنفسهم بشكل مروع وهم يصرخون حتى سالت
الدماء من أجسادهم!! وأخيراً بعد أن انتهوا قاموا بحمل شفرات
حاددة وفي منظر بشع قاموا بقص أصابعهم والآخرون قاموا
بإخراج أعينهم سالت الدماء في كل مكان حتى سقطوا أرضاً
واحداً تلو الآخر وعمّ الهدوء! بقي فقط ذلك الرجل المستلقي
على بطنه وما زال الاثنان الواشمان يضعان له الوشم حتى توقفا
عن الرسم وقاما بالتقاط بعض الدماء والأصابع والأعين ووضعها
في وعاء حديدي كنت أعلم بأنهما سيقدمانها لذلك الرجل لكنني
لا أستطيع رؤية وجهه وعندما كنت مرعوباً ومدهوشاً ومصدوماً
ومنسجماً في هذا المشهد الذي وكأنه من فيلم رعب توقف
الاثنان ونظرا إلي بطريقتهم مرعبة يا إلهي هل يرياني؟ أليس هذا
كابوساً؟ نبض قلبي بشدة تراجع للخلف بهدوء ورعب وهما
ما زالوا ينظران إلي مباشرة وذلك الرجل ما زال مستلقياً ثم
اصطدمت بشيء ما وأنا أعود للخلف التفت بهدوء ورعب إذ أراه
هذا الرجل إنه الجثة بلا ملامح أمسك برقبتي وعلقني ورفع
جسدي عالياً وأنا أنزع حتى قبل موتي بثانية شهقت واستيقظت
أخيراً من أطول كابوس أراه بحياتي..

كان السرير يكاد يغرق من العرق جسدي يرتعش بأكمله
أنفاسي تحتضر، يا إلهي ما هذا الكابوس الغريب؟ طوال حياتي
وأنا أهتم بالجثث والموتى وأعيش معهم لكن لم أر أي كابوس

مخيف ومروع بهذا الشكل كابوس كاد أن يقتلني وأنا نائم لقد عانيت من أمراض نفسية وهلوسات طوال حياتي لكن لم يسبق لي أن أرى كابوساً بهذه الواقعية؟

هل لهذه الدرجة تلك الجثة بلا ملامح أثرت فيّ؟ حسناً هذا من الممكن لأنني أفكر بها كثيراً سأحاول أن أهدأ سأهدأ بالطبع بعد أن أتناول أدويتي، التقطت علبة الأدوية وابتلعت ما يقارب ست حبات من الأدوية المختلفة كان قد سبق وتوقفت عنها عندما تحسنت لكن الآن على ما يبدو سأعود إليها، شربت قارورتي ماء كاملتين وكأني كنت في صحراء لمدة خمس ساعات كان الجو حاراً جداً في الغرفة هل انتقلت الحرارة من الكابوس إلى هنا معي؟

- أليكسا قومي بتشغيل التكييف

- حسناً يا سيد

قامت أليكسا بتشغيل التكييف شعرت بأن روحي عادت إلي وتنفست أخيراً بشكل طبيعي، لكن هل أستطيع العودة إلى النوم؟ لم أنه تسأولي حتى فجأة انفتح باب الغرفة!! نهضت مفزوعاً واعتدلت في جلستي نظرت إلى الباب لم يكن هناك أي أحد كان الباب مغلقاً بإحكام ولم يفتح أبداً ولو مرة واحدة لكن الآن انفتح وحده كيف؟

- أبي؟؟ هل هذا أنت؟

سألت بتردد

لم أجد أي رد لذلك قررت سؤال أليكسا

.. اليكسا هل هناك أحد خارج غرفتي؟؟

.. لا ياسيد..

ارنحت قليلاً وضحكت على نفسي فهذه أول مرة في حياتي
 تخيفني جثة كيف يمكن أن أخاف من جثة وأنا الأب الروحي
 لهم؟ نهضت من مكاني وأغلقت الباب وعدت للسريير وهنا بدأ
 مفعول الأدوية بقوة بدأت أشعر بالنعاس الشديد والغثيان وأشعر
 بأن جسدي يحلق في الهواء الرؤية ضبابية طبعاً هذا مفعول
 الأدوية النفسية وأنا معتاد عليها بالطبع لكن الشيء الذي لست
 معتاداً عليه هو أنني قبل أن أغلق عيني رأيت في عكس المرآة
 أحداً ما يقف في زاوية الغرفة المظلمة لم يكن هناك وقت لكي
 ينبض قلبي لم يكن هناك وقت للفرح لأن النعاس سيطر على عيني
 وغرقت في نوم عميق شكراً للنوم لأنه أنقذني من هذا الفرع..



«الفصل السابع عشر»

«الخيـف»

بـا..

لا يوجد شيء أسوأ من عيش حياتك وأنت ميت! ميت على
فيد الحياة هذا ما كنت أشعر به طوال الوقت خصوصاً بعد أن
مات أخي بتلك الطريقة البشعة بسببي شعرت من بعدها أن عجلة
الحياة توقفت عن الدوران وأن لدي هدفاً واحداً لأجل الاستمرار
في هذه الحياة والعيش من أجله وهو القبض على «الكابوس»..

ارتديت ملابس عملية خفيفة مع معطف أسود قمت بربط
شعري إلى الأعلى يجب ظل أن يكون شعري دائماً منسدلاً لكن
لا بأس أنا ذاهبة الآن إلى مغامرة صغيرة لكي أبحث عن الحياة
الحقيقية لإحدى مرضاي لو علم ظل بذلك فسيغضب ولن
يسمح لي بالذهاب، رن هاتفي وكان صديقي المحقق «هاري»:

- هل أنت بالأسفل؟

- نعم ثيا لقد وصلت

- حسناً أنا قادمة الآن..

خرجت من الفندق متوجهة إلى منزل الفتاة «أيللا» منزلها الذي كان يقع في حي يعتبر من أخطر الأحياء في هذه المدينة لكن جميع المهاجرين مضطرون لعيش حياة كهذه،

- كم يبعد المكان؟؟

سألته

أجاب وهو يستعين بفتح قوغل ماب:

- امم يظهر هنا تقريباً ثلاثون دقيقة ليس بعيداً بما فيه الكفاية إذا لم يكن هناك ازدحام، هل ترغيبين بقهوة؟؟
- حسناً لا بأس دعنا نتوقف عند أقرب مقهى..
- حسناً..

- كيف حال «ظل»؟؟

سألني وهو يناولني كوب القهوة

- إنه بخير يقضي معظم أوقاته بين عوالمه الخاصة
- تهانينا وبلغيه تحياتي ومباركتي بمناسبة نيله درجة الدكتوراه
- شكراً، بالتأكيد سأخبره تحياتك

وصلنا أخيراً إلى ذلك الحي وما أن دخلنا كان حقاً وكأنه عالم آخر أو عالم موجود لكن أنا والكثير لا نعرفه عالم الفقراء.. الفقراء عالم مرعب لنكن صريحين أيضاً مثلما الغنى عالم مرعب أيضاً كل عالم له جوانبه المرعبة الفرق أن الفقراء لا يوجد لهم خيارات

أو الخيارات عديدة فهم يلجؤون لأي شيء ليكسبوا القمة العيش وهذا بالطبع ليس مبرراً إلا أنه حقيقة لا فرار منها، كل شيء سيئ نجده هنا علناً حتى الشرطة تخاف أن تدخل إلى أحياء مثل هذه كل شيء ممنوع متوفر وكل شيء غير مرغوب يصبح مرغوباً، ونحن نسير على الطريق بهدوء بسبب انتشار الناس على الأرصفة والشوارع كان الجميع ينظرون إلى سيارتنا وكأنها أجمل وأحدث وأنظف سيارة دخلت إلى الحي أو أنهم ينظرون إلينا لأننا غريبان بالنسبة لهم، بالطبع هاري لم يجلب سيارة الشرطة لأننا سنموت فور دخولنا طرف الحي، وصلنا أخيراً إلى الموقع كان المنزل يقع في زقاق ضيق متعفن يملؤه الكثير من القمامة في كل جانب نزلت من السيارة وأنا أنظر يمينا ويساراً الجدران متهاكلة الأرضية متسخة لم نكن نعرف أي منزل بالضبط بسبب التصاق المنازل بعضها في بعض، لذلك اضطررنا إلى السؤال رغم أننا كنا متوقعين أننا لن نحصل على أي مساعدة من هؤلاء الناس لكن بعد أن شاهدنا امرأة عجوزاً تحمل بعض الخضار في يدها خارجة من أحد المنازل قلنا من الممكن أن تساعدنا لذلك اتجه هاري بهدوء وبشكل طبيعي إليها:

- مرحباً يا عمتي كيف حالك؟؟

نظرت إليه السيدة العجوز من الأعلى حتى الأسفل ثم نقلت نظرها نحوي وتفحصتني بالطريقة نفسها بالطبع تعرف أننا لسنا من هذا الحي ثم قالت بحدة:

- أنا لست عممة أحد ماذا تريد؟ قل ما لديك بسرعة..

- أوه حسناً أعتذر أيتها السيدة، لكن أرغب بسؤالك عن هذه الفتاة تدعى «أيللا» أريد أن أعرف أين منزلها؟؟ أي واحد هو من بين هذه المنازل!؟

سأل هاري وهو يريها صورة أيللا، تفحصت العجوز الصورة ثم ارتعشت فجاءة وعبست ملامحها أكثر:

- أنا.. أنا لا أعرفها ابتعد عن وجهي..

قالت بتلعثم كاذب وهي تسير مبتعدة بسرعة لكن هاري لمح بها ووقف في طريقها:

- أرجوك يا سيدة تعاووني معنا أخبرينا فقط أين هو منزلها ولا أرغب بأي معلومات أخرى؟؟

- أخبرتك لا أعرف هذه الفتاة ابتعد فوراً عن وجهي واخرج من هذا الحي قبل أن تهلك..

كانت ستسير مبتعدة لكنني قررت أنه حان وقتي في التدخل رغم أن هاري أخبرني أن لا أتدخل في شيء لكن من المستحيل أن أتركها تذهب بدون أن نخبرنا أين المنزل وفتت في وجهها بابتسامة:

- أعلم بأنه لا يهملك اسمي لكن أنا «ثيا» وأنا أخصائية نفسية أتيت إلى هنا لكي نعرف حقيقة تلك الفتاة لأنه إذا لم تكن هي القاتلة سيكون القاتل طليقاً ولا يزال بالطبع هنا لقد قتل خمسة أشخاص في دقائق معدودة وأخفى جثثهم

باحترافية أتعرفين؟ أنتِ جارتها بالتأكيد من الممكن أن يكون دورك في أي وقت علاوة على ذلك تعرفين جيداً أن القاتلين يأخذون راحتهم في هذه الأحياء لأنه ببساطة الجرائم هنا كثيرة والسكان لا يساعدون الشرطة، ثم أقيت نظرة على منزلها واسترسلت في حديثي:

- أرى أيضاً أنك لا تعيشين وحدك ألا تخافين على الأشخاص الذين تحبينهم؟؟

رأيت التوتر في ملامحها رغم أنها كانت تحاول أن تخفيه:

- ومن يهتم؟؟

سألت

- ماذا؟؟

- أقصد ومن يهتم بنا إن تم قتلنا هنا في هذه الحاوية؟ لا أحد يهتم أيتها الأنسة الجميلة لذلك سواء ساعدنا الشرطة أو لم تساعد لا أحد يهتم أنتِ لا تعلمين كم شخصاً يموت في هذا الحي في اليوم الواحد! نحن نعيش على هذه القاعدة ننام ونستيقظ ونحن متوقعون أننا سنموت اليوم وهكذا، لذلك لا تمثلي أنك مهتمة بنا لكن على كل حال لست خائفة لأن القاتل طليق لأنني أعرف جيداً أنه ليس طليقاً أو ربما.. سكتت قليلاً وكأنها كانت خائفة من شيء!!

- أو ربما ماذا؟؟؟

سألتها باهتمام

- لا أعرف شيئاً لكن حسناً ذلك المنزل الأخير على اليسار
ذو الباب الأرجواني هو منزل تلك الفتاة الملعونة هي
وعائلتها..

- لحظة لماذا قلت ذلك؟ هذا يعني أن أيلّا كانت تعيش مع
عائلة أليس كذلك؟ هل رأيتمكم عددهم؟؟؟

- هذا يكفي لقد ساعدتكم بما فيه الكفاية أنا لذي عمل وداعاً
غادرت العجوز وتركتنا حائرين تركت أسئلتنا بدون أجوبة:

- من الجيد أنها أخبرتنا عن المنزل كيف يمكنك أن تتوقعي
أن تجيب عن أسئلة أخرى؟

قال هاري وهو يصب نظره على منزل أيلّا

- هذا يعني أنها كانت محقة لدى أيلّا عائلة

- نعم وأنت لم تخبريني بذلك

قال هاري بغضب لأنني أخفيت عليه هذه المعلومة:

- أرجوك لا تغضب لم أكن أريد أن أخبرك بشيء لست متيقنة
منه أيلّا مشوشة جداً وكانت تقول مليون معلومة ثم إنها
هي وعائلتها غير مسجلين في النظام القانوني ولا في أي
مكان آخر وكان ليس لهم وجود لذلك لم أخبرك بهذا،

- حسناً إذا دعينا ندخل إلى المنزل لنرى هل سنحصل على
أجوبة أو المزيد من الأسئلة..؟

وصلنا إلى باب المنزل كان المنزل يبدو وكأنه صندوق صغير
يكفي لشخصين بالكثير ولكن كان يعيش فيه حوالي ستة أشخاص
فتح هاري الباب لم يأخذ مجهوداً لأنه متهاك فاحت روائح
غريبة وكريهة أخرج هاري مسدسه احتياطاً ورغم أنه أشار لي
بالبقاء بالخارج حتى يؤمن المكان إلا أن فضولي لا يستمع أبداً
ودخلت ملتصقة في ظهره، كان المدخل عبارة عن ممر ضيق
مظلم من الجيد أن نور الشمس يصل إلى داخل المنزل سرناً في
الممر الصغير وصلنا لأول باب وعلى ما يبدو أنها غرفة فتح
هاري الباب بهدوء وهو يوجه مسدسه بإحكام وتركيز إلى الأمام
فتفتح الباب وأصدر صريراً مزعجاً، كانت غرفة صغيرة يوجد بها
خزانة متهاكة الجدران متهاكة ومتسخة كانت هناك بقع دم في
كل مكان شقوق الجدران الغريبة التي تمتد من السقف وحتى
الأرضية، يوجد فراشان رشان مفروشان على الأرض وكان هناك
صندوق أطفال ممتلئ بالألعاب! دخل هاري وهو يتفحص الغرفة
بأعينه ثم قال:

- لا تلمسي شيئاً على ما يبدو أننا سنضطر لإحضار الشرطة
هنا والطب الشرعي..

أنا أنا فكنت وكأنني منومة مغناطيسياً أسير بهدوء في الغرفة
أرتب وأفحص هذه الجدران الغريبة نظرت إلى صندوق
الألعاب هل كان لديهم أطفال؟ أشقاء أيللا أصغر منها ألهذا

استطاعت أن تقتلهم بسهولة؟ هذا بالطبع أحد التوقعات توجهت إلى الخزانة كانت خزانة ملابس وضعت يدي على الباب لكن قبل أن أفتحها مسك هاري يدي:

- هل أنت مجنونة؟ أخبرتك ألا تلمسي شيئاً..

- يجب أن نفتحها

قلت بحزم وعدم مبالاة

- حسناً أنا من سيقوم بفتحها تراجع قليلاً

فتح هاري باب الخزانة بهدوء لكن كانت فارغة ويوجد بها بعض الملابس التي وكأنه مضى عليها زمن طويل لم نلمس شيئاً حتى نحاول أن نحافظ على الأدلة رغم ذلك أردت حقاً أن أتفحصها لكن لن أستطيع بسبب وجود هاري، خرجنا من الغرفة الأولى وجدنا باباً آخر وكان الباب الثاني والأخير لأن المنزل فقط ممر صغير وغرفتان ومطبخ صغير جداً أمام أعيننا وحمام بجانبه، فتح هاري باب الغرفة الثانية أصدر صريراً مرعباً هبت منها رائحة قوية جعلتنا نضع أيدينا على وجهينا كانت الغرفة على عكس الغرفة الأولى كبيرة ومظلمة جداً كان هناك نافذة لكنها كانت مغطاة بورق على ما يبدو!

- لحظة دعيني أبحث عن مفتاح الإضاءة أظن أنه هناك..

قال هاري وهو يتوجه بهدوء للمفتاح مستعيناً بضوء فلاش هاتفه كبس هاري على مفتاح الإضاءة لكي تنير الغرفة وهنا كانت المفاجأة!!

كانت جدران الغرفة عبارة عن فن كتابي ورسم كانت الجدران
 تكتب بشكل مزدحم ومبالغ فيه بكتابات ورموز ورسومات غريبة
 وبخلف الكتابات كانت بلغة غريبة أغلبها بالخط الأسود وأخرى
 بلون أحمر لونها أحمر إنما بالدم! الكتابات والرسومات
 تده من الجدران وحتى السقف ويبدون مبالغ حتى الأرضية لا
 يوجد مربع صغير فارغ ولا مساحة بحجم النقطة حتى فارغة
 لكتابتها والرسومات مزدحمة لدرجة الاشتباك بعضها ببعض
 كما في الوقت نفسه منظمة وكأنها في دفتر أو كراسة رسم كانت
 لغرفة فارغة ولا يوجد بها أي شيء أبداً هناك نافذة لكنها مغطاة
 منذ أيضاً مكتوب عليه الرموز والرسومات أنفسها:

- هذا أغرب شيء أراه في حياتي

قال هاري بنم متوح وعينين جاحظتين وملامح مصلومة

- حقاً؟

سأت بيرود وأنا أتقدم نحو أحد الجدران

- لماذا؟ أعلم بأنك تقضين معظم حياتك مع هؤلاء
 المختلفين لذلك أنت معتادة على الأشياء الغريبة لكن ليس
 لهذه الدرجة أليس كذلك؟؟

- لا يكون صريحة معاك بالطبع هذا الشيء الذي أمامنا غريب
 جداً ومرعب أتساءل من كتب كل هذه الأشياء ورسمها؟
 ملاذة على ذلك إذا قلنا إن أيلاً وعائلتها سكنوا في هذا
 المنزل منذ شهر واحد فقط فهل استطاع من فعل ذلك

كتابة ورسم كل هذا في شهر؟ أشعر بأنه يأخذ وقتاً طويلاً
أكثر من شهر بكثير..

- أنت محقة لكن كل شيء غريب هنا هل تعرفين ما هذه اللغة؟؟

سألني هاري وهو يخرج هاتفه يحاول أن يستعين بمرجم
قوئل إذا وجد أصلاً فيه هذه اللغة..

- لا أتوقع يا سيد هاري أنك ستجد لغة هكذا في المترجم
خاصتك وفر جهودك..

- إذا يجب علينا الآن أن نحضر محلل لغة ورسومات لكن
صعب جداً أصلاً أن تدخل الشرطة إلى هذا الحي ولا أظن
أنهم سيتعاونون معنا..

قال بيأس

- ألهذه الدرجة الشرطة جبانة؟؟

قلت بسخرية

- ليسوا فقط جناء وأيضاً هنا حدود وقانون على هذه
الأحياء يفرضها ذوو السلطة مثل العصابات الكبيرة لتجار
المخدرات أو تجار أعضاء البشر حتى هؤلاء الناس
سلطتهم أقوى من سلطة الحكومة للأسف لذلك هم
يرفضون دخول أي أحد إلى مملكتهم الخاصة..

- إذا سأقوم بتصوير هذه الجدران كلها..

- هذه خطة جيدة

نمت بتصوير جميع الجدران والأرضية والسقف وحتى
الأوراق على النافذة بعد أن انتهينا شعرنا أن هناك أحداً يراقبنا:

- هل سمعت ذلك؟؟

سألت هاري

- نعم إنهم من الحي بالطبع انظري الساعة الآن الثانية مساءً
يجب أن نخرج قبل أن يحل الليل وإلا فلن نستطيع
الخروج من هنا..

- حسناً هيا بنا

ونحن في طريقنا للخروج لفت نظري الحائط الذي يقع فيه
الباب رأيت أن هناك شقاً كبيراً جداً رغم أن الرسومات والكتابة
تملأ الحائط لكن الشق كان واضحاً جداً من كبره وضعت يدي
عليه تحسست الحائط حتى لمست يدي شيئاً كان هناك خيط
نحيل جداً وغير مرئي:

- انظر هاري

قلت لهاري وأنا ممسكة بالخيط النحيل:

- يبدو أن هناك فتحة سرية!! لكن انتظري

لم أترك هاري يكمل تحذيره وجملته إلا وسحبت الخيط
استطعت مربع من الطوب ثم مربع ثانٍ ثم مربع ثالث كشفت عن
خزنة في الحائط صغيرة وكأنها خزنة نقود لكن كان يوجد بها
صندوق صغير لونه أسود وبه رسومات تبدو طفولية أي إنه
صندوق أطفال سحبت الصندوق الذي كان به بعض الغبار

وهاري يراقبني لم نستطع فتحه بعد أن سمعنا صوتاً قادمًا من الخارج، وضعت الصندوق في حقيبتي وخرجنا مسرعين بعد أن وصلنا إلى الشارع رأينا رجلين عملاقين وجوههما مليئة بالندبات يقفان بجانب سيارة هاري ويتفحصانها:

- من أنتما؟؟

سأل واحد منهما بحدة وهو يلوك بفمه ذلك العود المصفر بين أسنانه

- أوه نعم نحن من منظمة هيئة حقوق الأطفال بسبب ما حدث مع الفتاة أيللا بالتأكيد تعرفانها أتينا للبحث عن كيف كانت تعيش مع عائلتها لأن الفتاة ما زالت لا تتحدث

كذب هاري بالطبع لأنهم لا يحبون الشرطة وما الذي سيفعله شرطي وحده ضد ألف شخص وأكثر يعيشون هنا؟..

- امم أرى ذلك تلك الفتاة وعائلتها لقد أتوا إلى هنا من شهر فقط لا أظن أنهم صنعوا ذكريات كثيرة لكي تستطيعا معرفتها ابحثا عن مكان حياتهم السابق ولا تعودا إلى هنا مرة أخرى

- حسناً هل من الممكن أن تبتعد قليلاً عن السيارة؟..!

قال هاري بتوجس

تراجع الاثنان إلى الخلف دخل هاري إلى السيارة أما أنا فكان فضولي يتمكن مني كالعادة:

- هل من الممكن أن تجيبني على سؤال واحد؟

فلت بثقة للرجل المخيف رغم أنه لم يرد علي لا هو ولا صديقه واكتفيا بالتحديق فيّ بريبة لكنني كنت ثابتة لأنني بالطبع مبتادة على تحديات المختلين والمجرمين لم تعد تخيفني:

- كيف كانت أيلا وعائلتها أقصد كيف كانوا يتصرفون؟ هل كانوا طبيعيين أم لا؟!!

سألت غير مبالية بهتافات هاري لي من نافذة السيارة

أجاب وهو ينظر إلى صديقه الذي كان مكتفياً بالصمت طوال الوقت:

- حسناً لأكون صريحاً ولكي لا تعودني إلى هنا مرة أخرى أيتها الجميلة ألا تعرفين أن الجميل هنا لا يعيش وأن البشعين هم من يعيشون؟ على ما أظن لذلك ماتت عائلة أيلا

قالها وهو يضحك، ثم استرسل في حديثه:

- لا نعرف أي شيء أخبرناك أنهم أتوا إلى هنا من شهر لذلك لم يكن هناك فرصة لنعرفهم ولم نقابلهم إلا عندما أتوا إلى هذا الحي يبحثون عن منزل لذلك قمنا بإرشادهم إلى هذا المنزل الفارغ بعد أن أخذنا بالطبع نفقة المنزل كانوا مهاجرين بالطبع لا أعرف من أي بلاد ولكن نحن هنا نؤوي المهاجرين لأننا طيبون..

- طيبون؟ أم أنكم تقومون باستغلالهم بشكل وحشي؟
سألته بشجاعة

أجاب ضاحكاً:

- أوه أنتِ صريحة جداً وشجاعة يجب أن تكوني ممتنة لي
على الأقل لأنني تحدثت معك وأخذت من وقتي والآن
خذي صديقك واخرجا من هنا لأنه إن غابت الشمس هنا
فلن تستطيعا رؤية المخرج..

قال بخبث

- ثيا هذا يكفي هيا دعينا نذهب

فتح هاري النافذة وهو يهتف لي لم يكن لدي خيار آخر
صعدت إلى السيارة وأغلقت الباب لكن قبل أن نتحرك طرق
الرجل على النافذة رغم أن هاري أخبرني أن لا أنزلها لكنني أنزلتها:

- ماذا هناك ماذا تريد؟

- أريد أن أقدم لك معلومة أخرى لأنك جريئة تستحقين
المساعدة

- وما هي؟

- والد تلك الفتاة هو الوحيد الذي كان يخرج من المنزل
كثيراً وكان يقوم بتجميع أشياء غريبة أقصد مثل الأوراق
وبعض الأحيان أقلام وجبر أيضاً بعض الحجارة التي لا
أعرف في ماذا يستخدمها؟ وشيء غريب آخر الجميع هنا
فقراء وعلى وشك الموت جوعاً من شدة الفقر والشيء
الطبيعي البدهي أن جميع المهاجرين الذين يأتون هنا أول

شيء يبحثون عنه هو العمل رب الأسرة وحتى الأمهات وحتى الأطفال الجميع يرغبون بالعمل لكي يسدوا جوعهم ومعيشتهم لكن ذلك الرجل عندما أتى لم يعمل لا هو ولا زوجته وعندما سأله أحد الأصدقاء إذا كان يرغب في العمل قال له إنه لا يريد أي عمل وهو وعائلته غير محتاجين لدرجة أننا قمنا بالشك أنه يملك كنزاً وكان بعض اللصوص يترددون إلى المنزل لسرقته لكن في آخر يوم خرجت الفتاة وكان كل جسدها مغطى بالدماء وكانت هذه المرة الأولى التي يراها فيها أغلب سكان الحي لأنه منذ قدومهم لم يرههم أي أحد وكان الأب فقط هو من يخرج من المنزل وحتى عددهم لا نعرفه إذا كان لديه أربعة أطفال أو عشرة ولا أنصحك بالبحث عن المؤجر الذي أعطاهم المنزل لأنه هو الوحيد الذي رأى العائلة كاملة وقبض المال..

- لماذا أين هو؟؟

سأله

- إنه في الجحيم

قال ساخراً

- أقصد لقد مات، قتل في ظروف غامضة ونحن لا نستغرب من القتل هنا لأنه مثل شرب الماء وأي أحد سيموت بالقتل على كل حال

- وعندما خرجت أيلان من المنزل هل دخلتم بعدها؟؟
 - أسئلتك كثيرة لكن سأجيبك كي لا تعودا إلى هنا مرة
 أخرى نعم دخلنا بسرعة لنرى ما الذي حدث لكن لم نجد
 أي شيء ولا أي أثر حتى لأشخاص آخرين وكان كل ما
 ترده تلك الفتاة المجنونة: سرق جثث عائلتي سرق جثث
 عائلتي! بعدها فقدت الوعي واتصلنا بالشرطة وأخذوها
 وهنا انتهت القصة رجاء لا تعودي مرة أخرى إلى هنا رغم
 أن كذبة صديقك كانت غبية وأنا أعرف أنكما من الشرطة
 لكن سأسامحكما..

كنا طوال الطريق ونحن في السيارة نسأل بعضنا بعضاً أنا
 وهاري مليون سؤال لكن بدون إجابة قام هاري بإيصالني إلى
 الفندق وقبل أن أنزل أوقفني:

- الصندوق..

- ماذا عنه؟

- يجب أن تسلميني إياه يا ثيا إنه دليل مهم للشرطة

- أرجوك يا هاري هل تظن أن الشرطة ستهتم أو تبحث عن
 الموضوع أصلاً؟

- نعم أعترف لكن هذا مخالف للقانون وإذا عرف رئيسي أننا
 ذهبنا إلى هناك بدون إذن منه أو مذكرة تفتيش وأخذنا
 بعض الأدلة سيكون عقابي الإيقاف..

لماذا لم يكن لماذا سيعرف؟ لن يخبره أحد لا تقلق أعدك
بأنني لن أفعل شيئاً مجنوناً وأي شيء أصل له سأخبرك ثوب
في أرحمك..

فت بوند

حناً لا أستطيع أبداً أن أفوز عليك منذ أيام الدراسة أنا
أنتم

فت له فاحكة بعد أن احتضته:

- شكرًا لك أراك غداً إذاً في المستشفى وداعاً..

بالت من السيارة ودخلت بسرعة إلى غرفتي كنت أشعر أنني
سخة جداً وأن رائحتي دماء مختلطة مع رائحة الموت تحممت
من لمدة طويلة بعدها خرجت شعرت بالارتياح سمعت صوت
الذي يرن في قلبي ظننت أنه ظل لكن لم يكن وكانت أمي..

انتهيت من الحديث مع أمي كنت متعبة جداً لكنني لم أحتمل
تسالي نجاه الصندوق أخرجه من حقيبتي وفتحته بكل سهولة
لم يكن مغلقاً أبداً، كان بداخل الصندوق دفتر صغير بني اللون
فقط وكانت هناك إسورة توشي بأنها إسورة خاصة للفتيات
الصغيرات من الممكن أن تكون لأيللا أو إحدى شقيقاتها وضعت
الإسورة والصندوق جانباً فتحت الدفتر كان من الواضح أنه دفتر
تذكيرات شخصية أول صفحة كتب فيها اسم «أيللا» مع رسومات
تقريب صغيرة باللون الوردي فتحت الصفحة الثانية كتب فيها:

«سأكتب من اليوم ذكرياتي لا أستطيع صنع ذكريات خاصة لي
وجميلة مع عائلتي بسبب أن حياتنا ليست جميلة ولا جيدة نحن
غير مستقرين نتقل من مدينة إلى مدينة من دولة إلى دولة من
أرض إلى أرض من بحر إلى بحر من وطن إلى وطن من القاسي
أن لا يملك الإنسان وطناً وهذا ما نحن عليه، هربنا من وطننا
الذي كان لنا مثل الكابوس حروب أهلية عصابات فقر جوع
تعذيب أخذنا والذي لأننا فتيات والفتيات لا يعيشن في ذلك
الوطن إما يتم قتلهن أو اغتصابهن أو خطفهن والمتاجرة بهن،
أحياناً أشعر أن أبي وأمي يشعران بالندم لأنهما رزقا بفتيات فقط
لكن لا، أُمي وأبي أخرجانا من ذلك المكان لكي يحميانا عبرنا
الصحراء والبحار والأراضي والجبال لقد كان معنا ناس كثيرون
في الهجرة ومات أكثرهم لم يتحمل البقية اختفوا كنا ننام ونحن
عدنا عشرون ونستيقظ نجد عدداً عشرة كان أبي حريصاً أن لا
نختلط مع أي أحد خوفاً علينا، عندما أخيراً وصلنا إلى هنا كنا
سعداء شعرنا بأن كل شيء سيتحسن لكن لم يكن كذلك أبداً،
قبل دخولنا إلى هذا البلد وعلى الحدود كنا وحدنا حرفياً لم
يصمد أي أحد لكن عندما غرقنا في النوم واستيقظنا وجدنا
شخصاً غريباً يقف على رؤوسنا فزعنا جميعاً وقف أبي وكان
يحمل مسدساً وجهه نحو الرجل الغريب:

- من أنت؟

- لا تقلق أنا ضيف..

قال الرجل بهدوء

- ضيف؟ ضيف ماذا؟

سأله أبي

- اعتبروني ضيفكم

- ضيفنا؟ نحن حتى لا نملك منزلاً كيف تكون ضيفنا؟!

- لا بأس المنزل سيكون مني هدية..

قال الرجل

- منك! ومن أين؟

- تفضل

ناول الرجل أبي حقيبة سوداء فتحها أبي ليجد فيها رزماً من المال وورقة كتب فيها عنوان الحي ورقم المنزل والرجل الذي سأخذ منه المنزل، بعد أن رفعنا رؤوسنا في لحظة كان الرجل قد اختفى تماماً، خافت أمي كثيراً من حقيبة المال وقالت لأبي إنه يجب أن نتخلص منها فحسب لكن أبي رفض وقال: كيف سنعيش هنا بدون مال ولا منزل ولا نملك أي شيء؟! لم يكن لدينا خيار آخر سوى أننا نأخذ المال والمنزل ونسكن فيه كنا نظن أن كل شيء سيكون عادياً وطبيعياً وحتى لو كان شيئاً خطراً توقعنا أن يكون رئيس عصابة أو تاجر غسيل أموال خصوصاً بعد أن سكننا في هذا الحي كان أبي مستعداً أن تداهم الشرطة منزلنا ويأخذوه إلى السجن لكن لم نكن نعلم أن ذلك الضيف كان أكثر بكثير من هذه الأمور وكان قد سحبنا إلى الجحيم..

قفز قلبي من مكانه عندما رن هاتفي وقاطع قراءتي للمذكرات
كان المدير يتصل بي شعرت بالتوتر هل من الممكن أنه عرف عن
شيء مما فعلته اليوم؟ لا بالطبع كيف علم بهذه السرعة؟ عندما
أجبت اتضح أنه أراد إخباري بأن وزارة الصحة وافقت على نقل أيلأ
إلى العاصمة مدينتي وإلى المستشفى الذي أعمل به لذلك شعرت
بالارتياح والسعادة أستطيع الآن أن آخذ أيلأ إلى العاصمة وأستطيع
أن أكثف لها الجلسات حتى أعرف قصتها كاملة لكن من هذا
الضيف الذي ذكرته أيلأ في المذكرات والذي منحهم كل شيء؟

وضعت المذكرة جانباً وفتحت الصور التي التقطتها والفيديوهات
من منزل أيلأ تعمقت بها لكن لم أفهم ما هذه اللغة ولم أفهم
الرموز والرسومات البشعة المتقنة ضربت الفكرة في بالي
نعم كيف يمكن أن أنسى أنا لذي خبير هذه الرسومات المظلمة
«ظل» بالطبع يستطيع أن يفك شفرات هذه الرسومات غداً
سأغادر مع أيلأ وأعود للعاصمة وسأجعل ظل يرى كل هذه
الصور واللغة أيضاً لربما يستطيع مساعدتي وبعدها أستطيع أن
أجد أي خيوط عن حياة أيلأ وعمّا حدث معهم لكن شعرت
بالضيق والاختناق عندما تذكرت أن هناك شيطاناً آخر ينتظرني
ذلك المراهق «كريستيان»..

«ما زلنا في بداية الطريق!

أي طريق؟؟

الطريق إلى الحلم، أو إلى الهاوية».



«الفصل الثامن عشر»

«ماريانا»

اطوال حياتي أشعر بأنني أراقب العالم الخارجي من نافذة
ولا أعرف كيف أخرج إليهم؟! ...»

١٩٩٢ م..

- أبي هل هذا حجم القبر الحقيقي؟ أشعر وكأنه أصبح بئراً
أنت من ساعة تحفر وعادة لا تأخذ كل هذا الوقت في
حفر القبور؟

سألت أبي وأنا ممسك بقارورة المياه التي طلبها مني كانت
الساعة الثالثة مساء كنت قبل قليل قد خرجت من المدرسة ولم
نذهب إلى المنزل أحضرنني أبي إلى المقبرة بسرعة، ليلة البارحة
نمت في المقبرة بعد أن سمعت أبي يدندن ويغني للأموات بلغة
غير مفهومة لكنني لم أره! واليوم أحضرنني من المدرسة للمقبرة
قال لأنه لا يملك وقتاً اليوم لديه عمل كثير أحضر لي ملابس
وبدلت ملابس المدرسة رغم أنه قال لي أن آخذ قيلولاً إلا أنني
لم أستطع في كل مرة آتي فيها إلى المقبرة أرغب باكتشافها ولا
أريد أن أفوت فرصة واحدة، منذ عودتنا من المدرسة وأبي يحفر

في هذا القبر الضخم استغربت لأنه عادة في حفر القبور لا يأخذ كل هذا الوقت غير أن القبر عمقه أصبح كالبئر واكتشفت أنه كان يحفر فيه من ثلاثة أيام ولم ينته بعد! التقط أبي مني قارورة المياه بعد أن تسلق هذا القبر العميق وخرج منه وهو متعب كلياً شرب قارورتين من المياه وهو يتجاهل سؤالي قال وهو يلهث:

- لماذا لا ترتاح قليلاً يا بني لكي تذاكر دروسك في ما بعد؟

- لا بأس أنا بخير ولا أشعر بالنعاس لكن ماذا عنك؟ أنت من يجب أن يرتاح انظر لنفسك تبدو متعباً جداً..

- أنا بخير لا تقلق هذا عملي وأنا معتاد

- لكن يا أبي هل هذا قبر؟؟

كررت السؤال مرة أخرى

أجاب وهو ينزل إلى قاع هذا القبر الذي كان أعمق قبر أراه في حياتي:

- نعم إنه قبر وهو قبر مختلف..

- قبر مختلف؟! لماذا يا أبي هل سيتم دفن شخص عملاق هنا؟؟
رد وهو يضحك:

- ربما، لكن لا ليس كذلك هذا هو طلب عائلة الميت..

- غريب لماذا يريدون أن يدفنوا قريبهم في قبر كهذا؟؟
أجاب ببرود وهو مستمر بالحفر:

- ربما يخافون أن يخرج منه لذلك قرروا أن يدفنوه في قبر عميق..

أصبت بفشعريرة تسري في جسدي عندما سمعت كلمات أبي
هذه كنت أعلم بأن أبي قليل المزاح إنه لا يمزح أبداً لذلك دائماً
ما يقول كلماته بشكل جدي:

- يخرج!؟ لكنه ميت والأموات لا يخرجون من القبور..

نؤنف عن الحفر ورفع رأسه ونظر إلي بتعابير غريبة لربما
تكون مرعبة لكنني لا أخاف من أبي لأنه لا يخيفني أبداً ولا يريد
أن يفعل ذلك ثم قال:

- غداً عيد ميلادك يا ظلي ستصبح بعمر سبعة أعوام لهذا
سبداً بتعليمك بعض الدروس..

- دروس؟ دروس ماذا؟؟؟

سأته بتعجب

- ألسن طوال الوقت تطلب مني المساعدة في الحفر للميت
ودفنه وغسله؟ ليس هذا فقط سنغني أيضاً للأموات معاً
وكلما كبرت أكثر سنعلمك عن هذه الأمور أكثر..

شعرت بسعادة في قلبي فبدأت بالقفز وأنا أردد:

- أحبك أبي أحبك، كان أبي مستمراً بالحفر ويضحك وفجأة
وأنا أقفز وأرقص فردت قدمي وسقطت في القبر! رمى
أبي بالمجراف وركض نحوي:

- يا إلهي هل أنت بخير؟ أخبرتك ألا تقترب لكنك لا تستمع
إلي أبداً

لم أصب بأذى، فقط بعض الخدوش في يدي وقدمي، كانت تؤلمني لكنني لم أبك لأن أبي أخبرني ذات مرة أن الصبيان لا يكونون، كنت أريد أن أثبت له أنني أستطيع تحمل هذا العالم:

- أنا بخير يا أبي لا تقلق..

- حسناً دعني أر، بدأ أبي بتفحص جسدي وأنا نسيت الألم وكنت منشغلاً بالتأمل في هذه الحفرة المظلمة رفعت رأسي إلى الأعلى أقيس طول وعمق الحفرة كانت الشمس بعيدة وعلى وشك الغروب علمت بأن هذه الحفرة عميقة جداً ولم يتوقف أبي أيضاً عن الحفر:

- حسناً لا بأس أنت بخير الآن دعني أحملك سنخرج وأضع لك بعض مطهر الجروح يجب أن تغتسل من جديد وبعدها ستذاكر دروسك اتفقنا؟..

يتحدث أبي وأنا بدوت وكأني منوم مغناطيسياً أتأمل هذا المكان ثم سألته:

- أبي متى ستتوقف عن الحفر؟ ألا يكفي هذا العمق؟

أجاب وهو يحملني على ظهره:

- طلبوا مني أن أحفر حتى يصل بعمق ماريانا

- ماذا؟ ما هذه ماريانا؟

ضحك وهو يقول:

- لن تعرفه الآن إنه عالم عميق وهو أعمق نقطة على هذا الكوكب ستعرفه إذا كبرت..

بما أني قد كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة

أنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة

أنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة
فأنت الذي كنت في الغربة

- ولماذا إذا كبرت؟ للتو أخبرتني أنك ستبدأ بتعليمي كل شيء؟
 - نعم للتو لكن لم تأتِ حتى الساعة الثانية عشرة وتدخل
 في عمر جديد أنت متعجل جداً لا تسمح للعجلة بأن
 تعيقك لأن الإنسان العجول لا يفلح في أي شيء في حياته
 والآن اذهب واغتسل لكي أعالج خدوشك بعدها ذاك
 دروسك مبكراً حتى نستعد لليوم الجديد وهو يوم ميلادك
 ومن تلك الليلة سنعلمك على كل شيء..

إلى الآن لم أعرف ولم أركز وقتها لماذا أبي كان يتحدث عن
 نفسه بصيغة الجماعة؟

٢٠٢٣ م

فتحت عينيّ أشعر بأن رأسي على وشك السقوط أشعة
 الشمس تتسلل إلى أعماق الغرفة جسدي ثقيل لم أستطع أن
 أتحرك لا يميناً ولا يساراً روعي بحد ذاتها مثقلة هل هذا
 الجاثوم؟ لا أعتقد فأنا أعرف الجاثوم حق المعرفة أنا وهو عشرة
 عشر بيننا لذلك أعرفه تماماً هذا فقط يبدو أنني سأمرض هل هذا
 كله تأثير ذلك الكابوس المزعج الذي رأيته بالأمس؟ عندما
 تذكرت الأمس سقط قلبي من مكانه نظرت إلى زاوية الغرفة
 عندما تذكرت أنني أمس قبل أن يغشاني النوم لمحت شخصاً ما
 يقف في الزاوية لكن الآن لا يوجد أي أحد بالطبع ما خطبي هل
 عدت للهلوسة؟ الآن أنا أعرف لماذا جسدي يبدو مريضاً من

- ولماذا إذا كبرت؟ للتو أخبرتني أنك ستبدأ بتعليمي كل شيء؟
 - نعم للتو لكن لم تأتِ حتى الساعة الثانية عشرة وتدخل
 في عمر جديد أنت متعجل جداً لا تسمح للعجلة بأن
 تعيقك لأن الإنسان العجول لا يفلح في أي شيء في حياته
 والآن اذهب واغتسل لكي أعالج خدوشك بعدها ذاكر
 دروسك مبكراً حتى نستعد لليوم الجديد وهو يوم ميلادك
 ومن تلك الليلة سنعلمك على كل شيء..

إلى الآن لم أعرف ولم أركز وقتها لماذا أبي كان يتحدث عن
 نفسه بصيغة الجماعة؟

٢٠٢٣ م

فتحت عينيّ أشعر بأن رأسي على وشك السقوط أشعة
 الشمس تتسلل إلى أعماق الغرفة جسدي ثقيل لم أستطع أن
 أنحرك لا يميناً ولا يساراً روعي بحد ذاتها مثقلة هل هذا
 الجاثوم؟ لا أعتقد فأنا أعرف الجاثوم حق المعرفة أنا وهو عشرة
 عمر بيننا لذلك أعرفه تماماً هذا فقط يبدو أنني سأمرض هل هذا
 كله تأثير ذلك الكابوس المزعج الذي رأيته بالأمس؟ عندما
 تذكرت الأمس سقط قلبي من مكانه نظرت إلى زاوية الغرفة
 عندما تذكرت أنني أمس قبل أن يغشاني النوم لمحت شخصاً ما
 يقف في الزاوية لكن الآن لا يوجد أي أحد بالطبع ما خطبي هل
 عدت للهلوسة؟ الآن أنا أعرف لماذا جسدي يبدو مريضاً من

كمية الجيوب التي ابتلعها ليلة البارحة نهضت بثقل مريب أشعر
بأن هناك شخصاً ما معلق على ظهري اعتدلت في جلستي
جسدي يتعرق بسبب الأدوية نظرت إلى الساعة صعقت تماماً
كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً! أنا لا أنام كل هذا الوقت وكل
هذه الساعات مستحيل طوال السنتين الأخيرتين كنت أعاني من
أرق مزمن ورغم جهود ثيا وطبيبي الآخر إلا أنه بدون فائدة لم
يستطيعا أن يمحوا هذا الأرق خلال سنتين وأنا أنام فقط في اليوم
الواحد أربع ساعات لا غير وأغلب الأيام بدون نوم حرفياً، والآن
نمت من الساعة الحادية عشرة مساءً حتى الساعة الواحدة
ظهراً!! هل هذا تعويض عن عامين من الأرق؟

شربت بعض الماء مع فوار بنكهة الليمون لكي أستعيد
وعبي تدريجياً حتى أخيراً بعد جهد وصلت إلى الحمام
وغطست في حوض الاستحمام لمدة ساعة كاملة، بعد أن
شعرت بأنني بخير كلياً ارتديت روب الحمام وخرجت لأجد
مئة رسالة من إدارة الجامعة لأنني لم أقدم عذراً بسبب غيابي
علاوة على ذلك كان اليوم يوجد أحد سفراء الفنون والثقافة
في البلاد لكن لست مهتماً ويبدو حتى جسدي غير مهتم
لذلك قرر أن يريحني اليوم، كتبت خطاب عذر سريعاً وأرسلته
رमित بالهاتف على السرير وتوجهت إلى خزانة الملابس لا
أعتقد أنني في وضع يساعد كي أخرج اليوم لن أذهب إلى أي
مكان ارتديت قميصاً أبيض خفيفاً وبنطالاً قطنياً حتى سمعت
صوت أليكسا:

سيد اظل لقد أتت السيدة انوري للتنظيف إنها تقف
عند البوابة..

- حسناً أدخلها..

- حاضر

خرجت من الغرفة ونزلت إلى الأسفل لتستقبلني السيدة نوري
فاليوم هو يوم التنظيف إنها تأتي مرتين في الأسبوع وهي بالطبع
تقوم بتنظيف هذا القسم من القصر فقط:

- مساء الخير سيد ظل كنت أظن أنك لست موجوداً؟

فالت وهي تخلع معطفها

- مساء النور أوه نعم لقد أخذت إجازة لأنني كنت متعباً
قليلاً

- حسناً هل أنت بخير؟

سألت باهتمام

- نعم بخير لا تقلقي ابدئي بالعمل لكن قبل ذلك قومي
بتجهيز وجبة لأبي عندما تنتهين ضعها له عند باب غرفته
كالعادة

- حسناً بالتأكيد

السيدة نوري معتادة على هذا القانون منذ أربعة أعوام فهي
حسبي لو شاهدت شبحاً يطير في المنزل لا تتحدث أبداً وهذا ما

يجعلني أحبها إنها محترفة وغير فضولية ولا تحب أن تتدخل في شؤون الآخرين تعمل عملها وتخرج فقط، أما أنا فكنت متعجلاً أرغب برؤية وفحص هذه الجثة هذا يكفي فأنا لن أسمح لها بأن تسبب لي هلوسات وكوابيس لن أسمح لأي جثة بأن تتمرّد علي جميع الجثث أنا من يملكها أنا المتحكم هنا وليس هم..

بعد أن صنعت لي كوب قهوة وشطيرة سريعة توجهت إلى الاستديو نزلت عبر السلالم الملتوية وخلال نزولي سمعت صوتاً! أسمع صوت شخص يتحدث أو يهمس لكن بشكل غير واضح! الصوت كان قادماً من الاستديو سرعت خطواتي حتى وصلت عند الباب فتحت باب الاستديو بهدوء وهنا صعقت مما رأيت من الجيد أنني تماكنت نفسي ولم أسقط كوب قهوتي ولا صحن الشطيرة كان التابوت واقفاً بشكل عمودي منذ وصول الجثة لم أقم بإيقافه أبداً وأنا واثق من هذا الشيء كالثقة من وجودي على هذه الحياة، كان التابوت في المنتصف وكأنه يقف بشموخ في منتصف الاستديو الدائري وكأنه يعلن سيطرته على عالمي! وضعت كوب القهوة وصحن شطيرتي على الطاولة تقدمت بهدوء نحو التابوت وقلبي ينبض بشدة هل قرر أن يستيقظ هذا الميت فجأة أم ماذا؟ مددت يدي وهي ترتعش نحو باب التابوت أمسكت بالباب فتحته أصدر صوتاً خفيفاً وهنا تنفست الصعداء عندما وجدت الجثة على حالها وما زالت نفسها بدون ملامح بالطبع لم يحن وقت الهروب على ما يبدو:

- ما مشكلتك معي؟

كنت بخربة محادثاً تلك الجثة تأملته وهو واقف بدا لي
عده وضحا أكثر طولاً وكأنه من زمن العمالقة ضخم البنية
يربهر المنكين أتساءل ماذا كانت وظيفته وهو حي؟ مصارع!

- حناً إذا كنت تحاول أن تخيفني فلن تنجح في ذلك

خاطبتني وأنا أسحب الكرسي بجانب الطاولة جلست لكي
أقول الشطيرة وأحتسي قهوتي مقابلاً للجثة أنظر إليه أحاول أن
أقرأ الأمور الغريبة التي حدثت لي منذ وصوله انتهيت من
أول شطيرتي نفضت يدي ومسحتها بمنديل معقم والآن سنرى
مشكلته؟؟

أخذت نفساً عميقاً وأنزلت الجثة من التابوت حملته على
خفي كان ثقيلاً جداً وضعته على طاولة التشريح لكن لن أعيب
له أي شيء، أخيراً وضعته وأنا ألهث جثة ثقيلة بدون وجه هذا
سألم أكن أتوقعه أردت فقط أن أرى وأتحقق أكثر إذا كان غير
محظ أو إن تم وضع سائل خفي سحري له يقوم بحفظ الجثة
لا تعرفه، أمسكت بالجاكيت أولاً الذي كان يرتديه نزعته ثم
القميص الأبيض يجب أن أحتفظ بملابسه حتى أعرف مقاسه
وكي أشتري له ملابس أخرى كالباقين وعندما نزعته قميصه
وجدت أنه يرتدي أيضاً تيشيرت قطنياً أبيض داخلياً ما هذه
القطع كلها؟ من يحافظ على عورة شخص ميت؟ على أي حال
العمد كانت آخر قطعة ملابس بعد أن ظهر جسده أخيراً هنا
سأبقي صدمة مما رأيته!!

كان جسد الرجل كله غارقاً بالوشم تماماً لدرجة أنه لا توجد حتى مساحة صغيرة فارغة كانت الوشوم تملأ جسد هذا الرجل من كتابات ورموز غريبة مثل التابوت وباللغة نفسها رسومات مخيفة وبشعة ومظلمة، كانت الوشوم حرفياً من كثرتها تبدو وكأنها رداء كامل على جسده وكأنه يرتدي بدلة سوداء!.. قفزت من مكاني عندما رن هاتفي فجأة شعرت وكأن روعي كادت أن تغادر جسدي تركت الجثة وتوجهت إلى الهاتف عندما رأيت المتصل ثيا، كنتِ ستخرجين روعي يا ثيا:

- مرحباً يا عزيزتي

أجبت

- أهلاً ظل كيف حالك؟

- بخير ماذا عنك؟

- أنا أيضاً بخير بمجرد أنني سمعت صوتك

- آسف لأنني لم أتصل بك ليلة أمس

- لا تقلق أساساً لقد كنت مشغولة جداً أوه اتصلت لأخبرك بأنني قادمة طائرتي بعد عشر دقائق..

- أخيراً لقد اشتقت لك كثيراً

- وأنا أيضاً

- ماذا عن الفتاة التي تعالجيناها؟ هل نقلتها لطبيب آخر؟؟

- لا.. سيتم نقلها إلى مستشفى العاصمة وستكمل العلاج
والتحقيق هنا..

- هذا جيد إذا أنتظر قدومك اليوم

- حسناً أراك في المساء وداعاً..

أغلقت الهاتف واحتسيت آخر رشفة في كوب قهوتي عدت
مرة أخرى إلى هذه الجثة التي ستصبح شغلي الشاغل من اليوم
أحضرت المجهر لأنه كانت هناك كتابات ورسومات صغيرة جداً
أنساءل كم استغرقت معه هذه التحفة لكي يضعها على جسده هل
هو ساحر؟ رغم أنني رميت بالسؤال ساخراً إلا أنني توقفت لوهلة
ونبض قلبي عندما تذكرت الكابوس نعم لحظة ذلك الكابوس
رأيت فيه شخصاً يقومون بوضع الوشوم له هل من المعقول أن
يكون هذا الرجل نفسه؟ هنا أدركت وتأكد لي أن هذه الجثة
ليست عادية ولا طبيعية هل من المعقول أيضاً أن هذه الوشوم هي
من تساعده على حفظ جسده الميت لهذا السبب لا يتعفن؟!
سؤال يتبعه سؤال بدون أي إجابات، بدأت بتفحص الوشوم كم
وشماً يملك؟ ألفاً؟ أم أكثر؟ لفتت نظري كلمة كانت مكتوبة بلغة
غامضة أخيراً وأظن أنها الوحيدة كتبت بلغة طبيعية كانت الكلمة
تقع أسفل رقبته وهي تعتبر بداية الوشوم لأن رقبته وكفيه ومدعس
أقدامه الأعضاء الوحيدة الخالية من الوشوم تعتبر الأعضاء
الظاهرة فقط للعلن لذلك لم يقم بوشمها بالطبع وجسده تغطيه
العلايش كانت الكلمة مكتوبة بشكل مقلوب إذا رغبت في قراءتها
بحسب أن أقف بشكل عمودي باتجاه رأسه، نهضت من على

الكرسي ووقفت بشكل عمودي عند رأسه وهنا شعرت بأن الأرض تهوي بي عندما قرأت الكلمة كانت كلمة «ماريانا» !!!

مرت الذكرى السريعة عندما قال لي أبي هذا الاسم وحتى اليوم لم أنسه ولم يخبرني أبي أيضاً عنه مرة أخرى لأنني نسيت أن أسأله عن هذه الكلمة وهو لم يخبرني عنها مجدداً عندما قال أبي كان أقارب الميت يريدون أن يكون عمق القبر كعمق ماريانا من تكون ماريانا هل هو اسم أصلاً؟ أو شيء ما؟ ما الذي كان يقصده أبي عندما قال كعمق ماريانا؟

أمسكت جهازتي المحمول وكتبت في قوقل ماريانا ظهر لي بالطبع أسماء فتيات لكن بعد بحث قصير ظهر لي شيء مختلف: «خندق ماريانا»! خندق ماريانا، أعمق نقطة في سطح الكرة الأرضية وتقع في غرب المحيط الهادي إلى الشرق من جزر ماريانا الشمالية. يبلغ طول الخندق حوالي ٢٥٥٠ كيلومتراً ويبلغ عرضه ٧٠ كيلومتراً وهو هلالى الشكل. يصل عمق أبعد نقطة في خندق ماريانا إلى حوالي ١١,٠٣ كيلومتراً تحت سطح البحر، يتزامن النظام مع مناطق الاندساس أو مناطق التقاء صفيحتين تكتونيتين متجاورتين. يمتد الخندق على شكل هلال على طول أن تشالنجر ديب حوالي ١٥٧٨,٣ ميلاً (٢٥٤٠ كم). من المعروف هو منخفض شديد الانحدار يشبه الوادي يقع على الخندق الرئيس، ويقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لجزيرة غوام إن عمق

خندق ماريانا يزيد على ارتفاع جبل إفرست؟ لدينا بعض الحقائق الأكثر إثارة للاهتمام حول أعماق نقطة على وجه الأرض. بعد أن نقرأ هذه الحقائق، تحقق أيضًا من حقائق الحياة في خندق ماريانا والمحيط الهادئ.

شكل الخندق هلالى أو نصف دائري. يزيد ضغط الماء في خندق ماريانا بمقدار ١٠٠٠ مرة عن الضغط الجوي الطبيعي عند مستوى سطح البحر.

تسالنجر ديب هو أعماق جزء من خندق ماريانا. حصلت تسالنجر ديب على اسمها من سفينة HMS Challenger II التي تم أخذ سفينتها واستخدامها لاستكشاف وقياس خندق ماريانا. وفقًا للمسبار الياباني الذي قام بقياس تسالنجر ديب في عام ١٩٩٥، يبلغ عمقه أكثر من ٣٥٧٩٠ قدمًا (٨, ١٠٩٠٨ أمتار).

هناك حقيقة أخرى مثيرة للاهتمام وهي وجود فتحات للمياه الساخنة في قاع المحيط بالخندق. تطلق هذه الفتحات معادن مختلفة مثل كبريتيد الهيدروجين الذي يعتبر غذاءً للبكتيريا المحبة للباروفيليك. تتغذى هذه البكتيريا عن طريق الميكروبات وتبتلع أسماك المحيط الميكروبات.

وكان الشخص الثالث الذي وصل إلى قاع خندق ماريانا هو مخرج الفيلم التاريخي تيتانيك، جيمس كاميرون. توغل مخرج الفيلم في أعماق خندق ماريانا في عام ٢٠١٢. وعاد ببيانات وصور وعينات علمية مختلفة.

حقيقة مثيرة للاهتمام حول العمق الكبير لخندق ماريانا هي أنه عميق بما يكفي ليكون خاليًا من رواسب الأنهار القريبة.

ووفقاً لفرق بحثية مختلفة، يعتقد أن عمر خندق ماريانا يزيد على ١٨٠ مليون سنة. ويعتقد أيضاً أن الخندق يعد من أقدم قيعان البحر في العالم.

يعتبر خندق ماريانا أيضاً أحد أبرد الأماكن في العالم. من المتوقع أن تكون مياه خندق ماريانا شديدة البرودة لأنه من المستحيل أن يصل ضوء الشمس إلى هذا العمق. درجة حرارة معظم المياه في خندق ماريانا أقل من ١ درجة مئوية (٨, ٣٣ فهرنهايت).

يقال إن قاع المحيط في خندق ماريانا أصفر اللون قليلاً بسبب رواسب النباتات والحيوانات المتحللة، بالإضافة إلى الأصداف والهياكل العظمية للحيوانات.

في عام ٢٠١١، اكتشف علماء معهد سكريبس لعلوم المحيطات الأميبا العملاقة في خندق ماريانا. يبلغ قطر هذه المخلوقات حوالي ٤ بوصات (٢, ١٠ سم).

الجزء المخيف هو أن هناك العديد من الأنواع الجديدة الخطيرة في خندق ماريانا. كما أن ضغطها الهائل يمكن أن يشكل تهديداً للحياة الإنسان. ولذلك، فإن البحث البشري في خندق ماريانا هو أقرب إلى المستحيل.

الضغط الطبيعي الذي يشعر به الرجل عندما يكون على الأرض هو ١ ضغط جوي (٧٦٠ ملم) من الزئبق. يتم تداوله

الإنسان بشكل صحيح تحت هذا الضغط الكبير. عندما نتعمق داخل البحر أو المحيط، نحتاج إلى ارتداء بدلة للتعويض عن الضغط الثقيل تحت البحر. ومع زيادة عمق سطح البحر، يزداد الضغط، ويلزم ارتداء بدلة أكثر سمكًا.

والحقيقة الخطيرة الأخرى هي أن خندق ماريانا هو موطن لأخطر الأنواع التي تعيش على وجه الأرض. على عمق أكثر من ٣٥,٧٩٠ قدمًا (٨, ٩٠٨, ١٠ أمتار) تحت مياه المحيط، يوجد موطن لمخلوقات مختلفة غير معروفة؛ إن البقاء على قيد الحياة في ظل هذه الظروف الرهيبة والقاسية أمر نادر بالفعل.

حدث تكوين خندق ماريانا بسبب تحول وحركة القشرة الأرضية والتي بدورها شكلت تشكيل قاع المحيط.

إذا تمكنا من وضع أعلى جبل في العالم، جبل إيفرست، في أعماق نقطة في خندق ماريانا، تشالنجر ديب، فإن قمة جبل إيفرست ستظل على بعد حوالي ٢, ١ ميل (٢ كم) تحت سطح البحر. الآن يمكنك أن تتخيل مدى عمق خندق ماريانا!

درجة حرارة خندق ماريانا إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة. عندما تكون درجة الحرارة باردة، تكون درجة الحرارة ١ درجة مئوية (٨, ٣٣ فهرنهايت). ولكن الحقيقة العلهشة هي أن المياه يمكن أن تصبح ساخنة للغاية أيضًا بسبب الفتحات الحرارية المائية الموجودة في جميع أنحاء خندق ماريانا.

على الرغم من الظلام المروع، ودرجات الحرارة الشديدة الحرارة والبرودة، والوضع الحمضي في خندق ماريانا، فهو موطن لأكثر من ٢٠٠ كائن حي مجهري مجهول ومخلوقات صغيرة مثل مزدوجات الأرجل والقشريات.

يقع خندق ماريانا في غرب المحيط الهادئ، وهو أعمق جزء من المسطحات المحيطية على الأرض.

ودون والش، ملازم في البحرية الأمريكية؛ وأصبح جاك بيكارد، وهو مهندس من سويسرا، أول فريق بحث يغوص بعمق ٧ أميال (١١,٣ كم) في الخندق ويصل إلى هذا الجزء السفلي من المحيط. يقع خندق ماريانا باتجاه شرق وجنوب جزر ماريانا.

بعد خندق ماريانا أحد أنظمة خنادق المحيط الهادئ الغربية. يتزامن النظام مع مناطق الاندساس أو مناطق التقاء صفيحتين تكتونيتين متجاورتين. يمتد الخندق على شكل هلال على طول خط العرض حوالي ٣,١٥٧٨ ميلاً (٢٥٤٠ كم). من المعروف أن تشالنجر ديب هو أعمق جزء من خندق ماريانا. تشالنجر ديب هو منخفض شديد الانحدار يشبه الوادي يقع على الخندق الرئيس، ويقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لجزيرة غوام. يقع خندق ماريانا تحت سيطرة الولايات المتحدة. وفي عام ٢٠٠٩، تم تصنيفه كنصب تذكاري وطني للولايات المتحدة.

هل تعلم أن عمق خندق ماريانا يزيد على ارتفاع جبل إفرست؟ لدينا بعض الحقائق الأكثر إثارة للاهتمام حول أعمق

نقطة على وجه الأرض. بعد أن تقرأ هذه الحقائق، تحقق أيضًا من حقائق الحياة في خندق ماريانا والمحيط الهادئ.

حقيقة مثيرة للاهتمام حول العمق الكبير لخندق ماريانا هي أنه عميق بما يكفي ليكون خاليًا من رواسب الأنهار القريبة.

حقائق مخيفة عن خندق ماريانا

ووفقاً لفرق بحثية مختلفة، يعتقد أن عمر خندق ماريانا يزيد على ١٨٠ مليون سنة. ويعتقد أيضًا أن الخندق يعد من أقدم تبعان البحر في العالم.

يعتبر خندق ماريانا أيضًا أحد أبرد الأماكن في العالم. من المتوقع أن تكون مياه خندق ماريانا شديدة البرودة لأنه من المستحيل أن يصل ضوء الشمس إلى هذا العمق. درجة حرارة معظم المياه في خندق ماريانا أقل من ١ درجة مئوية (٣٣,٨ فهرنهايت).

يقال إن قاع المحيط في خندق ماريانا أصفر اللون قليلاً بسبب رواسب النباتات والحيوانات المتحللة، بالإضافة إلى الأصداف والهياكل العظمية للحيوانات.

في عام ٢٠١١، اكتشف علماء معهد سكريبس لعلوم المحيطات الأميبا العملاقة في خندق ماريانا. يبلغ قطر هذه المخلوقات حوالي ٤ بوصات (٢,١٠ سم).

الجزء المخيف هو أن هناك العديد من الأنواع الجديدة الخطيرة في خندق ماريانا. كما أن ضغطها الهائل يمكن أن يشكل

تهديدًا لحياة الإنسان. ولذلك، فإن البحث البشري في خندق ماريانا هو أقرب إلى المستحيل.

الضغط الطبيعي الذي يشعر به الرجل عندما يكون على الأرض هو ١ ضغط جوي (٧٦٠ ملم) من الزئبق. يتم تداول دم الإنسان بشكل صحيح تحت هذا الضغط الكبير. عندما نتعمق داخل البحر أو المحيط، نحتاج إلى ارتداء بدلة للتعويض عن الضغط الثقيل تحت البحر. ومع زيادة عمق سطح البحر، يزداد الضغط، ويلزم ارتداء بدلة أكثر سمكًا.

والحقيقة الخطيرة الأخرى هي أن خندق ماريانا هو موطن لأخطر الأنواع التي تعيش على وجه الأرض. على عمق أكثر من ٣٥,٧٩٠ قدمًا (١٠,٩٠٨,٨ أمتار) تحت مياه المحيط، يوجد موطن لمخلوقات مختلفة غير معروفة؛ إن البقاء على قيد الحياة في ظل هذه الظروف الرهيبة والقاسية أمر نادر بالفعل.

حقائق غريبة عن خندق ماريانا

حدث تكوين خندق ماريانا بسبب تحول وحركة القشرة الأرضية والتي بدورها شكلت تشكيل قاع المحيط.

إذا تمكنا من وضع أعلى جبل في العالم، جبل إيفرست، في أعماق نقطة في خندق ماريانا، تشالنجر ديب، فإن قمة جبل إيفرست ستظل على بعد حوالي ١,٢ ميل (٢ كم) تحت سطح البحر. الآن يمكنك أن تتخيل مدى عمق خندق ماريانا!

درجة حرارة خندق ماريانا إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة. عندما تكون درجة الحرارة باردة، تكون درجة الحرارة ١ درجة مئوية (٨, ٣٣ فهرنهايت). ولكن الحقيقة المدهشة هي أن المياه يمكن أن تصبح ساخنة للغاية أيضًا بسبب الفتحات الحرارية المائية الموجودة في جميع أنحاء خندق ماريانا.

في عام ٢٠٠٩، أطلق الرئيس جورج دبليو بوش على خندق ماريانا اسم النصب التذكري الوطني للولايات المتحدة.

على الرغم من الظلام المروع، ودرجات الحرارة الشديدة الحرارة والبرودة، والوضع الحمضي في خندق ماريانا، فهو موطن لأكثر من ٢٠٠ كائن حي مجهري مجهول ومخلوقات صغيرة مثل مزدوجات الأرجل والقشريات.

حقائق عن الرحلات الاستكشافية إلى خندق ماريانا

على الرغم من أن البشر موجودون على هذا الكوكب منذ قرون عديدة، إلا أن أعماق أجزاء خندق ماريانا لم يتم استكشافها إلا من قبل ثلاثة أشخاص فقط.

في عام ١٩٦٠، اكتملت الرحلة الاستكشافية الأولى إلى تشالنجر ديب بنجاح من قبل المهندس جاك بيكارد والملازم البحري دون والش اللذين ذهبا داخل مياه المحيط في غواصة تابعة للبحرية الأمريكية. وبسبب ظروف الضغط الشديد، تمكن الرجلان من البقاء في الداخل لمدة ٢٠ دقيقة فقط. ولم يتمكنوا

من التقاط أي صور حيث كان هناك ظلام دامس، وعندما هبطت الغواصة، أدى الغبار من قاع البحر إلى ضبابية الرؤية.

بعد أكثر من ٥٠ عامًا، وبعد التقدم في العلوم والتكنولوجيا، تمت زيارة تشالنجر ديب مرة أخرى لاستكشاف المحيط في عام ٢٠١٢ عندما قرر المخرج جيمس كامرون استكشاف الخندق بمفرده باستخدام غواصة صممها بنفسه. لقد التقط الصور لكن بطاريات أجهزته نفدت.

انتهيت من قراءة هذا المقال وقرأت أكثر من معلومة ومقال عن هذا الخندق حسناً إذاً هو أعمق نقطة في الكرة الأرضية لهذا أبي قام بتشبيه القبر بهذا الخندق لكن لماذا هو مكتوب على صدر هذه الجثة؟ وهل يقصد بكلمة ماريانا هذا الخندق أو أنه يستخدم الكلمة كتشبيه كما فعل أبي؟ لكن تشبيه لماذا؟ ومن يكون هذا الرجل؟ أنا حتى لا أعرف وجهه لأنه بدون ملامح كيف سأعرف عليه؟

أعددت لي كوب قهوة آخر بعد أن انتهت العاملة نوري من التنظيف أخبرتني أليكسا أنها غادرت كان الأمر معقداً يجب أن أعرف من يكون هذا الرجل وماذا تعني هذه الكلمة؟ وماهي هذه اللغة والرموز والرسومات؟ ولماذا أراه في أحلامي؟ تذكرت أن لدي أستاذ لغات في الجامعة لقد علمني أشياء كثيرة بحكم خبرته وعمره الكبير فكرت أن أرسل له صوراً مقربة من الرموز والأحرف التي على التابوت بدون أن يعرف بالطبع أن هذا تابوت لكنني كنت متردداً وفي نهاية الأمر حسمت أمري وأرسلت له

بعض الصور المقربة، وحتى أنتظر رده قررت أن أكمل تفحص جسده إن الغريب تقريباً أن الكلمة الوحيدة التي كتبت بلغة طبيعية هي كلمة «ماريانا»! خطرت فكرة في بالي فتحت موقعي قررت أن أترك سؤالاً أو رسالة في الموقع وكتبت:

من يعرف ماذا يكون «ماريانا» غير المحيط بالطبع وغير أن يكون أسماء فتيات؟ تركت السؤال وبقيت منتظراً أي أحد يتواصل معي كانت المشاهدات ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وصلت تقريباً إلى ثلاثة آلاف مشاهدة لكن لم يتواصل معي ولا أي أحد علمت بأن لا أحد يعرف ومن الممكن أن يكون اسماً فحسب ورسمه أو هذا الخندق، قررت أن أحذف السؤال بعد أن أكمل ساعة تماماً وحذفته بالفعل كنت أشعر بالخمول العجيب والتعب نظرت إلى ساعة هاتفي كانت الساعة الرابعة عصراً ولا أعرف كيف حدث هذا وغفوت في نوم عميق على المكتب في الاستديو بجانب الجثة..

فتحت عيني أرى نفسي أقف على شاطئ رمله أسود الجو بارد جداً أمواج البحر أمامي تندفع بقوة حتى تصل إلى أقدامي وتتجاوزها أنظر إلى أقدامي أرى أنني غير منتعل حذاء أمسح بعيني المكان أنا بالفعل وحدي هنا لا يوجد أي مخلوق آخر سيزري إذا هذا كابوس آخر أو حلم؟ لا أعرف أسمع صوتاً غريباً من خلفي ألتفت لأرى مدخل كهف مفتوح في جبل أسود أتقدم خطوات هادئة حتى أصل إلى مدخل الكهف الذي كان يسيطر عليه الظلام لم أزد أن أدخل لكنني تقدمت بضع خطوات للدخول

بعض الصور المقربة، وحتى أنتظر رده قررت أن أكمل تفحص جسده إن الغريب تقريباً أن الكلمة الوحيدة التي كتبت بلغة طبيعية هي كلمة «ماريانا»! خطرت فكرة في بالي فتحت موقعي قررت أن أترك سؤالاً أو رسالة في الموقع وكتبت:

من يعرف ماذا يكون «ماريانا» غير المحيط بالطبع وغير أن يكون أسماء فتيات؟ تركت السؤال وبقيت منتظراً أي أحد يتواصل معي كانت المشاهدات ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وصلت تقريباً إلى ثلاثة آلاف مشاهدة لكن لم يتواصل معي ولا أي أحد علمت بأن لا أحد يعرف ومن الممكن أن يكون اسماً فحسب وشمه أو هذا الخندق، قررت أن أحذف السؤال بعد أن أكمل ساعة تماماً وحذفته بالفعل كنت أشعر بالخمول العجيب والتعب نظرت إلى ساعة هاتفي كانت الساعة الرابعة عصراً ولا أعرف كيف حدث هذا وغفوت في نوم عميق على المكتب في الاستديو بجانب الجثة..

فتحت عيني أرى نفسي أقف على شاطئ رمله أسود الجو بارد جداً أمواج البحر أمامي تندفع بقوة حتى تصل إلى أقدامي وتجاوزها أنظر إلى أقدامي أرى أنني غير متعل حذاء أمس بعيني المكان أنا بالفعل وحدي هنا لا يوجد أي مخلوق آخر غيري إذا هذا كابوس آخر أو حلم؟ لا أعرف أسمع صوتاً غريباً من خلفي ألتفت لأرى مدخل كهف مفتوح في جبل أسود أتقدم بخطوات هادئة حتى أصل إلى مدخل الكهف الذي كان يسيطر عليه الظلام لم أزد أن أدخل لكنني تقدمت بضع خطوات للداخل

لفت نظري بعض الرسومات والرموز الغريبة أيضاً في جدران
مدخل الكهف تحسست النقوش بيديّ الباردتين حتى وصلت
إلى رسمة كانت الرسمة عبارة عن رجل يجلس متربعاً يظهر
رجل آخر من خلفه وهو يغطي على أذني الرجل الآخر! يوجد
حولهما فراشات لكن فراشات لها وجه مرعب ثم في أعلى
الرسمة هنا نبض قلبي عندما قرأت كلمة «ماريانا» أيضاً مرة
أخرى كتب تحتها حروف شبيهة بالرموز وضعت يدي على
الرسمة والرموز ثم سمعت صوتاً قادماً من الخارج خرجت
بسرعة نحو الشاطئ وهذا ما رأيت!

رأيت شخصاً يقف في وسط الماء كان يقف وكأنه يقف على
أرضية معتدلة وليس على ماء كان يرتدي ملابس سوداء لا
أستطيع تمييزها ولا أستطيع تمييز شكله لأنه كان بعيداً لكنني
واثق بأنه رجل يقف على الماء وأنا متسمراً ومبحلق فيه شعرت
بشيء يلمس قدمي شتت انتباهي أنزلت عيني للأسفل إذ أرى
سلطعوناً ضخماً أسود يسير على قدمي لم أستطع الحراك أردت
أن أقوم برفسه أو نفضه من على قدمي لكنني لم أستطع وكأنني
أصبت بالشلل أشعر به وهو يسير متسلقاً على جسدي أشعر
بالقرف والاشمئزاز جسدي يقشعر وكأن هذا السلطعون قام
بتخديري كلياً وصل إلى بطني ثم صدري ثم رقبتني وأخيراً على
وجهي شعرت بأن أنفاسي تختنق روجي تتعذب ما زال هذا
السلطعون رابضاً على وجهي بكل أريحية حتى أدخل أصابعه
في عيني وهنا صرخت وسقطت من على كرسي المكتب

واستيقظت وأنا أضرب وجهي كالمجنون ظناً أنني نقلت
السلطعون معي إلى الواقع...

تداركت أنفاسي وروحي أخيراً ونهضت بعد أن كنت على
الأرض رفعت معصمي لأرى الساعة أصبحت السادسة مساءً حتى
الشمس اختفت هذا يعني أنني نمت ساعة كاملة على المكتب
كيف حدث ذلك فجأة؟ يكفي أنني في يومي كله نمت طويلاً ما
خطبي؟ هل بعد متلازمة الأرق أصبت بمتلازمة النوم؟ أو أن هذه
الجثة هي السبب؟ نظرت إليه وما زال على حاله مستلقياً على
الطاولة كالميت ولا أظن أنه ميت ما خطبي وما خطب عقلي هل
من الممكن أن يكون كل هذا هلوسات؟ لا أعرف لكن...

لم أكمل حوارتي مع نفسي حتى وصلني تنبيه عبر الساعة في
معصمي بأن هناك اختراقاً لأجهزتي وموقعي! اتسعت حدقتنا
عيني تركت كل شيء في يدي وخرجت أركض من الاستديو
توجهت إلى القسم الثاني وهو المكتب وعندما دخلت هنا رأيت
الشاشة والجهاز كله يعمل رغم أنه كان مطفاً اقتربت من المكتب
كان الجهاز يتحرك من تلقاء نفسه أقصد أنه يقوم بفتح صفحات
والكتابة وكأنه مهكّر! حاولت أن أقوم بإيقافه وإطفائه لكنه رفض
تماماً وهنا أبعدت يدي عندما تم إدخال بعض الشفرات والرموز
فتح متصفح جديد لأول مرة أراه في حياتي كان غريباً جداً يحتوي
على الكثير من الرموز والشفرات غير المفهومة فتح مرة أخرى
صفحة جديدة وهنا كانت واجهة المتصفح تماماً مثل الدارك
ريب الذي أعمل عليه الآن لكن كان له اسم مختلف وعندما

رأيت الاسم هنا تأكد لي أن كل شيء حقيقي وليست هلوسات
كان اسم الشبكة التي كتبت في واجهة الصفحة بخط عريض
«ماريانا ويب»!!..

عاد الخفقان إلى قلبي عندما رأيت الاسم على الشاشة ثم
مددت يدي المرتعشة نحو زر الإنترنت وكبسته تبذلت الصفحة إلى
صفحة أخرى وهنا لم يكن يتطلب مني الدخول مثل الدارك
ويب بل كنت وكأنني قد سبق وقمت بالدخول قبل ذلك، لم
يطلب مني إدخال شفرة أو رمز أو إيميل أو رقم وعندما قمت
بالضغط على زر الإدخال مرة أخرى هنا كانت الصدمة الأكبر
كتب بخط عريض:

«مرحباً بعودتك أيها المؤسس ظل أليكسياريس»..

لحظة!! مؤسس ماذا؟ ما الذي يقصده هذا الشيء؟ وماذا
يكون هذا الشيء أصلاً؟ كل ما أقوم به هو الضغط على زر
الانتقال وصلت إلى صفحة كتب فيها: إذا كنت «ظل» نرجو
وضع وجهك في الكاميرا!! بدون تردد وضعت وجهي على
الكاميرا شعرت بأنني غبي لأول مرة لكن لا بأس لم تعد تفرق
معي عندما وضعت وجهي انفتحت نافذة جديدة كتب فيها:

«ماريانا يرحب بمؤسسه السيد أليكسياريس»

ثم انفتحت صفحة أخرى كتب فيها:

«أهلاً بك في أعرق نقطة للجحيم بالنسبة لهم وبالنسبة لك
ستكون جنتك»

بعدها انفتحت أيضاً صفحة أخرى وهنا عرفت أنه تم ربط مرقعي «بيتشيني» تلقائياً بهذا المتصفح:

«عن أسطورة Marianas web أعمق مكان في Dark web والذي لا يصل إليه حتى النخبة من الهاكر!

إن أعمق نقطة موجودة في السفح الجليدي داك، أي أعمق مستوى والذي غالباً ما يرمز له بالمستوى LEVEL 5 هو ما يسمى بماريانا ويب، ويبدو أن أسطورة الويب ماريانا حصلت على اسمها من أعمق جزء من المحيط، خندق ماريانا في أنها من المفترض أن تكون أعمق جزء من شبكة الإنترنت، وهو مكان ممنوع ومحظور.

عن المارينا ويب، فإنك تجد فيها «أسرار الإنسانية وتاريخها»، والمكان السري لمدينة أتلانتيس المفقودة و«محفوظات سرية الفاتيكان»، السحر الأسود الفنون المظلمة الكتب المحرمة والمحظورة إن ماريانا سجل فيه أحداث لم ترها البشرية من قبل من الماضي والمستقبل أو قواعد بيانات غاية في السرية تعود إلى أقوى وكالات الاستخبارات على الأرض. إن ماريانا هي موطن لجميع قوى الأرض من الداخل والخارج، إن ماريانا تسحب الشخص إلى أسفل قاع الجحيم ولن تستطيع الخروج منه إنه أعمق وأخطر من كل شيء آخر على هذه الأرض، وإنه من المستحيل من الناحية الفنية الوصول إليها إلا من خلال أجهزة الكمبيوتر الكم، التي كانت لا توجد إلا في الخيال العلمي أولريما توجد في الجانب العسكري ونحن لا ندري عنها شيئاً.

أو أنها لا توجد أصلاً على هذا العالم ولا أحد يستطيع الوصول إليها إلا أشخاص معينون فقط أما أنت فيمكنك الوصول إليها في أي وقت وأي زمان ومن هنا لأنك الابن الروحاني لماريانا استمررت في الدخول أكثر حتى وصلت إلى صفحة كتب فيها:

«إن ماريانا مصنوع ومؤسس بلغة مختلفة لغة لا يجيدها أحد أبداً من الممكن أنك لا تعرف أيضاً هذه اللغة لكن ستتعلمها معاً...!»

دخلت أيضاً صفحة أخرى ولا أعلم متى ستنتهي هذه الصفحات لكن من الواضح أنها الصفحة الأخيرة قبل الدخول إلى الموقع:

«إن شبكة ماريانا لا تستخدم اللغات المعروفة أو اللغات المتحضرة إنها تستخدم لغة واحدة فقط وهي لغة الشيطان! أهلاً بك..»

بعد أن انتهيت من قراءة هذه الكلمات انفتحت نافذة جديدة من دون أن أفعل أي شيء ظهر على الصفحة خلفية سوداء نقوش غريبة ورموز ورسومات من مثل طابع التابوت والوشوم التي يمتلكها الجثة ما لفت نظري الاسم:

«ماريانا ويب عالم عميق»

مرحباً بك بيتشيني في عالمك الخاص..

هل يقصدونني أنا؟ لم ينادني باسمي بل كتب بيتشيني وهذا اسم موقعي الخاص الذي ارتبط مع هذه الشبكة ثم فجأة وقبل

ان أنصفح تحولت لغة الشبكة من العامية إلى هذه اللغة الغريبة!!
 حتى الاسم والجملة التي قرأتها للتو كل شيء أصبح مكتوباً بهذه
 اللغة الغريبة حاولت كالغبي أن أستخدم المترجم لكن المترجم
 لم يتعرف على هذه اللغة وأصلاً غير مدرجة بقاموسه كيف
 بمكتبي أن أكتشف هذا العالم وهو بلغة مختلفة؟ لكن أنا أعلم
 جيداً بأن هذا المكان سينقلني نقلة كبيرة نحو أحلامي لا أعرف
 من المسؤول عن هذا ولماذا صنع هذا؟ لكن ما أعرفه أن هذه
 الشبكة صنعت لأجلي أنا وأن هذه الجثة بالتأكيد تعرفني جيداً
 لكن من يكون وماذا يريد مني؟

رن هاتفي رفعتة إذ أرى أن ثيا وصلت وعلى ما يبدو هي تقف
 الآن خارج القصر دائماً ما تقاطع أعمالي لكن لا بأس يجب أن آخذ
 نفساً وراحة بعد هذا الشيء الذي حدث سأترك الجهاز مفتوحاً
 لا أعرف هل سأعود وأجده كما هو أو أخاف أن يختفي فجأة؟!



«عزيزي القارئ كيف حالك إلى الآن؟ بخير بالتأكيد، لكن بعد هذه الجزئية من الرواية لن تكون بخير أبداً ما هذه إلا مقدمة لسلسلة تحمل الجنون تحمل الرعب والقسوة والخوف والغرابة والصدمة، إن الرعب ليس له حدود كما أن عالم هذه السلسلة ليس له حدود رجاء حافظ على أنفاسك لكي لا تفقدها لا أرغب بتسجيل حالة وفاة ولا حالة جنون ولا حالة اختفاء! أنا لست مسؤولة إذا قمت بالبحث عن أي شيء كتب هنا لا تجعلوا فضولكم يأكلكم لأنكم في نهاية الأمر سيتم أكلكم، أنا متعبة بقدر ما تم سحبي إلى الأسفل بعد كتابة هذه السلسلة لكن ليس لدي حل آخر غير الكتابة»

ماريا..



«ضللنا الطريق فما عسانا فاعلين

الشیطان یجرنا هنا وهناك

ویدیرنا إلى كل الجهات

ما عددهم، وإلى أين یسیرون مسرعین؟

ماذا تعني أغنیات الحداد هذه التي یرددونها

أهم یدفنون أحداً من أهلهم؟

أم هم یزوجون ساحرة؟»

بوشکین..

من رواية الشیاطین لدوستويفسکی..



«الفصل التاسع عشر»

«لغة الشيطان»

١٩٩٢ م

- ما هو الشيطان يا أبي؟ هل هو حقيقي؟!

- وأين سمعت عنه؟

- هنا..

قمت بالإشارة على رأسي! تعجب أبي ثم سألني:

- ماذا تقصد؟

- أفصد عندما كنت نائماً سمعت أحدهم يهمس لي عن الشيطان وعندما ذهبت إلى المدرسة أخبرت المعلم وأخبرني أن الشياطين حقيقية لكن لم يخبرني الكثير عنها لكن أغلب زملائي قالوا إن الشياطين مخيفة وشكلها مخيف ومن يراها يموت فوراً.

ابتسم أبي ومسح على شعره بيده:

- الشيطان حقيقي بالفعل وهو موجود لكنه ليس لديه شكل مخيف أو وحشي أو بشع، ليس رجلاً أحمر ولديه قرون

وذيل وعيون حمراء هذا ليس صحيحاً، قيل إنه من الممكن كان جميلاً ووسيماً كان ملاكاً سابقاً وقيل إنه اعتاد أن يكون المفضل لدى الله وعندما علم أن الله فضل أحداً آخر شعر بالغضب وهذا الغضب جعله بشعاً ليس فقط شكلاً إنما روحاً كانت بشاعة الشيطان في نفسه من الداخل وليس من الخارج..

- مثلي أنا..!

قلت بحماس

استغرب أبي ثم قال:

- لكنك لست شيطاناً يا ظلي لربما تكون ملاكاً

- ولماذا الناس يفضلون الملائكة؟ لا أريد أن أكون مثلهم أريد أن أكون مختلفاً لكن ماذا فعل بعد ذلك يا أبي عندما غضب؟ ومن فضل الله عليه؟

- فضل الله عليه أول بشري على وجه الأرض وهو شعر بالغيرة منه لقد أقسم أن يوزع نفسه البشعة على أرواح البشر ليأخذهم في صفه ويعيشوا في العالم: يؤذون يقتلون يكذبون يفتنون يسرقون يذبحون يضحون يفعلون أسوأ وأبشع وأقسى الأفعال..

- وماذا عنا؟؟

- ماذا عنا؟!

- نحن في أي صف يا أبي؟

- وأنت ماذا تريد؟

- أنا أريد أن أكون معك..

ابتسم وقام بمعانقتي ثم همس في أذني:

- لكن لم تخبرني من الذي كان يهمس في أذنك وأخبرك
عن الشيطان؟

- لا أعرف يا أبي أنا أسمع صوتاً من الحائط في غرفتي
وأظن أنه هو من قام بالهمس في أذني عن الشيطان أيضاً..

غيرت ملامح أبي إلى الغضب والتجهم والخوف ولا أعرف
لماذا بعدها أخبرني أن أستمري في مذاكرة الدروس وخرج مسرعاً..!

٢٠٢٣ م.

ما أن رأيتها نسيت كل التشتت والخوف والصدمات والكوابيس
التي مررت بها خلال هذين اليومين، أراها فأنسى كل الشياطين
التي في رأسي وأنسى أنني كنت أعاني ابتسامتها رائحتها صوتها
كل شيء فيها يشعرني بأن هذا العالم بخير وخالٍ من الشياطين..

- اشتقت إليك كثيراً يا ظلي..

قالت ثيا وهيا تعانقني..

- وأنا أيضاً..

- أخبريني كيف كانت رحلتك تعالي أولاً دعينا نجلس...
- أمسكت يديها وجلسنا في صالة المعيشة المطلة على الحديقة:
- أخبريني أولاً ماذا تريد أن تشربي؟
- لا شيء لقد شربت الكثير من القهوة وأنا في الطائرة لا أظن أن معدتي ستحتمل كوباً آخر، أخبرني أنت كيف حالك؟
- حالي أصبح بخير بعد رؤيتك
- كنت أرغب بإخبار ثيا عن الأشياء التي أراها وعن قلب نومي اليوم بحكم أنها طبييتي لكنني تراجعت بعد أن بدأت أفنن بأن هذا ليس له علاقة بأمراض النفسية وأن هذه الأشياء تفوق قدرة ثيا، بعد أن تحدثنا طويلاً عن كل شيء تناولنا العشاء معاً بعدها أخبرتني عن حالة الفتاة الغريبة الجديدة وأخبرتني كل قصتها الغامضة:
- إذا هل صدقتها بأن الأشخاص الذين قتلهم هم عائلتها؟
لربما كانت تكذب أو مشوشة؟!
- لا أنا واثقة أنهم عائلتها لا يمكن أن يختفوا هكذا فجاءة ويتركوها علاوة على ذلك هذه المذكرات بخطها والدها ووالدها لم يتخلوا عنها ولا عن إخوتها..
- إذا ما هو الطلب الذي تريدينه مني؟
- سألته وأنا أضع كوب الشاي على الطاولة:
- أجابت وهي تخرج هاتفها وتمده نحوي:

- انظر هذه هي الرسومات والرموز التي وجدناها في منزلها حتى إن هذه اللغة غريبة وأول مرة أراها في حياتي..

تناولت الهاتف من يد ثيا وهنا صعقت تماماً اتسعت حدقتا عيني عندما رأيت جميع الرسومات والرموز والكلمات هي مشابهة أو نفسها لتلك اللغة والرسوم في الجثة وشبكة ماريانا والكابوس الذي رأيتته مستحيل!!

- ظل،، ظل،، هل تسمعي ما خطبك؟

سمعت صوت ثيا أيقظني من الصدمة لثوانٍ ثم حاولت أن أدارك الوضع سريعاً:

- أوه نعم أنا بخير لكن لا بأس بالنسبة للغة لدي صديق سأرسل له هذه الصور وبالتأكيد سيعرف إذا كان يعرفها لأنه لديه خبرة في هذه الأشياء أما الرسومات فهي بالطبع رسومات مظلمة جداً لكن سأأخذ الموضوع وقتاً حتى أستتج ما معناها..

- حسناً لا بأس سأنتظر ردك

ما أن انتهت ثيا من حديثها حتى رأيت وجهها بدأ بالذوبان بدون أي مقدمات وما زالت تنظر إلي وهي مبتسمة بشكل مخيف عينها سقطتا أنفها فمها كل ملامحها أزيلت فجأة!! يا الله ما الذي يحدث معي؟ هل أنا في كابوس مجدداً؟ لكنني مستيقظ لم أنم حتى! أردت أن أتماسك أن أقاوم هذه الهلوسات أغمضت عيني أسمع صوت ثيا كالصدى البعيد تنادينني بريية، أنفض رأسي

أحاول السيطرة على أفكاري على أنفاسي على مشاعري على
روحي جسدي تعرق قلبي يخفق بشدة وهنا سقطت مغشياً علي..

ثيا:

فتح ظل عينيه أخيراً كنت أشعر منذ رؤيته بأنه ليس على ما
يرام كان وجهه شاحباً ويبدو أنه متعب وكأنه مجهد ويعمل لوقت
طويل، علمت بأنها أعراض تناول أقراص الأدوية بشكل مفرط
شعرت بالخوف كثيراً عليه لأنه من فترة طويلة تقريباً تصل إلى
العامين لم يفعل هذا الشيء كان قد بدأ يتحسن ولا أعرف لماذا
فجأة قرر تناول الأقراص هكذا بشكل مفرط:

- لا بأس كما تحدثنا سابقاً يجب أن يرتاح كثيراً وأيضاً يستخدم
المهدئات ابتداء من الأسبوع القادم سيكون أفضل بكثير..

- شكراً لك دكتور «لويس» أعتذر لاتصالي بك في هذه
الساعة المتأخرة..

ماذا تقصدين باعتذارك؟ هذا عملي، ومرة أخرى أتمنى له
الشفاء وإذا حدث أي شيء فاتصلي بي..
- حسناً تفضل..

أوصلت الطبيب لويس إلى الباب وغادر عدت إلى غرفة ظل
بعد أن فقد الوعي بشكل مفاجئ ونحن نتحدث اتصلت بالطبيب
وأتى بشكل سريع ولله الحمد نقلناه إلى غرفته، في هذه الأثناء

كنت متعجبة ومرتدة ومستغربة ومشتتة أول مرة يفقد ظل الوعي
في منزله أمامي الغريب ليس هنا الغريب أنني كنت أنادي على
ظل وأصرخ لكن لم يخرج والده من غرفته أعلم أنه لا يمشي
مثلما قال لي ظل سابقاً لكن لم يبدِ أي ردة فعل لم أسمع له
نفساً حتى؟ لم يخرج أو ينادِ ما الذي يحدث؟ قررت تجاهل
الأمر رغم أنني طوال الوقت كنت أنتظره أن يأتي ويطمئن على
ابنه لكن لم يأتِ:

- كيف تشعر؟؟

سألت ظل بعد أن رأيت استيقظ

- لا بأس أنا بخير

ردبوهن وتعب

- حسناً ارتخ سأحضر لك بعض الطعام والماء

- لا لا تفعلني..!

صرخ ظل بشكل مبالغ فيه! لا أعلم لماذا تصرف هكذا ثم
حاول أن يتدارك الوضع:

- أقصد أنا آسف أنا أشعر بالشبع هل نسيت؟ للتو تناولنا
العشاء..

- حسناً لا بأس استرخ إذا سأعطيك هذه الحبة ستساعدك
على النوم وتقلل من الغثيان..
حسناً..

في تلك الليلة نمت مع ظل لطالما عندما يكون مريضاً أبقى معه أعلم بأنه وحيد لا يوجد أي أحد معه سوى والده المريض، ورغم أنني لم أره في حياتي أقول لنفسي لربما مثلما قال ظل أنه لا يحب أن يقابل الغرباء لكن لم أعرف أنه لهذه الدرجة، لم أستطع النوم جيداً في تلك الليلة بينما كان ظل يغرق في النوم بسبب المسكن الذي أعطيته نظرت إلى الساعة في هاتفي كانت الساعة الثالثة فجراً بعد أن أرسلت لأبي أنني لن أعود اليوم إلى المنزل وسأبقى مع ظل، قمت بتصفح جميع مواقع التواصل الاجتماعي على أمل أن أشعر بالنعاس لكن فشلت فجأة سمعت صوت باب الغرفة يفتح!! رفعت رأسي اعتدلت في جلستي التفت إلى ظل ما زال نائماً في سلام الباب ما زال مفتوحاً ثم رأيت ظل شخص مر؟ لم أتوتر لتلك الدرجة لكن قلت على ما يبدو أنه والده يريد الاطمئنان عليه لذلك شعرت بالخجل وسلمت أمري نهضت سرت باتجاه الباب خرجت إلى الممر لم يكن مظلماً لتلك الدرجة لكنه كان مرعباً بشكل غريب كان بارداً جداً هنا لمحت ضوءاً قادماً من غرفة والد ظل لذلك تيقنت أكثر بأنه هو من أتى إلي هنا، عزمتم أمري وقلت لنفسي يجب أن أتحدث معه يجب أن أقرب منه وأكسر الحواجز أنا بنفسي عشر سنوات وأنا لم أقابل والد الرجل الذي أحبه يجب أن يرضى بي مهما كانت النتيجة، التفت مرة أخرى نحو ظل كان لا يزال نائماً كالملاك متعباً لذا أخذت نفساً وقررت الذهاب إلى غرفة والده لربما ظل سيغضب لكن لا بأس سرت بخطوات بطيئة وقلبي

يرنح من شدة التوتر حتى وصلت إلى باب الغرفة كان مفتوحاً بشكل جزئي، طرقت الباب بشكل خفيف:

- سيد غريفوس؟ هذه أنا ثيا من المؤكد أنك تعرفني بالطبع هل تسمح لي بالدخول؟

قلت بخجل وتوتر لكن لم يكن هناك رد، ثم طرقت الباب مرة أخرى:

- ظل شعرت بالتعب قليلاً لكنه بخير كان فقط مجرد إعياء وجهد من العمل أعلم بأنك كنت ترغب برؤيته والاطمئنان عليه لكن يبدو أنك تراجعتي لأنني كنت معه أليس كذلك؟ إذاً هل تسمح لي بالدخول؟

كنت على وشك أن أستسلم وأستدير وأعود إلى غرفة ظل لكن سمعت صوتاً مبحوحاً لرجل عجوز:

- ادخلي يا ابنتي..

هنا شعرت بأن قلبي يرقص من السعادة خصوصاً عندما ناداني بابتته فتحت الباب بهدوء كانت الغرفة تملك إضاءة صفراء توحى بطابع كلاسيكي قديم مختلف عن القصر المصمم بشكل حديث يبدو أن ظل صمم غرفة والده بهذه التفاصيل القديمة المناسبة لكبار السن، مكتبة صغيرة خشبية مليئة بالكتب أرضية خشبية يوجد عليها سجادة مشجرة بطابع قديم الستائر بيضاء طاولة على جانب السرير عليها بعض الماء والأدوية وكتاب رواية «الشياطين» لدوستوفسكي، يبدو أن الابن مثل والده

أنا الآن أعرف لماذا ظل مولع بالكتب والفن والشعر والفلسفة،
سريه الأبيض بمفارش صفراء مشرقة وعلى اليمين أخيراً من
السريير كان والد ظل يجلس على الكرسي المتحرك مديراً ظهره
لي كان شعره مائلاً إلى اللون البني قليلاً عائداً إلى الخلف يبدو
جسمه ضامراً بالطبع رجل كبير بالسن ويعاني من الأمراض
طبيعي أن يكون جسده هزيلاً لاحظت أنه يرتدي الكثير من
الملابس أيضاً طبيعي لأنه كبير في السن من المؤكد أنه يشعر
بالبرد طوال الوقت:

- مرحباً يا سيدي سعيدة أنني التقيت بك أخيراً..

قلت بصوت خافت وهو ما زال يدير ظهره لي كنت أنتظره
بكل حماس أن يلتفت لي:

- ادخلي يا ابنتي..

قال وهو ما زال يدير ظهره شعرت بقليل من الغرابة لكوني
أصبحت في الداخل على ما يبدو لم يستوعب أنني دخلت:

- أنا بالداخل بالفعل يا سيدي

أجبت

- ادخلي يا ابنتي..

أيضاً كرر الجملة نفسها للمرة الثالثة!

- تقصد أن أتقدم إليك؟

- ادخلي يا ابنتي..!

هنا بدأ قلبي بالخفقان شعرت بالتوتر كان يكرر الجملة وكأنه
رجل ألمي؟

- سيدي هل أنت بخير؟

سأله

- ادخلي يا ابنتي..

تقدمت نحوه وأنا أرتعش لكنني قررت أن أتقدم إليه قلت
لنفسى لربما يعاني من أمراض الخرف أو الزهايمر أو غيرها إنه
في النهاية كبير بالسن لذلك كان ظل يمنعني من مقابلته بقيت
خطوة واحدة على رؤية وجهه وفجأة أحد ما أمسك بكتفي
شبهت مفزوعة!! التفت لأرى ظل يقف بملامح غاضبة ووجه
شاحب ومتعرق من شدة المرض أمسك بيدي بدون أن يقول أي
شيء وسحبني لخارج الغرفة وأغلق باب غرفة والده:

- ما الذي تفعلينه يا ثيا؟؟؟

سألني والغضب يتطاير من عينيه

- اعتذر لكن هو من أتى إلى غرفتك وبعدها سمح لي بالدخول
أنت تعرف أنه من المستحيل أن أدخل بدون أن يسمح لي..

- ماذا؟

رأيت التعجب والاستغراب في ملامح ظل:

- نعم لا أكذب لقد قال لي تفضلي يا ابنتي، أعلم بأن والدك
بالتأكيد يحبني إنه يحب الفتاة التي ابنه يحبها..

قلت بسعادة ناسية الشيء الغريب الذي حدث وناسية تصرفات

ظل الغريبة:

- حسناً هو يعاني من الخرف لذلك لربما فجأة سيدخل في نوبة غضب منك ويبدأ بالصراخ وتحطيم الأشياء كان من الممكن أن تخافي لذلك غضبت فقط..

- لا بأس بالطبع لن أخاف منه أنا أجلس مع المجانين والقاتلين كيف يمكنني أن أخاف من شخص كبير في السن لطيف وطيب..؟

- حسناً أنتِ عودي إلى الغرفة لربما يحتاج إلى شيء وأنا سأراه لأنه ليس من عادته أن يبقى مستيقظاً إلى الآن..

- من الممكن أنه أراد الاطمئنان عليك وأنا بالنسبة له كالحاجز!

- ما الذي تقولينه؟ أنتِ لست حاجزاً بيننا أبداً هو يعلم بأنك ستكونين سيدة هذا المنزل وهذه العائلة..

خفق قلبي بسعادة هذه أول مرة يقولها ظل لي بشكل صريح هذا يعني أنه لن يتخلى عني وأن مشاعره لا تغيب عني أبداً هذا يعني أن ظل سيكون زوجي وسأكون أنا زوجته..

بعد أن ابتسمت مليون مرة أنزلت رأسي إلى الأسفل شاعرة بالخجل:
- حسناً سأذهب إلى الغرفة وأنت تحدث معه سأتركا
وحدكما..

ظل:

عادت ثيا إلى الغرفة بقيت أنا متسماً في مكاني مقابل غرفة والدي كيف حدث هذا؟ كيف يمكن لأبي أن يتحدث مع ثيا؟ حسناً أنا وهو نتواصل عن طريق الأفكار وأنا وجميع الجثث هنا لكن ثيا لا تستطيع أن تتحدث معهم بالطبع كيف يمكن لأبي أنه تحدث معها وأكثر من مرة وناداهها بابنتي! دفعت باب الغرفة بهدوء وهنا ارتعش جسدي أبي كان بالفعل يجلس على الكرسي المتحرك! هو لا يستطيع أبداً ولم يفعلها أبداً أن يجلس وحده دون مساعدتي كان أبي نائماً كان مستلقياً على السرير قبل أن تأتي ثيا كيف وصل إلى مقعده المتحرك؟ تقدمت نحوه حتى وصلت إليه جلست مقابلاً له على الأرض أمسكت بيديه وقبلتهما:

- أبي ما الذي تفعله هنا كيف وصلت إلى الكرسي وحدك؟؟

سألته لكنه لم يرد علي:

- أبي هل أنت غاضب لأن ثيا أتت إلى هنا؟ هل تحدثت معها حقاً؟

هز أبي رأسه بالنفي ماذا هل ثيا تكذب؟ أو أنها تتخيل؟ لأن من المستحيل أن يكذب أبي علي بينما الأفكار تأكل مخي حدث ما لم يكن في الحسبان هنا شعرت لوهلة هل أنا مجنون؟ أم كنت مجنوناً وأصبحت عاقلاً؟ أو أن الحقيقة أمامي لكنني لا أرغب في رؤيتها حقيقة ما هم إلا أموات ولا يتحركون لكن عقلي الباطني يجعلني أراهم يتحركون وعندما يتحركون بشكل

حقيقي خارج عقلي الباطني أصاب بالقشعريرة والخوف وهذا ما حدث عندما فجأة رفع أبي يده مشيراً بأصبعه إلى الزاوية التي خلفي لا أعرف لكنني شعرت بالخوف لأول مرة! التفت بسرعة إلى الخلف إلى المكان الذي يشير إليه أبي لكن لم يكن هناك أحد وعندما أعدت نظري إلى أبي شهقت جزعاً عندما رأيت وجهه ملتصقاً بوجهي أمسك برأسي وقال بكل وضوح:

- إنه هو، هو من تحدثت معها ولست أنا يجب أن تخرجه من المنزل يا ظل..

وبعدها تركني وعاد إلى حالة الخمول والانطفاء وكان شيئاً لم يكن!! أعدت أبي إلى السرير وأطفأت الأنوار:

- ارتح الآن يا أبي سنتحدث لاحقاً..

عدت إلى ثيا وأنا أفكر في كذبة أكذبها عليها لكنني وجدتها نائمة لذلك طبعت قبلة على جبينها وتركتها ذهبت إلى المكتب أتفحص هاتفني بحثت في كل مكان عن هذه الشبكة التي تسمى بماريانا ويب لكنني لم أجد عنها أي شيء وكل ما وجدته كالعادة عن الدارك ويب والديب ويب فقط ثم قاطع بحثي اتصال من البروفسور صديقي الذي أرسلت له صور الرموز واللغة استغربت أنه اتصل بي في هذا الوقت كانت الساعة الرابعة فجراً:

- صباح الخير أيها البروفسور

- صباح النور يا ظل أولاً أعتذر لاتصالي في هذا الوقت

- لا بأس كنت مستيقظاً أصلاً

- ثانياً تهانينا على نيل درجة الدكتوراه ولأنك الآن أصبحت أنت أيضاً بروفيسور أعذر لأنني لم أهتئك سابقاً كنت مشغولاً..

- لا عليك ولكن الآن أخبرني ما الأمر؟؟

سألته وأنا أحاول أن أختصر موضوع مجاملاته

- نعم صراحة الموضوع لم يكن يحتمل التأجيل كنت أعمل على الصور التي أرسلتها لي وأخذت العمل مني تقريباً سبع ساعات لكنني أصلاً عرفت أنها ولكن أردت أن أثبت صراحة،،

سكت قليلاً:

- ما الأمر لماذا سكت؟

سألته

- حسناً أولاً من أين أحضرت هذه الرموز والرسوم يا ظل؟؟
سكت قليلاً كنت متوقفاً بالطبع هذا السؤال ثم تذكرت ثانياً
وحاولت أن أستغل الموضوع:

- أوه نعم ثانياً تعرف مجال عملها المرعب هذه الرموز ظهرت في إحدى غرف الضحايا وتريد ثانياً أن تعرف لأن الضحية شبيهة مجنونة ومصدومة لا يعرف الشرطة إذا كانت ضحية أو مذنبه..

- حسناً صراحة إن الأمر مخيف ويجب أن تنصحها بأن تتعد عن هذه القضية أو أنها تقوم بتحويل المريضة إلى طبيب آخر وتترك هذا الأمر للشرطة..

شعرت بالتوتر عندما سمعت كلماته التوتر على ثيا بالطبع هل من المعقول أنها تواجه الشيء نفسه الذي واجهه؟:

- ماذا تقصد وضح لي أكثر؟

- هذه الرموز تعود إلى لغة قديمة ومنقرضة حتى تم استخدامها من أوائل البشر تم استخدامها بكثرة في أمور مروعة مثل السحر الأسود والشعوذة وتأليف الكتب التي تخص هذه الأمور وتحضير الأرواح وطرد الأرواح واستدعاء القرين وقتله وكل هذه الأمور وأكثر يا بني إنها تلقب بلغة الشيطان قديماً وهي مختلطة باللغة العبرية ولغة أخرى أيضاً لها اسم آخر لكنني نسيته مع البحث سأخبرك عنه لكن هذه اللغة أساساً تعود للغة العبرية أيضاً هناك رموز مشفرة لم أستطع حلها أو لأكون صريحاً لم أقم بقراءة أي شيء خوفاً على نفسي، وبالنسبة للرسومات هي رسومات مظلمة تعود إلى السحر الأسود قديماً ولا أعرف أيضاً إلى ماذا ترمز بعض الرسومات من الصعب تحليل هذه الأشياء صدقني لأنها خطيرة جداً..

- حسناً شكراً لك أيها البروفسور وأي سؤال لدي لن أتردد بالاستفسار منك

- العفو أنا أيضاً سأكون موجوداً في أي وقت لمساعدتك..

أغلقت الهاتف وأنا بصراحة لست مصدوماً لأنني كنت أعلم من الرحلة الأولى بأن تلك الجثة تعود إلى ساحر من الكوايس التي أراها وجثته ليست متعفنة بالطبع لأن حوله طلاس وجسده مليء بالطلاسم كل هذا لا بأس لنقل إنها جثة ساحر لكن كيف يعرفني؟ كيف صنع لي هذا العالم شبكة ماريانا ويجعلني أنا المؤسس؟! كيف يمكن أن يتصادف الاسم مع كلام أبي في ذلك الوقت؟ أيضاً أبي تحدث عن خندق ماريانا!

والأهم ما الذي أفعله الآن؟ طبعاً من المستحيل أن أتخلص من الجثة لربما هذه الجثة ستقدم لي كنوز الأرض ستكون السبب لتحقيق أحلامي لقد أعطتني مفتاحاً لهذه الشبكة التي بالتأكيد سأجد فيها كل أسرار العالم، والأهم ربما يرغب بمساعدتي لشراء الجثث بدون أي مشكلات أو خوف لربما يريد تعليمي علماً جديداً علماً آخر لربما يعلم بأنني مختلف وأبحث عن الاختلاف لكن لماذا أبي لا يرغب به في المنزل؟ لم يعترض أبي أبداً على أي جثة أحضرتها بالتأكيد أن أبي يعرف أن هذه الجثة ليست طبيعية ولا يريدني أن أتأذى لكن هل من المعقول أن تلك الجثة يراها أبي تتجول وأنا لا أرى ذلك؟؟؟..



«الفصل العشرون»

«الشياطين»

١٩٩٢ م.

أريد التعبير عن أفكاري بكل قوة وحماسة. سيصرخون وينبحون ضدي: من يظنون أنفسهم مثاليين وعقلاء، وسيقولون إنني مختل إنني مجرم إنني وحش، ولكن، ليأخذهم الشيطان! فسأعلن جميع أفكاري.

سمعت صوت أبي يقول هذه الكلمات بحماس في حين كنت أرتاح وأشرب بعض حليب الفراولة بعد أن وقعت في ذلك القبر العميق، في بداية الأمر ظننت أن أبي يتحدث مع أحد الحرس المناوئين في المقبرة لكن ما الذي يقصده أبي بكلامه هذا؟ نهضت من على السرير تقدمت نحو النافذة أتجسس كالعادة على أبي كنت أرغب أن أرى الشخص الذي يتحدث معه لكن وجدت أبي وحده يقف مقابلاً الهواء والفراغ لم يكن هناك أي أحد غيره هو والأموات!..

غفوت قليلاً فجأة سمعت صوت أبي يقوم بإيقاظي من النوم:
- انهض يا بني هيا يا ظلي حان الوقت للاحتفال بعيد ميلادك..

فتحت عيني الناعستين بكسل وخمول:

- الآن يا أبي؟

سألت بتعجب بعد أن رأيت من النافذة أن الوقت ما زال ليلاً دائماً في كل عيد ميلاد يحتفل بي أبي في الصباح بشكل طبيعي لماذا هذه المرة مختلفة؟

- نعم الآن لا تتس هذا اليوم مهم لك ستصبح بعد نصف ساعة في عمر السابعة وهذا العمر مهم جداً كنا نتظر بشدة ليأتي هذا اليوم هيا انهض وقم بغسل وجهك..

أجاب بحماس وهو يساعدي على النهوض لم أكن مستوعباً لأن النوم كان يأكل خلايا عقلي بعد أن غسلت وجهي أدركت أن الساعة كانت الحادية عشرة وخمسين دقيقة مساء..

- هيا تبقى عشر دقائق فقط،،

سحبني من يدي بعد أن ألبسني معطفاً خرجنا ومازلنا بالطبع في المقبرة فنحن نسكن فيها أغلب الوقت لم أكن خائفاً أبداً من وظائف أبي وتصرفاته التي كنت أراها طبيعية لكن هذه المرة شعرت بأن الخوف بدأ ينهش قلبي لأنه كأب طبيعي يحب ابنه من المستحيل أن يحتفل بعيد ميلاد ابنه في مقبرة وسط الأموات لكن أبي فعل! أعياد ميلادي الستة احتفلت بها في المنزل كان بي لكن لماذا هذا العام مختلف؟ لماذا سيحتفل بي في المقبرة؟



مشيت مع أبي وهو ممسك بيدي مشينا عبر ممرات المقابر
 كنت أشعر بالبرد الشديد حتى وصلنا تقريبا إلى وسط المقبرة كان
 هناك منصة أو حجرة كبيرة شبيهة بنافورة قديمة مهجورة كانت
 مليئة بالشموع حول الدائرة وكان بالمنتصف كعكة كانت كبيرة
 جداً مما أثار حماسي وإعجابي وسعادتي ونسيت كل ما يحدث
 هنا غريب بالطبع لأنني مجرد طفل، سحبت يدي من يد أبي
 وركضت وصعدت على تلك المنصة وأنا أقفز فرحاً لأول مرة في
 حياتي أحصل على كعكة وليست أي كعكة كانت الكعكة دائرية
 كبيرة بيضاء وبها نقوش أو كلمة لكنها كانت بحروف أول مرة
 أراها في حياتي تلاشت الابتسامة وأنا أحاول أن أقرأ ما كتب:

- أبي ما هذا؟؟

أجاب وهو يلحق بي بابتسامة:

- هل أعجبتك المفاجأة يا ظلي؟

- نعم كثيراً لكن ما المكتوب هنا؟

- كتب على الكعكة ميلاد سعيد لأصغر بيتشيني بيننا..

- ماذا؟ من هو بيتشيني؟!

- نحن..

- ومن نحن أقصد من أنتم؟

نزل على ركبتيه لكي يصل إلى مستوى طولي أخرج أعواد
 الكبريت وأشعل ثلاث شموع ثم أضاف الرابعة وأشعلها:

- ستعرف كل شيء في الوقت المناسب يا ظلي والآن قم بإطفاء الشموع..

- لكن يا أبي عمري سبعة لماذا وضعت أربع شموع؟

- لا بأس هنا رقم عمرك مكتوب سبعة أعوام أما الشموع الأربع فكنا ثلاثة وأصبحنا معك أربعة..

نظرت إلى أبي وهو ما زال مبتسماً بسعادة ولست فاهماً عن ماذا يتحدث وعمّن يتحدث؟ قررت أن أطفى الشمع وأستمع بهذه الكعكة الله وحده يعلم متى سأكل كعكة مثلها:

- حسناً هيا يا أبي دعنا نطفى الشموع معاً..

قال بسعادة:

- حسناً هيا بنا دعونا نطفى الشمع معاً..

وعندما انتهى من كلماته أحسست بأشخاص حولي ينفخون الشمع معي حتى أن نفخاتي الصغيرة لم تلحق أن تطفى الشموع بينما نفخاتهم هي التي أطفأت الشموع وكادت أن تطيرني من مكاني! التفت خلفي بسرعة وحولي لم يكن هناك سوى الصمت والظلام نظر أبي إلي وكأنه لا يوجد شيء يحدث:

- هيا بنا دعنا نقطع الكعكة

أخرج السكين ووضعته في يدي وبدأنا بقطع الكعكة كنت متحمساً كثيراً لتذوقها ما أن مدت يدي لأخذ قطعة أوقفني أبي:

- انتظر يا ظل،،

- لماذا يا أبي؟ أرغب بتذوق الكعكة..

- لا تقلق الكعكة كلها لك لكن هناك شيء يجب أن تفعله

قبل الأكل

- ما هو؟

- أغمض عينيك..

أغمضت عيني بدون تردد بحماس ظناً أن أبي سيخرج لي

لعبة الرجل الآلي الذي لطالما حلمت به لكن لم يفعل:

- أبي هل أفتح؟؟

- ليس بعد

سمعت صوت أبي وبدأ لي وكأنه أصبح بعيداً ولم يعد يقف بجاني:

- أبي إلى أين أنت ذاهب؟

سألته وعيناي ما زالتا مغلقتين لكن لم أجد أي رد منه هذه المرة، بدأ الرعب يدب في قلبي كان الهدوء مرعباً في الأرجاء وما زالت عيناي مغلقتين فضلت ظلام عيني على ظلام المقبرة لذلك لم أفتحهما كنت أسمع أصواتاً أحاول التركيز أصوات من هذه؟ هل هم من يتحدث أبي معهم؟ لكن من هم؟

- أبي أين أنت؟؟

أحسست يديين ضخمتين وضعتا على أكتافي من الخلف! كانت اليدان ساخنتين جداً ليستا دافئتين حتى كانت هناك رائحة

غريبة تفوح من الشخص صاحب اليمين كنت أعرف جيداً أنه ليس أبي لأنني أعرف أبي جيداً حتى لو كنت مغمضاً عيني بدأت أنفاسي تتسارع وقلبي يدق كان هو ساكناً وأنا ساكت ينتظر أحداً أن يبدأ لكنني وكأني ابتلعت لساني كان جسدي يرتعش أردت أن أنادي أبي لكنني لم أستطع ثم فجأة بدأ يمسح على شعري بهدوء بعدها أمسك بيدي اليمنى وأنا ما زلت على حركتي وكأني صنم وعيناي أغمضهما بقوة رفع يدي ووضع في باطنها صندوقاً أمسكت بالصندوق الصغير ثم رحل..

هنا تنفست الصعداء فتحت عيني لأجد أبي يقف بجانبني بابتسامة:

- أبي..

قلت بصوت ورجفة وغبابة على كل ما يحدث في يوم ميلادي:

- نعم أنا هنا هيا افتح هديتك..

- لكن هل أنت من وضعها في يدي؟!؟

- لا

أجاب بكل برود

- إذاً من؟؟؟

- إنه صديق أراد أن يكون معنا في هذا اليوم لقد أحضر لك

شيئاً ثميناً هيا افتحها

نظرت إلى الصندوق كان منقوشاً عليه اسمي «ظل» فتحته بهدوء لأجد فيه قلادة كتب فيها: «ظل سيكون دائماً ظلاً



للأموات» أزعجت القلادة جانباً ثم وجدت كتاباً كان للمؤلف نفسه الذي أعطاني إياه أبي لكنه كتاب آخر أكثر ضخامة ذو غلاف أحمر عليه أربعة أشخاص كالظل بعنوان «الشياطين» وضعت الكتاب جانباً، والتقطت الغرض الثالث كان عبارة عن قناع كان قناعاً غريباً وكأنه يبدو لشخص حقيقي أو وجه حقيقي! وضعت القناع جانباً وكان هناك غرض رابع كان عبارة عن سن، سن حقيقي قلبته بين يدي ثم نظرت إلى الصندوق كان فارغاً شعرت بإحباط لأنني لم أجد الرجل الآلي:

- هل أعجبتك الهدايا؟

سأل أبي بابتسامة

لم أكن أريد أن أعارض لكن بما أنها ليست من أبي قررت الاعتراض:

- لكن يا أبي لا يوجد رجل آلي

قلت بحزن

تقدم أبي نحوي وعانقني قائلاً:

- هذه الأشياء ليست لأمثالك أنت اليوم انضمت لعالم أروع بكثير من الرجل الآلي عالم سيجعلك تحصل على كل ما تريد وتحصل على كل الأحلام

- ما هو هذا العالم؟

- عالم «البيثيني»



- أخبرني عنه؟
- حسناً بالطبع سأخبرك عنه لكن أولاً دعنا نأكل الكعكة
- أوه صحيح لقد نسيت
- التفت بحماس نحو الكعكة وكانت تنقصها قطعة تعجبت
- سائلاً أبي:
- هل أكلت قطعة يا أبي وأنا مغلق عيني؟
- لا لم أفعل تعرف أنني سأنتظرك لكن قمت بضيافة صديقي
- الذي أحضر لك الهدايا فالواجب ضيافة الضيف أليس
- كذلك؟..

٢٠٢٣ م

في ساعة مبكرة من صباح ٢٣ أبريل ١٨٤٩ م وبأمر شخصي من القيصر نيقولا الأول أُلقت الشرطة القبض على دوستوفسكي وأودع في قلعة بتروبافلوفسكي ومعه مجموعة كبيرة من أعضاء حلقة بتروشيفسكي، إذ قام أحد أعضائها بالوشاية وبينهم دوستوفسكي الذي أمضى تسعة أشهر في زنزانة منفردة في قلعة بطرس وبولس في مدينة بطرسبرج. حكم على الكاتب بالإعدام، واقتيد مع أعضاء الحلقة إلى ساحة الإعدام المطوّقة بالقوات المسلحة وألبسوا قمصاناً طويلة بيضاء على قرع الطبول وقرئ عليهم الحكم بالإعدام رمياً بالرصاص، وأوثق ثلاثة منهم إلى

أربعة خشبية مفروزة في الأرض. كان الروائي يتظر دوره في المجموعة الثلاثية الثانية. وقف أمام كل منهم مجموعة من الجنود شاهرين بنادقهم المحشوة بالرصاص، وظل المحكومون يتظرون تنفيذ الحكم مدة نصف ساعة في صقيع بلغ عشر درجات تحت الصفر ثم جاءت عربة وقرئ على المحكومين قرار القبصر بتخفيف الحكم من حكم بالإعدام إلى حكم بالأعمال الشاقة، وكانت هذه العملية تمثيلية مدبرة من القبصر نفسه لكي يفقد هم عقولهم، ويظهر بالوقت ذاته بمظهر الرحيم الغفور ولقد فقد أحدهم عقله بالفعل وطلب أحدهم في أثناء الانتظار إطلاق النار لأن انتظار الموت أصعب من الموت نفسه، وشعر دوستوفسكي بعد استبدال القرار بالفرح وكأن حياة جديدة وهبت له وكأنه ولد من جديد. رؤية دوستوفسكي للفكر الاشتراكي وإمكانية التغيير بقوة اليد بعد أن خرج من السجن تغيرت وحدث تطور نوعي في فكره. يرى دوستوفسكي أن الاشتراكيين يريدون إعادة خلق الإنسان وتحريره وتصوره دون إله ودون نسب، وهم على قناعة بأن تغيير واقع الإنسان الاقتصادي هدف لا يمكن تحقيقه إلا بالقوة. هل يمكن الخلاص في ذلك؟ هل يمكن الوصول إلى كل هذا باستخدام السلاح - إن المسألة بهذه الصورة مقامرة بالإنسانية كلها!

التقطت أنفاسي بانفعال بعد أن قلت كلماتي هذه لثيا، كان وقت الغداء كانت ثيا ما زالت معي منذ أمس بسبب مرضي فجأة سألتني ثيا كالعادة عن رواية «الشياطين» وبدأنا بمناقشتها معاً:

- إذا أنا لا أفهم هذا الرجل لطالما كانت لديه أفكار غريبة
غير مفهومة وأظن القراء الذين يقرؤون له مثلك هم أذكاء
لكن أحياناً أفكر أشعر بأنه يريد أن يغسل عقول أشخاص
معينين بكتابته..

قالت ثيا وهي تشرب عصير البرتقال:

- كان يريد تغيير العالم فحسب أقصد مجتمعه كانوا يرون
أفكاره أفكاراً متمردة على السلطة والشعب لكن هذا ليس
صحيحاً أبداً..

قالت ثيا وهي تقلب صفحات الرواية:

- ضللنا الطريق فما عسانا فاعلين

- الشيطان يجرنا هنا وهناك

- ويديرنا إلى كل الجهات

- ما عددهم، وإلى أين يسيرون مسرعين؟

- ماذا تعني أغنيات الحداد هذه التي يرددونها؟

- أهم يدفنون أحداً من أهلهم؟

- أم هم يزوجون ساحرة؟

- ماذا يقصد بهذه الأبيات؟؟

أجبت بحماس وأنا أزيح الكوب جانباً:



- يبدأ دوستويفسكي الرواية بأبيات من بوشكين: السلاح الأول الذي سيرفعه في مواجهة الشياطين. الأبيات الأولى تتضمن تحليلاً لسيكولوجية الأبطال ويظهر الصراع الحاد بين العقل الذي يريد الثورة بكل دمويتها، وبين النفس التي تهوى الأرض والحرية. وهي إلى ذلك تصف حالة الأبطال الشياطين الميئوس منها في فترة متقدمة من الرواية. حين تقدم الرواية سيتساءل القارئ: ماذا بعد؟ إلى أين سيذهبون؟ وأين ستذهب بهم هذه الأفكار الشيطانية؟ هم يعترفون بأن أفكارهم غير طبيعة، ولكن لا يؤمنون بذلك ولا بصرحون، لأنهم لا يؤمنون. الجزئية الثانية من القصيدة تصف حال المجتمع - والقارئ كذلك - وتقبلهم لهذه الآراء. بين لحظة وأخرى يظهر لك شخص غامض، ومن أفكاره وأحاديثه يظهر الولاء لأفكار الشياطين. أعدادهم غير محددة، قد يكونون من الأشباح وغير موجودين، لكنهم موجودون في أرض الحدث بكل قوة. أفعالهم في أحد فصول الرواية - الحفلة - تفسر بقية الأبيات، ما يفعلونه مخالف للعقل والمنطق، حب الألم لأجل التجربة، عدم الإيمان بالله، اللامبالاة تجاه المجتمع والأخلاق، كل هذا غير طبيعي ولكنه موجود. وإن كانت هذه القصيدة تعطي لمحات من أفكارهم ورؤية الشياطين، إلا أنها كذلك كانت مقدمة لهجوم دوستويفسكي تجاه الأفكار الجديدة. دوستويفسكي أراد لبوشكين أن يكون في

هذا العمل هو البداية، أن يكون هو السلاح الذي يقتص
منهم، الشياطين لا يؤمنون بروسيا يجسدها بوشكين،
دوستويفسكي يؤمن ببوشكين كمثل وعبقرى للإنسان
الروسي ويجب أن يسيروا على نهجه.

- إذا هم يعترفون بأن أفكارهم غير مقبولة وغير طبيعية وربما
تكون مؤذية للآخرين لماذا يصرون عليها؟؟

سألت ثيا

أجبت وأنا أسحب الكتاب من يدها وأفتح على صفحات:

- انظري في البداية الثانية يقول:

وكان هناك قطع كبير من الخنازير يرعى في الجبل، فتضرعت
الشياطين إلى يسوع أن تدخل في الخنازير، فأذن لها، فخرجت من
ذلك الإنسان ودخلت في الخنازير، فاندفع القطيع من أعلى
الجرف إلى البحيرة وغرق فيها، فلما رأى رعاة القطيع ما حدث
هربوا ونشروا النبأ في المدينة وفي القرى، فخرج الناس ليروا ما
جرى، فلما وصلوا إلى قرب يسوع وجدوا الإنسان الذي كانت
الشياطين قد خرجت منه، وجدوه لابساً ثيابه، مالكاً عقله، جالساً
عند قدمي يسوع، وروى لهم شهود الحادث كيف خلص المجنون.

- ثم؟؟ ماذا يقصد؟

- المقدمة الثانية للرواية كذلك لافتة للنظر. تصدرت الرواية
بعد قصيدة بوشكين بضعة سطور من إنجيل لوقا. هذه

المقدمة الثانية أراد لها دوستوفسكي أن توضح حال الشياطين حين تخرج من كائن بشري وتدخل في الخنازير. حالة الخنازير حين تدخل الشياطين فيها مثيرة للسخرية، إذ تسقط بكل ما فيها من أعلى الجرف إلى البحيرة وتغرق فيها. بين ثنايا النص وصف لحالة إنسان تخلص من أفكار الشياطين وتحكمهم به، بمجرد خروج الشياطين من هذا الإنسان ملك عقله وأصبح إنساناً سوياً وجلس عند قدمي المسيح يشكره جزاء خدمته. اقتباس نص من الإنجيل لم يكن لوصف حالة أبطال الرواية فقط، بل يتضمن كذلك السلاح الثاني الذي سيستخدمه دوستوفسكي لمهاجمة الشياطين، السلاح هو الإنجيل، ذلك الكتاب الذي ينكره الشياطين، هؤلاء الشياطين الذين يخرجون من المريض ليدخلوا في الخنازير هم جميع الجراح والقاذورات الصغيرة والكبيرة التي تراكمت خلال قرون في روسيا المريضة. الآن مقدمة الرواية تتضمن مقدمتين هما مفتاح الهجوم ضد الشياطين وتعريتهم أمام الملأ: بوشكين، الأب الروحي للآداب الروسية، والإنجيل.

انتهيت من كلامي بينما كانت ثيا تنظر إلي بابتسامة:
 - تعجبني عندما تتحدث كثيراً لأنك عادة لا تتحدث
 - أراهن أنك سمعت شيئاً من حديثي؟

ضحكت قائلة:

- لا تخف لقد سمعته كله لكن لماذا تحب هذه الرواية بالذات على ما يبدو لي أنك تحفظها مثل اسمك؟
- لربما لأنها تشبه أبي وأصدقاءه..

همست بصوت غير مسموع

- ماذا؟؟؟

- لا، لا شيء إن أبي يحب دوستوفسكي كثيراً وأنا مثله لقد أهداني أول كتاب في حياتي وكان لدوستوفسكي وأنت تعرفين ذلك..

قاطع حوارنا صوت رنين هاتف ثيا علمت بأنها والدتها لذلك قررت المغادرة بعد أن عانقتني وأعطتني محاضرة كاملة عن الراحة والانتباه إلى النفس وغادرت، أما أنا فأخذت إجازة مرضية لمدة ثلاثة أيام لأكون صادقاً كنت أشعر بأني بخير تماماً لكنني قررت استغلال الفرصة لكي أركز في هذه الشبكة المربعة وهذه الجثة، توجهت إلى غرفتي وفتحت خزانتي التي يحتفظ فيها الناس بأموال وأوراق مهمة ومجوهرات أما أنا فكنت أحتفظ بداخلها بكل شيء مريب وعجيب أخرجت الصندوق الأسود أول هدية أتلقاها من صديق أبي كما قال في عيد ميلادي السابع ما زلت حائراً حتى هذه اللحظة ماذا تعني هذه الهدية؟ شيء واحد عرفته وهو القلادة لربما كان هذا الرجل يعرف موهبتي المستقبلية فمن هنا ومن ذلك الوقت بعد أن لبست القلادة التي كتب فيها:

«ظل ستكون ظلاً للأموات» تغيرت وجهة نظري للحياة فأصبحت أرى كل شيء مملاً سخيفاً وأن الأحياء وحوش بشرية من هنا أردت أن أعتني بالأموات مثلما كان يفعل أبي وأكثر أيضاً لربما كان صديق أبي يعلم حقاً ما يدور في نفسي حتى لو كان في المستقبل البعيد، بعد ذلك اليوم تلاشى الخوف من قلبي الخوف من الأموات والجثث بل أصبحت أنجذب إليهم وأعطف عليهم، لكن إلى الآن لم أعرف ما الذي تعنيه السن والقناع؟ أما بالنسبة للكتاب رواية الشياطين فلربما كانت تحكي قصة والذي وأصدقائه لكن بشكل آخر كان أبي يقول دائماً: أرغب بتغيير العالم أرغب بإظهار أفكاره ولا يهم ما يقولونه عنا لكن ما هي هذه الأفكار؟ هل من الممكن أن يكون كان يريد أن يحتفظ بالجثث في منزله مثلي؟ لكن لا أظن ذلك لأنه كانت وقتها هذه المهمة سهلة جداً أسهل بكثير من الآن لأنه لا أحد يهتم ببساطة ثانياً لا يوجد حكومة لا يوجد كاميرات لا يوجد أسئلة وتحقيق وعلاوة على ذلك كنا نعيش في قرية غريبة لو تموت على قارعة الطريق فسيمشي من فوقك لأشهر عديدة بدون مبالاة إذاً ماذا كان يريد أبي؟ ما هي الأفكار التي كانوا يرغبون بإخراجها للعالم هو وأصدقائه والأغرب لماذا لم يجعلني يوماً أرى أصدقاءه أو أقابليهم حتى؟! رغم أنه قال في تلك المرة أصبحت واحداً منهم لكن كم عددهم ومن يكونون «البيتشيني»؟ لدي معلومة واحدة عنهم فقط وهم كانوا جماعة يقومون بتجميع الجثث بسبب كثرتها في أيام الطاعون الأسود فقط هذا ما أعرفه ومهما بحثت

عنهم لا أجد أي شيء لكن أعجبني كثيراً الاسم والمهنة لذلك
أخبرت أبي بأني أريد أن يسميني بهذا الاسم لكنه رفض وفي يوم
من الأيام عندما انتقلنا إلى المدينة بعد تخرجي من الابتدائية
وجدت مكتوباً في حائط غرفتي: «ظل البيثيني» عندما سألت
أبي بدا عليه الخوف والرعدة وظل يمسح الحائط يومين متتاليين
لم أسأله وقتها عن خوفه وغضبه لكن عندما انتقلنا من القرية
عاد أبي بشكل تدريجي للتصرفات الطبيعية وشعرت بأنه كأنه
يقوم بتهريبي من أحد ولا أعرف من؟

«أمي عادت من الهاوية»

١٩٩٠ م

لا أعلم إلى متى سأنتظر؟ لقد مللت العيش في هذا الجحيم
لقد فعلت كل ما تريدونه!

قالت أمي صارخة في وجه أبي كالعادة كنت وقتها لم أبلغ
السادسة بعد استيقظت من نومي في منتصف الليل بسبب
أصواتهما العالية تقدمت نحو الباب أولجت رأسي بهدوء لكي
أرى أن أمي وأبي كانا في صالة المعيشة وأصلاً لم أر أمي في يوم
واحد تنام في الغرفة نفسها التي ينام فيها أبي كانت أمي أغلب
الأيام تنام معي أو في صالة المعيشة وكان أبي مجرد فيروس
نحاول أن نتجنبه بقدر الإمكان كي لا تصاب بعدوى:

- لقد فعلت هذا من أجله بالطبع وليس من أجلنا أنا وظل..

قال أبي ببرود كالعادة

- ولماذا أنت تنتظر أن أفعل شيئاً من أجلكما؟ أخبرني؟ على
كل الأحوال أخبره حالاً بأنني أريد مقابله وفوراً..

قالت بحزم

- لكن أنتِ تعرفين أنه لا يقابل أي أحد..

- ماذا؟ أصبحت الآن أي أحد؟

قالت بصدمة

- بالطبع يا «كاثرين» أنتِ تعرفين أنه لا يعتبرك أي أحد ولا يعتبر أي أحد في العالم لديه شخص واحد يهتم لأمره فقط وكلانا نعرف ذلك إذاً هذا لا يغير شيئاً لأنك فقط في تلك الليلة نمتِ معه لا تظني أنه سيجعل منك شيئاً أنتِ لا شيء بالنسبة له..

قالت بعد أن ضحكت ضحكة مدوية:

- إذا أنتِ تعرف بذلك حقاً؟ أنتِ تعرف أنني قمت بخيانتك؟ ورغم هذا ما زلت تحتفظ بي أليس كذلك! حسناً أنا لا شيء بالنسبة له على الأقل أفضل من أن أكون خادماً له تصدق أنني أشفق عليك أنتِ مجرد وحش بشع نكرة لا أحد يحبك الجميع يتقززون وينفرون منك ماذا تتوقع؟ ليس لديك شكل ولا شخصية ولا حتى أخلاق ما أنتِ إلا علة على هذا الكوكب وتحاول أن تصنع لك شيئاً من تقربك من ذلك الخبيث ما أنتم جميعكم إلا على تشكيلة واحدة خبيثون وشياطين، سيأتي اليوم الذي أخرج فيه من هنا وأفضحكم جميعاً..

قالت أمي كلماتها القاسية كالعادة لأبي ولم يحرك ساكناً واكتفى بقراءة الكتاب الذي كان يمسكه بين يديه وشرب بعض

الشاي أما أنا فشعرت بنار تحترق في صدري لماذا أبي لا يفعل شيئاً؟ لماذا لا يدافع عن نفسه؟ لماذا لا يهجرها فحسب؟! الأدهى أنها قامت بخيانتة أيضاً وهو يعرف لكن يبدو كالصنم الذي بدون مشاعر..

٢٠٢٣ م..

هناك مليون سؤال في رأسي؟ لطالما كنت أحمل هذه الأسئلة معي طوال حياتي وتزداد يوماً بعد يوم أسبوعاً بعد أسبوع شهراً بعد شهر سنة بعد سنة من دون أن أجد لها أجوبة، بعد أن غادرت ثياقررت أن لا أدخل الاستديو ولا أدخل ذلك الموقع ولا أذهب أصلاً إلى القسم الثاني من القصر أردت أن أجمع شتات أفكاري وأنفسي يومي بشكل عادي وهادئ انتهيت من تناول الغداء حضرت لي كوب قهوة بدأت بتحضير أسئلة الاختبار النهائي لطلابي وصلت شحنات عديدة لي من لوحات وتحف اقتنيتها مؤخراً لكن لم أفتحها إلى الآن، أشعلت سيجارتي الأولى لهذا اليوم رن هاتفي وعابيت نفسي كان من الأفضل أن أجعله في وضع الصامت رفعت الهاتف إذ أراه رقم المحقق «نيكولاس» أوه تباً لقد نسيت أمره تماماً نسيت أنه عرض علي ذلك المشروع منذ ما يقارب أسبوعاً وقلت بأنني سأفكر وأنا نسيت أصلاً لم يكن لدي خيار آخر لذلك قمت بالرد عليه:

- مساء الخير أيها المحقق..

- مساء النور يا ظل ما الخطب؟ لقد اتفقنا أن ننادي بأسمائنا

الأولى

- أوه نعم مساء الخير يا نيكولاس

قال ضاحكاً:

- أنا الآن راض دعنا ندخل في الموضوع وأنت تعرفه لم ترد

علي بشأنه هل أنت موافق لتعاون معي أو لا؟!

سكت لثوانٍ ثم استرسل في حديثه وبدا مصرّاً:

- صدقني يجب أن تقول نعم

- ولماذا يجب أن أقول نعم؟

سألت بهدوء

- ستسأل الآن لماذا قمت باختيارك أنت بالذات بينما هناك

ملايين المحققين والأطباء الشرعيين والجنائيين وستقول

أنت مجرد بروفيسور في الجامعة صغير بالسن وطيب

جنائي ماذا ستفعل مع قضايا باردة لم تحل والجثث

أصبحت رماداً وهاكل عظمية أليس كذلك؟!

- بالطبع هذه الأسئلة التي دارت في رأسي،

- حسناً سأخبرك: لأنني كنت أراقبك منذ زمن...

- تراقبني؟؟

سألته بدهشة

- نعم منذ قضية الكابوس أنت الوحيد في ذلك الوقت الذي أثرت إعجابي وإعجاب الجميع بذكائك لقد جعلتنا نصل إلى سفاح كنا نطارده ونراه كالشبح منذ خمس عشرة سنة تقريباً صحيح أنه في نهاية الأمر هرب لكن لم أنسَ بذكائك وتشريح الجثة الوحيدة التي أظهرها لنا الكابوس من جثة واحدة وكانت خاطئة استطعت أن تعرف من القاتل لهذا أرغب بعقلك أكثر من تشريحك..

- لماذا هل الذين حولك أغبياء؟

سألت بسخرية

أجاب ضاحكاً:

- صراحة ليس لدي إجابة لهذا السؤال احتراماً للعشرة التي بيننا ضحكت وكانت أول مرة يضحكني شخص غريب وليس صديقاً لي على الرغم من أنه ليس لدي أصدقاء سوا ثيا علمت لربما سيكون صديقاً لي إنه يحمل شخصية مشابهة لشخصيتي لربما لديه جانب غريب مثلي لذلك وافقت:

- حسناً أنا موافق..

سمعت الحماس في صوته:

- أوه شكراً لك يا ظل سأخذ الموافقة من مدير المنطقة على هذه القضية ثم سنلتقي وأخبرك بجميع التفاصيل..

- حسناً أنتظرك وداعاً..

أغلقت الخط و عدت إلى وضعية الاسترخاء وأنا أشطف آخر نفس من السيجارة، رغم أنني أحاول أن أجمع شتات أفكاري وأحصل على بعض الهدوء والراحة إلا أنني أكذب على نفسي هناك رغبة شديدة تخبرني أن أنهض وأذهب إلى الاستديو الآن وأدخل إلى تلك الشبكة التي باسمي وهي بلغة غير معروفة حتى وتسمى لغة الشيطان! صحيح يجب أن أبحث عن هذه اللغة بما أنني عرفت ما هي بشكل جزئي لكن استوقفتني صوت رنين هاتفي يا إلهي لماذا أنسى في كل مرة أن أضعه على وضع الصامت؟ رفعت الهاتف إذ أراه رقماً غريباً يعود إلى هاتف عام لم استغرب لأن الكثير يتصلون بي من جميع المؤسسات والمعارض والجامعات وغيرها كنت أرغب بتجاهله وبالفعل تجاهلته لكن عاود الاتصال مرة ومرتين وثلاثاً كان المتصل مصراً جداً لهذا عزمت أمري وأجبت:

- مرحباً من معي؟

- مرحباً سيد «أليكساريس»؟

نعم تفضلي..

- معك إدارة مستشفى الأمل للصحة النفسية بمدينة «الوبران»

- أهلاً تفضلي ما الخطب؟

سألت بتعجب لأن هذه أول مرة أتلقى مكالمة من المصحة النفسية وأيضاً تقع في مدينة خارج العاصمة، علاوة على ذلك ليس لدي أي عمل في أماكن كهذه لماذا قاموا بالاتصال علي؟

- حسناً لدينا هنا مريضة سيتم إطلاق سراحها بعد الغد وبما أننا حريصون على عناية المريض وحتى عند الخروج نحرص على أن نسلّمه إلى عائلته أو أي أحد من معارفه وأقاربه، طوال الوقت كنا نظن أنه ليس لديها أي أحد لكن مؤخراً كانت تردد اسمك وترغب برؤيتك حتى توصلنا إليك..

- لحظة!! عمّن تتحدثين يا سيدتي؟ لربما أنك مخطئة أنا لا أملك أي أحد في الصحة النفسية!!؟!

أجابت بجدية:

- لا يا سيد «أليكساريس» نحن لسنا مخطئين أنا أتحدث عن والدتك السيدة «كاثرين سبستيان» أليست هذه والدتك؟؟

أنت كلماتها علي مثل الصاعقة التي ضربت دماغي لم أعد أسمع شيئاً من حولي سوى صوت طنين يصم أذني، دقات قلبي أصبحت متسارعة سرت الرعشة في جميع أجزاء جسدي من الداخل والخارج لدرجة شعرت حتى أعضائي الداخلية ترتعش، كنت أسمع صوت المرأة تناديني من خلف السماعة لكنني لا أستطيع الرد عليها أسمع صوتها وكأنه قادم من داخل بشر عميقة وكان لساني أصبح ثقيلاً وأصيب بالشلل مستحيل!! أمي لم أرها ولم أسمع عنها أي شيء منذ أن كان عمري خمسة أعوام وحتى الآن خمس وثلاثون سنة!! أمي التي غادرت بعد أن فلتت لي كلماتها القاسية التي لم أنسها طوال حياتي، أمي التي محرتنا بسبب أنها ترغب بأن تكون عارضة أزياء مشهورة جميلة

سحرة ذلك

العالم يتحدث عنها وعن جمالها لكنه لم يحدث ذلك، أمي التي لم تكن أمي أصلاً وكانت أمّاً بالاسم لم أشعر يوماً بأنها أمي بقدر ما شعرت بأنها أم أصلاً..!

- سيد ظل هل تسمعي؟؟

- نعم.. كان الصوت يقطع فقط..

قلت متداركاً صدمتي ململماً شتاتي بعد أن تناثر أحاول أن أخفي رجفة صوتي وخنفتي التي تكاد تخنقني:

- نعم هذا ما ظننت لذا السيدة كاثرين مؤخراً أعطتنا اسمك وقالت بأنك ابنها صراحة لا أعلم ما الذي بينكما وكيف علاقتكما بعضكما ببعض لكن يجب أن نتحدث معاً هل من الممكن أن تأتي إلى هنا؟

عم صمت لمدة دقيقة كنت مشتتاً ضائعاً تائهاً لا أعرف ما الذي أقوله أرغب بأن تنتهي هذه المكالمة فحسب لذلك أجبت:

- أوه نعم حسناً سأتي غداً..

- شكراً لفهمك يا سيد، سعيدة بأنك وافقت أنتظرِكَ إذاً..

أغلقت الخط وأنا ما زلت مشمراً أضع الهاتف على أذني غير مستوعب شيئاً غير مدرك على أمل أن هذا كابوساً من كوابيسي كالعادة وضعت الهاتف على الطاولة بصمت بقيت جالساً في مكاني حتى غربت الشمس حرفياً من الساعة الواحدة ظهراً وحتى السادسة مساءً جالس هكذا فقط أحرق بالحائط

توفعت كل شيء توقعت أن تلك الجثة في الاستديو ستنهض
وتسير لكن لم أتوقع أن أمي ستعود إلى حياتي! لم يوقظني من
سباتي إلا صوت قادم من الممر كان الصوت قوياً وكأن أحدهم
يركض ومر من جانب غرفتي!! استيقظت أخيراً من صدمتي
ونظرت نحو الباب كان مغلقاً نظرت إلى القهوة التي تجمدت من
البرودة السيجارة التي تحولت إلى رماد لأنني تركتها جهازي
اللوحي الذي بدأ يعطيني تنبيهاً بأن الشحن انتهى نظرت إلى
الساعة ورأيتهما السادسة تماماً، يا إلهي كيف لم أشعر بكل هذا
الوقت مر وأنا جالس هكذا وكأني كنت نائماً لكنني لست نائماً؟
نهضت من على الكرسي وضعت الجهاز اللوحي في الشاحن
وهاتفني كذلك التقطت كوب القهوة في يدي وخرجت من
الغرفة، كان الظلام قد سيطر على المنزل بالكامل كله:

- أليكسا أضيئي المنزل..

- حسناً يا سيد

أضيء المنزل بالكامل كنت أقف عند حافة السور المطل على
صالة المعيشة وعندما أضيء المنزل هنا لمحت ظلاً ما يقف ثم
تحرك بسرعة كبيرة ودخل أسفل السور من الجانب الآخر،
اكتفيت من الصدمات اليوم لذلك كنت أقول لنفسي لربما
الهلوسات ستعود إلي وأيضاً بسبب نفسيتي المدمرة بسبب
الصدمة التي تلقيتها قبل ساعات، تجاهلت الأمر تماماً نزلت إلى
المطبخ وضعت الكوب كان كل ما أريد فعله أن أذهب إلى أبي
وأخبره لكنني كنت متردداً أحتاج إلى أحد لكي أخبره أريد أن

أخرج ما بداخلي هل أخبر ثيا؟ لا أحب أن يشفق علي أحد لا أحب أن أخبر أي أحد عن بؤسي في الماضي وكيف تركتني أمي وكيف كانت حياتي أخبرت ثيا سابقاً أن أمي وأبي تطلقا فحسب وكذبت عليها بأن أمي بين الحين والآخر تتحدث معي لذلك لن أخبر ثيا ولا حتى أبي سيشعر بالاستياء والحزن ولربما سيمرض أحب أبي أمي كثيراً لكن في المقابل على ماذا حصل منها؟ لا شيء سوى الإهانات والخيانة والهجر، لم أكن أرغب بفعل أي شيء ولا أستطيع فعل ذلك أصلاً كل تفكيري كان في رحلة الغد إلى تلك المصححة لكي أقابل أمي التي هجرتني منذ ثلاثين عاماً لا أعرف كيف أقابلها هل ستتعرف علي؟ هل سأتعرف عليها؟ تلك المرأة الجميلة التي من جمالها كان الجميع في القرية يتهمون أبي بالسحر وأنه قام بسحرها لذلك تزوجته لأنه لا يوجد امرأة عاقلة تتزوج رجلاً أكبر منها وفقيراً ويملك أقبح وجه في العالم! لم أنم في تلك الليلة حرقياً كنت مفصولاً عن الواقع هاتفي يرن لربما ثيا وأصدقاء العمل يرغبون بالاطمئنان علي لكنني بالطبع لم أرد على أحد، استلقيت على السرير وأنا غير مبالي ولا مهتم حتى بالأصوات التي أسمعها لم أعد أدرك أين الحقيقة وأين الخيال وقبل أن أغفو أخيراً رأيت في زاوية غرفتي كلباً أسود كالعادة هو نفسه ذلك الكلب المخيف الذي قتله في حديقة منزلي قبل أيام والذي قتله الملاك الحارس قبل سنوات وأنا طفل في منزل أبي لكن اليوم إذا أراد الهجوم ونهش لحمي فأنا لن أمانع ولن أقاوم مات الشغف للقتال والنجاة..

أرى وجوه المارة جميعها بعضها مثل بعض هل أصبت أيضاً
 لأن بمعنى الوجوه؟ أم أنها حالة مؤقتة فقط؟ جسدي لا يكف عن
 التعرف أحاول أن أخفي رعشتي وتوتري وصلت إلى تلك المدينة
 لني لا تبعد عن العاصمة إلا ساعة واحدة بالطيارة كانت المدينة
 نيزر صغيرة جداً ومتواضعة أيضاً تعتبر شعبية حيث أغلب الناس
 الذين يعيشون بها يملكون منازلهم الخاصة كانت مدينة ريفية
 بمواصفات القرى لكنها مدينة متحضرة نوعاً ما، توجهت مع
 سائق خاص لأنني أعلم جيداً أنني لن أستطيع أن أقود وأنا بهذه
 الحالة في كل خطوة أخطوها يزداد توتري وهلعي أكثر وصلنا إلى
 المستشفى بسرعة لكنني شعرت أنه كالموت البطيء بعد أن
 أنهيت من إجراءات الدخول دخلت كنت أسير في الممر وأرى
 أنه يزداد طولاً يرفض أن ينتهي حتى وصلت إلى مكتب المديرية:

- مرحباً سيد أليكساريس تسعدني رؤيتك..

مدت يدها كنت أدعو الله أن تكون يدي جفت من التعرق
 قلت وأنا أصفحها محاولاً أن أكون شخصاً طبيعياً رغم أنني لم
 أكن يوماً طبيعياً:

- أهلاً شكراً لك أمل أنني لم أتأخر..

- على العكس أتيت مبكراً وهذا لم نتوقعه أصلاً ولم نتوقع
 أنك ستأتي لأكون صريحة

- ولماذا؟

- سألتها

- هكذا أغلب الأبناء خصوصاً إذا كانوا منقطعين عن أحد والديهم وعندما يكون أحد الوالدين هنا نتصل بهم لا يردون علينا وإذا قاموا بالرد يماطلون بالمجيء والبعض يقول بأنه لن يأتي ولن يهتم والآخر يقوم بالجحود والإنكار أن هذا والده أو والدته وهكذا، لكن أنت مختلف جداً حقاً أنت شخص متعلم ومثقف وتفكيرك رائع لا أرغب بالتدخل في علاقتكما لكن كوني أخصائية نفسية لقد صدمت عندما اعترفت كاثرين أخيراً بأن لديها ابناً وصدمت أكثر عندما قالت إنك أنت ابنها لكونك شخصاً ناجحاً جداً في المجتمع وخارجه ومشهوراً في البداية لم نصدقها ولكن عندما أخرجت صك وثيقة طلاقها من زوجها الذي كان اسمه ولقبه هو لقبك علمنا بأنها تقول الحقيقة..

سكتت قليلاً ثم أكملت حديثها:

- كنت أرغب بلومك لكن علمت مؤخراً بعد أن أخبرتنا كاثرين بأنها هي التي هجرتك أنت ووالدك لذلك لم تكن تتوقع أصلاً أن تبحث عنها لربما لأنك تكرهها بشدة على ما فعلته أخبرتني بأن لا أتعب نفسي وأتواصل معك لن تأتي لكنني قررت التواصل معك وأنت أتيت بسرعة حقاً إنك ابن رائع..

لم تكن لدي حقاً الكلمات المناسبة لقولها لم أستطع أن أعبر وأظهر مشاعري ما زال صوت الطنين يضرب في رأسي لم

لمستطع إلا أن أنهى هذا الحوار المطول لأنني أرغب بالانتهاء من هذا الكابوس:

- أين هي؟ ومنذ متى وهي هنا؟

كنت أتوقع أنها دخلت مؤخراً لربما كانت مدمنة لربما كانت لديها جميع الأمراض النفسية لربما كانت مشهورة وعارضة أزياء وانتهى بها المطاف مثل أغلب المشاهير بالإدمان والاكئاب بعد أن ترون في السن لكن لم يكن أي من هذا عندما قالت المديرية بحزن:

- السيدة كاثرين كانت هنا منذ ما يقارب تسعة وعشرين عاماً..!

هاوية أخرى ابتلعتني اتسعت حدقتا عيني تسارعت نبضات قلبي بعد أن هدأت قليلاً للتو شعرت بقشعريرة تسري في أجزاء جسدي تسعة وعشرون عاماً!! تسعة وعشرون عاماً وأمي هنا في المصحة النفسية؟ مستحيل هذا يعني أنه من اللحظة التي خرجت فيها من منزل أبي لم يستقبلها العالم الذي كانت تنتظره لم يستقبلها الشهرة لم يستقبلها المال والنفوذ والجمال والسلطة لم يستقبلها عالم الأحلام الذي كانت تحلم به وكل ما استقبلها هو المصحة النفسية! المصحة النفسية الوحيدة التي أخذت أمي بين الأحضان منذ تسعة وعشرين عاماً..

- ماذا؟ ماذا تقولين؟

قلت برفرفة وصدمة

- أعلم بأن الخبر كان مفاجئاً لك وصادماً لكن للأسف هذه الحقيقة كاثرين في هذا المستشفى عاصرت الكثير والكثير في حقيقة الأمر كاثرين في البداية دخلت السجن بسبب تهجمها على شخص كان قد حكم عليها أشهراً فقط وتخرج لكن للأسف في السجن كاثرين فجأة أصبحت عدوانية وقتلت امرأة معها كانت في السجن وعلاوة على ذلك أخرجت عينيها والتهمتها لهذا وطوال فترة المحاكمة لم نستفد شيئاً من أجوبتها كانت تهلوس وتكتب على الحائط كانت طوال الوقت تقول بأن هناك شياطين هم من قاموا بتوريطها في هذا الأمر وهم من قادوها إلى الجنون، حكم القاضي عليها بأن تقضي حكمها في المصحة النفسية وها هي بعد أن حصلت على تخفيف حكم أنهت محكومتها وستخرج..

يا إلهي كل هذا حدث لها إذاً أمي لم تكن تعيش حياة الرفاهية التي كنت أتخيلها لربما أنا كنت أعيش حياة رفاهية بالنسبة لحياتها:

- حسناً إذاً متى يمكنني أن آخذها؟؟

سألت وأنا أحاول أن أجعل المديرية تنهي حوارها وتسكت ولا تخبرني بمصيبة أخرى ثم ابتسمت وقدمت لي أوراقاً وقعت عليها وأنا أحاول أن أخفي رعشة يدي، أخبرتني بأنهم سيحضرونها بعد دقائق فقط علي الانتظار هنا وجهت رأسي إلى باب الغرفة أنتظر دخولها كان قلبي ينبض بقوة لدرجة أشعر بأن المديرية بالفعل تستطيع سماعه لم أعد قادراً على التنفس أفكر

بالهروب فحسب أفكر بالنهوض والركض كالأطفال وأفتح الباب
 وأغادر هذا المستشفى والمدينة بكبرها وأعود لحياتي أفكر
 وأفكر وأفكر ندمت على عدد حبات شعر رأسي لعنت نفسي مائة
 مرة لماذا أتيت؟ لماذا لم أتجاهل فحسب مثل الأبناء الآخرين؟
 لكن فات الأوان على الندم عندما سمعت صوت صرير الباب
 يفتح كالموت البطيء فتح الباب دخلت الممرضة إذا هي تمسك
 في يدها شخصاً يشبه كل شيء إلا أمي كاثرين تلك المرأة
 الجميلة التي كان عمرها ٢٨ عاماً جسدها النحيل الطويل قوامها
 المشقوق هيئتها التي كانت تبدو كعارضات الأزياء غزارة شعرها
 الأسود الطويل ملامحها التي كانت تبدو أجمل امرأة على هذا
 الكوكب، كاثرين تلك المرأة التي كانت تموت جوعاً لكنها
 تصرف نقودها التي تحصل عليها من بعد معاناة تصرفها في
 أدوات التجميل والملابس بدل أن تشتري لها طعاماً أو لابنها
 كاثرين التي كان جميع الرجال يرغبون بها وكانت كالحلم البعيد
 بالنسبة لهم! هذا كله كانت فقط ما ظهر الآن أمامي كاثرين
 بالاسم فقط الاسم الوحيد الذي احتفظت به وكل شيء اختفى
 وأصبح هباءً مشوراً، ظهرت أمامي امرأة طاعنة في السن وكان
 عمرها مئة عام وليس في نهاية الخمسينيات، بشرتها التي كانت
 منشقة وشاحبة البثور التي تملأ وجهها وأيديها التي كانت تبدو
 ممزقة وكان كلباً ما كان ينهش منها كل يوم، شعرها الذي أصبح
 بضع خصلات فقط بعد أن كان غزيراً بغزارة شعر الفرو، جسدها
 النحيل الذي بدأت العظام تبرز من جلده عيناها الغائرتان وجهها

الذي أصبح كالشبح أو الجثة الميتة حتى الجثث التي عندي
حالتها أفضل بكثير من حال هذه المرأة كانت باختصار كالمسوخ
كما كانت تلقب أبي وتسخر منه..

- ظل...!

قالت بصوت واهن متعب مهلك

- نعم.. نعم هذا أنا..

أجبت بتلعثم وأنا أحاول تجاهل النظر إلى عينيها..

- نعم يا سيدة كاثرين إنه ابنك تفضلي بالجلوس..

قالت المديرية وعلى ما يبدو هي السعيدة الوحيدة هنا بهذا اللقاء:

- لقد وقع السيد ظل للتو على أوراق خروجك تهانينا يا

كاثرين سنشتاق لك وأتمنى لك حياة هادئة وزاهية..

- زاهية؟

قالت بصوت خانق وخافت وكأنها تقول أي زهو سينتظرها

بعد هذه السنوات ثم التفت نحوي وقالت:

- لم أكن أتوقع أن تأتي.. لماذا أتيت؟

اكتفيت فقط بالصمت ولم أرد عليها لأنني بالفعل لا أعرف

ماذا أقول وكان الصمت هو سيد الموقف التفت إلى المديرية

وقلت:

- هل انتهى الأمر الآن؟ سنغادر؟

- أوه بالطبع انتهى كل شيء السيدة كاثرين لديها فقط هذه الحقيقة خذها معك سأظل أتواصل معك بشأن العلاجات والجلسات التي تحتاجها هناك ولربما من الأفضل بالطبع إذا كنت ترغب بأخذها إلى العاصمة سأقوم بتحويل ملفها..

- حسناً سأواصل معك عندما نصل إلى هناك

- شكراً وداعاً

قام الأطباء والممرضات بتوديع كاثرين بحب يبدو أنهم أصبحوا معتادين على وجودها وفي المقابل كانت كاثرين حزينة جداً وكانت تبكي كنت متعجباً من أن أمي أصبحت تبكي تلك المرأة القاسية الآن لديها مشاعر وتبكي لقد كسرتها الحياة بقوة والحياة عندما تكسر إنساناً مستحيل أن يصلح هذا الكسر..

أخذت أمي وصعدنا إلى السيارة ثم إلى الطائرة وحرقتاً طوال الساعات كان الصمت هو الحاضر فقط لم أتحدث إليها ولم نتحدث إلي لم أنظر حتى في وجهها ولم تنظر إلي عندما وصلنا إلى العاصمة وصعدنا إلى السيارة كنت متردداً في قلبي هل آخذ هذه المرأة الغريبة إلى منزلي؟ إنها حية والأحياء لا وجود لهم في منزلي، ثم نطقت أخيراً بصوت باهت:

- لا أرغب في الذهاب إلى منزلك ليس لأنه منزلك بل لأن ذلك الشيطان القبيح بالتأكيد ما زال يعيش معك..

أنت كلماتها كالصفعة على وجهي إذاً هي لم تتغير أبداً ما زالت تلك المرأة المتعجرفة ما زالت تنمر على أبي وتكرمه

وتكره أن تكون معه تحت سقف واحد، إذاً أمي لا تعرف حتى أن
أبي مات أو صحيح أبي ليس ميتاً:

- أنتِ ما زلتِ كما أنتِ لم تتغيري..

أجبتها

- المرء لا يتغير إلا إذا اضطر إلى ذلك أنا تغيرت في كل
شيء أو الجحيم الذي عشته غيرني كنت طوال الوقت
أفكر ما الذي فعلته في حياتي لكي أستحق كل ذلك؟

إذاً هي لا ترى نفسها أنها أذنبت لا ترى نفسها أنها فعلت شيئاً
خطأً عندما قامت بالهروب وترك ابنها ذي الخمسة الأعوام خلفها
لا ترى أن هذا ذنب:

- حسناً هناك شقة كنت أعيش فيها سابقاً وهي أحد
ممتلكاتي سأتركك فيها وأعطيك المفتاح..

- أنت حقاً لقد كبرت وأصبحت شابةً وسيماً أجمل بكثير
وفوق هذا ذكي وناجح وثري أتساءل كيف أصبحت هكذا
وأنت تربيت مع شخص نكرة وغبي وعديم شخصية؟
- توقي الآن!!

صرخت في وجهها

- لن أسمح لك بتجاوز حدودك مع أبي الشخص الوحيد
الذي جعلني أصل إلى ما أنا عليه الآن الشخص الوحيد
الذي علمني كل شيء في هذه الحياة الشخص الوحيد

الذي كان كظل لي الشخص الوحيد الذي لم يتخلّ عني
أبدأ على عكسك أنت وما الذي استفدت من تخليك
عني؟؟ لا شيء غير الجحيم الذي ابتلعك..

ضحكت ضحكة مستفزة ثم سكتت هنا عرفت أن أمي كاثرين
ما زالت كما هي ولم تتغير التزمنا الصمت حتى وصلنا إلى
الشفقة وقمت بإخبار الحارس أن يهتم بكل شيء ويساعدها في
التنظيف وأي شيء تريده يحضره لها وقبل أن أغادر بالسيارة
طرفت نافذة السيارة قمت بإنزالها ثم قالت بابتسامة:

- شكراً لك لأنك ما زلت تهتم بوالدتك لكن لا أظن أن هذا
الاهتمام سيدوم لفترة طويلة لأنهم لا أظن أنهم سيتركوني
في حالي بما أنني معك الآن أظن سيجن جنونهم والضربة
هذه المرة ستكون أقوى تصبح على خير يا ظل..

ذهبت ودخلت إلى المبنى وأنا أراقبها ما الذي تقصده
بكلامها؟ وعمّن تتحدث؟ تذكرت كلام الطيبة على ما يبدو أن
الجنون تمكن منها ولديها أوهام خاصة بأن أحداً ما يطارد هاراع
إذا الأم مجنونة والأب مجنون والابن مجنون عائلة من الجنون..

وبينما أنا في الطريق كان هاتفي يرن باستمرار وكانت ثيا اليوم
لم أتحدث معها إطلاقاً بالتأكيد ترغب بالاطمئنان علي إذا كنت
بخير أو لا؟ بالطبع أنا بخير جسدياً لكن نفسياً مدمر كلياً حياتي
التي استقرت أخيراً وحققت جميع أحلامي الآن أمي تظهر من
العدم وتسحب كل شيء لن أسمح لها بالتدخل والتوغل في

حياتي لم أعد طفلاً إنها امرأة أنانية وأنا أعرف ذلك جيداً هي
حتى لم تعتذر مني على ما فعلته هي حتى لم تمسك يدي هي
حتى لم تحتضني وتقم بشم رائحتي مثل بقية الأمهات هي لم
تفعل أي شيء حتى عيناها لم أر فيهما ذلك الاشتياق لي والحب
لا شيء عيناها كانتا فراغاً كفراغ مشاعرها تماماً..

أرسلت لثيا رسالة نصية لكي ترتاح وحتى لا تأتي إلى المنزل
لأنني لا أرغب بأن أقابل أي مخلوق على وجه الأرض أخبرتها
بأنني بخير وأنني أقضي وقتي مع أبي أرسلت لي كالعادة بأنها
تجنبني على عكسي كالعادة أتحدث معها مثل موظفي الاتصالات
الآليين، أرغب بأن أقول بأنني أحبها بشدة وأنها الشيء الوحيد
الجميل في حياتي لكنني لا أستطيع لا تخرج الكلمات مني لها
أرغب بأن أقول لها بأنني غارق في عينيها لكن لا أستطيع لأنني
غارق في العدم في الهاوية في البؤس أرغب بأن أقول لها
أنقذيني ساعديني لكن لا أستطيع أرغب بأن أجدف بقاربي
باتجاهها لكن أخاف أخاف جداً أن تغرق معي وأفقدتها، ماذا
أفعل؟ إلى من أذهب؟ وإلى أين أذهب؟ لا أعتقد حتى أن أمواتي
يتحملون كل هذا البؤس الذي أحمله في صدري لم أعد أطبق
حياة الاكتئاب والبؤس لكن لربما هذا هو قدرتي لربما سأغرق
في البؤس حتى آخريوم في حياتي أتساءل وهل جثتي أيضاً
ستكون غارقة في البؤس؟ من الذي سيهتم بي كما فعلت أنا مع
هؤلاء الجثث؟ لا يوجد إلا بطل خارق واحد ينقذ الأموات وهو
أنا لكن إذا مت فمن الذي سينقذني؟..

«الفصل الثاني والعشرون»

«أحاضر شبحاً يحاصرني؟»

«بأ»

طوال الوقت أشعر بأن هناك من يراقبني؟ أصبحت مؤخراً ألفت يميناً ويساراً وخلفي مئة مرة لا أعرف لماذا هذا الشعور يعتريني لم أشعر به من قبل حتى وأنا أطارد الكابوس، هل تعرف شعور أنك تسمع أصوات خطوات من خلفك وأنت تسير لكن عندما تلتفت لا ترى أحداً؟ هل تعرف شعور أن تشعر بأن أحدهم ملتصق بك حتى وأنت مستلقٍ تشعر بأن أحدهم يتنفس في رقبتك وثانية واحدة فقط ويقوم باحتضانك تشعر بحرارته وتسمع أيضاً صوت دقات قلبه من شدة الالتصاق بك لكن في كل مرة ألتفت لا أجد أحداً! ذلك الشعور غير المريح عندما أكون أعمل على جهازي وألمح بطرف عيني أحداً ما يقف لا أعرف من هذا الأحد وكيف يكون ومن يكون لكن الأهم أنني مدركة أن هناك أحداً، هذا ما أصبحت أشعر به مؤخراً منذ أن أصبحت طيبة ذلك الفتى المراهق الذي قام بقتل والديه بدم بارد، كان اليوم لدي جلسة بعد المغادرة من منزل ظل توجهت فوراً إلى المنزل تحممت سريعاً بدلت ملابسي قبل أن تراني أمي لكي لا تفتح معي تحقيقاً كاملاً

تجهزت سريعاً وخرجت، وصلت إلى المستشفى كانوا لم ينهوا بعد إجراءات النقل للمريضة «أيلا» لذلك وقعت على بعض الأوراق وتوجهت إلى العيادة عادة لا أحضر مرضاي المحكوم عليهم أو يتم محاكمتهم في عيادتي الخاصة ودائماً ما تكون جلساتهم في المستشفى والجناح الخاص بهم لكن اليوم أخبرت المدير أن يسمح لي بإحضار ذلك المراهق إلى هنا رغم أنه رفض في البداية لكن أقنعته بأنه بالطبع سيكون معه حارس شرطي وممرض وسيكون مقيداً بالطبع، دخل الشاب مع الشرطي والممرض إلى عيادتي بدأ يتأملها بابتسامة وينظر إلى كل زاوية ثم أمره الحارس بالجلوس على المقعد المخصص له:

- شكراً لك لأنك أخرجتني من تلك الغرفة البيضاء

قال لي بابتسامة مستفزة

- العفو لكن يجب أن يكون هناك مقابل لكل شيء أليس كذلك؟

- سأفعل كل ما بوسعي..

بعد أن غادر الحارس والممرض بالطبع يقفان خارج الباب، بدأت بتقليب أوراق ملفه ونتائج جلساته الماضية:

- لا أرى أنك تقدم أي نتائج جيدة أو أنك لا تريد ذلك أظن أنك ترغب بأن تمثل دور المجنون لكي يتم الحكم عليك بالبراءة تحت المراقبة مجنون وشاب لم يكمل الثماني عشرة سنة أليس كذلك؟

أنت ذكية جداً أيتها الطبيبة يبهرنني ذكاؤك صحيح ما قلتِه
لكن أنا أنتظر الأوامر فحسب..

أجاب برود

- أوامر من؟

سألته

- الضيف..

هنا نبض قلبي بشدة طوال الوقت كنت أجاري كريستيان في
جنونه كنت أظن أنه مريض نفسي وهو بالفعل مريض لكنني لم
أكن أتوقع ولا واحداً بالمائة أن يكون لديه السبب نفسه الذي
يكون سبب «أيلا»! تلك الفتاة التي تبعد عن «كريستيان» ملايين
دنانير المترات أيلا مهاجرة أجنبية وكريستيان مواطن ويسكن
هنا كيف يمكنهما أن يتحدثا عن شخص واحد «الضيف» ويقولوا
إنه السبب في قتل عائلتيهما؟ تداركت الموضوع حاولت أن
أخفي توترتي قمت بالتمثيل وكأنني لأول مرة أسمع به:

- الضيف؟؟! ومن يكون هذا؟

سألته

أجاب بابتسامة كالعادة وهو يسرح في الفراغ:

- لقد اختارني من بين ملايين الأطفال قال لي بأنه يرى في
ابنه الوحيد لقد شجعني على الخلاص والحرية لقد
حولني من لا شيء إلى شيء..

- وهل سبق وقابلته؟
- إنه يظهر لي لكنني لا أستطيع رؤيته أنا أسمع صوته في رأسي فقط يقول بأننا سنتواصل عبر الأفكار..
- إذا أنت لم تر وجهه أبداً؟
- أي وجه؟؟ لديه الكثير من الأوجه ولديه الكثير من الأسماء لكنه يأتي كالضيف الذي يرغب في الارتياح قليلاً من مجهود السفر وأنتِ يجب عليك أن تقومي بالواجب وتعطيه كل الضيافة..
- وهل والداك كانا يعرفانه؟
- لا بالطبع هو يعرفني أنا فقط وقال لي إن الوالدين ليسا مهمين في هذه الحياة وإنهما لا يفعلان أي شيء سوى أنهما يقومان بسرقة حقوق الأولاد..
- وهل أخبرك بأنه سيقوم بزيارتك مجدداً؟
- بدأ ينظر يميناً ويساراً بابتسامة حماس ثم قال:
- لربما هو هنا معنا..
- حاولت أن أخفي توتري وخوفي فأنا أعلم جيداً بأنه يحاول إخافتي في كل مرة ليس أول مريض يتصرف بهذا التصرف أنا معتادة لكن لا أعلم لماذا شعرت بالخوف أجبت بابتسامة كاذبة:
- إذا رائع أتمنى أن يكون مرتاحاً في عيادتي فهو في النهاية ضيف..

انتهت الجلسة التي شعرت بأنها ثقيلة جداً لم أكن أرغب في
فعل أي أنشطة أخرى استأذنت وعدت إلى المنزل كي أرتاح
رأيت مذكرات أيللا أمامي كنت أرغب بفتحها لكنني استسلمت
للنوم..

«ظل»

هل أنا

حقاً أنا؟/

ويقول جندي:

أنا أيضاً. أنا لا شيء يُعجبني. أحاصرُ دائماً شَبْحاً
يُحاصرُني!

يحب أبي هذه القصيدة للشاعر العربي محمود درويش،
ودائماً يردد هذا البيت خصوصاً أتساءل هل أبي يقصد بالجندي
نفسه؟ ومن يكون الشبح الذي يحاصره على الدوام؟ هل للشبح
وجود أم أنني أشعر طوال الوقت كأن أبي يهرب من نفسه؟
أغلقت كتاب قصائد محمود درويش بعد أن قرأتها لأبي كالعادة
للمرة المئة أعطيته أدويته كنت متردداً جداً هل أخبره أن أمي
عادت؟ هل أخبره بأن تلك المرأة التي تكرهه كثيراً وتخلت عنه
عادت الآن وهي نفسها لم تتغير وكل ما تغير هو شكلها فقط،
لم تعد أمي جميلة يا أبي لم تعد تلك المرأة التي أحببت

شكلها لكن لا أعتقد أنك أحببت روحها رغم هذا كنت تتحملها كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وكل ثانية كانت كلماتها كالموت البطيء لك ولا أعلم لماذا لم تتخل عنها أنت؟ هل أخبرك يا أبي أن تلك المرأة لم تقض حياتها كما توقعنا أن تلك المرأة كانت حياتها كالجحيم لقد كانت تقول دائماً بأن حياتها معنا جحيم لكن الجحيم الحقيقي احتضنها عندما خرجت من منزلنا، هل ستكون سعيداً وتشمت بها إذا أخبرتك أنها قضت سنوات حياتها كلها بين جدران السجن وجدران المصحة النفسية؟ حتى أنا كنت أريد أن أشمت بها لكن لم أستطع ولم أسعد لأنها كانت في الجحيم لربما أصلاً هذا لأنني لا أملك مشاعر لكن ماذا عنك؟:

- هل تحبها؟

دخل صوت أبي إلى عقلي لم يتحدث معي أبي منذ فترة والآن سألني هذا السؤال:

- تقصد المرأة التي تدعى أمي؟

- نعم..

سكت قليلاً لثوانٍ معدودة:

- لا أعرف، أنا لا أعرف حقاً يا أبي لم أشعر حتى مع وجودها بأنني كنت أملك أمّاً أنت تعرف أنا أحبك في حياتي فقط أنت وعائلتنا ووثيا..

سكت قليلاً ثم قال:

- هل يجب أن تكون مثلي لكي تحبها؟ لربما ستكون أمّاً
حقيقية وقتها، تصبح على خير يا ظلي..

خرجت من غرفة أبي بعد أن تركته ينام لكن الجملة الأخيرة
التي قالها ما الذي كان يقصد بها أبي؟ هل يقصد إذا كانت أمي جثة
سأحبها وستكون أمّاً حقيقية؟ هل من المعقول أن أبي يلمح لي إلى
أنه يريد أن تنضم أمي إلى عائلتنا؟ لكن أمي ما زالت حية..!

ذهبت إلى دورة المياه قمت بالاغتسال كنت ما زلت أشعر
بأن هذا اليوم كان كابوساً لكن يرفض الانتهاء وقفت أمام المرآة
أرى نفسي لكنني لست نفسي صورتي في المرآة كنت أنا لكنني
لست أنا هناك شيء مختلف ولا أعرف ما هو؟ أول مرة أرى
نفسي وكأنني لست نفسي ما الذي يحدث معي؟ لربما تراكمت
علي الصدمات ولكن من الطفولة وهي تتراكم حتى ستكون جبلاً
أو ناطحة سحاب مكونة من صدماتي ستخترق السماء وتمتد إلى
النضاء وأنا في القاع:

- من أنت؟

سألت بغباء عكسي الذي في المرآة لم أجد ردّاً بالطبع ثم
عادرت السؤال:

- أخبرني من تكون أنت؟؟

- أنا ظلك..!

أتى الصوت من عكسي القادم من داخل المرأة فزعت وشهقت وتراجعت إلى الخلف بسرعة حتى اصطدمت بجسدي في الحائط حاولت أن أتمالك نفسي وأكرر أنها هلاوس كالعادة أنا أتخيل فقط لم أنه من تجميع شتات أنفاسي إلا وسمعت صوت طرقات على باب الحمام!! هنا أمسكت قلبي لكي لا يقع كتمت أنفاسي من يطرق على باب حمامي وأنا أعيش وحيداً؟ وبدون كثرة أسئلة وبدون تردد فتحت الباب بسرعة ولم يكن هناك أي أحد:

- أليكسا هل هناك أحد في غرفتي؟؟

سألت أليكسا كالعادة وأتى الجواب الصاعق منها:

- نعم يا سيد..

أجابت بيروود بالطبع تمنيت أن أكون بدلها جهازاً آلياً معلقاً في السقف ليس لديه أي مخاوف ولا هموم:

- أليكسا أنتِ مخطئة ربما تحققي من الكاميرات والنظام هل هناك أحد في غرفتي؟..

- نعم يا سيدي وأنا لست مخطئة..

بدأ قلبي بالخفقان بسرعة هل أهرب من الغرفة؟ لا أنا لست جباناً هل هولص؟ أتمنى ذلك صراحة، أوه لربما كانت كيارا فهي في بعض الأحيان تأتي إلى هذا القسم من القصر أتمنى ذلك أيضاً:

- أليكسا أين هو؟

سألته بصوت يرتعش:

- إنه أسفل السرير..

أجابت..

أخذت نفساً عميقاً وتقدمت بخطوات حذرة نحو السرير وفي يدي عصا اليبسبول وصلت أخيراً وأمسكت طرف المفرش وبحركة سريعة رفعته وأنزلت جسدي إلى الأسفل لكن لم يكن هناك أي أحد! تنفست بقوة واتكأت بظهري على الطاولة التي بجانب السرير حسناً إنها مجرد جهاز لعين وبالطبع يخطئ مئة مرة هذا طبيعي يجب أن أهدأ يجب أن أركز تراكمت علي الأحداث الكثيرة هل أتناول مهدئات؟ لكن الطبيب منعني منها إذاً ماذا أفعل؟ كان اليوم طويلاً جداً وأثقل يوم في حياتي سأختار النوم فحسب النوم مهرب للجميع لكن أنا حتى النوم يهرب مني لكن لا أعرف كيف غفت عيني وكيف حتى وصلت إلى السرير بعد أن كنت جالسا على الأرض..

أرى أحداً ما أو شخصاً ما يمسك بيدي ويقودني إلى مكان لا أعرف ما هو الغريب أنني أرى نفسي وأنا ما زلت طفلاً ولست بهذا العمر، أسير معه في مكان بارد ومظلم والرؤية شبه معدومة من شدة الضباب نسير ونسير معاً بدون توقف الغريب أنني لا أستطيع رؤية وجه ذلك الرجل الذي أسير معه كان طويلاً طويلاً جداً للدرجة أنني عندما أنظر إلى الأعلى لكي أرى رأسه لا أستطيع ورأسه غارق في الضباب وكأنني أسير مع جسد فقط بدون رأس! ما زلنا نسير حتى وصلنا إلى مكان أو اتضححت الرؤية وانقشع الضباب فجأة رفعت عيني لأرى أمامي مقبرة

عملاقة ضخمة وكأنها مدينة كاملة بدون مبالغة كان هناك مئات القبور أو ملايين حتى كانت تبدو وكأنها مملكة كاملة للأموال، تقدمنا نحو باب المقبرة الضخم الحديدي ذي النقوش العجيبة أخرج الرجل مفتاحاً من جيبه وفتح الأقفال ودخلنا كنا نسير بين المقابر وأنا مبهور تماماً كانت المقابر فوقها بعض المجسمات والمنحوتات بعضها كنت أعرفها والآخر أول مرة أراه في حياتي، حتى وصلنا إلى قبر أو لا ليس كذلك كانت منصة دائرية وكأنها نفسها المنصة التي أقمنا عليها حفل عيد ميلادي السابع أنا وأبي ولكن تبدو أكبر كان في منتصفها كرسي من حجر وكان فوقها منحوتة أنا أعرفها جيداً كانت عملاقة وضخمة كان رجل ذو وجه وملامح شديدة القوة والعصبية والغضب يمسك بشعر امرأة كانت تحته تحاول الهرب وهو يثبتها بقدمه وفي يده الأخرى سيف عملاق يحاول أن يذبحها!! فجأة تحول المشهد أمامي بشكل مرعب إلى حقيقي صرخت المرأة بقوة تحاول أن تفلت وتهرب من الرجل تمد يديها محاولة أن تستنجد بأحد لكنها تنظر إلي تنظر نحوي! أرفع عيني لأرى شعرها يتحول إلى شعاب سوداء مخيفة تتحرك يميناً ويساراً تحاول أن تنقض على يد الرجل الذي يمسك بها! قلبي أصبحت دقاته سريعة جسدي يرتعش من صوت المرأة المستمرة بالصراخ والشتم صوت الأفاعي التي في رأسها كنت أرتجف بشدة فجأة ضغط الرجل على يدي قائلاً بصوته الضخم:

- لا تنظر إليها لا تدع عينيك تلتقيان بعينيها..



لم أستطع أيضاً رؤية وجهه ولم أنظر إليه أصلاً كل نظري كان
مبتأناً على مشهد الصراع الذي أمامي ثم سألته بصوت خائف:

- لماذا؟؟

- لأنك ستتحول إلى حجر..

أجاب،، وبعد إجابته أطلقت المرأة صرخة مدوية متألّمة
لدرجة شعرت بأنني سأفقد طبلية أذني أغمضت عيني بقوة ولم
أفتحهما إلا بعد أن عمّ الهدوء وعندما فتحتهما رأيت الرجل
يتسم ابتسامة نصر بعد أن كان يمسك برأس المرأة في يده ثم
قال وهو يمد الرأس نحوي:

- تفضل «يا ظل» هذه هدية بسيطة منا إليك..

نظرت إلى الرأس وأنا مرعوب بأعين خائفة ثم قلت بصوت خافت:

- هدية منكم من تكونون أنتم؟

- نحن «البيتشيني» وأنت قائدنا المستقبلي..

- ومن قائدكم الحالي؟؟

نظر إلى الأعلى إلى الرجل الذي كان يمسك بيدي ثم قال
بابتسامة وكأنه رأى للتو الإله الخاص به:

- هو إنه والدنا «زيل»

- زيل؟؟!

رفعت رأسي ونظرت إلى رأس الرجل وهنا اتسعت حدقتنا
عيني وشهقت ورغم أنني كنت أحاول أن أسحب يدي من يده إلا

انه ضلحط على يدي الصغيرة بقوة لدرجة سمعت صوت تحطم اصابع يدي، كان نفسه ذلك الرجل أو الجنة بلا ملامح هي نفسها التي تستلقي في الاستديو الخاص بي خصوصاً عندما نظرت إلى يديه الضخمتين وكان يلبس الخواتم الغربية التي يلبسها الان واخيراً اطلقت من نومي وحادرت أعرب وأطول كاهوس اراه بحياتي الغريب أنني فتحت عيني بهدوء بدون أن أشهق أو اصرخ بدون أي ردة فعل على ما يبدو أصبحت معتاداً على جولة الكوايس التي تأتي من هذه الجنة ..

حتى جسدي لم يكن متعرفاً كالعادة نبضات قلبي منتظمة وطبيعية لا يوجد رجفة لا يوجد رعشة لا داخلية ولا خارجية اعتدلت في جلستي نظرت إلى النافذة اراقب شروق الشمس لتعلن عن يوم جديد اشعر بمشاعر غريبة لا اعرف ما هي؟ لكنني اشعر بانني مختلف كثيراً اشعر بان روعي أصبحت أقوى وكانني لم اكن في كاهوس وكانني اتيت من معركة متصراً وكانني تمكنت من كل الأعداء وقتلت جميعهم بدون رحمة وكانني قتلت نفسي القديمة حتى اشعر بجنون عظمة وأنا جالس فقط على سريري في غرفتي ولا اعلم ما السبب؟ في إحدى فترات حياتي أصبت بهذا المرض جنون العظمة لا أتعجب من انه الان عاد مرة أخرى وبشكل أقوى لكن ما السبب؟ بالطبع لاني مختلف وساكون أكثر وأكثر اختلافاً في الأيام القادمة وعلى ذكرى المعركة تذكرت هذا الكاهوس ذلك الرجل الجنة بدون ملامح مرة أخرى هو من يجعلني أرى هذه الكوايس

بالتأكيد لكن كل كابوس خلفه معنى ودروس تعلمني لكن ما هو هذا الدرس؟؟

أنا أعرف جيداً عن هذا الكابوس الذي رأيته كان ذلك المجسم يعود إلى قصة ميدوسا في الفن اليوناني القديم! ما العلاقة عندما جعلني أشاهد هذا الشيء وكأنه حقيقي؟

وصلتني رسالة نصية قاطعت تفكيري من مدير المتحف الذي كنت سأشارك به بعد شهر:

- صباح الخير بروفيسور أليكساريس كنت أرغب بتذكيرك بتقديم تحفك الفنية الرائعة التي ينتظر الجميع ظهورها في المعرض أتمنى أن لا تشغل كثيراً حتى يكون لنا الشرف بوجودك أنت وتحفك هنا معنا وشكراً..

نعم صحيح تذكرت أنني لم أصنع التحف التي كنت أرغب بصنعها صحيح لدي تحف كثيرة لكن كنت أرغب أن أظهر بمظهر جديد مختلف كلياً أنا أشعر بأن هذا الكابوس كان رسالة لي لكي أوصل إبداعي بدون توقف، نهضت من على السرير توجهت إلى الحمام أخذت حماماً سريعاً ارتديت ملابسني وضعت العطر الذي تحبه ثياباً سرحت شعري قطرت بعض قطرات العين لتصفية الرؤية وتنظيف عيني لربما أحتاجها كثيراً هذه الأيام خرجت ذهبت إلى المطبخ صنعت فطوراً خفيفاً لأبي وصنعت لنفسني فرانش التوست لا آكله كثيراً لكن اليوم شعرت بأنني أريد صنعت كوب قهوتي السوداء فتحت جميع النوافذ لدرجة شعرت

بأن الشمس أصبحت جالسة رسمياً في القصر أحب هذا الشعور
أخبرت أليكسا أن تشغل لي بعض الموسيقى الصباحية فإن
شعوري اليوم مختلف رغم أن ثيا شخصتني سابقا بأنني لا أملك
مشاعر تجاه أي شيء، بعد أن تناول أبي إفطاره وقرأت له كتابه
توجهت إلى الاستديو عندما دخلت رأيت الجثة ما زالت على
حالتها منذ يومين مستلقية على طاولة التشريح إنها حقاً تتحرك
في الوقت الذي تريده لم أقرب منها وتوجهت إلى الحاسوب
فتحته وبدون أي مجهود فتح لي الشبكة نفسها شبكة «ماريانا»
أولاً شيكت على موقعي بيتشيني كانت هناك مئات الرسائل
أغلبها أسئلة ما إذا كنت أبيع أعضاء الجثث؟ مضحكون حقاً هذا
همهم الوحيد خرجت من موقع بيتشيني توجهت إلى الشبكة
الجديدة ماريانا هم حقاً جادون وكل شيء هنا بهذه اللغة لغة
الشیطان حسناً كيف يمكنني أن أتعامل مع الشبكة وأنا لا أعرف
هذه اللغة؟ هل يريدونني أن آخذ كورس في هذه اللغة؟ مستحيل
أنا لا أملك الوقت قلت ساخراً وأنا أضع في فمي سيجارة
وأشعلها حتى رأيت كالعادة الشاشة تتحرك من تلقاء نفسها وكأن
هناك هكر طوال الوقت يتحكم بها لم أعد أتفاجأ ولم أعد أصدم
ككل مرة، بل على العكس انتظرتها حتى تنتهي من عرض
الصفحة التي تريدها وهنا عندما عرضت الصفحة استقمت في
جلستي بتركيز كانت صورة لرأس بشع مشوه بالكامل مليء
بالندبات والدماء كانت امرأة والرأس كان حوله أفاع شكلها
مرعب وغريب أيضاً هذا يوحى إلى الكابوس نفسه الذي رأيته!



ثم قمت بالكبس على زر الإدخال انتقلت إلى صفحة أخرى
وكانت كلها كتابة لكن بتلك اللغة الغربية رائع كيف سأعرف ما
هذا وعن ماذا يتحدث؟ لم أستطع أن أكمل البحث والتعمق حتى
وصلت رسالة نصية أفسدت مزاجي تماماً:

- مرحباً يا ظل هذه أنا والدتك لقد أخذت رقمك من
الحارس هل من الممكن أن نلتقي؟ أرغب بزيارة منزلك قم
بتصريف والدك إلى أي مكان أريد أن أخبرك بشيء مهم..

وضعت الهاتف وأنا أضحك هي تريدني أن أقوم بتصريف أبي
من منزله إلى أي مكان لكي تأتي هي حسناً لا بأس لن أهرب
بعد الآن سأواجهها وسأرى ما الذي ستقوله ما الذي لديها غير
شتم وإهانة أبي؟ سنرى..

«اصنع ميدوسا الخاصة بك»

ترجمت هذه الكلمات فجأة على الشاشة يبدو أنهم تعبوا مني
لبي تعلم لغتهم الخاصة لكن ما مشكلتهم مع ميدوسا؟ ولماذا
هي مهمة لديهم كل ما أعرفه أنها أسطورة يونانية خيالية حسناً
سأعرف الآن من تكون ميدوسا ولماذا يريدونني أن أصنعها؟؟..

«أين السبيل إلى الجنون دلني؟!»

المحقق: نيكولاس دولوريس..



«الفصل الثالث والعشرون»

«لا مفر من الجنون إذا كنت أنت الجنون»

نيكولاس..

لطالما كان هذا شعار حياتي منذ أن خلقت على هذه الأرض الجنون فقط هو من يحتويني من فوقي جنون ومن تحتي جنون عن يميني جنون وعلى يساري جنون أتنفس بالجنون أنام لأشاهد الجنون في كوابيسي أستيقظ على واقع مجنون كل من حولي مجانين جنون مجانين جنون فقط!

أمي التي دخلت في المصحة النفسية فجاءة وأنا بعمر الحادية عشرة فقط وانتحرت بعد شهر من مكوثها هناك كتبت رسالة لي وقالت إنها لم تعد تتحمل هذا الجنون الذي يأكل رأسها، شقيقتي الكبرى التي أطلقت النار على رأسها فجاءة حتى تناثر دماغها ودمها في أرجاء غرفتها وسقطت ميتة كان عمرها عشرين عاماً فقط، لا يوجد شيء أكثر جنوناً من بعد أن انتحرت شقيقتك لا يوجد أحد غيرك في المنزل سوى شقيقتك الصغرى والدتك سبقت ابنتها الكبرى في ماراثون الانتحار تريد أن تخفف عن مصيبة والدك حتى لا يدخل في الماراثون معهما شقيقتك الصغرى ما زالت طفلة لا تستطيع تنظيف بقايا دماغ شقيقتها

الكبرى إذا أنت الوحيد الذي يجب أن تتدارك الموقف تدخل إلى غرفتها تنظف الفوضى بعد انتحارها تلتقط قطع اللحم المتناثرة تمسح الدماء التي تبيست تنظف لمدة عشر ساعات ثم تكون البقع ما زال لها أثر أدركت أنه من المستحيل أن تختفي، تنتقل من منزل مع والدك وشقيقتك الوحيدة على أمل أن يدعنا الجنون وشأننا قال أبي لربما هذا المنزل مشؤوم لربما مسكون بالجنون لربما المدينة بكبرها مجنونة لذلك خرجنا منها تاركين الذكريات السيئة بجنونها خلفنا، أسسنا حياة جديدة نحاول أن نتناسى ما حدث وحتى بعد سنوات وبعد انتهائي من الجامعة عاد الجنون إلى حياتنا حيث مات أبي بطريقة بشعة جداً من قبل سفاح مجنون أبي الذي حاول أن يهرب بنا من الجنون اكتشف أن الجنون لا مهرب منه وأنه يسيطر على هذا العالم لم يكن أبي في يوم واحد حتى أو في لحظة واحدة سيئاً كان أبي أطيب مخلوق على وجه الأرض ورغم الجنون الذي حدث في الماضي إلا أنه كان متماسكاً واعتنى بنا أنا وشقيقتي والآن خطفه الجنون منا..

لا أستطيع أن أكتب الكثير عن حياتي البائسة المجنونة لأنني يا سادة كما تعلمون فأنا لست الشخصية الرئيسة في هذا الكتاب فالشخصية الرئيسة أشد جنوناً لكنني لا أعرف بعد، حسناً بعد أن مات أبي بتلك الطريقة البشعة عزمتم على نفسي أن أمسك بذلك القاتل المجنون دخلت في كلية الحقوق والشرطة لكي أصبح محققاً أخفقت مئة مرة لأنه لم يكن أحد يعطيني فرصة لم يكن

أحد يؤمن بأفكاري ويعتبرونها مجنونة وخيالية لم أهتم درست تاريخ وتحليل سلوك المجرمين أصبحت محققاً ومحللاً جنائياً كنت أسبق الزمن حتى لا يقوموا بإغلاق القضية فهم مجرد مجموعة كسالى فاشلين يستسلمون بسرعة إذا لم يجدوا القاتل وينسون الموضوع بينما أهالي الضحايا يعانون ولا ينسون حتى بعد وفاتهم، أصبحت أتربص للقاتلين المتسلسلين الذين هم من فئة A ومعنى هذه الفئة هم القاتلون الأشد قسوة على ضحاياهم وأذكي مخلوقات الأرض أغلبهم وكأنهم يحملون في رؤوسهم خمسة عقول وليس عقلاً واحداً من شدة ذكائهم لا أعرف لماذا ميزهم الله بهذه الكمية من الذكاء رغم أننا ندعوهم بالمجانين! تعب وتهلك نفسياً وأنت تحاول أن تجاري عقولهم وذكاءهم المخيف رغم هذا كنت أحاول أن لا أنخرط إلى عقولهم لأنه لو ابتلعك عقل مجرم ذكي صدقني ستغرق تماماً ولن تنجو أبداً سعت طوال هذه السنوات قبضت على الكثير قتلت الكثير كنت حتى المجرم الذي لا يكون مسلحاً ويسلم نفسه أقوم بقتله لأن ابتسامتهم تستفزني جداً يفضلون أن يذهبوا إلى السجن لماذا؟ لأنه بالطبع قانونٌ رحيم بهم البعض يمثل الجنون فيتم تحويله إلى المصححة النفسية ثم بعد سنوات يقومون بإخراجه وكأنه لم يقتل عشرة أشخاص! والبعض يبقى بالسجن بدون إعدام لأن قانوننا لا يعترف بالإعدام إلا نادراً والبعض يهرب والبعض يحصل على واسطة خصوصاً إذا كان ثرياً ويخرج ببساطة لذلك أفضل قتلهم في أرض المعركة..

قصتي الفعلية أدركت أنها لم تبدأ مع قتل أبي لكن بدأت قبل خمسة أشهر عندما وجدت مجموعة أشرطة فيديو غريبة ومرعبة وغير مفهومة طوال الخمسة الأشهر وأنا أحاول أن أفك أو أفهم شفرات فيديو واحد فقط باقي التسجيلات لم أشاهدها شاهدت ثلاثة فقط ومن بعد الثالث أصبحت الكوابيس المفجعة لا تفارقني رغم أن حياتي كانت مليئة بالجنون لكن لم أر هذا القدر من الكوابيس المفجعة الكوابيس التي تنتقل معك من المنام إلى الواقع بدأت بمتابعة حالتي مع طبيب نفسي أخبرني لربما هذا كله بالتأكيد من طبيعة عملي لكن أنا أعمل في هذا المجال منذ ما يقارب ثمانية وعشرين عاماً صحيح أنني أتأثر في مرات لكن ليس بهذا القدر حيث إنني معتاد على كل أنواع الجنون، شاهدت فقط ثلاثة تسجيلات من أصل تسعين تسجيلاً! نعم عدد كبير جداً هناك بالفعل تسعون شريط فيديو سأخبركم كيف وجدتها وأين وجميع التفاصيل لكن يجب أن أخبركم أولاً لماذا أردت أن يساعدني البروفسور ظل في هذه المهمة؟ أولاً لم أخبر أحداً بعد عن الأشرطة لا أصدقائي ولا فريقي في العمل ولا مديري ولا أي أحد آخر لأنني ببساطة لم أرتح لها خصوصاً بعد أن أصبحت أشاهد كوابيس ونفسياتي وصحتي في تدهور لا أريد لأي أحد أن يتعرض إلى خطر ما ستقولون لماذا؟ هل هي طلاسمة وسحر؟ إنها مجرد أشرطة فيديو! لا إنها ليست كذلك أبداً سأقنعكم لاحقاً لكن الأهم أنه في الشريط الثالث الذي شاهدته اكتشفت أن الأشرطة مرقمة بترتيب وأرقام ومن المفترض أن تكون تسعة

وتسعين شريطاً لكن ما أملك أنا تسعون شريطاً فقط هذا يعني أنه
بنفسي تسعة حسناً عندما شاهدت الشريط رقم ثلاثة سأخبركم
لاحقاً بالتفصيل ما الشيء المفجع في مشاهدة هذه التسجيلات
لكن عندما شاهدت الثالث في مشهد ما مزعج شاهدت اسم
«ظل» كان مكتوباً على الحائط حسناً لربما هناك الكثير يملكون
هذا الاسم رغم أنني أول مرة أسمع به وهو اسم نادر لكن كان
هناك لوحة معلقة كانت رسمة متقنة لشاب وهذا الشاب هو ظل
بعينه! عندما رأيته كنت قد حضرت له محاضرة واحدة تتحدث
عن القاتلين المتسلسلين الرسامين لذلك كان أغلب الحضور من
هذه الفئة المحققين والشرطة والأطباء النفسيين من وقتها لم
أنسه علاوة على ذلك كانت صورته في كل مكان كالطبيب
الشرعي المتفوق في البلد أصبت بالصدمة والصعقة ظننت أنني
أنخيل ظللت أعيد المشهد مئة مرة وكان بالفعل الشاب الذي في
اللوحة أو الرسمة هو ظل الأمر المفجع الذي أفجعني ليس هنا
الصدمة كانت أن هذه الأشرطة تعود لزمن قديم وكل شريط
مسجل عليه السنة هذا الشريط كان مسجلاً في عام ١٧٥٧ م..
حسناً ما الذي يفعله ظل هنا؟ أراهن أن والديه ما زالوا طفلين
أو حتى لم يولدا؟ حسناً الصدمة الأكبر أنه تم اختراع أشرطة
الفيديو أو الأجهزة في عام ١٩٥١!! هذا يعني في التسعينيات
وهذا الشريط والذي قبله في السبعينيات هناك فرق مرعب
مستحيل من أين لهم في ذلك الوقت بكاميرا فيديو؟؟ حاولت أن
أرهم نفسي أن التاريخ مزيف نعم يجب أن يكون مزيفاً ركزت

على رسمة ظل والتقطت لها صورة بهاتفي وفي كل مرة أراه أقارنه بالصورة من المستحيل أن يكون الشبه لهذه الدرجة إلا إذا كان قد ولد مرتين! أضحك على نفسي وأعود إلى الجنون مرة أخرى، في ذلك الوقت توقفت عن مشاهدة الأشرطة وشاهدت ثلاثة منها فقط قررت أن أتقرب من ظل لذلك عندما وقعت تلك الجريمة كانت الضحية من حسن حظي شبيهة لضحية تعود للسفاح كابوس كان آخر ضحية له شقيق تلك الأخصائية وهي خطيبة ظل وعلمت بأن ظل أيضاً من قام بتشريحها لذلك انتهزت الفرصة وأخبرت مديري بأنه يجب أن نذهب بالجثة إلى ظل وهو من يجب أن يشرحها رغم أنه لدينا هنا فريق تشريح خاص بالمركز لكنني أردت أن أتقرب منه ونجحت بالفعل من جهة أعرف أنه ذكي جداً وماهر وموهوب لم أكذب في أي كلمة مدح أخبرته بها كنت صادقاً وبالفعل شعرت أنه يستطيع مساعدتي ومن جهة أخرى لم أمسك بعد بقاتل أبي وهذه النقطة السوداء في حياتي رغم أنني أمسكت بأخطر المجرمين وأمراضهم وأكثرهم جنوناً لكن الحظ السيئ دائماً ما يكون بصمة على حياتي، مع مرور السنوات اعتبروا أن القضية باردة بالطبع وتم إغلاقها للأسف فقدت الأمل في لحظات ولحظات أخرى لعنت نفسي مئة مرة وأخبرت نفسي بأنني فاشل وعندما أريد أن أتناسى فحسب لا أستطيع أرى أبي بشكله الذي رأته في ثلاجة الموتى هل ترغبون بمعرفة ما الذي أخذه القاتل كذكرى من والدي؟ إنه أغرب ذكرى تمر علي في حياتي عندما أحضرتني الشرطة لكي

أعرف على والدي كانوا قد تعرفوا عليه من قبل من الحمض
النروي لكن أخبروني أنه ليس من الجيد رؤيته لكنني أصرت
وعندما دخلت هنا رأيت جسد أبي الشاحب كان جثة هامدة كان
جسمه سليماً حتى وصلت إلى رأسه وهنا كانت الصدمة!!

كان أبي بدون وجه! نعم بدون وجه كل ما رأيته أمامي لحمة
حمراء اقتربت أكثر وأنا أرتعش من هذا المنظر الذي رأيته كان
حقيقياً حقيقياً لدرجة أن اللحم بدأ يتعفن، لم أستطع أن أسأل؟
لم أستطع أن أعلق شعرت بأنني ابتلعت لساني:

- لقد انتزع القاتل وجه والدك لقد تم سلخ جلدة الوجه
بالملاح الخارجية بدون رحمة

قال الطبيب وكأنه يريد أن يؤكد لي أن هذا حقيقي وليس كابوساً
لم أرد عليه واكتفيت بالنظر إلى وجه والدي الذي بدون وجه
رأيت غشاء على عيني ثم فقدت الوعي..

لم أنس ولا ثانية في حياتي كيف حرمني ذلك القاتل من أبي
ومن وجهه كل شخص يتمنى في آخر لحظة أن يرى وجه قريبه
الميت لكن أنا لم أستطع لأن وجه أبي سرق من رأسه..

طوال السنوات وأنا أبحث كالمجنون عن طرف خيط دليل أي
شيء يوصلني بذلك القاتل لكن للأسف لا شيء حرفياً الغريب
أنه لم تكن هناك جرائم مشابهة قبل موت أبي وبعد موته أيضاً
لم يكن هناك أي شيء وكان القاتل خرج من العدم وقتل أبي
وسرق وجهه وابتلعه الأرض! لم تعتبر القضية حتى قضايا قاتل

متسلسل لأنه كان الوحيد فقط يموت بهذه الطريقة لذلك تم إغلاق القضية بسرعة..

حسناً بعد كل هذه السنوات التي فقدت فيها الأمل في أن أجد طرف خيط لقاتل أبي لدرجة أنني ظننت أن من قتله شبح، في هذا الفيديو أيضاً شاهدت مشهداً كان لعشر ثوانٍ فقط يعود المشهد لرجل وكأنه معاق لا أهتم لكنه غير طبيعي وكل شيء غير طبيعي في هذه الأشرطة كان الرجل يعلق أقنعة وعندما استوعبت أنها ليست أقنعة كانت أوجهاً بشرية!! نعم مجموعة وجوه بشرية أو جلدة الوجه مثل الذي حدث مع أبي، لقد انتفض قلبي شعرت بتشنج في روعي الخيط الذي كنت أبحث عنه رأيت في تصوير شريط فيديو يعود إلى زمن أبيض وأسود! لا أعلم حقاً هل هذا سيساعدني لكي أمسك بالقاتل؟ لا أعرف لكنني رأيت شيئاً مشابهاً لجريمة قاتل أبي ولن أترك الأمر يفلت مني هذه المرة الأمور معقدة وكل شيء حولي وكأنه كابوس الجنون يدور حول حياتي التجأت لظل لأنني رأيت صورته موجودة في ذلك الشريط واسمه أيضاً وأردته أن يساعدني في قضية أبي غير أنه طبيب شرعي وذكي أيضاً محلل رسومات مظلمة كانت الفيديوهات الثلاثة تحتوي على الكثير من الرسومات لذلك أريده أن يساعدني لكن كيف أفتح معه موضوع أنني رأيت صورته واسمه في أحد هذه الأشرطة؟؟..



بـ

قررت أخذ إجازة لأن ما حدث معي في الأيام الماضية كان فوق طاقتي النفسية من جهة ذلك الشاب كريستيان ومن جهة تلك الفتاة أيلابعد أن أخبرني ظل بأني يجب أن أبتعد عن قضية أيلابعد أن أخبرني بأن كل ما كتب في منزلها يعود إلى لغة شيطانية وأن الأغلب أن كل هذه طقوس سحرية! كان ظل ينتظر مني وعداً أن أبتعد عن حالة هذه الفتاة وأحولها إلى طبيب آخر أخبرته أن يعطيني فرصة لأفكر بالموضوع لا أحب أن أتخلى عن مرضاي مهما كان السبب، كنت أجلس في غرفتي أفكر ومن شدة التفكير داهمني صداع شديد تناولت مسكناً لألم الرأس بعدها لمحت مذكرات أيلابعد أن زلت أضعها بجانب الصندوق أيلابعد أن اتصلت بعد إلى العاصمة وستصل غداً هي بالذات لا أريد أن أخيب ظنها أشعر بأنها تحتاج إلى المساعدة على عكس كريستيان فهو شاب ينبع الخبث والشر من عينيه، التقطت المذكرات وعدت على السرير فتحت الصفحة الثالثة كتب فيها:

«مازلنا أنا وأخواتي لم ندخل المدرسة هنا أعلم بأن حالتنا الحياتية صعبة لكننا حصلنا على الكثير من الأموال من ذلك الرجل الذي يقول عن نفسه إنه ضيف لكن لم ندخل بعد إلى المدرسة ولم تتحسن أحوالنا حيث سكننا في هذا الحي المتهالك والمنزل الذي يبدو وكأنه سيقع على رؤوسنا لا بأس نحن معتادون على الفقر لكن الشيء الذي لسنا معتادين عليه ولا نرغب به هو هذا الضيف! نعم ذلك الرجل بعد أن أعطانا الأموال

ومعلومات عن الرجل الذي سيعطينا السكن لحق بنا وأصبح يبقى معنا كثيراً في المنزل أصبح صديق أبي المقرب أصبح أبي يهتم لأمره أكثر من اهتمامه لنا وعندما تغضب أمي منه وتقول له اطرده من منزلنا يرفض ويغضب من أمي حتى إنه ليلة أمس قام بضرب أمي وهذه أول مرة في حياتنا نشاهد أبي يتصرف بهذه الطريقة العنيفة مع أمي، كنت طوال الليل لا أنام كان أبي والرجل أو الضيف يقيان في تلك الغرفة الكبيرة ونحن في الغرفة الصغيرة جميعنا مع أمي يقيان عازلين أنفسهما ساعات طويلة والغريب أكثر لا يطلب أبي الماء أو الطعام أو الشاي أو القهوة حرفياً لا شيء ساعات طويلة لا يشربان ولا يأكلان في مرة من المرات قررت أن أسترق السمع لذلك كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وجعلت أمي وأخواتي ينمن نهضت بهدوء فتحت باب غرفتنا لم يكن هناك أي مسافة أو فاصل بيننا فقط الممر النحيف الذي عرضه تقريباً مثل طول ذراعي كان باب الغرفة الأخرى التي يبقى فيها أبي والضيف يقابل غرفتنا تماماً وهما الغرفتان الوحيدتان في المنزل تقدمت بخطوات خفيفة جداً كنت أسير على أصابعي حتى لا يشعر بي أحد وصلت عند الباب وأصقت أذني به لم يكن هناك أي صوت أي نفس حتى لا أستطيع أن أسمع سوى الهدوء المرعب قررت أن أنتظر قليلاً رغم أنني أصبحت أسمع صوت دقات قلبي من شدة الهدوء لكن فجأة ظهر صوت! كان هناك صوت غريب يبدو وكأنه طقطقة لعظام ما كان الصوت قوياً لدرجة أنني أحسست أن ذلك الغريب يفعل شيئاً سيئاً لأبي ولكن قبل أن آخذ أي قرار انطفأت الأضواء كلها! كنت

سمع صوت هطول المطر من الخارج وصوت البرق والرعد
 على ما يبدو أنها عاصفة لا بأس أيضاً هذه ليست أول مرة تطغى
 فيها أصواء الحبي بالكامل فتحن معتادون لكن الغريب أنه عندما
 يحدث ذلك الجميع يستيقظون وهذا الطبيعي لكن الآن عدت إلى
 غرفة أمي وأخواتي جميعهن ما زلن نائمات بدون أي حركة لا
 بأس ليس من الضروري أن يستيقظن قررت أن أتوقف عن
 سرق السمع وأعود إلى فراشي أغلقت باب غرفتنا وعندما
 كنت أستقي سمعت صوت باب غرفة أبي انفتح لربما خرجا لأن
 لكهرباء انقطعت نهضت بسرعة وتقدمت نحو فتحة الباب
 وضعت عيني كنت أرغب بأن أرى ذلك الرجل الذي لم أوجهه
 من قبل بشكل واضح لكن عندما وضعت عيني لم أراي أحد
 للرجل ولا أبي لكن الباب كان مفتوحاً تنفست بقوة وأمسكت
 لقفز وفتحت الباب بهدوء أخرجت رأسي أولاً نظرت إلى
 اليسار واليسار لم يكن هناك أحد نظرت إلى الغرفة كانت
 متروكة هل من المعقول أنهما خرجا إلى الشارع؟ لأنهما إذا كانا
 في صلاة العيشة أو المطبخ بالتأكيد سأسمع أصواتهما من شدة
 ليبي ليودعه سادخل الغرفة بسرعة دخلت إلى الغرفة كانت مظلمة
 فبرحة أبي لا أستطيع أن أرى كف يدي كانت تبتشق منها رائحة
 فبرحة جداً ومزعجة وضعت يدي على أنفي ولا أعرف ما الذي
 يحدث أن أبحث عنه في هذا الظلام وما زلت أتفحص المكان
 حتى بدون أي فائدة أغلق باب الغرفة فجأة وبسوء هنا وقع قلبي
 لم أكنه ركضت بسرعة إلى الباب أحاول أن أفتحه لكن رفض

أن يفتح! بدأت بالصراخ وأنا أنادي: أمي أبي افتح لي الباب! قمت بمناداة أخواتي لكن بدون فائدة ضربت بيدي على الباب بكل قوة حتى أصبت بالخدوش لكن لم أشعر بالألم وكل همي أن أخرج من هذا الظلام وفجأة التزمت الصمت وضعت يدي على فمي أحاول أن أكم صوت أنفاسي اللاهثة الخائفة المرعوبة بعد أن سمعت صوتاً من إحدى زوايا الغرفة كان الصوت الذي سمعته هو نفسه صوت طقطقة أسمع الصوت يزداد وضوحاً وكأن هناك أحداً يقوم بطقطقة أصابعه أو عظامه حتى وضعت يدي على أذني أغمضت عيني وأنا أساساً لا أحتاج لفعل ذلك تمنيت أن يكون هذا كابوساً وسأستيقظ منه لكن للأسف أشعر بأحداً من خلف الظلام يقترب مني أسمع صوت أنفاسه أشعر بها أشعر بحرارة جسده لا أرغب بفتح عيني لن أفتحهما أبداً حتى لو مت لكن الفضول كان أقوى لا أعرف لم الإنسان لديه مرض الفضول وهنا فتحت عيني وليتني لم أفعل وكل شيء من بعدها أصبح في نظري جحيماً لقد سحبوني إلى الهاوية و..!

اعتدلت في جلستي أغلقت المذكرات ووضعتها جانباً بعد أن سمعت صوتاً غريباً!

- أمي؟ هل هذه أنت؟

كنت أعلم أن أمي وأبي خرجا إلى عشاء إحدى قريباتهما ظننت أنهما عادا إلى المنزل، وبالفعل لقد عادا بعد أن سمعت صوت أمي:

- نعم يا عزيزتي ثيا لقد عدنا..

لقد عاداً مبكراً غريبة رغم أن الساعة ما زالت السابعة مساء هل تناولا العشاء؟ سأخرج لأسألها لكن قبل أن أخرج سمعت صوت رنين هاتفي رفعت الهاتف لأرى الرقم «أمي»!! لماذا أمي تتصل وهي كانت أمام غرفتي قبل ثوانٍ؟ لا بأس لربما نزلت إلى الطابق السفلي وتتكاسل كالعادة أن تصعد إلى هنا مرة أخرى:

- أمي أنا قادمة الآن..

- قادمة أين؟ سألت أمي باستغراب ثم أكملت حديثها على عجل:

- اسمعي اتصلت بك لأخبرك بأن هناك طعاماً في الثلجة قومي بتسخينه وتناول العشاء أنا ووالدك للتو وصلنا إلى منزل العمّة سارة وهناك الكثير من الأصدقاء لذلك ستأخر وأنت نامي جيداً حسناً؟..

أغلقت أمي الخط وأنا ما زلت أضغ السماعة على أذني من شدة الصدمة مرعوبة مصدومة مذهولة ما الذي سمعته قبل قليل؟ أمي وأبي ما زالا خارجاً وللتو وصلا إلى منزل قريبتنا إذاً من التي تحدثت وسمعت صوتها قبل قليل؟ بدأت أنفاسي تتسارع لكن أحاول أن أشجع نفسي وأهدأ وأفتح باب الغرفة وأخرج وأخذ جولة على المنزل لأقنع نفسي بأنني كنت أتوهم فقط لكن هل لدي الشجاعة الكافية؟ لطالما واجهت وكنت في غرفة واحدة مع أنظر المجرمين والسفاحين لكنني لم أشعر بالخوف الشديد مثل الآن الخوف من المجهول هو أشد خوف، تقدمت بهدوء نحو باب الغرفة وفتحته بسرعة خرجت إلى الممر لم يكن المنزل

مظلماً لذلك شعرت ببعض الارتياح لم يكن هناك أي شيء غريب وكل شيء واضح لكن مهلاً!!

كانت غرفة أخي مفتوحة شعرت بضيق في صدري وأمعائي من قام بفتحها؟ كانت أمي بين الحين والآخر تقوم بتنظيفها لكنها تغلقها هل من المعقول أنها نسيت؟ ذهبت إلى الغرفة منذ وفاة أخي لا أحب ان أدخلها لذلك أمسكت بمقبض الباب وأغلقتها بسرعة بدون أن أنظر بداخلها حتى لكن فجأة توقفت بعد أن سمعت صوتاً قادماً من الغرفة عدت بخطوات خلفية نحو الباب وضعت أذني على الباب لم أرغب بفتح الغرفة مرة أخرى ثم سمعت صوتاً أرعيني لقد سمعت صوت طقطقة قادماً من داخل الغرفة! حاولت أن أغمض عيني وأفتحهما أحرك رأسي يميناً ويساراً ربما أحتاج إلى كوب قهوة فالיום لم أحظ بواحد لربما أحتاج إلى النوم جيداً أحتاج للراحة ولتصفية ذهني لربما أحتاج إلى جلسة يوغا من فترة لم أحظ بهذه التمارين أنا واثقة بأنني أهلوس ابتعدت عن الغرفة لكن انفتح الباب بقوة وهنا أدركت أن شيئاً ما يحدث؟ عدت إلى الغرفة اقتربت ببطء وأقدامي ترتعش وقلبي يكاد أن يتفجر من شدة النبض أسمع صوت الطقطقة بقوة أقرب شيئاً فشيئاً من الغرفة حتى وصلت وهنا رأيت هذا المشهد أمامي:

كان أخي الميت يقف في منتصف الغرفة كان يقف وهو موجه وجهه على الحائط وكل ما أراه هو ظهره لكنني بالطبع عرفت أنه أخي، بدأ جسده بالاهتزاز بشكل مرعب وغير طبيعي وأنا أشاهد

منجمدة في مكاني ثم بدأت يدها تعوججان بعضهما على بعض
 بشكل مرعب مما أدى إلى إخراج صوت طقطقة من عظامه قام
 برفع يديه إلى الأعلى مال بجسده وظهره إلى الخلف بشكل
 مقلوب ببطء شديد وعظامه لا تكف عن إصدار صوت الطقطقة
 حتى انحنى بالكامل ونظر إلي وهو مقلوب كانت عيناه غائرتين
 إلى الداخل سوداوين وجهه شاحب عروق سوداء تخرج من
 جلده! وعندما بدأ يسير نحوي بجسده المقلوب هنا أخيراً
 أطلقت صرخة مدوية ركضت بسرعة إلى غرفتي دخلت وأغلقت
 الباب وانهرت باكية وأنا أردد: هذا غير حقيقي هذا غير حقيقي!
 حتى فقدت الوعي..

«قرأت ذات مرة أن أكثر القتالين والمختلين كانت
جريمتهم الأولى عندما قتلوا ذبابة كانت تطير حول
رؤوسهم..»

بيتشيني..



«الفصل الرابع والعشرون»

«رأس ميدوسا»

كانت ميدوسا فتاة عذراء شديدة الجمال لدرجة الجنون كان كل من رآها يقع في حبها من شدة جمالها إلى أن جاء اليوم الذي اعتدى فيه «بوسيدون» على «ميدوسا» في معبد الالهة «أثينا»، ولكن الصادم في الموضوع هو عندما علمت الالهة أثينا وهي الالهة الحكمة والحرب والعدل وحامية المدينة بأمر الاعتداء على ميدوسا لم تقم بمحاسبة الجاني على فعلته بل حاسبت وعاقبت ميدوسا بقولها إنها لطخت المعبد بالعار!! وهذا حقيقته أن أثينا تغار جداً من جمال ميدوسا لذلك قامت بالشيء الشنيع الذي بقي يطارد ميدوسا طوال حياتها، قامت أثينا بإلقاء لعنة على ميدوسا لتحولها من امرأة جميلة ونقية إلى امرأة كالوحش بشعة ومخيفة وجهها أصبح رمادياً عيونها سوداء شعرها الجميل الكثيف تحول إلى أفاع مرعبة! وذلك بسبب فعل لم ترتكبه ميدوسا بل كانت هي ضحية ذلك الفعل، وبعد ذلك اليوم أصبحت ميدوسا ربة الحكمة والثعابين التي حولت كل من ينظر إليها إلى حجر لم يكن أحد يستطيع أن يضع عينيه في عينيها إلا ويتحول إلى حجر كانت مرعبة ويهابها الجميع لا أحد يستطيع

الاقتراب منها حتى إن أئينا حاولت أكثر من مرة أن ترسل أحداً ليقتلها ولكن بمجرد أن ينظروا إليها يتحولون إلى حجر، بعدها أرسلت الملك «بيرسيوس» ليقطع رأس ميدوسا فذهب واستشار الغرايبي وهم «إلهات البحر اللاتي كنّ يعشن بعين واحدة وسن واحدة ويحمين الغورغون» فأخذ العين والسن فأخبرته عن مكان الحوريات اللاتي حصل منهن على الحذاء المجنح الذي يطير وحقية وخوذة هاديس التي جعلته غير مرئي وأعطاه هيرمس سيفاً معقوفاً ليقتل ميدوسا، فاستطاع بالفعل ونجح «بيرسيوس» بقتل ميدوسا بتلك الخطة والحيلة الخبيثة فقام بقطع رأسها وقدمه للآلهة أئينا لتتقن من أنها تخلصت من ميدوسا، ثم قامت أئينا الخبيثة بوضع رأس ميدوسا على درعها المسمى بالأيجيس فبقي رأس ميدوسا محتفظاً بقدرته على تحويل كل من ينظر إليه إلى حجر..

أسمع صوتها الرنان المزعج الزانّ بشكل جنوني يقتحم أذني ليصل إلى خلايا دماغي يزن ويزن، ويزن، ويزن بشكل جنوني لا أستطيع التحرك أنفاسي متقطعة عرقي يتصبب مني كالشلال الجوخانق رؤيتي واضحة بشكل غير اعتيادي أستطيع حتى أن أرى وجه الذبابة القبيح وهي تدور بشكل جنوني حول وجهي تارة تقف على جبهتي وتارة تقف على أنفي وأخرى على فمي تستهلك طاقتي في الصبر أعلم بأنني لا أستطيع التحرك لأنني أمر بنوبة من شلل النوم وهي تستغل هذه الفرصة أستطيع أن أتحمل الشكل المخيف لشلل النوم كيفما ظهر وكيفما كان لكن لم أعد

أتحمل إزعاج هذه الذبابة اللعينة أو هل من المعقول أن شلل النوم ظهر هذه المرة على شكل ذبابة؟ أخيراً ها أنا أشعر بأن الحركة تعود إلي شيئاً فشيئاً أخيراً استعدت روحي بعد أن كان شلل النوم يربض فوقها شهقت وقبل أن أعتدل بجلستي وبحركة سريعة أطبقت بيدي على جسد الذبابة وهنا شعرت حقاً بأن روحي ردت إلي ..

نظرت إلى جثة الذبابة ممزقة بين يدي نهضت بسرعة إلى الحمام غسلت يدي بالماء والصابون والمعقم لكن ما زلت أشعر بأن دم الضحية في يدي، خلعت ملابسني وتحممت بالكامل حتى أقطع الشك باليقين انتهيت من حمامي كانت الساعة الثامنة صباحاً تذكرت أنه ليلة أمس قالت تلك المرأة أو ما تسمى أمي إنها ستأتي إلي منزلي وتقول يجب أن أصرف أبي من المنزل لأنها لا ترغب برؤية وجهه! إنها ما زالت كما هي ومن المستحيل أن تتغير، انتهيت من الإفطار قررت استقبال أمي رغم أنني كنت متردداً كثيراً لكن قالت بأنها ترغب بإخباري بشيء مهم وأظن أنه موضوع آخر غير شتم أبي لذلك سأنتظرها وأرى ماذا لديها تجهزت لمقابلة أمي انتظرتها في صالة المعيشة لم أكن متوتراً ولم أكن أحمل أي مشاعر أصلاً أرسلت لثيا أنني اليوم مشغول وأنا خارج المنزل لأنني أعرف انها تأتي في كل الأوقات وبدون أن تخبرني استغربت أنها اليوم لم تتصل بي أو ترسل لي بعض يومياتها كما تفعل دائماً لربما كانت ترتاح لأنها للتو أتت من رحلة متعبة قضيت وقتي في الكتابة في صالة

المعيشة حتى أصبحت الساعة الثانية عشرة ظهراً سمعت صوت رنين جرس القصر أغلقت جهاز المحمول وضعتة جانباً وتوجهت إلى الباب وفتحته..

كانت ترتدي بنطالاً أسود شاحباً وقميصاً أبيض قامت بربط شعرها إلى الخلف تحاول أن تظهر بمظهر السيدة الأنيقة لكن كانت أفضل حالاً منها عندما رأيتها في المستشفى تفوح منها رائحة مرطب الجسم بنكهة التوت:

- مرحباً يا ظل..

- أهلاً تفضلي

دخلنا معاً متجاوزين الحديقة الضخمة حيث كانت تتفحصها بعينها مبهورة دخلنا إلى القصر حتى وصلنا إلى صالة المعيشة:

- تفضلي بالجلوس

قلت لها

لكنها لم تجلس بقيت واقفة لبعض الوقت تتفحص وتتأمل القصر بأعين متسعة لمدة دقيقة تقريباً ثم قالت وهي تلتف حول الطاولة الزجاجية التي تقع في المنتصف:

- لقد رأيت قبل عامين كانت الصحافة تتحدث عن قصر جامع الفنون والطبيب الشرعي ظل ظننت أنهم يبالغون في وصفه لكن هم حقاً لم يبالغوا إنه قصر شاهق تماماً كما قالوا وأكثر إنه حقاً كالحلم..



ثم أكملت حديثها بعد أن جلست:

- لطالما عندما كنت أعيش في ذلك المستنقع الذي وكأنه حفل فئران حتى حفل الفئران أكبر منه كنت أتخيل وأحلم بمنزل مثل هذا ولكن تحقق الحلم معك أنت ووالدك إن الحياة حقاً غير عادلة كيف لذلك المسخ أن يعيش في قصر كهذا وأنا أعيش بين جدران السجون والمصححات النفسية؟؟!

سألت بسخرية..

- إنه الصبر لقد كان صبوراً ووثق بي وعلمني حتى أصل إلى هذه المرحلة من النجاح وأقوم بتعويضه على عكسك لم تكوني صبوراً والآن أخبريني ما هو الشيء المهم الذي أتيت إلى هنا لكي تخبريني به؟

أجابت وهي تضع رجلاً على رجل:

- لماذا أنت متعجل هل ترغب بطردي من قصرك بهذه السرعة؟ أتساءل أليس لديك خدم؟

- أخبريني ماذا تريد أن أنا سأحضره لك؟

سألته متنهداً

- حسناً يبدو أنك لا تثق بالخدم لا بأس هل لديك قهوة؟
أريد قهوة بالحليب وملعقة سكر..

- حسناً..

ذهبت وحضرت لها القهوة وكنت طوال الوقت غير مرتاح
أبداً لوجودها هنا لكنني قررت أن أكون صبوراً لكي أسمع ما
لديها أحضرت لها القهوة والماء وبعض الكعك حتى لا تطلب
شيئاً آخر وضعتها أمامها:

- تفضلي..

التقطت كوب القهوة:

- أوه يا طفلي أنت حقاً ما زلت أنيقاً ومهذباً كما كنت
دائماً..

- لا تناديني بهذا اللقب وأخبريني الآن ماذا لديك؟ ما هو
الشيء المهم الذي ترغبين بقوله لي؟

- لهذه الدرجة أنت متعجل على موتي؟؟

أجابت بسخرية

- ماذا تقصدين؟؟

- لقد أتيت إلى هنا وأنا أعلم بأنني إذا أخبرتك بكل شيء
اليوم فيومان فقط بالكثير وسيقوم بقتلي ذلك المسخ..

- أنا لا أفهم ما الذي تقولينه ثم الآن حان الوقت لتتوقفني
عن مناداة أبي بهذه الألقاب لن أسمح لك أبداً

- أوه يا طفلي المسكين لقد أصبحت ناضجاً وإلى الآن أنت
أعمى وما زلت تظن أن ذلك الوحش هو ملاك!

قالت ببرود وهي تأخذ رشفة من قهوتها

- لن تنجحني بالتلاعب بأفكاري أبداً لا يمكنك أن تختفي طوال هذه السنوات بعد أن هربت وتركتني خلفك والآن تظهرين بكل بساطة وتحاولين أن تفسدي حياتي وحياة أبي بمصطلحاتك التافهة..

- هل لديك سيجارة؟؟

سألت ببرود متجاهلة غضبي..

- لا ليس لدي أي شيء ولعلمك فقط أنا إنسان مشغول يجب أن تقولي ما لديك بوضوح وتغادري..

- حسناً ألا تريد أن تسألني لماذا كنت في المصحة النفسية؟؟

- لا.. لقد أخبرتني المديرية بالفعل ما الذي ارتكبته من جرم شنيع.

قالت ضاحكة:

- نعم ارتكبت جرماً لكن هل تعرف من السبب؟ ذلك الوحش وأصدقائه كانوا طوال الوقت في رأسي لقد سيطروا على خلايا دماغي لأنني هربت وتركتهم ولم أنفذ ما يريدون قرروا الانتقام مني أو لا..!

سكنت ثم بدأت تنظر من حولها يمينا ويساراً فوق وتحت بشكل غريب أيقنت أنني ماذا أتوقع لقد خرجت قبل أيام من المصحة النفسية بالتأكيد هذه هي تصرفاتها ثم أكملت وهي تهمس وكأن أحداً سيسمعها:

- لن يسمحوا لأي أحد بالخروج من الدائرة لهذا عندما خرجت منها جعلوني أعيش في جحيم..

قلت متنهداً:

- أُمي أنتِ ما زلت بحاجة إلى المساعدة يجب أن تستمري
بتناول أدويةك لفترة على الأقل..

أطلقت ضحكة مدوية:

- أنت الآن ستعاملني كالمجنونة أليس كذلك؟ أين والدك
المسخ؟ لماذا لم يخبرك إلى الآن عن حقيقته؟ لماذا لم
يخبرك بأنه شيطان على هيئة ملاك؟ لماذا لم يخبرك بأنه
وحش مجرد وحش يتغذى على عقول ودماء الناس! هل
تعرف يا ظل لماذا لم أصبر؟ هل ترغب بمعرفة لماذا هربت
وتركتك ما الشيء الذي توقعه مني؟ لقد كنت أعيش في
قمامة مصغرة حسناً لا بأس كان من الممكن أن أتجاهل الأمر
لكن كنا أيضاً مملكة الفقر أيضاً لا بأس سأجاهل الأمر كنت
أيضاً أعيش مع شخص قبيح شكلياً لا بأس سأجاهل الأمر
كنت أيضاً أعيش معه وهو عجوز أكبر مني بسنوات ضوئية لا
بأس أيضاً سأجاهل الأمر لكن فوق هذا كله يكون وحشاً
ليس فقط من الخارج حتى من الداخل هل تريدني أن أبقى؟؟

- هذا يكفي اصمتي!! اخرجي فوراً من منزلي لقد اكتفيت..

صرخت في وجهها

بينما ابتسمت بيروود وهي ترتشف آخر قطرة من فنجان قهوتها:

- الآن أنا تيقنت من أنك ما زلت أعمى يا طفلي الصغير
أنت على ما يبدو لم تكتشف أي شيء بعد أخبرني الآن ما
الذي تريد معرفته وسأخبرك بكل شيء..

- لماذا تفعلين ذلك؟ لماذا تزوجته من الأساس؟ لماذا قمتِ
 بإنجابي حتى؟ لقد كنتِ تعاملين أبي طوال الوقت كحيوان
 لكن لا بأس، لكن من شدة كرهك لأبي كرهتني أنا أيضاً
 بدون أي ذنب! لم أستطع أن أنسى الجملة الأخيرة التي
 أخبرتني بها وغادرتِ بكل قسوة وجفاف لم أستطع أن
 أنسى كيف ظللت أبكي وقتها بحرقة طوال الليل لم
 أستطع أن أنسى كيف عندما يسألني أحد أين هي والدتك؟
 وأنا لا أستطيع الإجابة لأنني لا أعرف ميتة حية تائهة هاربة
 لا أعرف حقاً! لم أستطع أن أنسى كيف كان يتنمر علي
 الأطفال في المدرسة ويقولون بأنك هربتِ وتركتني خلفك
 لأنني ابن ذلك البشع لم أستطع أن أنسى عندما أخبرنا
 المدرس أن نرسم وجوه أمهاتنا وقام جميع الطلاب بالرسم
 إلا أنا لم أستطع لأنني نسيت حتى كيف هي ملامحك! لم
 تكوني يوماً أمّاً ولم أشعر بأنك أمي أصلاً كنت طوال
 حياتي أرغب بإجابات منك والآن سأحصل عليها..

تهدت واعتدلت في جلستها بعد أن وضعت الكوب علي
 الطاولة وهي ترتعش بدأت تتصرف بغرابة كالعادة تنظر يميناً
 ويساراً ملامحها كانت كلها رعباً وجهها أصبح شاحباً:

- حسناً هل تريد أن تعرف لماذا تزوجته؟ كنت أرغب دائماً
 بإخبارك لكن أعلم بأنك لن تصدقني والآن حتى لو لم
 تصدقني لن أهتم، أنا فتاة يتيمة ليس لدي أي أحد في هذا
 العالم ترعرعت في ميثم لعين كباقي المياتم يقومون بسرقة
 حقوق الطفل وكرامته وصحته النفسية والجسدية لذلك

كان حلمي مثل حلم جميع الأطفال في الميتم الخروج منه بأي طريقة عندما أصبحت في السن الثامنة عشرة أخيراً هربت من الميتم قبل أن يتم حبسي فيه للأبد مثل أغلب الفتيات بحجة أنه يجب أن نصبح راهبات وكان هذا أسوأ من الميتم كالجحيم تماماً لذلك هربت وعندما هربت كنت أنام في الشوارع حتى التقيت به كالبطل المنقذ الملاك الحارس لقد تعلقت به كثيراً أحببته أكثر من أي شيء في هذه الدنيا لم أكن أعرف أحداً غيره كنت مستعدة أن أقدم له كل شيء وكل ما أملك..

قاطعتها:

- لحظة عمّن تتحدثين؟؟

- ليس والدك أتحدث عن الشخص الذي عرفني على والدك! لا ليس شخصاً لا أعرف ما هو؟ لا أعرف كنت أظن أنني أعرفه لكن لم أكن أعرفه بعد أن كنت معه لسنتين من شدة تعلقي به كنت مستعدة أن أفعل أي شيء من أجله لذلك في يوم ما أحضرني إلى والدك وقال لي بكل برود: هذا صديقي ويجب أن تتزوجه لتعيشي حياة طبيعية لكن لا شيء طبيعي في حياتهم علاوة على ذلك حاولت أن أرفض لكنه كان يسيطر علي على رأسي على عقلي وقلبي لقد دفع أيضاً أموالاً طائلة وقال إنه سيستمر الزواج لكن ليس للأبد فقط فترة من الوقت أو أنه سيقوم بتسليمي إلى الكنيسة والكاهن لأنني هربت منهم!

سكنت قليلاً ثم بدأت الدموع تنهمر من عينيها وهذه كانت ثاني مرة في حياتي أرى أمي تبكي استرسلت في حديثها بصوت يرتعش:

- لم يكن لدي خيار آخر لم أكن أعرف ما الذي أفعله كنت صغيرة لم أفهم ما الذي يفعله هؤلاء الناس وما الذي يريدونه؟ لذلك وافقت تزوجنا بسرعة لم أستطع يوماً أن أنظر في وجهه كنت أخاف منه بشدة لكن كان يتصرف بهدوء تام كان يتصرف بلطف لكنني لم أستطع أن أحبه يوماً لكن بعد مرور سنة وهو يعاملني بكل طيب بدأت تتغير نظرتي إليه بالشفقة قررت أن أعامله أيضاً بقليل من الرقة لكن تغير ذلك بسرعة عندما عرفت من يكون والدك وعرفت من يكون أصدقاءه كانوا جماعة لعينة لديهم أسرار مخيفة ومرعبة كان طوال الوقت يخرج من المنزل ولا يعود إلا في اليوم التالي كان يقول بأنه يعمل وأنت تظن أنني أنضر منه فقط لأنه كان يعمل في المقبرة؟ لا ليس كذلك والدك مجرد وحش فقط..

- إذا لماذا استمررت معه ولماذا أنجبتني؟؟ ثم إنني لا أفهم أي شيء من حديثك وعمّن تتحدثين آها الآن أنا فهمت ذلك الرجل حبيبك السابق الذي قام برميك إلى والذي كالبضاعة! هو من قمت بخيانة أبي معه أليس كذلك؟

أطلقت ضحكة جنونية حتى سعلت بقوة:

- خيانة! كنت طوال الوقت معه ولم أكن مع والدك إلا فقط كالديكور هل تعرف ذلك؟ أعترف بأن ذلك الشخص هو

رئيسهم وهو منبع الشر لكنني أحبته كثيراً لقد أحبته منذ أن كان عمري ثمانية عشر عاماً كان أول حب في حياتي وآخر حب على قدر ما كنت أحبه على قدر ما كان يخيفني وأنا حتى الآن أخاف منه ومن أعوانه إنهم مجرد شياطين يقومون بالتضحية بالناس وقتلهم أيضاً..

- تقصدين حبيبك، والذي ليس له أي علاقة حتى لو كان يعرف ذلك الشيطان أنا واثق بأنه لم يشترك معهم في أي شيء ثم لحظة هل تظنين أنني سأصدق قصتك البائسة الغريبة هذه؟ أنا حتى لا أعرفك كيف تتوقعين مني أن أقوم بتصديقك وأنتِ تقومين بإلقاء التهم الشنيعة عليه؟! لقد خرجت من المصححة النفسية من يومين فقط أنا واثق بأن كل هذه القصص اخترعتها من رأسك فقط لأنك تكرهين أبي..

تنهدت وهي تسند ظهرها إلى الخلف وتشرب بعض الماء:

- كنت أعلم بأنك لن تصدقني كما غسل ذلك الشيطان عقلي قام والدك أيضاً بغسل دماغك هم ماهرون في ذلك صدقني ولكن قبل أن أرحل هناك قصة أخيراً يجب أن أخبرك بها قصة كانت لا تجعلني أنام من ثلاثين عاماً هل ترغب بسماعها؟

- هاتي ما لديك وبعدها يجب أن تغادري فوراً..

قالت وهي تمسك يدي سحبتها على الفور لأن هذه أول مرة تحدث ملامسة بين أم وابنها بدأت دموعها مرة أخرى بالانهمار:

- لقد كنت خائفة خائفة بشدة عندما تعرفت على صديقتي التي شجعتني أن نذهب إلى المدينة ونحقق أحلامنا ونرى العالم الخارجي كيف يعيش قررت أن أترك كل شيء خلفي حتى الشخص الذي أحبه كنت خائفة أن أنغمس أكثر في أعمالهم الغريبة والمجنونة لذلك هربت بسرعة معها هل تعرف لماذا لم آخذك معي؟؟ لأنني أيضاً كنت خائفة أن يلحق بي كنت أعلم جيداً والشيء الوحيد الواثق منه أنا هو أنني إذا أخذتك سيلحقون بي لن يتركوني حتى أخطوبك خارج القرية لذلك الفرصة الوحيدة فضلت أن أذهب وأتركك نعم كنت أنانية ولكنني كنت خائفة هم حتى إذا أمسكوا بي لن يقتلونني بل سيجعلونني أتمنى الموت! لذلك تركتك على أمل أن أعيش بشكل طبيعي لكن لم يحدث ذلك حتى وأنا هربت من دونك قاموا باللحاق بي قاموا بتوريطي في تلك الجريمة جعلوني أفضي حياتي بين طيات الجنون كانوا في رأسي طوال الوقت والدك مجرد وحش تابع لقطيع من الوحوش لا تعرف أنه قتل مئات الأشخاص بأبشع الطرق والدك المسخ الذي تظن أنه ملاك ما هو إلا شيطان..

- توقفي أرجوك هذا يكفي..

صرخت في وجهها وأنا أقف أمسكتها من يدها وسحبته لكي أخرجها من المنزل لأنني لم أعد أحمّل كل هذه المعلومات التي لا أعرف هل هي من خيالها أو لا؟ سحبت يدها من يدي وتوقفت:

- كنت تريد أن تعرف أيضاً الحقيقة الأخيرة وهذا الشيء
الوحيد الذي ستصدقني به ويوجد دليل على ذلك..

قلت وأنا أتمالك أنفاسي وتركيزي بدأت أسمع صوت ذبابة
في رأسي لكن لا أرى أي ذباب حولي:

- بسرعة فقط كلمة واحدة وبعدها اخرجي من هنا قبل أن
أستدعي الحرس يقومون برميك للخارج..

عادت للتأمل في المنزل وبدأت تضحك كالمجانين إنها حقاً
مجنونة ندمت أنني استجبت لإدارة المستشفى وقمت بإخراجها
ندمت لأنني ذهبت إليها وسمحت لها بالدخول إلى حياتي
ثم قالت:

- أوه يا طفلي الصغير هل كنت تعلم بأنك في عمر السنة
كنت تحب هذه الأغنية؟ لكن والدك كان يرفض أن تسمع
أغاني الأطفال المملة وقال لي بكل صراحة لا تقومي
بالتعلق به يجب أن تكرهيه لأنه لن يصبح مثلك وسيصبح
مثلي أنا لكن الآن أنا أراك شخصاً طبيعياً أنت لست مثله
أبدأ أنت لست مثلهم الغريب أن والدك لم يبحث عنك
إلى الآن أو أنه يراقبك من بعيد وهذا مؤكداً!!

شعرت بالاستغراب لماذا تقول هكذا؟ وهي تعرف أن والدي
يعيش معي!؟

- ماذا تقصدين؟ أبي معي؟

قالت وهي تضع يدها على شعري:

- لا تكذب علي أعلم بأن ذلك المسخ مات منذ سنوات لقد
وصلتني معلوماته وأعلم أيضاً بأنه عندما تخرجت من
الابتدائية أخذك وخرجتما من تلك القرية البائسة هذا أصلاً
المتوقع ذلك المسخ يبدو أنه خان العهد الذي بينه وبين
صديقه وأخذ شيئاً ليس له وهرب..

شعرت بأن أنفاسي بدأت تضيق أشعر باختناق رهيب سألتها:

- أبي ليس ميتاً أولاً ثانياً ماذا تقصدين بأنه أخذ شيئاً ليس له؟

قالت وهي تقترب مني:

- عزيزي أعلم بأنك ما زلت تمر بصدمة بسبب أنك مررت
بكل هذا وحدك حسناً لا بأس هو حي كما تقول لكن
الحقيقة التي تريد معرفتها والشيء الذي سرقه ذلك المسخ
من حبيبي السابق هو أنت...!

ضحكت بشكل هستيري لم أفهم ما الذي تقوله هذه المجنونة
أصبحت أضحك مثلها:

- أنتِ تحاولين بكلامك غير الواضح أن تجعليني أكره أبي
أليس كذلك؟

قالت ببرود:

- كرهته أو أحببته هو ليس والدك يا ظل ذلك المسخ ليس
والدك الحقيقي..

عمّ هدوء مخيف في رأسي اختفى كل شيء من حولي أرى نفسي أقف في مكان معتم ظلام أشعر بجسدي طائراً في الفراغ وكأن روحي انفصلت عن جسدي للحظات! لم أعد أدرك أين أنا؟ وأين أكون؟ ومن أكون؟ لم أعد أرى شيئاً ولم أعد أسمع شيئاً إلا صوتاً واحداً وهو صوت تلك الذبابة! الذبابة التي قتلتها في الصباح الآن ما زلت أسمع صوتها لكن لا أراها إنها تزن وبشدة أشعر بأنها دخلت في أذني ووصلت إلى خلايا عقلي ولم تعد تستطيع الخروج إنها تشعر بالضيق لا تعرف أين الطريق وأين السبيل للخروج مثلي تماماً فجأة تحول الظلام إلى ضوء وشهقت وكأني خرجت من بحر مظلم بجر غير مرئي عدت إلى المشهد في منزلي وما زالت أمي تقف أمامي وتصرخ وتتحدث لكنني لا أستطيع سماعها حتى، حتى أمسكت بيديها على رأسي وبدأت بهزه هنا عاد لي الإدراك والسمع:

- ظل هل تسمعي؟ ذلك المسخ ليس والدك

ما زالت تردد هذه الكلمات وأنا أحاول أن أستوعب أنني عدت للواقع خرجت عن صمتي وقلت لها أخيراً بصوت واهن:

- لا.. أنتِ تكذابين أنتِ كاذبة..!

قالت وهي تضع يدها على رأسها:

- أوه بالتأكيد لن تصدقني لكن تفضل

أخرجت ورقة من حقيبتها وعلمت فوراً بأنها تحليل للذي إن إي وفتحتها أمامي وكان لا يوجد أي تطابق!! أمسكت بالورقة وقمت بتمزيقها ورميتها في وجهها مردداً:

- أنتِ كاذبة، كاذبة سأسأل أبي بنفسي وسأعرف منه الحقيقة

رأيت ملامحها تحولت إلى التعجب والرعب والاستغراب ما الذي يقوله هذا المجنون؟:

- يا إلهي أنت لا تصدق أن والدك ميت؟؟

قالت باستنكار وسخرية أمسكتها من يدها وسحبتهما للأعلى صعداً السلالم وهي تصرخ طالبة مني أن أتركها وأنا أردت ششاهدين والدي حي أبي ليس ميتاً وسيخبرني بالحقيقة سرنا عبر الممر وهي تصرخ حتى وصلنا إلى باب غرفة أبي أصبحت أسمع صوت نبضات قلبها جسدها كله يرتعش عرقها أغرق المنزل من شدة الخوف أرى الرعب في عينيها لم أكن أعرف أنها لهذه الدرجة تخشى أبي لكن لم تكن هكذا سابقاً نظرت في عينيها ونظرت في عيني ثم قلت بإصرار:

- الآن سنعرف الحقيقة الآن سترين أن أبي ليس ميتاً..

فتحت الباب ودخلت ورميت بها عند أقدام أبي وهو جالس على كرسيه المتحرك ثم قلت:

- أبي إنها المرأة التي هربت وتركتنا منذ ثلاثين عاماً هي هنا لقد عادت اعتذري من أبي الآن..

رفعت رأسها بهدوء وما أن التقت عيناها به أطلقت صرخة مدوية وتراجعت للخلف وهي تصرخ: أيها المجنون أنت تحتفظ بجثة أنت تحتفظ بجثة متعفنة!! استمرت بالصراخ كان صراخها مزعجاً وكأنه طنين الذبابة أمسكتها من شعرها وألصقت وجهها بوجه والدي وهي تحاول الهرب:

- انظري إليه لطالما كنت ترفضين النظر إليه طوال حياتك
لم تنظري إليه لمرة واحدة إنه أمامك أبي حي أخبرها يا
أبي بأنك حي أخبرها بالحقيقة أخبرها بأنك أنت والدي
الحقيقي إنها تكذب علي وتقول بأنك لست والدي
أرجوك أخبرها..

- اتركني أيها المجنون كنت أظن أنك مختلف كنت أظن
أنك شخص طبيعي لكن أنت مثلهم تماماً مجنون مسخ..

قالت بعد أن دفعنتي بقوة استطاعت أن تحرر نفسها مني
وهربت لحقت بها وأنا أصرخ:

- أنا لست مجنوناً أنتِ هي المجنونة وأبي ما زال حياً توقفي!!

لحقت بها وهي ما زالت تركض في تلك السلالم الطويلة وما
أن وضعت يدي عليها أحاول أن أمسكها تعثرت قدمها
وتدحرجت عبر السلالم درجة درجة سمعت صوت عظامها
تتحطم حتى وصلت للأسفل وعمّ الهدوء..

نزلت بهدوء وأقدامي ترتعش وقلبي يرتعش درجة درجة حتى
رأيتها رأيت جسدها الذي تحطم يدها اليمنى التي اعوججت كاليد
البلاستيكية الرجل اليسرى التي كان معظمها تحتها الدماء من
رأسها تسيل ببطء لكي تملأ بعض أرضية صالة المعيشة كنت
متجمداً في مكاني حتى سمعت صوت أنفاسها الأخيرة علمت
بأنها ما زالت حية تقدمت إليها أمسكت بجسدها وأنا أحاول أن
أتجاهل الدماء الحمراء أكره أن يتسخ منزلي فما بالك بدم أيضاً؟:

- أمي..!!

قلت بصوت راجف، حاولت أن تتحدث تحاول أن تخرج كلماتها الأخيرة كنت على أمل كنت أتمنى أنها ستقول لي آسفة لأنها تركتني كنت أتمنى أن تعتذر كنت أتمنى أن تقول لي أحبك يا بني لكن ما قالته مجرد كلام سام مثل اللحظة الأخيرة بيننا التي حدثت قبل سنوات قبل أن تخرج والآن أيضاً في لحظتها الأخيرة قالت وهي تنازع:

- أنت.. أنت وحش، أنت مجرد وحش مثلهم..

سمعت صوت الذبابة هذه المرة بشكل أقوى تباً لهذه الذبابة المزعجة هي حتى لم تجعلني أعيش لحظاتي الأخيرة مع أمي لكن أمي لا تريد ذلك لا تريد أي لحظات جميلة بيننا كنت أرغب بمساعدتها لكن هي لا تريد ذلك كانت ما زالت حية وأنا أجلس بجانبها وكانت ما زالت الذبابة تزن في رأسي وما زال الهدوء يطبق على تلك الليلة، نهضت بهدوء سرت نحو تمثال مصغر حجمه كحجم طفل رضيع كان المسجد قد نحتته قبل سنوات وكان من المجسمات المفضلة لدي التي تزين المنزل حملته بين ذراعي أسير خطوة خطوة نحو أمي التي ما زالت تحتضر أسير وأسمع صوت الذبابة في رأسي تزن بإصرار حتى وصلت إلى أمي وهي ما زالت مستلقية بجسدها المحطم فتحت عينيها عندما شعرت أنني أقف فوقها عيناها اللتان امتلأتا بالدموع والدم والحقد والخوف والندم والكراهية والغضب رفعت المجسم الذي بين يدي إلى الأعلى اتسعت حدقتا عينيها

یبدو أنها عرفت الخطوة القادمة رفعت أكثر بدني وما زالت
الذبابه تزن في رأسي ثم أنزلت المعجم بكل قوتي على رأس
أمي وقبل ذلك قلت:

- ما كان يجب أن تعودني إلى حياتي...!

استعرت بضرب رأسها بالمعجم ضربة خلف ضربة تتبعها
ضربة والذبابه ما زالت تزن وتزن وأنا أضرب وأكرر: ما كان
يجب أن تعودني إلى حياتي ما كان يجب أن تعودني أسمع صوت
عظام رأسها يتحطم دماغها يتهشم الدماء تتناثر الشعر يلتصق
بالمعجم عيناها دخلتا إلى الداخل أنفها تهشم واخفى أسنانها
تحطمت وخرجت والبعض دخل إلى حنجرتها وعندما توقفت
أخيراً وأنا ألتقط أنفاسي وألهث نزلت دموعي:

- أخيراً لقد اخفى صوت الذبابه..

الدماء في كل مكان بحيرة في صالة المعيشة جمجمة أمي
المهشمة بقاياها تتناثر على أسطح السلالم بقيت جالساً أمام
الجثة لمدة ساعة تقريباً لا أعرف ما هي مشاعري سعيد تعيس
مصدوم مرعوب نادم غير نادم خائف غير خائف لكن كل ما
أعرفه أنني لا أشعر بشيء وكل ما أشعر به هو الهدوء فقط
الهدوء في داخلي لم أعد أشعر بالضجة والفوضى اللتين كنت
أشعر بهما طوال حياتي، سمعت صوت عجلات كرسي أبي
رفعت رأسي رأيتَه ينظر إلي من مقدمة السلالم يبتسم ويخبرني

بأنني فعلت الشيء الصحيح وهو فخور بي شعرت بطاقة جسدي تجددت وعادت إلي نهضت بسرعة أردت أن أنظف كل شيء وقفت ولا أعرف كيف أبدأ أنا لست بقاتل أنا لم أقتل أحداً من قبل لكنني قتلت أمي الآن! لم أكن أتوقع أن أول جريمة لي هي أمي!؟ لا أول جريمة لي كانت الذبابة أعذر، لا تذكرت بل كانت الكلب، الكلب ثم الذبابة ثم أمي! لكن الذبابة جسدها صغير تخلصت منها بسرعة فائقة وكذلك الكلب، أمسكت بيدها وبدأت بسحبها وأثناء سحب الجثة كانت الدماء تشكل خيطاً وأثراً لا نهائياً أشعر بالضيق بسبب هذه الفوضى، مستمر بسحبها ولا أعرف أين أذهب بها أصبح المنزل كله خيط الدم الذي أحدثته الجثة وأنا أسحبها وصلت إلى ممر المرايا كان ممراً كبيراً جدرانها جهة تحتوي على لوحاتي وتحفي والأخرى تحتوي على مرايا ضخمة وعندما مررت من ممر المرايا شاهدت نفسي وأنا أسير وأسحب جثة أمي خلفي وكأنها أضحية سأقدمها لصدقة للفقراء رأيت نفسي ملطخاً بالدماء أو لا ليس ملطخاً بل تكاد الدماء تغرقني أبدو مختلفاً شكلي مختلف وجهي مختلف إنه أنا لكن ليس أنا وكأنني شخص آخر! وهنا رأيتهم رأيت عائلتي تقف كانوا جميعهم يقفون ويدعمونني يصفقون لي أيضاً مبتسمين بفخر وسعادة جميعهم عائلتي يدعمونني ويشجعونني «العمة لورا، كيران وكيارا، فرانسيس، إيلانا، كريستال، روبين، العم كيفن،

جوزيف، ولويس» والجميع أيضاً خرجوا لدعمي بكل حب في هذا اليوم ليس فقط العشرة رأيت الجميع يقفون ويصفقون لي ويدعمونني وكأنه يوم تخرجي أيام تخرجي التي كنت أحتفل فيها وحدي ولم يكن لدي أي أحد والآن لدي عائلة متكاملة نظرت إليهم وابتسمت ودموعي تسيل لا أعرف هل أنا حزين أو أنا سعيد لكن كل ما أعرفه أنني أملك منزلاً سعيداً..

تبدأ
بالنسبة
واحدة
الصامتة
أحجية
الحياة
الذي أر
الاندفاع
والوسط
هو السلا
تيك
الغيبات
تغير مفارقة
تتوهم
تتوهم



«الفصل الخامس والعشرون»

«منزل سعيد»

تيك توك.. الحياة لا تتوقف سيكون هناك دائماً استمرار لكن بالنسبة لك ستسخر أيضاً من اللحظات المتتالية السريعة من واحدة إلى أخرى، إنها سباق لا نهاية له تواكب القلوب للدقات الصامتة، كل علامة بداية جديدة فرصة للتغيير إن العيش قطعة أحجية مفقودة أعترف بذلك ربما رنين في رأسي يستمر أسئلة الحياة التي ليست لها أي إجابة مثل: من أنا؟ وماذا أكون؟ وما الذي أريده؟ وما الذي أسعى إليه؟ نبحث عن المعنى في الاندفاع والهدوء الناس يجدون الجمال في النضال والسلام ووسط الشغب، لكن أنا لا أستطيع أن أعرف أين هو الجمال وما هو السلام؟

تيك توك.. الحقيقة لا تتوقف إنها فقط تفرع الحقيقة المعارك الرغبات الفوضى التي تاكل عقولنا وأرواحنا وفجأة كنت تعيش في مفارقة ولكن لا يمكننا رؤيتها لا يمكننا الشعور بها إن الزمن يتحكم بنا إنه يشكلنا على هواه كيف نسير كيف نقرر وكيف نتحدث! يمكن أن يجعلنا نعيش أو يمكن أن يجعلنا نتعفن في هذه الحياة..

تيك توك.. الوقت يمر ببطء شديد سبع ساعات مرت بعد أن قتلت أمي استغرقني الأمر سبع ساعات وأنا أنظف فقط المنزل من الدماء نظفته على أكمل وجه أخيراً انتهيت الغريب لم أكن أشعر لا بتعب ولا خمول هذا لأنني معتاد على التحنيط أيضاً والنحت والرسم والتشريح وكل هذه الأمور تأخذ ساعات من وقتي وجهدي بعد أن انتهيت من التنظيف تخلصت من ملابسني التي كانت غارقة بالدماء وضعت المنحوتة التي هشمت بها رأس أمي في حمض النيكروتيز هذا الحمض يتم استخدامه في أمور كثيرة مثل التخلص من آثار البصمات يزيل البقع التي في المجسم أو أي غرض حتى لو كانت ملتصقة منذ أعوام لأنني بكل بساطة لن أتخلص من منحوتتي المفضلة بسبب بعض الدماء وقليل من اللحم وقليل من الشعر والجلد والدماغ، ملأت حوض الاستحمام وغطست فيه لمدة ساعتين كاملتين بدون مبالغة أردت تنظيف كل بقعة في جسدي أردت تبديل جلدي لجلد آخر أردت أن أعرف ما حدث هل هو صحيح أو أنه مجرد كابوس؟ غطست إلى داخل الماء برأسي بقيت دقيقة كاملة لكن فجأة سمعت صوتاً! خرجت من الماء بهدوء ظناً أنني أتوهم كالعادة لكن الصوت كان لا يزال يصدح خرجت من الحوض ارتديت روب الاستحمام بسرعة وما زال جسدي وشعري يقطران ماء فتحت باب الحمام كانت غرفتي هادئة لا يوجد فيها أي شيء خارج عن المألوف كان التوتر سيتلاشى لكن ازداد عندما سمعت الصوت عاد بحدة وبقوة من خارج الغرفة اقتربت من الباب

لكنني لم أفتحه وضعت أذني عليه وكان الصوت يعلو أكثر وأكثر
كان صوت همسات لمجموعة من الناس!! بدأ قلبي ينبض بشدة
رغم ذلك اعتبرتھا أحد أوھامي لذلك يجب أن أفتح الباب
وبالفعل فتحتہ وعندما خرجت تمنيت لو أنني لم أحصل على
الشجاعة السخيفة وكان المشهد الغريب والمرعب أمامي تماماً:

كان على طول الممر والدور كاملاً والجدران كلها مليئة
مجموعة من النساء يبكين ويصرخن كنّ يبكين بألم الغريب أنهن
يتألمن ولا أعرف من ماذا؟ يبدوون وكأن الألم بداخلهن كانت
أصواتهن ونحيبهن مزعجة ومرعبة لم تعد قدماي قادرتين على
فعل أي شيء نظرت إلى الباب أردت أن أعود إلى الغرفة لكن
اختفى الباب! أصبحت أسير بدون وعي أسير بين حشود النساء
الباقيات أسير في وسطهن وهن يقمن بلمسي بأيديهن كانت
أيديهن ساخنة أشعر بالحرارة ستذيب جسدي وهذا ما حدث
بالفعل بدأ النساء يصرخن ويقشرون جلودهن بأيديهن شعرت بأن
هذا كثير جداً على عيني وعلى عقلي قلبي بدأت نبضاته تصبح
أسرع سرت وأنا لا أعلم إلى أين أسير حتى سمعت صوت عجوز
تبكي وتصرخ كانت تقف بالمنتصف ومجموعة من النساء من
حولها وعندما رأني توقفت فجأة بعدها وقفت على قدميها
ونظرت إلي مباشرة ثم بدأت تصرخ وتردد وهي تبكي:

«أرواحهن.. لقد خدعن ذهني أصواتهن صرخاتهن تتصاعد
بجنون في رأسي إنه جحيم يستهلكني من الداخل!! ثم وضعت
يديها على أذنيها وبدأت تضرب نفسها وقالت: اصمتن!! اجعلهن

يتوقفن أرجوك اتركني حررني من هذا العذاب، إنني أغرق في
بكائهن ونحيبهن المتواصلين دورات آلامهن تتدفق نحو عروقي
مثل الثعابين السامة، ربما لقد حان الوقت للسماح لهن
باستهلاكني نعم اندمجن معي نحن كلنا واحد في هذه الهاوية..
دع الظلام يلتهمنا ويبيد كل ما عرفناه ذات يوم دع الشمس
تتحرقنا.. ثم نظرت إلي بنظرة حادة وقالت: فلا وجود للظل
اليوم..! ثم صرخن معاً صرخات مدوية ومزعجة ذابت جلودهن
وأجسامهن انصهرت أمامي في مشهد مروع وضعت يدي على
أذني لأنني شعرت بأني لو لم أفعل ذلك فسأفقد السمع من قوة
صرخاتهن سقطت أرضاً وأنا أشعر بأن أنفاسي سُحبت من
روحي أشعر بالاختناق أنا لا أغرق لأنه لا وجود للماء لكنني
أشعر بأني أغرق بدون ماء شعرت بأنها النهاية لم أعد قادراً
على التنفس وحتى آخر لحظة شعرت بيد تمسك بيدي وتسحبني
وهنا خرجت من حوض الاستحمام وأنا أشهق بقوة وأسعل
أحاول أن أجمع أنفاسي يا إلهي هذا كان كابوساً كيف؟ أنا لم
أكن نائماً كنت أستحم فقط؟؟ خرجت بسرعة من حوض
الاستحمام جففت شعري ونفسي خرجت إلى الغرفة وفوراً
فتحت الباب لكن يظهر كل شيء بخير إنه منزلي الطبيعي
ولا يوجد أحد غيري..

كانت الساعة السادسة مساء سبع ساعات وأنا أنظف انتهيت
من ارتداء ملابسني كنت أشعر بالجوع والغثيان في آن واحد لم
أستطع أن أكل لذلك شربت بعض القهوة لكي تسد جوعي، بعد

ان نقلت جثة أمي إلى القسم الثاني كنت أتساءل ماذا أفعل بها؟
لم أتخلص من جثة من قبل أنا مهمتي ليست التخلص من
الجث بل الاحتفاظ بها أشعر بتأنيب ضمير قاتل يتخلص من
جثة بإهمال لا، الجث تستحق الاهتمام أعلم بأن أمي لم تكن
جيدة من قبل معي ومع أبي أعلم أنها إنسانة أنانية ومعقدة
ومجنونة لكن عندما تكون جثة لربما ستتغير ربما..

حملتها إلى الاستديو وضعتها على السطح الآخر للتشريح لأن
الأول ما زالت جثة الرجل بلا وجه مستلقية عليه منذ أربعة أيام
وأنا أقوم بدراسة وشومه، كان الدم لا يزال مستمراً بالتنظيف من
رأسها سأقوم بعمل خياطة له لكن ماذا أخيط؟ لا بأس سأقوم
بعمل التدبيس أفضل من الخياطة سيختصر علي الكثير من
الوقت كنت أرغب بتحنيط جسدها كله كالباقي لكن رأيت أنها
لا تستحق أن تبقى هنا أنا أعلم بأنها لن تتغير ماذا لو استمرت في
نبذ أبي والتممر عليه؟ لقد كان مرتاحاً طوال هذه السنوات من
لسانها نعم لسانها الطويل البذيء وأول شيء فعلته التقطت
المشرط وقمت بقطع لسانها!! وصرخت في وجهها معلناً
انتصاري على لسانها السليط طوال هذه السنوات شعرت بسعادة
لكن هل سأتخلص من جثتها؟ لا طبعاً يجب أن أستفيد منها لدي
معرض قريب وتستحق أمي أن تكون واجهة هذا المعرض نظرت
إلى شاشة الحاسوب وما زال الموقع مفتوحاً على صفحة رأس
ميدوسا والحلم أيضاً الذي شاهدته «لا تنظر إلى عينيها ستقوم
بتحويلك إلى حجر» أنا أعرف الآن أنهم كانوا يقصدون أمي لقد

قاموا بتشبيه أُمي بأسطورة ميدوسا جمالها وأفعالها إن أُمي تملك قلباً كالحجر وستؤثر على أي أحد بكلماتها القاسية وأفعالها هذا ما كانوا يقصدون بأنها ستحول كل من حولها إلى حجر، الآن أنا أفهم سأجعل أُمي ميدوسا..

لا أحتاج إلى جسدها سأستفيد منه في أعمال أخرى أحتاج فقط إلى رأسها المهشم سيكون ترميمه تحفة فنية بالفعل بدون أي تردد قطعت رأسها وفصلته عن جسدها قمت بتجفيف الجسد أولاً التجفيف يحافظ على الجثة لساعات فقط وليس لأيام لكن فعلت ذلك حتى أنتهي من تحنيط الرأس، بدأت بعملية التحنيط هذه المرة الأولى في حياتي أقوم بتحنيط رأس فقط أولاً قمت بترميم الخدوش والضربات التي في الوجه والكسور بعدة عمليات حتى انتهيت سكبت سائل التحنيط وأضفت الشمع لأول مرة بعدها جعلته يجف لمدة أربع ساعات توجهت إلى الجسد وأخرجته من ثلاجة الموتى قمت بتنظيفه وغسله وبدأت بتحنيطه هو الآخر قمت بسكب سائل الشمع الساخن مع الطين على فتحة الرقبة حتى تختفي تماماً كونها رقبة بشرية، وضعت سائل التحنيط في الجسد وتركته يجف عدت مرة أخرى إلى الرأس وهنا بدأ العمل على اللحظة المفضلة لدي قمت بنحت الرأس والوجه أولاً قمت بطلاء الوجه وتغطيته بالطين ثم فتحت فيها أكثر وكأنها تصرخ وهي بالفعل كانت تصرخ قمت بتغطية عينيها حتى لا يفسدهما الطين وبدأت بتكوين ونحت الطين على أشكال ثعابين كثيرة قمت بحلاقة شعرها الذي كانت تتباهى به دائماً

أصفت الثعابين في رأسها وكانت الثعابين هي الشيء الوحيد
المزيف أما الباقي فكله حقيقي أزلت الغطاء عن عينيها أحضرت
لها بعض الإكسسوارات التي تحبها فهي تحب الزينة والجمال
ورضعت في أذنيها قرطين قد صنعتها بيدي من عيني إحدى
الجثث التي أتلقت وضعت في فمها وشفيتها التي تصرخ أحمر
شفاه أزلت الغطاء عن عينيها وضعت لها بعض الرموش حتى
تكون منحوتة أكثر من أن تكون حقيقية وهنا كان أمامي رأس
كاثرين على طريقة ميدوسا..! هذه المرأة كانت تريد تدمير هذا
المنزل السعيد الذي بنيت له لسنوات وأنا لن أسمح لها أبداً، أوه
أحتاج لبعض الموسيقى:

- أليكسا قومي بتشغيل أغنية مناسبة..

- حسناً سيد ظل..

بدأت الأغنية تصدح في جميع أنحاء القصر وكانت أغنية حقاً
مناسبة إنه حتى أليكسا تفهمني وهي مجرد جهاز إلكتروني
نفهمني أكثر من أمي وغنت الأغنية وكنت أشرب وأعمل بشغف
ونارة أرقص أنا والجثث التي في الاستديو:

Yeah, yeah

Been on another level since you came, no more pain

You look into my eyes, you can't recognize my face

You're in my world now, you can stay, you can stay

But you belong to me, ooh, you belong to me

If it hurts to breathe, open a window

Oh, your mind wants to leave, but you can't go

Oh, this is a happy house (a happy house)

We're happy here (we're happy here)

In a happy house

Oh, this is fun, fun, fun, fun

Fun, fun, fun, fun

Fun, fun, fun, fun

Music got you lost

Nights pass so much quicker than the days did

Same clothes, you ain't ready for your day shift

This place will burn you up

But, baby, it's okay, them my niggas next door

And they working in the trap, so get naughty if you want

So don't blame it on me that you didn't call your home

So don't blame it on me, girl, 'cause you wanted to have fun

If it hurts to breathe

Open a window (yeah, yeah, yeah)

Oh, your mind wants to leave but you can't go

This is a happy house

We're happy here in a happy house

Oh, this is fun, fun, fun, fun (this is fun)

أنا أحب هذه الأغنية حقاً إنها أغنية House Of Balloons
 للمغني The Weeknd أنا أهديها لك يا أمي أنتِ تتمينين لأبي وهو
 ينتمي إليك سواء أردت ذلك أو لا.. ولن تهدمي منزلنا السعيد
 وضعت آخر لمساتي ورفعت يديّ وانتهيت أخيراً أعجبت
 بالعمل انبهرت من نفسي ومن موهبتي ومن أفكارني كنت طائراً
 من السعادة إن هذا الرأس الجميع سيظنون أنه منحوتة عادية لكن
 لا أحد يعرف أن داخله دماغاً حقيقياً ورأساً حقيقياً، توجهت إلى
 الجسد أردت أن أصنع ميدوسا على طريقي انتهيت من آخر
 لمسة في تحنيط الجسد قمت بالباسها فستاناً أسود ذا دانتيل
 شفاف بطابع كلاسيكي قديم كانوا يرتدونه في العزاء قديماً
 وضعت الجسد بعد أن زينته على الكرسي في وضعية الجلوس
 ألبستها كعباً أسود وحملت الرأس ووضعته بين يديها في حجرها
 وهنا اكتملت أول تحفة فنية لي كانت مثالية بشكل مرعب حتى
 إنني بقيت أتأملها لثلاث ساعات متواصلة، الخطوات التي فعلتها
 كلها بالطبع لا تستغرق ساعات بل أياماً وأخذت مني ثلاثة أيام
 حتى اكتمل المشروع لكن أنا اختصرتها لكم، المرعب والغريب
 أنني لم أشعر بنفسني ثلاثة أيام وأنا أعمل على جثة أمي ثلاثة
 أيام وكأنني كنت في اللاوعي ثلاثة أيام لم آكل ولم أشرب حتى
 ولم أنم ثلاثة أيام كنت في الاستديو في القسم الثاني من القصر
 ثلاثة أيام حتى لو احترق العالم لم أكن أشعر بأي شيء وبعد أن
 بقيت أتأمل المجسم غرقت في نوم عميق من شدة الإعياء..

ثيا..

منذ ما حدث معي في ليلة أمس كان أشبه بالكابوس الواقعي لم أستطع أن أفسره إلا بأنه كابوس خصوصاً أن أمي وأبي عادا إلى المنزل ووجداني فاقدة الوعي على الأرض في غرفتي، أخبرني الطبيب أنه مجرد إعياء وأرق بسبب أنني أبذل مجهوداً كبيراً في الشغل بدون راحة وهذا ما قاله الجميع أحاول أن أتماشى وأصدق كلامهم ليس لدي خيار آخر كنت طوال اليومين في سريري أفكر كثيراً في أيللا وكريستيان هل حالتها أثرت بي لهذه الدرجة؟ لدرجة أنني رأيت أخي تتحطم عظامه أمامي بشكل مخيف وقام بمطاردتي بشكل مرعب! أحتاج إلى ظل أحتاج أن أكون مع ظل لكن ظل هو يحتاج إلى ظل آخر، يا إلهي لا أعرف لماذا لم يتصل بي لقد اشتقت إليه تناولت الهاتف اتصلت به لكن كان هاتفه مغلقاً لم أستغرب فهو لا يشحن هاتفه أبداً وخصوصاً أنه في إجازة من المفترض أنه غداً سيعود إلى عمله سأنتظر بضع ساعات وسأعاود الاتصال به:

- ثيا أنتِ مستيقظة..

- دخلت أمي وهي تحمل صينية الطعام وبعض الفيتامينات والماء.

- صباح الخير أمي..

- طبعت قبلة على جبينني ووضعت الصينية أمامي وهي تقول:

- أوه يا طفلتي أرى وجهك وجسدك الذابليين كوردة لم يتم سقيها من أيام لقد أهلكك هذا العمل المجنون..

لظالما كانت أمي دائماً تتذمر بسبب تخصصي ووظيفتي المروعة
كما تقول وهي محقة:

- أمي هذا عملي لا تقلقي سأكون على ما يرام وسأتحسن
قريباً إنه مجرد تعب طبيعي ناتج من جهد..

فالت منتهدة:

- أنا حقاً أعرف لا فائدة من التحدث معك في هذا الأمر هيا
تناولي طعامك وأدويتك، ثم توقفت عن الحديث وهي
تنظر إلى صورتي التي أضعها في إطار مع ظل التقطنا هذه
الصورة معاً أثناء تخرجنا من الجامعة وقالت بحسرة:

- لا أعرف إلى متى ستحيين هذا الرجل الغريب إنه لا يستحقك
حتى عندما تمرضين هو لا يتصل بك ولا يسأل عنك
ولا يأتي وأنت تتحججين وتضعين له أعذاراً بأنه يعاني
من مرض ما!!

وضعت الملعقة بعد أن تناولت بعض الحساء:

- أمي أرجوك لا تبدئي الآن ظل أيضاً كان مريضاً في الأيام
الأخيرة وهو مشغول جداً إنه يعمل في مئة وظيفة..

- حسناً أنا أعلم بأن أعذارك له جاهزة لنرأين ستصل هذه
العلاقة بك أخشى كثيراً يا ابنتي أن ذلك الرجل سيقودك
نحو الهاوية..

- أمي أرجوك لا تقولي ذلك ظل يعرفنا منذ سنوات وأبي
يحبه كثيراً حتى أخي كان يحبه إنه شاب متواضع وخلق

ولطيف لم يؤذ أحداً من قبل لماذا لا تستطيعين أن تتقبلينه؟
ثم بالنسبة للنهية لا تقلقي سيكون زوجي..

قلتها بابتسامة خجل..

- أوه عزيزتي يبدو أنك واقعة كثيراً لماذا هل طلب يدك؟؟
- امم نعم إنه بشكل غير مباشر لكنني واثقة بأنه سيطلبها قريباً..

قالت بتذمر:

- إذا لم يطلب يدك بشكل مباشر وتقولين سيفعل!! حسناً
سنرى حتى ذلك الوقت اهتمي بصحتك سأذهب الآن
لأجهز الغداء لأن خالك قادم..

- حسناً..

غادرت أمي الغرفة وبعد أن انتهيت من تناول الطعام عاودت الاتصال بظل لكن كان أيضاً مغلقاً، مضى اليوم بشكل عادي وضعت مذكرات أيللا في الصندوق ووضعت الصندوق في خزانة وأغلقت عليه ليكون بعيداً عن نظري يبدو أنني قررت بشكل نهائي تحويل حالة أيللا إلى مختص آخر وبدأت بالإجراءات لأنني فعلاً أنا على حافة الجنون من هذه المذكرات لكن كان لدي فضول أن أكملها وأعرف من هو الضيف وفي الوقت نفسه خائفة انتهى اليوم وأنا ما زلت مستمرة في الاتصال بظل لكن بدون فائدة أتى اليوم الثاني وبعد عدة اتصالات قررت أن أذهب إلى منزله لم أشعر بالارتياح لأنه في آخر لقاء بيننا كان مريضاً لذلك ارتديت ملابس

وتوجهت فوراً إلى منزله وصلت إلى قصره ونزلت من السيارة عندما أنظر إلى قصر ظل أعترف بأنه جميل جداً وأنه حلم كل شخص لكنني بطريقة ما أشعر بشعور مريب نحوه أشعر بأن هناك أعيناً من النوافذ الكثيرة تراقب من الداخل لطالما سألت ظل لماذا صممت وبنيت هذا القصر الضخم الذي يتسع إلى مئتي شخص تقريباً وأنت تعيش فيه وحدك أنت ووالدك فقط حتى بدون خدم؟! ودائماً ما يقول بأنه يشعر فيه بأمان وأنه ليس وحده ولا أفهم ما الذي يقصده وصراحة هناك أمور كثيرة لا أفهمها بشخصيته المعقدة دخلت إلى الفناء قمت بضغط زر الجرس الإلكتروني لكن لم يجب أحد حتى أليكسا عادة هي التي تجيب هناك زر آخر يجعلني أتواصل به مباشرة مع نظام أليكسا ضغطته وانتظرت ثم أجابت:

- من هناك؟

- مرحباً أليكسا أنا ثيا هل من الممكن أن تفتحي الباب لي؟؟

- لا أستطيع..

- ماذا؟

- السيد يقول لا تفتحوا لأحد غريب..

استغربت من كلامها أول مرة تقول هذه الكلمات لأن ظل يقوم ببرمجتها على أن تدخل بعض الأشخاص مثلي أنا والعاملة لكن الآن ترفض إدخالني إنها في النهاية جهاز أحمق حاولت أن أتمالك أعصابي ثم قلت:

- حسناً أين السيد؟ السيد ظل أخبريه بأنني هنا..

- هناك سيد آخر غير السيد ظل..

قالت أليكسا هذا استغربت هل تقصد والد ظل؟؟ لم أنه من تساؤلاتي إلا وانفتحت البوابة ابتسمت وارتحت ظننت أنه ظل دخلت إلى المدخل الخارجي حتى وصلت إلى باب الدخول إلى القصر لكنه كان مغلقاً كان الباب زجاجياً لكنه مبطن أي مظلل نستطيع أن نرى من يقف خلفه لكنه يكون غير واضح وهنا رأيت شخصاً طويل القامة ضخمة البنية وكان يدفع الكرسي المتحرك الذي كان يجلس عليه والد ظل لكن لم يكن ظل كان حقاً عملاقاً من هذا الشخص؟ ضغطت على زر التحدث:

- مرحباً أنا ثيا من أنت؟؟

قال بصوت ضخم وعميق وكان حديثه غريباً لا أعرف وكأنه للتو تعلم اللغة:

- ظل غير موجود في المنزل لقد سافر لكي يكتب كتابه..

استغربت من كلماته ظل سافر بدون أن يخبرني ثم من المفترض أنه اليوم سيعود إلى العمل كيف سافر فجأة ومن هذا؟

- من أنت؟؟

سألته..

- أنا صديق والد السيد ظل ولقد أخبرني أن اعتني به حتى يعود..

كنت أنظر إليهما وكانا يبدوان كالظل الأسود بسبب تبطين الباب كان الوضع مريباً وغريباً لم يخبرني ظل يوماً بأنه يسمح

لأحد بالدخول والاعتناء بوالده غير العممة نوري! وحتى العممة نوري عندما آتي إلى هنا وهي موجودة وظل غير موجود تقوم بإدخالني! لكن هذا الشخص يتحدث من بعيد ولا أعرف من هو؟ ثم سألته:

- هل العاملة نوري هنا؟؟

- لا..

أجاب وكانت إجابته بحدثة ثم وبدون أي سابق إنذار دفع الكرسي وذهب حتى لم يقل لي وداعاً أو اذهبي أو اخرجي!!؟ عدت إلى سيارتي لم أكن مرتاحة شعرت بالخوف ماذا لو كان هذا شخصاً غريباً فعل شيئاً بوالد ظل المقعد؟ وأين ظل أصلاً؟ يا إلهي رأسي سينفجر من التفكير والتوتر أين أنت يا ظل!؟

قررت أن أعطيه فرصة حتى اليوم التالي وإذا لم يرد علي فساخذ ستيفن شريكه في التشريح وأعود إلى منزله..

ظل..

استيقظت بفرع وكأني عدت إلى وعيي بالطبع أتذكر كل شيء لكن كنت أشعر أخيراً بجسدي يحترق من شدة التعب والخمول كان محطماً كلياً الآن أنا أشعر بالعمل الشاق الذي فعلته، نهضت ببطء أشعر بصداع يستقر في جمجمتي ويأكل خلايا دماغي غثيان رهيب ودوران مريع بالطبع لأنني لم أكل لعدة أيام وقفت على

قدمي اللتين كانتا ترقصان من شدة الارتعاش تناولت هاتفي لكنه مغلق بالطبع لم أشحنه لعدة أيام خرجت إلى الجسر وكنت أترنح وكأني ثمل وأنا لست بشمل حتى وصلت إلى الجهة الأخرى من القصر دخلت إلى المنزل وقبل أن أستحم حتى ورغم أنني أعاني من وسواس النظافة هذه المرة الأولى التي أقدم فيها شيئاً آخر على النظافة توجهت بسرعة إلى المطبخ شربت قارورة ماء لم أشبع ولم أرتو لكن أعلم بأنني إذا أكثرت سأتقيأ لأن معدتي فارغة لحسن حظي استطعت من هاتفي الآخر طلب بعض الطعام من تطبيق التوصيل لأنني لن أستطيع الطبخ بهذه الحالة وصل بسرعة في غضون دقائق طلبت معكرونة وبيتزا وبعض صدور الدجاج ويطاطس أنا لا أكل كثيراً لكنني كنت أشعر بأنني سأموت من الجوع حرفياً أكلته كله زاد فقط القليل وهنا شعرت بأن المرض زال لم أكن مريضاً أصلاً بل كان تعباً وإعياء من شدة الجوع والعطش والعمل بدون نوم أخيراً أخذت حماماً دافئاً وعندما عاد الهاتف للعمل هنا انهالت علي المكالمات الفائتة والرسائل كالمطر يا إلهي كان المفترض إجازة مرضية فقط ثلاثة أيام لكن أخذتها خمسة أيام! رسائل من المستشفى ومن الجامعة مكالمات تصل إلى خمسين مكالمه نصفها من ثيا والآخر باقي أعمالي، اتصلت أول شيء على ثيا استغربت أنها لم تأتِ واكتفت فقط بالاتصال أو هي معتادة على أنني أختفي فجاءة:

- ظل !!



ردت بنبرة غاضبة ومتوترة،:

- أهلاً ثيا.. كيف حالك حبيبي؟

قلت ببرود وأنا أجهز جميع الأكاذيب في رأسي..

- كيف حالي؟؟ كيف يمكنك أن تسألني هذا السؤال أين كنت؟

كنت أحاول الوصول إليك منذ أيام وعلاوة على ذلك أتيت

إلى منزلك وأخبرني أحدهم بأنك لست موجوداً وأنت مسافر

لتكمل كتابك ثم من ذلك الرجل في منزلك؟ لقد أخبرني

بأنه صديق والدك لذا هو هنا لكي يعتني به بينما أنت

سافرت ليومين وستعود لماذا لم تخبرني؟

أنت كلماتها علي مثل الصاعقة شعرت بأني ما زلت في قاع

الكابوس! ما الذي تقوله هذه الفتاة؟ أي رجل؟ صديق والدي من؟

- ظل.. ظل هل تسمعني؟

أيقظني صوت ثيا من خلف السماعة بعد سبات وصدمة لثوانٍ

قلت متلعثماً:

- أوه نعم أسمعك آسف لكن الشبكة متقطعة قليلاً..

- هل سمعتني ماذا أقول؟ أين أنت؟

- نعم أنا في المنزل لقد عدت ذلك صحيح إنه ممرض وصديق

أبي وهو ممرض متقاعد لقد انتقل مؤخراً إلى العاصمة وكان

أبي سعيداً أن صديقه القديم عاد لذلك لم يكن يملك أي

وظيفة فأخبرته أن يبقى مع أبي لأن أبي أصبح يتضايق من

رحلاتي كثيراً ويشعر بالملل فكرت أنه صديقه المفضل
وممرض هذا يعني أنه يستطيع الاعتناء بأبي ولن يشعر أبي
بالملل وفعلاً عندما عدت إلى هنا كان سعيداً جداً..

قلتها بضحكة متداركاً الوضع..

- حسناً إذا لماذا سافرت ولم تخبرني؟؟ وماذا عن وظائفك؟
هل مددت الإجازة؟

- نعم لقد أخبرتهم بأني أرغب بيومين آخرين أنا لم أسافر
خارج المدينة لكنني ذهبت إلى مكان قريب مع صديق
يحب جمع التراث لذلك ساعدته وقمت بالكتابة قليلاً

- حسناً هل من الممكن أن ألتقي بك؟ لدي موضوع مهم
أرغب بإخبارك به صراحة كنت أحتاجك جداً في الأيام
الماضية لكنني لم أجدك..

شعرت بالحزن في صوتها وكرهت نفسي كالعادة أنا حقاً
لا أستحق ثياباً لكنها تظل متمسكة بي أنا لا أهتم بها أبداً
لكنها تهتم بي أكثر من اهتمامها بنفسها:

- أنا آسف حقاً يا ثيا أنا هذه الأيام أشعر بأنني تائه ومشتت
لا أعرف ولكن حقاً أنا لا أستحقك..

- أرجوك يا ظل لا تقل ذلك أنت تغضبني بأفعالك لكنني
نهاية الأمر أعلم بأنك تحبني وتهتم لأمرني..

- حسناً ما رأيك أن نفطر معاً غداً في المقهى المعتاد؟

- حسناً موافقة..

أغلقت الهاتف وبدأت أفكر مراراً وتكراراً يجب علي إعادة ترتيب حياتي أشعر بالفوضى حقاً تذكرت أبي!! يا إلهي لم أره منذ أيام ركضت بسرعة خصوصاً بعد أن سمعت كلام ثيا فتحت الباب وجدته مستلقياً على السرير:

- أبي؟؟ كيف حالك؟ آسف أعلم بأنني غبت عنك لأيام لكن كان التخلص من جثة أمي أمراً متعباً،

ثم سكت قليلاً وبعدها أكملت حديثي بحماس:

- أبي لقد أصبحت أمي شيئاً لا يقارن بشيء آخر حقاً أصبحت تحفة هل ترغب برؤيتها؟

- أبي.. صراحة ثيا قالت لي شيئاً غريباً قالت إنها شاهدتك مع رجل غريب في المنزل وقال إنه صديقك من هذا الرجل وأين هو؟؟!

لم يخبرني بشيء واكتفى بالسكوت ثم سألته مرة أخرى:

- أبي هل تعرف ما الذي قالت أمي عنك قبل أن تموت؟ أنا حقاً لم أصدقها ولن أصدقها أبداً أعلم بأنها تحاول تشويه سمعتك لأنها تكرهك تريد مني أن أكرهك أيضاً، أبي هل أنت أبي؟؟

سألته ييأس لقد دخل عقلي أمور كثيرة هذين اليومين وأحداث كثيرة لا أعرف ماذا أصدق وماذا أترك؟

- أبي حسناً إذا كنت لا ترغب في الحديث فلا بأس سأتركك الآن وسأذهب لأحضر لك العشاء وأقرأ لك كتاباً حسناً؟..

سرت باتجاه الباب ولكن قبل أن أخرج سمعت صوت أبي في رأسي يقول:

- إنه لا يزال هنا..!

استدرت نحو أبي:

- من تقصد؟ صديقك؟

لم يرد أبي وعاد إلى النوم خرجت من الغرفة وأنا أفكر هل هذا حقيقي من يكون صديق أبي؟ هل من المعقول أحد الجثث لكن لا يتحركون لغيري وعلاوة على ذلك لا يأتون إلى هذا القسم من القصر أبداً لحظة، بحسب المواصفات التي قالتها لي ثيا ضخمة طويل عريض من بهذه المواصفات من؟؟

شعرت بقلبي يسقط من مكانه هذه المواصفات...!

ذهبت ركضاً بسرعة خرجت من القصر توجهت إلى القسم الثاني أركض وأركض حتى وصلت إلى الاستديو وهناك رأيت تلك الجثة ما زالت مستلقية كنت أعطي جسده بشكل كامل حتى وجهه مغطى وكانت بالفعل كما هي لكن هذه الجثة تحمل المواصفات التي قالتها لي ثيا مواصفات الرجل الذي كان يدفع أبي ويهتم به نظرت إليه وكان يبدو وكأنه يتنفس لمحت الغطاء وكأنه يدخل ويخرج من ناحية وجهه اقتربت وأنا أرتعش وقدماي



تلك اذ ان لا تحملا انني حتى وصلت إليه وضعت يدي على الفماش
 الأبيض وبحركة سريعة سحبتة وهنا كانت الصدمة التي أسقطتني
 أرضاً كان ذلك الرجل الذي بلا ملامح أو بلا وجه أصبح يملك
 عيناً واحدة فقط العين اليسرى!! وجهه ما زال بدون ملامح لكن
 عين واحدة ظهرت! وجهه بعين فقط يا إلهي لا أعرف كيف أصف
 لكم هذا المنظر نهضت من مكاني بعد أن وقعت أرضاً أغمضت
 عيني وأنتحهما أحاول أن أقنع نفسي بأنني أتخيل لكن لا لم يكن
 لتزيت من وجهه أكثر لكي أتحقق إنها فعلاً عين بشكل كامل
 عين ورموش وجفن وحاجبها أيضاً ظهر معها أخرجت هاتفي
 رفعت بتصويره حتى إذا اختفت أستطيع أن أعرف إذا كان يلعب
 معي ويحاول ان يسلب عقلي مني، لا أعرف في ماذا أفكر لكن
 مددت يدي وأنا أحاول أن أشجع نفسي أردت أن أفتح عينه
 لسته كنت أشعر بالتقرز أحاول أن أفتحها بأصابعي لكنها ترفض
 أن تفتح ثم قمت بإلغاء الفكرة وسحبت يدي لا أرغب ولا أحتاج
 لتجربة أخرى تسقط قلبي مرة أخرى:

- من تكون أنت؟؟

سألته بهدوء وكأنه سيجيبني وكيف سيجيبني وهو لا يملك
 نفساً بعداً..

- ماذا تريد مني؟؟

أسكت بالغطاء وأعدته على وجهه ثم قلت بغباء وبنبرة
 تهليلية سخيفة:

- ابتعد عن أبي وثيا هل تفهم؟ لا تظهر لثيا مرة أخرى وإذا كنت حقاً شجاعاً وتحاول أن تخيفني فانهض الآن أمامي..

لم يكن هناك أي ردة فعل ضحكت بشكل ساخر على نفسي وألقيت نظرة أخيرة على مجسم أمي أفكر أين أضعه؟ هل أضعه في صالة المعيشة؟ أو في أحد الممرات؟ إنه جميل في أي مكان سأقرر لاحقاً أطفأت الضوء وخرجت وعدت إلى القسم الثاني من القصر..



«الفصل السادس والعشرون»

«ميت من الداخل»

١٩٩٢ م..

لا أرى عيباً في أن تكون ميتاً العيب في أنك تكون على قيد الحياة لكنك ميت من الداخل!!...

اليوم ستبدأ الإجازة السنوية للمدرسة لقد انتهت الاختبارات النهائية وحصلت على المركز الأول في المدرسة وانتهت السنة الدراسية الأولى في حياتي، كان اليوم الأول لي في الإجازة لم أكن أعرف ما الذي سأفعله وكيف سأقضي وقتي؟ لكن كنت متحمساً كثيراً بعد أن أخبرني أبي بأننا سنتسلى كثيراً رغم أنني كنت أعلم بأن أبي لا يملك أي وقت ليكون معي لكنني سأكون معه في كل مكان كالعادة قضيت اليوم الأول من الإجازة في مغسلة الأموات مع أبي كنت أتجول هنا وهناك بمثل وأبي يعمل أتساءل كم ميتاً في اليوم؟ كانت الساعة السابعة مساءً كنت أجلس في غرفة الراحة لأبي في المغسلة وهو يقوم بغسيل الموتى في الخارج أجلس في النافذة أراقب عائلات الأموات وجوههم الشاحبة الذابلة الحزينة البائسة وهم يسلمون جثة قريبهم ويتظرونه حتى ينتهي من الاغتسال يأخذونه ويذهبون به إلى المقبرة:

- آسف جعلتك تنتظر كثيراً هل شعرت بالملل؟
 قال أبي بعد أن دخل الغرفة وأعلن انتهاءه من عمله..
 - لا عليك لقد مضى الوقت بسرعة لكن يا أبي لماذا الأموات
 كثيرون اليوم على غير العادة؟
 سألته..

- هذا لأن الأرض لم تعد تحتملهم يا بني تحاول أن تخفف
 حمل ثقلها الأحياء كثيرون جداً عليها..
 - وهل ستخلص منا أيضاً؟

- ستخلص من جميع الأحياء حتى تصبح فارغة تماماً في يومٍ ما..
 - إذا سنكون أمواتاً في يومٍ ما يا أبي؟

- لا بأس لا عيب في أن تكون ميتاً العيب في أن تكون على
 قيد الحياة لكنك ميت من الداخل..

خرجنا من المغسلة وتوجهنا أولاً لشراء الطعام بعدها ذهبنا
 إلى المقبرة أتحمس أكثر عندما نكون ذاهبين إلى المقبرة أخبرني
 أبي أنه من اليوم سيأخذني في جولات الحراسة أيضاً أخبرني بأنه
 سيجعلني أشاهده وهو يدفن ميتاً واحداً على الأقل، وصلنا إلى
 المقبرة في الساعة مساءً ألقى أبي التحية على الحارس المناوب
 في فترة الصباح لكنني سمعته يخبره:

- أتى ذلك الشخص يسأل عنك وأخبرته بأنك اليوم ستأخر..
 - حسناً لا بأس شكراً لك..

- كيف حالك أيها البطل؟ تهانينا على النجاح..

قال الرجل وهو يربت على رأسي بلطف كان الوحيد الذي
بمامل أبي بشكل جيد لكن فجأة صرخ أبي بتوتر ولا أعرف لماذا
لكن على الأغلب أن الرجل فهمه:

- ارفع يدك لا تلمسه!!

نظر الرجل إلى أبي بريية وخوف بينما كانت نظرات أبي إليه
حادة ثم قال الرجل:

- آسف لقد نسيت وداعاً وتصبحان على خير..

غادر الرجل مسرعاً من المقبرة ثم سألت أبي بتعجب:

- أبي.. ما الخطب لم يفعل لي أي شيء سيء كان لطيفاً؟

أجاب وهو يدخل قبلي إلى المقبرة:

- ولأنه لطيف وطيب ليس من مصلحته أن يلمسك..

- لكن لماذا؟؟؟

- توقف عن الأسئلة الكثيرة وهيا اتبعني لكي تشاهدني وأنا

أدفن ميتاً ألا تريد ذلك؟

- بلى أرغب..

دخلت أركض بحماس ونسيت الموضوع كأني طفل أخبرني أبي
أن أقف على بعد مسافة قصيرة حتى أراقبه دخل الحافرون وعائلة
الميت إلى المقبرة يحملونه وضعوا الميت وهم يبصرون

كل الألم والمآسي يحملونها في أرواحهم إنها مناظر غير مناسبة لطفل في مثل عمري لكن هذه كانت حياتي شعرت بالانقباض في قلبي والانزعاج والخوف أردت أن أركض وأعود إلى الغرفة من شدة الصراخ الذي كان يخرج من حزن عائلة الميت لكنني قاومت حتى أثبت لأبي أنني شجاع وأني أستحق أن أكون من البيتشيني الذين لا أعرف من هم أصلاً؟ انتهى أبي من دفن ثلاثة أشخاص أمامي وأنا أراقب بعدها طلب أبي مني أن أذهب إلى الغرفة ذهبت مسرعاً إلى الغرفة أخيراً دخلت إلى الحمام أحاول أن أتنفس لكن لم أستطع قمت بغسل وجهي بالماء البارد شعرت بتحسن قليلاً خرجت من الحمام ما أن جلست قليلاً على السرير حتى سمعت طرقاتاً غريباً على النافذة! رفعت رأسي لكن لم يكن هناك أحد، أحضرت الكرسي الخشبي الذي أصعد عليه دائماً لأصل إلى النافذة نظرت إلى الخارج عبر النافذة لم أر أي أحد ظننت أنني أتوهم لذلك عدت وجلست على السرير لكن مرة أخرى أتى الطرقات بشكل أقوى نهضت وصعدت مرة أخرى إذ أرى طفلاً تقريباً في عمري ينظر إلي ثم ذهب مسرعاً إلى داخل المقبرة، كان لدي فضول من أين أتى هذا الطفل لأول مرة أراه هنا خرجت من الغرفة نظرت إلى أبي كان ما زال مشغلاً بالدفن نظرت إلى الجهة الأخرى من المقبرة كان الصبي ما زال يقف في الظلام وكأنه ينتظرنني سرت بخطوات سريعة خلفه عندما شاهدني أقرب ركض بسرعة إلى داخل المقبرة أكثر ركضت خلفه حتى تجاوزت سور المقبرة كنت أظن أنني خرجت من المقبرة لكن المفاجأة لم أكن خرجت منها بل دخلت وتعمقت بها أكثر!

كانت المقبرة تمتلك عدة أسوار تفصل بينها مثل الطبقات كان الجزء الذي يعمل فيه أبي في البداية هو الجزء الذي يستخدمونه للدفن وعلى ما أظن البقية أصبحت مهجورة ولم يعد أحد يدخلها أو يدفن فيها أي ميت من منظرها من الواضح أنها مهجورة منذ زمن الأشجار التي زرعت بكثافة فوق القبور حتى أصبحت مقبرة في غابة شكلها مخيف وجميل في الوقت نفسه المصاييح محطمة البوابات أيضاً الأرضية التي أصبحت مليئة بالتراب وأوراق الشجر، كنت أتساءل هل كان أبي يريد أن يحضرني إلى هنا؟ هل عندما أبحث عن أبي ويختفي يكون دخل إلى هذا الجزء من المقبرة؟ كان الضباب والظلام يغطيان المكان وكأنني دخلت إلى عالم الموتى وهو بالفعل عالمهم، سرت بخطوات بطيئة أشعر بالانبهار من هذا المكان الضخم المليء بالأموات اختفى الطفل ولم أعد أبحث عنه رأيت شيئاً يلفت انتباهي أكثر بقيت مستمراً بالسير حتى وصلت إلى مكان يبدو وكأنه غرفة قديمة لحارس كان الباب مفتوحاً الغرفة متهاككة يغلفها شبكة العنكبوت، وصلت إلى الباب ودفعته بهدوء أصدر صريراً مرعباً رائحة الغبار تفوح من المكان لكن كانت الغرفة مضيئة بسبب الشموع كانت الغرفة مليئة بالشموع غريب من قام بوضع هذه الشموع؟! المكان قديم ومهجور هل يوجد أحد ما يعيش هنا؟ دخلت إلى الغرفة كان يوجد بالمنتصف طاولة خشبية عليها مجموعة لحيوان ما حولها بعض الأوراق والحبر والشموع والأشياء الغريبة كان على الحائط بعض الكلمات والرموز الغريبة لمحت أيضاً شيئاً ما كان قناعاً جلدياً معلقاً على الحائط لكن يبدو وكأنه ليس قناعاً

مزيفاً أقصد كان يبدو وكأنه وجه إنسان!! تقدمت نحوه ولكن كان مرتفعاً مددت يدي أحاول أن أصل إليه لكنني قصير فجأة سمعت صوت باب الغرفة أغلق وحده ركضت بسرعة للباب أحاول فتحه لكنه يرفض شعرت بالتوتر والخوف بدأت أطرق الباب وأدفعه بقوة وأنادي أبي لكن لا جدوى، توقفت عن الطرق عندما سمعت صوت خطوات من الخارج نبض قلبي بشدة عرفت أنه ليس أبي لو كان أبي لكان قام بمناداتي رأيت مقبض الباب يتحرك بهدوء ركضت بسرعة إلى أسفل الطاولة أحاول أن أختبئ انفتح الباب بهدوء أحاول أن أكتم صوت أنفاسي وصوت نبضات قلبي دخل بخطواته الضخمة المرعبة رأيت أقدامه الضخمة وحذاءه الأسود اللامع الجلدي وشممت رائحة عطره التي تفوح بالمكان وقف في مقدمة الغرفة بدون أي حراك وكأنه يتفحص أو يبحث بعينه في المكان عني كنت أرتعش من الخوف بشدة ثم سمعت صوت أبي ينادي ويبحث عني عندما سمع الرجل صوت أبي خرج من الغرفة كنت خائفاً على أبي لكن تغيرت وجهة نظري عندما سمعت أبي يتحدث مع هذا الرجل:

- ما.. ما الذي تفعله هنا؟؟

سأل أبي الرجل وكان يبدو على أبي التوتر والخوف:

- إنه بالداخل..

رد الرجل ثم عمّ هدوء لثوانٍ ثم استرسل الرجل في حديثه:

- لم أعهدك أنك مهمل لهذه الدرجة كيف يمكنك أن تجعله يتجول هكذا هنا وحده؟

- أعتذر كنت أظن أنه نائم..

قال أبي بتوتر

- لا بأس يجب أن يتم تدريبه من الأسبوع المقبل لا تنسَ ذلك..

قال الرجل

- بالطبع لن أنسى كل شيء جاهز..

غادر الرجل وترك أبي وأنا ما زلت أسفل الطاولة أشعر بجميع أنواع الحيرة والتساؤلات تعصف في رأسي:

- اخرج يا ظلي أعلم أنك بالداخل لا تقلق لن أغضب منك..

خرجت بهدوء بعد أن قال أبي لي هذه الكلمات وهو يقف على عتبة الباب تقدم نحوي ونزل على ركبتيه مبتسماً:

- ألا تعرف أنه يجب أن لا تتصرف أي تصرف من دون إذني؟
ما الذي سأفعله لو حدث لك شيء سيئ؟ أتعرف أن هذا المكان خطير؟

- ما هذا المكان يا أبي؟؟

- إنه الجزء القديم من المقبرة وهنا تكثر الحيوانات الضالة
ومن الممكن أيضاً الأشخاص السيئون لهذا يجب أن لا تأتي
إلى هنا وحدك..

- لكن من ذلك الرجل يا أبي لقد خفت منه ثم تحدث معك؟!
سألته..

- أي رجل؟؟

أجاب ببرود...

- أبي الرجل الذي كان يقف هنا ثم ذهب وتحدث معك قبل

قليل؟؟

- لا يوجد أي رجل غيرنا يا بني لا يوجد أي أحد هنا هيا بنا

دعنا نعد حان وقت العشاء..

عدنا إلى الغرفة وتناولنا العشاء انتهى عمل أبي وعدنا قرابة الصباح كالعادة إلى المنزل وكان شيئاً لم يحدث كان أبي دائماً يتصرف معي بهذه التصرفات لا أعرف إذا كنت أنا مجنوناً وأتخيل أشياء أو هو المجنون ويحاول أن يتجاهل بطريقته أو أنه يحاول أن يجعلني أبدو كالمجانين...؟!؟

٢٠٢٣ م..

أشعر بأنني ميت من الداخل ولطالما كان هذا الشعور يلازمي طوال حياتي لا أشعر بأنني شخص حي على الإطلاق وما يؤكد أنني حي هو رؤية الناس لي عدا ذلك أنا لست حياً لا أعرف هل أنا شبح؟ هل أنا روح شيطان؟ هل أنا زومبي؟! لا أعرف لكن ما أعرفه أنني عالق بين الأحياء والأموات عالق في المنتصف، بدأت الثلوج بالهطول من السماء إلى الأرض مع بداية فصل الشتاء لهذا العام بدأ بشكل قوي دخلنا في شهر نوفمبر وهو شهر

ميلادي بعد ثلاثة أيام تقريباً سأدخل في سن الخامسة والثلاثين
 خمسة وثلاثون عاماً وأنا لا أعرف هل أنا ميت أو حي؟ خمسة
 وثلاثون عاماً وأنا أتخبط بين الحياة والموت خمسة وثلاثون
 عاماً وأنا لا أعرف من أنا ومن أكون وماذا أريد؟ خمسة وثلاثون
 عاماً وأنا تائه بين الجثث، لم أفكر في أي كلمة قالتها لي أمي
 قبل أن تموت ولم أخذها بجدية أبداً ببساطة لأنني لا أعرفها
 وأكرهها وعلاوة على ذلك امرأة مجنونة لكن الوضع يختلف مع
 أبي لماذا عندما سألته لم يعطيني أي جواب؟ هل من المعقول أنه
 غضب مني؟ غضب لأنني شككت بثقتي به؟ لم أفكر أو أتجرأ
 على أن أشك أن هذا ليس أبي لأن الموضوع سخيف جداً
 وخصوصاً أنه خرج من فم تلك المرأة الحاسدة الحقود بالكاد
 هي نكره أبي وعندما عرفت أنه يعيش بقية حياته في هذا النعيم
 والترف قررت أن ترمي تلك الكذبة علي كانت تحاول أن تدخل
 إلى حياتي كانت تحاول أن تدمر أبي من جديد وتدمرني كانت
 تحاول أن تدمر منزلنا وعائلتنا كانت تريد أن تجعل هذا البيت
 نفساً كما فعلت من قبل لكن لم أسمح لها أبداً وهذا المنزل
 سيبقى متماسكاً وشامخاً وسعيداً للأبد...

اليوم سيكون هناك حفلة لرأس السنة بشكل مبكر كالعادة في
 المستشفى النفسي لذلك قامت ثيا بدعوتي في كل مرة أذهب إلى
 تجمع وخصوصاً الحفلات أكره الحفلات والمناسبات بشدة لكنني
 أذهب من أجل ثيا حتى تتباهي بي أمام الجميع في كل مرة أدخل
 إلى حفل أشعر بأنني أختنق ببطء وحين ينتهي أشعر بأن روحي

عادت إلي، جهزت نفسي ارتديت ملابس بدلة رسمية سوداء
 معطف متوي أسود كنت محتاراً بشأن إضافة الشال ماذا سيكون
 لونه؟ فتحت خزانة قديمة فيها الكثير من الأشياء التي أحفظ بها
 مؤخرًا ثم أخرجت صندوقاً كان به بعض الصور لي ولأبي شعرت
 بالحنين والاشتياق للأيام الماضية صحيح أنها كانت بائسة ومظلمة
 لكنها لطالما كانت مع أبي بالطبع جميلة تركت الصور جانباً
 وأخرجت شالاً أحمر كان هذا الشال أهداني إياه والدي عندما
 تخرجت من المرحلة الإعدادية وقال لي عندما أكبر ارتديه في
 تلك الليلة التي أعطاني كان مثل هذا الشهر في يوم ميلادي بدأت
 الثلوج تهطل والأمطار كان الجو شديد البرودة وكالعادة لم يكن
 لدينا تدفئة في المنزل وكانت آخر أيام نعيشها في ذلك المنزل
 وتلك القرية حضر لي أبي هذا الشال وقال لي إنه كبير جداً
 وطويل جداً لذلك سيكون من الجيد أن ارتديه ميسعوني بالذفة
 وقال إنه أيضاً يجب أن ارتديه عندما أكبر أكثر عندما سألته كيف
 اشتريته ونحن آنذاك لم نأكل من يومين؟ أخبرني أنه لم يشتريه وأنه
 صنعه هو بنفسه من قماش صوف أحمر لكن لا أتذكر أن أبي كان
 ماهراً في هذه الحرفة لذا خمنت أن صديقه هو من أحضره لي
 لكن أبي لا يكذب علي في كل مرة أصدقاؤه يقومون بإعطائه شيئاً
 لي يخبرني بذلك إنه منهم لكن ليس مهماً المهم هنا أن أصدقاء
 أبي هؤلاء الذين يتحدث عنهم ويعطونني الهدايا وأمي تحدثت
 عنهم المشكلة أنني لم أرهم في حياتي أبداً! كان أبي وحيداً وأنا
 مراققه ولا أعرف أين هؤلاء الأصدقاء الذين يتحدثان عنهم..

فمت بإعادة كل شيء مكانه لكتتي تركت صندوق الصور خارجاً شعرت بأنني تأخرت عن الحفل أو أتعمد ذلك لأنني أرغب بانتهاء الوقت بسرعة لففت الشال بطريقة أنيقة على رقبتني ولبست ساعتني ووضعنت العطر المفضل لي وخرجت من المنزل، وصلت إلى قاعة الحفل في تمام الساعة التاسعة والنصف مساءً كانت القاعة مكتظة بالضيوف الجميع متأنقون لكتني كنت أبحث عن الأجمال بالطبع ثيا:

- بروفسور ظل؟ مرحباً بك..

سمعت الصوت أتني من خلفني التفت لأجد أحد الأطباء الذين يعملون في المستشفى صراحة لا أستلطفه ولا أحبه ولكني أكون صريحاً لا أحب أحداً في مجتمع العمل ومجتمع الكرة الأرضية كلها:

- مرحباً دكتور كيفين..

رددت مجاملاً

- لم أكن أتوقع حضورك لأنه نادراً ما نراك في مناسبات أليس كذلك؟

- بلي أنت محق لأكون صريحاً أتيت هنا من أجل ثيا فقط..

- أوه من الجيد أنك تحب شخصاً

قالها بسخرية..

- نعم من الجيد

أجبت ببرود أخيراً بعد أن أتت ثيا وأنقذتني من هذه الحوارات
التافهة مع من يقولون عنهم زملاء عمل كانت ثيا تبدو كالأميرات
من عالم آخر من عالم الروايات ارتدت فستاناً أحمر طويلاً مع
فتحة الظهر التي أظهرت قوامها وجسدها الذي يبدو كتحففة
مصنوعة وجهها الجميل كجمال حورية وأجمل شعرها رائحتها
ابتسامتها كانت ثيا وما زالت تلفت نظر الجميع عندما تكون
موجودة في مكان ما كشيء نادر لا يرى إلا مرة بعد كل خمسة
قرون المحزن في الأمر أنني لا أستطيع أن أقول لها هذه الكلمات
مباشرة، مشكلتي الأزلية هي أنني لا أعرف أبداً كيف أتحدث عن
مشاعري كيف أخبر ثيا أنني أحبها بهذا القدر وأكثر؟ أعبر وأشرح
وأمدح وأقول جميع كلمات الحب والغزل أقولها في رأسي فقط
وأشرح ذلك جيداً بيني وبين نفسي لكن عندما أريد أن أقولها في
الواقع لا تخرج من فمي أبداً من الصعب جداً أن تخرج:

- أخيراً لقد وصل فتى الميلاد..

قالت ثيا وهي تحتضني:

- ما زال مبكراً على ميلادي..

أجبت

- لا إنها فقط ثلاثة أيام وبالمناسبة تعلم جيداً بأن شهر

نوفمبر هو شهرك وليس فقط يوم أربعة هيا تعال..

أمسكت ثيا بيدي وسحبتني في منتصف القاعة ازدادت الحشود

وازداد ضيق تنفسي لكن ثيا كانت كالأكسجين بالنسبة لي في هذه

المواقف انطلقت الموسيقى وبدأ الجميع بالرقص بمن فيهم أنا وثيرا وأثناء رقصنا على الموسيقى الهادئة الرومانسية والإضاءة الخافتة كانت ثيا تتحدث إلي كالعادة بشغف وحب تخبرني عن الأشياء التي فعلتها في الأيام السابقة لكن كان كل تركيزي وعياني على الشرفة التي في الأعلى كانت القاعة دائرية وبها دور ثانٍ وكان فارغاً لكن فجاءة رأيت شخصاً يقف مقابلاً لنا في الشرفة في بداية الأمر لم أهتم لكن بعد أن شعرت بأنه بدا وكأنه ينظر إلي بشكل مباشر لم أكن أستطيع أن أرى وجهه بسبب أنه بعيد والإضاءة خافتة لكن من طوله وهيئته الجسدية الضخمة يبدو لي أنه مألوف أو أنه تلك الجثة بلا وجه التي ترقد في الاستديو الخاص بي..!

انتهينا من فقرة الرقص وعندما رفعت رأسي ثانية لم يعد ذلك الشخص موجوداً لقد اختفى:

- حبيبي هل أنت بخير؟

سألني ثيا لأنها لاحظت أنني لست معها أبداً..

- نعم أنا بخير لا تقلقي..

- ظل!!؟

التفت لأرى صاحب الصوت كان المحقق نيكولاس:

- أوه أهلاً بك لم أرك منذ وصولي؟

- نعم صراحة لقد وصلت للتو، كيف حالك أيتها الطبيبة ثيا؟
تبدين جميلة كما يقول الناس عنك تماماً وأجمل أيضاً..

قال وهو يمد يده مصافحاً ثيا:

- ثيا هذا المحقق نيكولاس دولوريس..

قالت ثيا وهي تصافح المحقق:

- أهلاً لقد تشرفت بك سمعت عنك الكثير وشكراً لكلماتك اللطيفة..

انتهت الحفلة وكنت أشعر بصداع رهيب بعد أن أخبرني المحقق بأنه يرغب بزيارتي في المنزل لكي يخبرني عن كل شيء يخص العمل والقضايا التي ستشارك فيها معاً أخبرته أن ينتظر اتصالي الأسبوع القادم، عدت إلى المنزل مع ثيا التي أصرت أن تعود معي وتطمئن على صحتي كنت في الأيام الأخيرة أجهز مفاجأة لثيا وهي أن أقوم بخطبتها رسمياً مع خاتم لكن الأيام تمضي وأنا لم أفعلها لكن يجب أن أفعلها مع احتفال رأس السنة اعتادت ثيا أن تحضر لي شجرة الكريسماس لكن قررت هذا العام أنني سأصنعها بالشكل الذي كنت أفكر فيه صراحة الفكرة أثارت إعجابي كثيراً عندما رأيتها في تلك الشبكة لكن هل ستثير إعجاب ثيا؟؟



«الفصل السابع والعشرون»

«فن الجثث»

«إن الفنون كثيرة وكل فن يختلف عن الآخر كل فن في هذا العالم كيفما كان وكيفما يكن هو فن ويجب تقديره مهما كان حتى لو كان هذا الفن مصنوعاً من الجثث»

جثة بعد جثة تراكبت في أعقابي كلما انتظرت عودته كان لحمي ذهباً باهتاً ودمي تعفن، الأرض من حولي قاحلة مظلمة مروعة لا تحتمل كل هذا الثقل الأرض تهوي بي شيئاً فشيئاً من دونه واثق أن الأرض ستبتلعني وماذا عساي أن أفعل؟

كتب أبي هذه الكلمات على إحدى الصور التي وجدتها صباحاً واقعة على الأرض ماذا يقصد أبي بهذه الكلمات؟ ومن يقصد؟ هل كان ينتظر أمي كتب هنا بصيغة مذكر لا مؤنث هذا يعني أنه يخاطب رجلاً، كنا في الصورة أنا وأبي معاً التقطناها عندما كان عمري الثامنة كنا في المنزل وهذه أول صورة لنا بالكاميرا عندما اشتراها لي أبي بالمال الذي جناه من عمله لمدة ستة أشهر فقط ليحقق لي حلمي كان أول شيء أردته أن أكون مصوراً لأنني كنت مبهوراً بالشيء الذي اسمه صور أن تصور نقطة ما في حياتنا لم يكن هناك الكثير من هذه الأشياء في ذلك

الزمن لذلك كان بالنسبة لي شيئاً باهراً لظالما كنت أحب التصوير لكن قل شغفي به عندما اكتشفت الحياة أكثر واكتشفت الفن أيضاً التصوير يعتبر فناً، وضعت الصورة في الصندوق مع الصور كنت أحاول أن أنتهي بسرعة من عملي في الجامعة كانت لدي محاضرة واحدة فقط اليوم لذلك خرجت بسرعة من المنزل في تمام الساعة الثامنة صباحاً وعدت إلى المنزل بسرعة في تمام الساعة الحادية عشرة، تناولت وجبتي وقرأت لأبي كتاباً وكنت متعجلاً كثيراً حتى أبدأ بتخطيط المشروع الذي سيغير العالم توجهت إلى الاستديو وكالعادة أول شيء أضع عليه عيني هو الجثة بلا وجه تقدمت إليها رفعت الغطاء وكانت ما زالت كما هي العين الواحدة فقط الموجودة في الوجه بشكل غريب! اليوم تماماً أكملت هذه الجثة في منزلي شهرين كل هذه الأحداث الغريبة حدثت لي منذ وصول هذه الجثة إلى هنا والغريب أكثر أن الجثة ما زالت كما هي تماماً لم تتعفن لم يخرج بها بثور لم يخرج منها رائحة ولا أي شيء جلست إلى الحاسوب الخاص بي فتحت شبكة ماريانا أشعر بأنني لم أتعرق بها أكثر بسبب انشغالي وبسبب صعوبة اللغة لكن في الأيام الماضية وجدت في أحد موقع الدارك ويب كتباً تعلم هذه اللغات لذلك قمت بطلبها سريعاً، وأنا لا أعرف من أين أبدأ في بعض المرات تقوم هذه الشبكة بترجمة بعض الصفحات لي ولكن تترجم الشيء الذي تريده وكأنها لا ترغب في أن أعتاد الترجمة يريدونني أن أتعلم هذه اللغة عندما فتحت الصفحة اليوم فتحوا لي صفحة

جديدة وغريبة كتب فيها: «من الجثث نصنع كل شيء من
الأموات نعيد الأحياء»!..

فتحت الصفحة لتظهر لي صور غريبة لأشياء كثيرة أثاث
مجوهرات أقنعة ملابس عطور وحتى أوانٍ مثل الكاسات
والصحون كل الصور كانت تبدو قديمة جداً في بداية الأمر لم
أفهم ما هذا لكن بعد أن قرأت الكلام فهمت:

«من الجثث نصنع كل شيء ونعيد أحياء كل شيء من لا شيء
هنا لدينا بعض الأعمال المصنوعة يدوياً وكل هذه الأدوات تم
صنعها من جثث عديدة من جلد الإنسان وعظام الإنسان ولحم
الإنسان ودم الإنسان لتشكيل لنا فنوناً وتحفاً لا مثيل لها هنا ستجد
تاريخاً كاملاً وأكثر عن هذه الأمور وأمور كثيرة أيضاً أمور لا
أحد قادر على أن يستوعبها لا عقل يستطيع تقبلها إلا عقلك أنت
يا ظل..»

مرة أخرى هذه الشبكة تقوم بمخاطبتي مباشرة ما الذي
يقصدونه؟ مستحيل هل يقصدون أن كل هذه الأشياء مصنعة من
جثث؟ مستحيل أن أعامل جثثي بهذه الوحشية!

هل فكرت بشجرة الكريسمس كيف ستجعلها مميزة ويمكنك
استخدامها لمعرضك الفني؟؟

ظهر هذا السؤال في صفحة أخرى وكان تحته كلمة انقر على
الدخول نقرت على الكلمة لتفتح لي نافذة جديدة كانت صفحة
تحتوي على خلفية بصورة لشجرة حقيقية عملاقة وليست شجرة

كريسمس كانت تلك الشجرة خالية من الأوراق لكن أغصانها كانت كثيرة وتتفرع منها بكثافة وكان كل فرع يتدلى منه جثة مشنوقة لتشكل لوحة فنية.. كتب على الشجرة:

«إن الأموات ينبتون من جديد!»

نزلت أسفل الصفحة شجرات مماثلة لتلك الشجرة لكن كانت شجرات زينة أو شجرات كريسماس للمنازل بعضها لم يعلق عليها الزينة الطبيعية وبدلاً من الزينة علق فيها أصابع بشرية والأخرى عيون وأخرى أسنان وأخرى أيادٍ وهكذا، كان الأمر بالنسبة لي في البداية غريباً لكن شعرت فيما بعد أنه مميز جداً ويستحق أن يكون فناً كانت هذه من الأشياء والفنون النادرة التي اكتشفتها كنت أشعر يوماً بعد يوم بالتميز أكثر لم أجد أي شجرة ليست مميزة لكن أرغب في أن تكون شجرتي مميزة أكثر ماذا أستخدم وماذا أضع؟ يجب أن أصنع شيئاً مميزاً أكثر حتى أستخدمها في معرضي مع منحوتة أمي أقصد ميدوسا ضربت الفكرة بسرعة في رأسي وكانت هذه أكثر فكرة إبداعية أراها في حياتي نعم ماذا لو صنعت شجرة عيد ميلاد عملاقة وما علق فيها ليست زينة بل رؤوس؟! نعم رؤوس حقيقية لكنها ستكون محنطة ولن يشك أحد بأنها حقيقية بقدر ما أنها ستذهلهم وتبهرهم كثيراً وسيكون فناً جديداً ومذهلاً في عالم الفن المظلم لا هذا ما يسمى «بفن الجثث» لكن من أين سأحضر الرؤوس؟ ستكون هذه المهمة صعبة علي أنا شخص لا يقتل وأيضاً لدي الكثير من الجثث لكن هم عائلتي من المستحيل أن أقطع رأس أي جثة هنا

والتي يبلغ عددها مئة وعشرين جثة! أنا أرغب بتجميع ألف جثة وتحقيق حلمي كيف يمكنني الآن بعد هذا التعب أن أقطع رؤوسهم؟ مستحيل، خطرت فكرة في بالي ماذا لو كتبت في البحث لهذه الشبكة عن أماكن أو أشخاص يقومون ببيع جثث ورؤوس وأجزاء بشرية؟ بالتأكيد سأجد إن هذه الشبكة أعمق بكثير من الدارك ويب في الدارك ويب اشتريت هذه الجثة الغريبة التي أوصلتني إلى هنا حتى الآن فبالأكيد إذا قمت بالتوغل أكثر في هذه الشبكة فسأجد الكثير من العوالم، حسناً سأكتب باللغة العادية مؤكداً أنهم يفهمون علي بدأت بالبحث عن أشخاص أو متاجر يقومون ببيع جثث سليمة كاملة وكما توقعت ظهر لي موقع واحد دخلت عليه كانت المنتجات غير مرئية أي يوضع على الصور بعض الغباشة كانت كثيرة نوعاً ما لكن لماذا يقوم بتغطيتها؟ فجأة كتب لي في الرسائل الخاصة:

- مرحباً بك يا ظل كنا ننتظرك منذ فترة أخيراً وصلت!!

شعرت بالخوف والاستغراب الجميع في هذه الشبكة يعرفونني ويتحدثون معي ويخاطبونني بمجرد أنني دخلت موقع هذا الشخص تحدث معي بسرعة حتى لم أستوعب ما الذي يوفر؟:

- مرحباً هل تعرفني؟

سأله

- بالطبع نعرفك الجميع كانوا في انتظارك من سنوات طويلة..

أجاب

- من تكونون أنتم؟؟
- استغرق عدة ثوانٍ ثم أجاب:
- ليس مهمّاً من نكون سنخبرك لاحقاً الأهم يجب أن تبدأ..
- أبدأ بماذا؟
- باختراع الفن المروع الذي لم يكتشفه أحد من قبل يجب أن تكمل الشيء الذي كان يريد والدك أن يفعله ويجب أن تفتح الأبواب التي لم يفتحها والدك..
- لكن والدي لم يكن يرغب بفعل أي شيء سوى أن يجمع الأموال لكي أعيش..
- نحن لا نتحدث عن التابع بل نتحدث عن المتبوع..
- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم أي شيء توقف عن الحديث بالألغاز!!
- أنا اسمي أو لقبني «زيد» ومعناه مرشدك سأكون مرشدك من الآن وحتى تصل إلى المكان الذي يرغب به والدك سنلتقي قريباً لكن حتى ذلك الوقت سأتحدث معك هنا في هذه الشبكة وبالمناسبة نحن من يقوم في بعض الأحيان بترجمة الكلمات والصفحات لك لكن يجب أن تبدأ برحلة التعلم..
- ما الذي يقوله هذا المجنون؟ ومن يكون هذا الشخص وكيف سأثق به وماذا سيعلمني؟ مستحيل أن أثق به لذلك سأسأله بعض الأسئلة التي لا يعرف إجابتها إلا أنا:

- ما اسم أبي؟؟ إذا كنت حقاً من أصدقائه؟

- حسناً هذا طبيعي إذا كنت لن تصدقني اسم والدك الذي قام بتربيتك هو «غريفوس أليكساريس» والدتك اسمها «كاثرين» مات والدك عندما كان عمرك سبعة عشر عاماً في منزله قتل في ظروف غامضة، أخرجت والدك من قبره في يوم ١٨ فبراير، بعدها بدأت رحلة في تجميع الجثث في منزلك حتى الآن وصلت إلى مئة وعشرين جثة هذا هو أحد أعظم أسرارك التي لا يعرفها أحد سواك وسوانا طبعاً..

شعرت بضيق في التنفس بدأ جسدي يتعرق أطرافي ترتعش مستحيل كيف عرف كل هذا عني وخصوصاً سري المرعب!! شعرت بالتوتر والخوف ماذا إذا كان هذا الرجل من الحكومة ويرغبون بالإيقاع بي؟ نعم ماذا أفعل؟ لم أرد عليه واكتفيت بالسكوت والأفكار والتوتر تنهش رأسي:

- لا تخف نحن معاك يا ظل نحن هنا من أجلك سنساعدك لتلبي احتياجاتك وأحلامك وعوالمك التي ستصنعها نحن أتباع والدك..

- تبتأ توقف عن التحدث عن والدي أنا لذي والد واحد فقط وهو غريفوس

كتبته له بغضب:

- لكن هذه الحقيقة ويجب أن تعرفها لكي نخطو الخطوة التي بعدها كما أخبرتك والدتك تماماً هذا الرجل ليس

والدك هذا الرجل ما هو إلا خادم لدى والدك الحقيقي
هذا الخائن قام بخيانتنا جميعاً وانشق عنا وسرقك وهرب
هذه هي الحقيقة يا ظل.

- توقف توقف أنت مجرد شخص كاذب هل تفهم؟ جميعكم
كاذبون وأنا انتهيت منكم..

قمت بإغلاق الجهاز بالكامل وفصلته من الكابل خرجت
بسرعة من الاستديو توجهت إلى الجزء الأول من القصر دخلت
إلى غرفة أبي كان مثل ما تركته تماماً يجلس بجانب الشرفة نزلت
على ركبتي أمسكت بيديه وسألت بصوت يرتعش ويأس:

- أبي لماذا الجميع يقولون بأنك لست أبي؟ هذا يكفي لقد
سكت في المرة الأولى لقد تجاهلت الأمر لكن الآن
لم أعد أستطيع تجاهله أرجوك يا أبي أخبرني أنهم
كاذبون قل لي أريد إجابة الآن أجبني لماذا لا تتحدث؟
أبي تحدث أرجوك..

لم يتحدث أبي ولم أجد أي إجابة ولم أعد أحتمل سيطر
الغضب على خلايا دماغي بدأت بضرب وتحطيم الأشياء من
حولي التي في غرفة أبي وأنا أردد:

- إذا لم تكن أبي فمن يكون أبي؟ كنت أظن أنك في حياتك
لم تكذب علي كنت أظن أن أمي هي فقط الكاذبة لكن
حتى أنت كذبت!

- توقف..!!

أتى الصوت من خلفي لكنه لم يكن صوت أبي كان مختلفاً تماماً لكنه يخرج منه تقدمت نحو أبي بخطوات بطيئة:

- أبي؟

لم أجد بعدها أي رد ولم يتحدث أبي اكتفى بالسكوت فقط وكأنه أرادني أن أتوقف عن تصرفاتي الغاضبة لكن مهلاً هذا لم يكن صوته أبداً أنا أعرف صوت أبي جيداً يا إلهي ما الذي يحدث لي؟ لا أعرف أين الواقع وأين الخيال جلست على سرير والدي وأنا أشعر بضيق وتعب وخمول وصداع يطن في رأسي حتى سمعت صوت شيء ما سقط التفت إلى الخلف لأجده صندوقاً أحمر قديماً على شكل كتاب سقط من الرفوف بسبب تحطيمي للأشياء كان هذا الصندوق مغلقاً وهو أحد أشياء أبي المفضلة التي يحملها معه في كل مكان، رفعت الصندوق بين يدي قلبيته يميناً ويساراً شعرت بأني يجب أن أفتحه رغم أنني لم أفكر بفتحه من قبل ذهبت به إلى غرفتي ولم أقم بأخذ الإذن من أبي كالعادة لأنه لا يحب أن يلمس أحد أغراضه، وصلت إلى الغرفة كان مصاباً ببعض ضربات خفيفة لينكسر القفل انفتح الصندوق كان يوجد به الكثير من الأوراق ويوجد صندوق صغير أحمر التقطت أولاً الأوراق فتحت أول ورقة كان مكتوباً عليها بتلك اللغة الغبية أيضاً لذلك تجاهلتها أخذت ورقة أخرى فتحتها لأجد عليها أيضاً بعض الرسومات الغريبة والرموز كانت الرسومات لأوجه كثيرة الورقة مليئة بالأوجه التي تشبه بعضها بعضاً بشكل متكرراً!

وضعتها أيضاً جانباً التقطت ورقة أخرى وأخيراً كان مكتوباً عليها باللغة العادية كانت الورقة تبدو وكأنها رسالة أو كتب أبي بعض مذكراته:

- «اليوم هو اليوم الأخير لي في هذه القرية أخشى أن يعرف شيئاً عن مخططاتي بسبب أنني لم أره ولم ألتق به في الأيام الماضية بسبب أنني لا أستطيع أن أواجهه أخشى أن يقرأ أفكاري كالعادة أخشى أن يكشف مخططاتي إنه هادئ في الأيام الأخيرة يجب أن أهرب قبل أن يعود من عزلته ويقوم بطلب رؤيتي لكن هل أستطيع فعل ذلك؟ هل سأستطيع أن أهرب بظلي بعيداً عن هذا الجحيم؟ لقد خططت لكل هذا من وقت طويل سأترك كل شيء خلفي سأترك هذا العفن خلفي سأترك كل شيء صنعته وأسته من أعوام طويلة والأشخاص الذين وثقوا بي خلفي فقط من أجل ابني، إن مشاعر الأبوة غيرت كل شيء بداخلي غيرت نظرتي للحياة كنت مستعداً أن أستمع في تلك الأعمال كنت مستعداً أن أستمع في تحقيق أحلامي وبحوثي واكتشافاتي لكن يريدون أن يدخلوا ظلي في هذه الأمور صحيح منذ ولادته وأنا كنت أؤيدهم وأريد أن يكون واحداً منا لكن شيئاً فشيئاً تغيرت أفكاري ماذا لو تأذى؟! ماذا لو أصابه شيء؟ ماذا لو فقدته؟ لن أسمح لهم بأن يقوموا بإدخاله إلى عوالمهم الشيطانية إنه مجرد طفل صغير أعلم بأن

ظل أصبح لديه أفكار غريبة بسبب تعاليمنا له في كل تلك السنوات لكنني أستطيع إنقاذه وتغيير أفكاره ما زال صغيراً ستتغير أفكاره حتماً، سأحل الموضوعات الأخرى فيما بعد الأهم الآن أن أهرب بعيداً عنهم أعلم بأنه سيظل يبحث عني بدون ملل أو كلل بالطبع وإذا وجدني فسيقوم بقتلي بدون أي رحمة لكن الأهم أن أبعده عن الأهم أن أؤمن حياة ومستقبلاً مشرقاً لظلي الأهم أن لا نجدنا أبداً لأنني أعلم بأنه لن يقتل ظل لكنه سيقتلني ويعيد ظل إلى ذلك الجحيم إلى هذه القرية التي يملؤها الشياطين لن أسمح له بفعل ذلك أبداً لذلك سأستعين «بالعماقرة» سيتكفلون بحمايتي وتشتيته حتى يكبر ظل قليلاً على الأقل أعلم بأنه سيقتلهم أشد القتل ويعذبهم أشد العذاب وسيجعلنا من قائمة الخونة من الدرجة الأولى لكن لا يهمني كل هذا أنا لست خائفاً وأنا لن ألوم نفسي على ما أفعله ظلي يجب أن يتعد عن هذه الحياة السوداء ليس لدي خيار آخر وأيضاً أنا لا ألومه في النهاية ظل يكون ابنه هو وأنا سأأخذه منه قبل أن يأخذه مني أنا من قام بتربيته وكل تعبتي وجهودي عليه أنا من قمت بها ظل لن يكون ابن أحد آخر غيري أنا وأنا من يستحقه وهو يستحقني..»

ها هي دوامة أخرى تعصف في رأسي ها هو العمق يتلغني مرة أخرى وهذه المرة كان الابتلاع قوياً كالصدمة تماماً التي

أصابتنني للتو ظللت أقرأ الرسالة مرة أخرى تتلوها مرة تتلوها مرة تتلوها
 مرة ثالثة ومرة عاشرة أريد أن أوهم نفسي بأن هذا كذب وأن
 الكلمات من خيالي فقط أردت أن يكون هذا كابوساً جديداً من
 كوابيسي التي أصبحت تسيطر على نومي، ها هي عادت الذبابة
 مرة أخرى أو ذبابة أخرى بالطبع أسمع صوتها يزن في رأسي
 بدون أن أراها لأن الرؤية لدي أصبحت ضبابية لا أعرف هل من
 قوة الصدمة أو بسبب الدموع التي أغرقت عينيّ وعدمت الرؤية؟
 نهضت بثقل والورقة ما زالت في يدي أسير ولا أعرف أين أسير
 وفي أي طريق أسير إذاً الشخص الذي أعطيته كل مشاعري
 الشخص الذي أحببته الشخص الذي كنت أراه العالم كله
 الشخص الذي ضحيت بكل شيء من أجله وأخرجته من قاع
 القبر الشخص الذي كنت أراه وما زلت أراه أفضل أب في العالم
 هو ليس أبي الحقيقي!!..

أبي الذي أتفاخر به في كل مكان هو ليس أبي كل شيء في
 حياتي مزيف كان يجب علي بالفعل أن لا أثق في الأحياء أبداً من
 يكون هذا الرجل؟ ومن يكون أبي الحقيقي؟ ومن تكون أمي؟
 ومن يكون هؤلاء الأشخاص؟ ومن أكون أنا؟ ومن أنا؟ لا أعرف
 كيف لكن فجاءة شعرت بأنني في هدوء مرعب وصمت رهيب
 والرؤية أصبحت سوداء علمت بأنني فقدت الوعي لكن ما زال
 صوت الذبابة يطن في رأسي..

٠٠م ١٩٩٧

- ظل.. ظل.. استيقظ يا بني..

سمعت صوت أبي الخافت يقتحم منامي نهضت بتكاسل
ونقل لأرى أبي يقف فوق رأسي ويمد يده لي ويمسك بيدي
ويسحبني حتى إنني لم أستوعب ولم أستيقظ بشكل كامل:

- أبي.. ما الخطب؟ إلى أين نذهب الآن في هذا الوقت؟؟
وضع يده على فمي:

- اخفض صوتك يجب أن نرحل الآن..

- نرحل أين يا أبي؟

- سنتقل من المنزل والقرية أيضاً..

- لكن لماذا؟ هكذا فجاءة وماذا عن المدرسة؟

- لا تقلق أنت أصبحت الآن في مرحلة جديدة لقد تخرجت
من الإعدادية وسأدخلك مدرسة جديدة هيا بنا ولا تسأل
عن أي شيء حتى نخرج من هنا وإذا حدث شيء إذا رأيت
أشخاصاً يلاحقوننا وأخبرتكم أن تهرب فاهرب مع ذلك
الرجل صديقي حارس المقبرة هل تتذكره؟

- نعم أتذكره لكن يا أبي لا أستطيع أن أهرب وأتركك..

- لا تقلق هذه الأمور احتياطية لكن يجب أن تستمع إلى
كلامي ولا تخالفه أبداً هل تعدني؟

- أعدك يا أبي لكن لا تتركني..
- لن أتركك أبداً وسنظل للأبد معاً هذا وعد..

٢٠٢٣ م..

- ظل،، استيقظ يا ظل،، لقد حان الوقت لنغير العالم أنا
وأنت يقول المثل إن الشمس والظل لا يلتقيان لكن رغم
ذلك أصبح لقاؤنا قريباً..

فتحت عيني لأجد نفسي ما زلت مستلقياً في الممر خارج
غرفة أبي نهضت وأنا أشعر بأن كل عظمة في جسدي محطمة
إلى قطع مثلما قلبي محطم بعد أن تذكرت وأدركت الحقيقة وأن
هذا ليس أبي وأنني مجرد شخص مجهول نهضت ولم أدخل
إلى غرفة أبي توجهت إلى غرفتي نظرت إلى الساعة كانت
السادسة مساء ذهبت إلى الحمام وأخذت حماماً بارداً أحاول أن
أطفئ النار التي تلتهم روحي، خرجت وشربت الكثير من الماء
بدون توقف صوت الذبابة ما زال يزن في رأسي ابتلعت ما
يقارب عشرين مسكناً على أمل أن تتوقف على أمل أن يختفي
الصداع على أمل أن أنام على أمل أن أموت فحسب وأرتاح من
كل هذا الضياع، استلقيت على السرير انطويت على نفسي
كالحلزونة التي فقدت أمها للتو جسدي يرتعش هل سأمرض مرة
أخرى؟ أشعر بوحدة قاتلة لم أشعر بها من قبل هل أتصل بشيا؟
لا، سيكون ذلك صعباً ستسأل مئة سؤال ولا أملك أي إجابة ما

الذي أخبرها هل أخبرها بأن أبي ليس أبي الحقيقي؟ وأن أمي هربت وتركتني مع أب ليس أبي الحقيقي؟ مضحك وجنوني جداً لا أرغب بأن أكون مثيراً للشفقة أشعر بأن حرارة جسدي ترتفع أشعر بأن لساني أصبح ثقيلاً كل هذه الأعراض بالطبع من كثرة تناولني للأقراص مرة واحدة أشعر بأنني أنهار جسدياً ونفسياً سأتوقف عن التفكير سأتوقف عن التساؤلات سأتوقف عن التنفس أريد أن أنام إلى الأبد لكن هذا بعيد المنال..

نهضت بسرعة بعد ما سمعت صوتاً غريباً قادماً من خارج الغرفة:

- أليكسا من هناك؟؟؟

سألت أليكسا بصوت متعب وثقيل بالكاد أستطيع التركيز:

- هناك جسم يتحرك في المنزل..

أجابت بيروود بالطبع شعرت بأن الأرض تهوي بي من شدة التعب والخوف:

- أليكسا ماذا تقصدين؟ جسم من أي نوع؟؟؟

- إنسان شخص بشر..

أعطتني جميع المصطلحات لكي توضح لي:

- أليكسا أين هو الآن؟؟؟

- إنه في ممر الغرف..

- أي ممر؟

- هنا أصبح يقف خلف باب غرفتك..

ساد الصمت قررت أن أصمت فحسب وأنتظر مصيري على كل أرغب في أن تنتهي حياتي وأرتاح أراقب مقبض الباب والعرق يكاد يغرقني وجهي شاحب حرارة جسدي مرتفعة جسمي يرتعش قلبي يرتعش كل ما فيّ يرتعش وأنا أرى مقبض الباب يدور بهدوء سأرحب بكل تواضع بهذا الشخص أيّاً كان اكتفيت من كل هذه الأمور التي لا أعرف هل هي حقيقة أو مجرد هلاوس؟ انفتح الباب أخيراً وما أن دفع الشخص الذي يقف خلف الباب سقطت مغشياً علي لكن ما زلت لم أغمض عيني ما زالت الرؤية ضبابية أسمع خطواته الثقيلة تقترب مني أعرف صوت هذه الخطوات لم أستطع نسيانها أبداً إنها نفسها تلك التي في المقبرة المهجورة ذلك الرجل الذي تحدث مع أبي أرى قدميه ولم أستطع أن أرفع عيني أكثر أشعر بأنني أصبت بالشلل الكامل حتى فقدت الرؤية وغصت في سبات عميق..

استيقظت كانت الشمس تتسلل داخل غرفتي نهضت بشكل طبيعي وبنشاط غير مسبوق تذكرت أحداث أمس خمنت أن كل هذا من تأثير صدمة الحقيقة فحسب، نهضت من على السرير فتحت الستائر لأرى أن الشمس اختفت بعد أن غطت عليها بعض الغيوم الجو بارد جداً طبعاً هذا لأننا في بداية الشتاء توجهت إلى المطبخ بعد أن ذهبت إلى غرفة أبي وقمت بترتيب الفوضى كنت أتجاهله بالطبع لأنه لم يفكر يوماً أن يخبرني بالحقيقة كنت لا أعرف هل أعاتبه ألومه؟ لا أعرف ماذا أفعل اخترت الصمت فحسب كما يفعل هو دائماً، صنعت لي بعض الشطائر والقهوة

وجلست في الحديقة الخارجية أرغب بالتنفس فقد فقدت معظم أنفاسي الليلة الماضية وبينما كنت أجلس وصلت لي رسالة:

- المندوب في الطريق لتسليم الشحنة..

- أي مندوب وأي شحنة؟ صحيح أنني أطلب الكثير لكن لا أظن أنني طلبت شيئاً من قريب! أوه تذكرت تلك الكتب نعم إنها هي لقد وصلت بسرعة هذا جيد..

لم أنتظر إلا بضع دقائق حتى وصل المندوب كنت أظن أنه سينزل كرتوناً صغيراً بما أنها مجرد كتب لكن ما رأيته أنه قد أنزل شجرة ضخمة كبيرة جداً والشجرة كانت غريبة كانت تمتد أفرعها بشكل متناسق وأوراقها الخضراء التي كان شكلها غريباً قام المندوب بمساعدة صديقه بإنزالها خرجت إليهما وأنا ممسك كوب القهوة:

- عفواً لكن أنا لم أقم بطلب هذه الشجرة؟؟؟!

أجاب السائق وهو يتصفح الأياد الخاص بالعمل:

- أنت ظل أليكساريس أليس كذلك؟

- بلى

- إذاً هذا الطلب لك لربما قرر أحد أن يهديك ولكن الطلب باسمك وعنوانك ورقمك أيضاً ليست فقط الشجرة هذا الكرتون معها

قاما بإنزال كرتون ضخيم وطلبا مني التوقيع وغادرا استعنت بالمزارع الذي يعتني بأشجارني في القصر وطلبت منه أن يدخلها معي إلى المنزل وقمنا بإدخالها بعدها غادر تركت الشجرة جانباً

وتوجهت إلى هذا الكرتون الكبير قمت بأخذ المشروط وفتحته
وهنا كانت الصدمة التي جعلتني أراجع للخلف برعب!!

كان الكرتون مليئاً بالرؤوس البشرية ما يقارب ثلاثين رأساً
متنوعة بين رجال ونساء نبض قلبي بقوة لدرجة كاد أن يخرج من
صدري عادت يداي إلى الرعشة يا إلهي من أحضر لي هذه
الرؤوس؟ تذكرت ذلك الرجل المرشد على ما يبدو نعم إنه هو
لمحت بطاقة سوداء أخرجتها وفتحتها كتب عليها:

- «اعتبرها هدية ميلادك أيضاً الذي سيكون غداً اصنع
شجرتك الخاصة بكل حب ولا تقلق لن يعرف أي أحد
نحن خلفك..»

مرة أخرى نحن من تكونون أنتم؟ وما الذي تريدونه مني؟
نظرت إلى الشجرة ونظرت إلى الرؤوس لكن هذه كانت فكرتي
أنا لماذا الآن أنا مستاء؟ يجب أن أكون سعيداً نعم سأخترع فناً
جديداً وعالماً جديداً لا خوف بعد الآن من أي شيء سأكون أنا
المتحكم بعالم الجثث هذا ما أريده أنا وهذا ما يريدونه هم
بالتأكيد وسأعرف قريباً من هم ولماذا يساعدونني..؟

«ألا تتألم أبداً؟؟»

في بعض الأحيان أحلم بأنك ميت، ألا تعلم من الجلوس في دماغي؟
أنا الموت، ودماغك هو ما يظهر لي حقيقتك أما وجهك فلديك
مئة وجه أيها القبيح أتظن إذا قمت بتبديل وجهك سيخف قبحك؟؟»



«الفصل الثامن والعشرون»

«الرقص مع الجثث»

يا..

لم أستطع النوم من شدة الكوابيس التي أصبحت تلازمي منذ أن أمسكت بحالة «أيللا» و «كريستيان» لطالما جميع المرضى وجميع القاتلين الذين أختلط بهم في حياتي يمتازون بجميع الصفات السيئة الغرابة والرعب والجنون لكن لم تراودني من قبل كوابيس مثل هذه المرة! أشعر بأنني على حافة الجنون لم أر أي شيء يسير بشكل جيد منذ أن أشرفت على حالتها الصحية لكن كل شيء تحملته وتجاهلته وقلت في نفسي إنها مجرد مراهقين يعانين من مشكلات عقلية لكن قبل يومين تغير كل شيء عندما أصرت أيللا على مقابلي رغم أنني قمت بتحويل حالتها إلى أخصائي آخر وافقت لأنني كنت أشعر بتأنيب الضمير بعد أن تخليت عنها لكن ما قالته لي في آخر مقابلة أزعجني كثيراً وجعلني أدخل في متاهات نفسية أكبر وأكثر حتى أتى موعد جلسة كريستيان وكان بعدها بساعتين فقط وعندما أجرينا الجلسة كان له هو الآخر الرأي نفسه والكلام نفسه كانا هما الاثنان يتحدثان عن هذا الذي يدعى بالضيف لا أعرف كيف توصل

الاثنان إلى الاستنتاج نفسه وإلى المشكلة نفسها وإلى الشخص نفسه؟ لا أعرف كما يدعيان أن هذا الشخص أو الرجل أو الشيطان أو أيًا يكن هو السبب في قتل عائلتيهما لكن الفرق أن أيلّا تشعر بالخوف وتأنيب الضمير وكريستيان لا يشعر بأي من هذا أبداً الفرق أن أيلّا جثت عائلتها مفقودة وما زال العالم لا يعرف هل حقاً قامت بقتلهم أو لا؟ لكن ما غير كل شيء وسحبنى أسفل قاع الجحيم في آخر مقابلة مع كريستيان كانت في مكثبي وكان التلفاز يعمل وكنا نضع أخبار الصحة وكل شيء يتعلق بالمستشفى الخاص بنا ثم عُرضت لحظة تكريم «ظل» قبل شهر من قبل إدارة المستشفى بحكم أنه طبيب شرعي ماهر ومتميز ودائماً ما يتم تكريمه لكن عندما كنت أتحدث مع كريستيان لم يكن يرد علي واكتفى بالنظر إلى الشاشة وكان يبتسم بسعادة! عندما سألته:

- هل أنت معجب به؟؟

بحكم أن ظل شخص مشهور كفنّان وطبيب أيضاً ظننت أنه يعرفه ويحب أعماله لكن ما قاله لم يصدمني في البداية وتجاهلته رغم أنني شعرت بالرعب قلت لنفسني إنه مجرد مراهق مجنون لذلك لا نأخذ أي كلمة يقولها بعين الاعتبار أجاب بسعادة:

- نعم أعرفه إن الضيف يشبه هذا الشخص كثيراً...!

بقيت أفكر وقررت ألا أفكر في هذه الكلمات السخيفة كثيراً وبدأت أقتنع بالفعل بأفكاري لكن هذا كله كان مؤقتاً وكان الانفجار الحقيقي والعاصفة الحقيقية مع أيلّا عندما دخلت إليها

كانت تبدو ذابلة وشاحبة أخبرني طبيها الخاص بأنها تواجه مشكلات في النوم والأكل وكل ذلك شعرت بالشفقة أردت مساعدتها أردت أن أراجع عن قراري لكنني قتلتها!! أنا السبب في موت تلك الطفلة لقد تخلت عنها وعلاوة على ذلك في آخر جلسة لنا قبل أن تسرق دبوس شعر من إحدى الممرضات أظن أنها كانت مترددة قبل رؤيتي أظن أنها لن تفعلها إذا لم أذهب إليها لكن عندما دخلت إليها كانت طوال الوقت سارحة ولا تتحدث معي حتى وضعت هاتفي على الطاولة بالمصادفة بسبب وصول إشعار أضيئت الشاشة وظهرت الخلفية كنت أضع صورة لي مع ظل وهنا عندما لمحت أيلا الخلفية بدأت بالصراخ والانهيار لم نستطع أن نسيطر عليها وفي حركة سريعة أخرجت الدبوس وغرزته في حنجرتها بدون تردد!! وأنا أحاول أن أسيطر على الدماء الغزيرة التي سالت كالسيل المندفع كنت أشجعها وأنا مصدومة كنت أخبرها بأن تتماسك قليلاً كنت أخبرها بأنني لن أتركها لكن ما قالته لي في الكلمة الأخيرة كان أكثر رعباً:

- هو ذلك الرجل في هاتفك هو الضيف لقد سرق جثث عائلتي بعد أن دمر حياتنا وقتلهم..

كانت آخر مرة تلقيت صدمة في حياتي عندما رأيت جثة أخي بعد أن قتله الكابوس والآن هذه الصدمة التي لم أعرف كيف أصنف مشاعري تجاهها؟ كيف يمكن أن أسمع الشيء نفسه من شخصين مختلفين لا يعرفان بعضهما بعضاً من بلاد وجنسيات مختلفة وحياة مختلفة هل هذه مصادفة؟ يجب أن تكون مجرد

مصادفة يجب أن أفترض أن الرجل الذي يخشيانه هو يشبه ظل فقط لا يوجد أي خيار آخر أو افتراضات أخرى لكن لماذا من بين جميع العالم من بين ملايين البشر ذلك الشخص يشبه ظل؟..

«المحقق نيكولاس»

اليوم كان ممطراً جداً أخيراً أرسل لي ظل أنه مستعد لمقابلتي وأرسل لي موقع منزله لا أخطط أن أخبره بأي شيء صراحة ليس دفعة واحدة سيعتبرني مجنوناً لذلك سأخبره فقط عن القضية التي هي مرتبطة بموت أبي، جهزت بعض الصور والملفات كاملة التي جمعتها عن القضية وانطلقت وأنا في طريقي اشترت كويين من القهوة المثلجة السوداء واحداً لي والآخر لظل ليس من الجيد أن أذهب لمنزله أول مرة خالي اليمين، وصلت إلى منزله أو بالأحرى إلى قصره كان الجميع يتحدثون عن منزل هذا الشاب وأملاكه ومدى ثرائه لكن لم أكن أتوقع إلى هذه الدرجة كانت أملاكه الأرضية تمتد حول مساحة كبيرة حيث كانت كل غابات مخطط «سيرين» تعود إليه وكان القصر يمتلك جزءاً ومساحة ضخمة جداً هذا غير تصميمه الجميل والغريب في آن واحد كان يقسم القصر لقسمين يربط بينهما جسر خشبي في كل القصور توجد عدة بوابات لكن كان قصره به بوابة دخول واحدة فقط! كان القصر أغلبه عبارة عن زجاج لكن زجاج مظلل حيث يعكس كل ما في الخارج من أشجار وسحاب ليكون لوحة فنية

بخلاف لا شيء واضح من الداخل، كان هناك نافورة عملاقة في منتصف المدخل في الفناء الخارجي تبدو وكأنها تصميم فكتوري حيث فم الأسد يخرج منه بعض الماء وفي الجهة الأخرى الكثير من الأشجار والزهور الجميلة كانت الحديقة تبدو وكأنها جنة لا أستطيع وصفها المنزل الذي كان مثل منازل الأمراء وأجمل لكن أسأل لماذا يحتاج إلى هذا القصر كله حيث يعيش فيه وحيداً؟

انفتح الباب حيث استقبلني ظل بهيئته النظيفة الأنيقة كالعادة إنه ثري بكل بساطة حيث كان يرتدي سترة صوفية ثقيلة باللون الأحمر وبنطالاً صوفياً باللون الأسود وهذه أول مرة أشاهده يرتدي لوناً غير الأسود تفوح منه رائحة من الممكن أن تكون رائحة أجمل عطر بالعالم بالطبع لديه الكثير من الأموال بالتأكيد يشتري أجود وأروع أنواع العطورات مع تسريحة شعره للخلف بشكل منظم مددت يدي مصافحاً له وأنا أشعر بالخرج حيث يبدو شكلي بجانبه وكأنني لم أستحم من عشرة أيام وملابسي لم أبللها منذ أعوام لكنني أقسم إنني تحممت قبل مجيئي إلى هنا:

- مرحباً بك نيكولاس تفضل بالدخول..

- شكراً لك، لقد أحضرت لك كوب قهوة صراحة لا أعرف ما الذي كان علي إحضاره أردت أن أحضر لك بعض الزهور لكن لم يكن في طريقي محل للزهور..

قلت ضاحكاً بعد أن أدخلني إلى صالة المعيشة التي تبدو كالتحفة الفنية أو كالمعرض بسبب اللوحات الجميلة الإبداعية التي

تتربع في جميع الجدران العملاقة والتحف والمجسمات التي
تأخذ مكانها بإبداع في جميع أنحاء القصر الشمس التي يتسلل
ضوءها بخفة ويعكس جماليات التحف لتكون ظلالاً جميلة:

- لا عليك أنا أصلاً لا أحب الزهور

رد ظل وهو يضع كوب الماء أمامي ثم التقط كوب القهوة
واسترسل في حديثه:

- شكراً على القهوة فأنا أكون ممتناً للأشخاص الذين
يجلبون لي قهوة أكثر من الذين يجلبون لي الزهور..

- العفو الآن شعرت بالطمأنينة، حسناً دعنا ندخل في
الموضوع بسرعة لأنه طويل جداً أنت تعرف القضايا التي
تغلق عادة ما تكون صعبة وتبدو كالأحجية التي يستحيل
حلها طبعاً القضية متشعبة وغامضة ومرعبة وبدون أي أدلة
أو خيوط توصلنا إلى الحقيقة القضية قديمة كنت أظن أنها
بدأت في يوم وانتهت في يوم مع ضحية واحدة وهذا
الضحية هو أبي..

- أعذر متأسف لأنك فقدت والدك بهذا الشكل..

قال ظل..

- شكراً لك سأريك بعض الصور التي التقطتها لجثة أبي كان
مقتله أغرب شيء أراه في حياتي حيث كان سبب الوفاة
عن طريق الخنق لكن ما فعله القاتل لجثة أبي..

أخرجت الصور وأنا أحاول أن أخفي رعشة يدي وأحاول أن
أكون قوياً لأن الموضوع بالطبع بالنسبة لي إلى الآن حساس
ومرعب ومفجع عرضت الصور على ظل بدأ بالتقاط أول صورة
ونالني صورة وكان مصدوماً بالطبع لكن شعرت بشيء من
ملاحه وتعابيره ليس مصدوماً من المنظر لكنه مصدوم من شيء
آخر ولا أعرف ما هو:

- نعم للأسف هذا أبي بعد أن قتله القاتل انتزع وجهه
بالكامل كالقناع وإلى الآن وجه أبي مفقود..

علق ظل وهو ما زال يتمعن الصور:

- يا إلهي هذا شيء فظيع كيف يمكن أن يكون هناك بشر
يفعل هكذا؟ لكن لم أسمع سابقاً بجرائم كهذه أو حتى
مشابهة لها؟؟؟!

- بالضبط هذا ما أتيت لأجله كما أخبرتك وكأن القاتل ظهر
من العدم أو كأنه شبح قتل أبي فقط وعاد اختفى لذلك
قررت الشرطة أن تضع القضية في مصنفات قضايا الانتقام
فخمنوا أن شخصاً ما يريد الانتقام من أبي فقط وقتله بهذه
الطريقة وهو ليس قاتلاً متسلسلاً أو ما شابه..

- حسناً وما جعلك تقول إنه قاتل متسلسل؟ هل وجدت
ضحايا أخرى مشابهة لهذه؟

- ليس بشكل مؤكد لكن عندما كنت أحقق في قضية أخرى
قبل خمسة أشهر تقريباً التقيت بمحقق من مدينة أخرى

لأخذ منه بعض المعلومات فتحدثنا طويلاً عن أغرب القضايا وأصعبها والتي تبدو كقصص أسطورية بعضها ليست حقيقية فسألته بالمصادفة وأنت هل سمعت عن قصة أو قضية مخيفة أسطورية؟ فأعطاني إجابة غيرت مجرى حياتي كلها وجعلني أومن بأنني سأعرف من هو قاتل أبي حتى لو كان ميتاً..

- وما هي الإجابة؟؟

سأل ظل باهتمام..

- أجب نعم هناك قصة كان يكررها محقق قديم متقاعد كان يعمل معه ولكنه من بلدة أخرى كان هذا المحقق مشهوراً بحل القضايا الصعبة لكن القضية الوحيدة التي سببت له الجنون هي أغرب قضية وأغلب الناس لم يصدقوه بحكم أن هذه القضية حدثت في قريته حيث الآن يقولون إن القرية أساساً أصبحت مهجورة وسكانها فقدوا واختفوا لكن ليست القضية هنا حيث القضية التي كان يعمل عليها ذلك المحقق اسمها «انزع الوجه»! حيث كان القاتل يقتل ضحايا وينزع أوجههم ويسرقها كانوا يجدون الضحايا بدون أوجه مثل أبي تماماً وهنا تذكرت أبي شعرت بالانقباض في صدري بعدها ضحك المحقق وقال إن ذلك المحقق العجوز خرف وقادم من قرية فبال تأكيد لديه هذه القصص الغريبة..

نظرت إلى ظل وأنا مندمج في الحديث فرأيت عليه ملامح
التوتر وتعابير غريبة ثم سألتني:

- حسناً وماذا فعلت بعدها؟؟

- بالتأكيد أخذت اسم المحقق كان يعيش في منطقة ريفية مع
زوجته لكنني للأسف لم أجدهما حيث قال السكان إنهما
سافرا إلى ابنتهما الأكبر ولا يعرفون أين..

- وما الذي يمكنني فعله لمساعدتك؟؟

- يجب أن أجد هذا المحقق أولاً وآسف لوقاوتي بحكم أن
لديك أموالاً ونفوذاً من الممكن أن تجده لي بسرعة تفضل
هذا اسمه «سول غودمان»..

- حسناً سأرى ما يمكنني فعله..

قال ظل وهو يلتقط الورقة ثم سأل مرة أخرى:

- هل لديك أيضاً معلومات أخرى عن القضية؟

- صراحة إلى الآن لدي هذا الشخص وهو المحقق وهو
الأمل الأكبر لي أوه نسيت اسم القرية التي كان يعيش بها
صراحة عندما أسأل عنها لا يعرفها أحد لكن أخبرني ذلك
الشاب أن القرية اسمها ماذا؟؟ نسيت! أوه نعم تذكرت
اسمها «أبادون» اسم غريب يناسب قرية غريبة الغريب
أنني لا أجد أي شيء عنها لا في الإنترنت ولا عند الناس..

ظل..

عندما نطق المحقق نيكولاس اسم القرية شعرت بأن الهاوية
تبتلعني للمرة المئة شعرت بالأرض تهوي من تحتي هذا الاسم
الذي لم أتوقع أن أسمعه مرة أخرى في حياتي «أبادون» وهو
اسم قريتي وقرية أبي التي عشت فيها طفولتي! هذه القرية التي
كنت أكرهها بشدة وكان أبي يحبها بشدة القرية التي تعلمت فيها
أن أحب الموتى لأنه كان الموتى فيها أكثر من الأحياء، حاولت
إخفاء توتري وهلعي على المحقق وحاولت أن لا أظهر ملامح
الصدمة والاستغراب علاوة على ذلك القاتل الذي كان يسرق
الأوجه لم أسمع به من قبل لكنني تذكرت تلك الجثة التي ترقد
عندي هو أيضاً لا يملك وجهاً تذكرت تلك الذكرى عندما
اختبأت في غرفة المقبرة المهجورة ووجدت وجهاً معلقاً على
الحائط!! غادر نيكولاس بعد ساعة ونصف الساعة تقريباً تحدثنا
عن موضوعات كثيرة أخرى وشعرت بأن نيكولاس لا يرغب
فقط بالتقرب مني لكي أساعده وإنما أيضاً لأنه شخص قريب من
عمري وعلى ما يبدو يرغب بأن نكون صديقين نحن نتشارك
ماضياً مرعباً ومررنا بتجارب غريبة ومرعبة لهذا أظن أن نيكولاس
اختارني من بين مئات الأشخاص لكي أساعده في حل هذه
القضية شعرت بأن نيكولاس لديه أمور أخرى أخفاها علي فأنا
ماهر في قراءة وتحليل التعابير ولغة الجسد أستطيع تحليل
الإنسان كتحللي للوحات تماماً لكن لا بأس لربما لم يثق فيَّ
بعد وبالطبع هذا طبيعي فمن المستحيل أن يعطيني معلومات

مكثفة ودقيقة عن أي شيء، كل ما أريد معرفته الآن هو تاريخ
تلك القرية المظلمة قريتي ومن يكون ذلك المحقق الذي كان
يعيش بها؟

غادر نيكولاس وتركني في حيرتي أتأمل اسم هذا المحقق
كيف يمكنني أن أجده؟ لكنني الآن أشعر بالشغف أكثر تجاه
العمل مع نيكولاس لأن الأمر يخص تلك القرية التي كنت أعيش
بها وولدت فيها، قاطع أفكاري صوت قوي قادم من الأعلى
رفعت رأسي رأيت ظلاً مر بسرعة من ممر الغرف تركت كل
شيء على الطاولة وتوجهت إلى الأعلى بسرعة:

- أبي؟ هل هذا أنت؟

دخلت غرفة أبي لأجده مستلقياً على السرير نائماً أغلقت
الغرفة وتوجهت نحو غرفتي لم يكن هناك أي شيء بعدها
خرجت من غرفتي ووقفت على السور أنظر إلى الأسفل وهنا
رأيت!! رأيت جثة الرجل بلا وجه معكوسة في إحدى المرايا
المصطفة في الممر الذي يؤدي إلى المطبخ نزلت بسرعة على
السلالم وأنا أركض حتى وصلت إلى ممر المرايا لم أجد هناك
أي أحد ثم سمعت صوت باب يغلق خرجت من الممر لأرى
الباب الخلفي المؤدي إلى الفناء الداخلي الذي يؤدي إلى الجسر
أنا متيقن من أنني أغلقتة لماذا انفتح الآن؟ ذهبت إليه بسرعة
وكان مفتوحاً وكأنه للتو أحد ما خرج منه خرجت بسرعة
وصعدت إلى الجسر متوجهاً إلى القسم الثاني من القصر عندما
وصلت تفحصت كل شيء وكل مكان لم يكن هناك شيء غريب

توجهت إلى الاستديو وصلت إليه فتحت الباب ودخلت وهنا شعرت وكأن أحدهم صفعني من شدة الصدمة كانت الجثة غير موجودة جثة الرجل بلا وجه اختفت!! شعرت بالجنون توجهت بسرعة إلى التابوت الخاص بها فتحتة فلم أجد فيه أي شيء بحثت في الثلاجات فتحتها كلها لم يكن هناك فيها أي شيء؟ توجهت إلى التوابيت فتحتها كانت الفارغة فارغة والتوابيت التي فيها أصحابها مازالوا موجودين لكن لا أثر لتلك الجثة، خرجت بسرعة للقسم الآخر من الاستديو الذي فيه منحوتاتي ورسوماتي أيضاً كان هناك الكثير من الجثث لكن لم يكن موجوداً معهم يا إلهي مستحيل أن تكون جثة تتحرك مستحيل! صحيح الآن ستقولون عني متناقض أرى جثتي تتحرك ولكن الآن أقول بأنه من المستحيل أن تتحرك بالطبع لكن بالنسبة لعائلتي أنا موقن بأنهم يتحركون ويسرون ويتكلمون ويضحكون ويبيكون كل ذلك يفعلونه لي أنا فقط لكن لا أظن أن هذه الجثة التي لا تملك أي ملامح تحركت الآن ومن دون إذني أنا المسيطر الوحيد هنا وأنا المتحكم لكن هل تحركت لأنها حصلت على عين واحدة فقط وماذا ستفعل إذا حصلت على جميع ملامحها؟

انتقلت إلى جميع أرجاء القسم الثاني من القصر فتشت بكل جنون ورعب فتشت كل قبو في المنزل وكل ممر وكل غرفة وكل عليّة وكل مخزن وكل صالة وكل حمام حتى إنني خرجت إلى الفناءين الداخلي والخارجي وحول القصر بالكامل حرفياً لم أترك ولا بقعة إلا وفتشت فيها بحثت بين جثتي التي في

الاستديوهات والقبو والممرات والغرف حتى إنني دخلت إلى «الغرفة السوداء» التي لم أدخلها منذ أشهر الغرفة السوداء هي أكبر غرفة في القصر كله تضم مساحات ثلاثة ملاعب كرة قدم أضع فيها أغلب الجثث المحنطة في هذا المكان مئة جثة والخمسون الأخرى تتوزع في المنزل، في هذه الغرفة حفرت في الجدران على شكل غرف وممرات لكي أضع فيها جميع الجثث ويشعروا بالراحة أكثر عندما وقفت في منتصف الغرفة بدأت بالصراخ لأنها ضخمة ولا أعلم من أين أبدأ؟ ومن أي جثة:

- أين أنت أيها الحقيير؟؟ أعرف أنك تريدني أن أبدو مجنوناً
أليس كذلك؟؟

لم أكمل حديثي وحلطمتي حتى أتى صوت من الخارج عدت مرة أخرى وخرجت إلى الأعلى عدت إلى الاستديو وهناك وجدت ذلك اللعين عاد كما كان مستلقياً على طاولة الموتى ومغطى بالغطاء الأبيض وكأنه لم يحدث فوضى في عقلي قبل دقائق! سرت إليه ببطء وأنا أسترجع أنفاسي التي أهدرتها قبل قليل في الركض هنا وهناك باحثاً عنه ألهمت بقوة أشعر بأن قلبي سينفجر في صدري أمد يدي المرتعشة وعريقي يتصبب بشدة أبعاد الغطاء وكان كما كان تماماً بعين واحدة ما زال في سبات أو نوم أو غيبوبة لا أعرف لكنه عاد كما تركته! بدأت أضحك بهستيرية وأنا ألتقط أنفاسي تناولت قارورة ماء وشربتها حتى شعرت بأن روحي التي جفت في الركض عادت وانتعشت وارتوت، فيم يفكر هذا الجثة هل يريدني أن أسقط بين طيات الجنون؟ هذا بعيد عن مناله

لن يستطيع أبداً لطالما قضيت كل حياتي بين جثث الأموات فهل
 يظن أنه قادر على أن يسحب عقلي مني؟ شعرت بأنه يجب أن
 أبداً بصناعة شجرة الميلاد عندما شاهدت صندوق الرؤوس بعد
 أن تلقيت في البارحة رسالة من ذلك المرشد قال لي بأنه هو من
 أرسلها وأي شيء أحججه سيرسله لي، لم أرد عليه ولم أتواصل
 معه وأغلقت الشبكة والجهاز بأكمله لكنني اكتشفت أنه يستطيع
 الوصول أيضاً إلى هاتفي كما يستطيع الوصول إلى أجهزتي كلها،
 أخرجت الصندوق إلى صالة المعيشة طبعاً في القسم الثاني من
 القصر الشجرة وضعتها هناك أيضاً حضرت لي كوب قهوة ضخماً
 فتحت الصندوق وأصبحت متقبلاً الأمر أكثر من المرة الأولى
 أمسكت بأول رأس كان رأس فتاة مع شعر قصير أسود وملامح
 هادئة جداً أخرجته من صندوقه ثم من كيسه كانت أيضاً جميع
 الرؤوس مثل تلك الجثة لم يكن بها أي مادة للتحنيط لا شمع ولا
 طين ولا سائل الحفظ لكنها كانت بصحة جيدة وغير متعفنة
 ونظيفة! أردت أن أشبع فضولي لذلك أمسكت المشرط وقمت
 بشق بسيط في جمجمتها كانت جمجمة طبيعية خرج الدم المتخثر
 من رأسها إذا ما زالت هذه الرؤوس طازجة وطبيعية؟ الغريب أنها
 لا تتعفن لكن سأقوم بتحنيطها بسائل الحفظ والشمع لكي تبدو
 وكأنها دمي واقعية جهزت العدة وبدأت العمل بشغف وحماس
 أتخيل معرضي الذي يحتوي على الجثث كيف سيكون؟ حنطت
 تقريباً ما يقارب عشرين رأساً وباقي عشرة حتى أتت كيارا:

- ماذا تفعل؟

- أقوم بتجهيز شجرة عيد الميلاد وهذه المرة ستكون مميزة..

- واو.. أنا أرى ذلك بالفعل..

قالت بحماس..

فجأة خرج الجميع من غرفهم وتجمعوا حولي وحول الشجرة

قال كيران:

- أليست هذه رؤوس أشخاص أموات؟

- لماذا أليست ميتاً يا سيد كيران؟

سأله فرانسيس بتهكم وسخرية:

- لا أنا لست ميتاً..!

صرخ كيران بعصبية:

- حسناً توقفوا الآن هل تعرفون أننا في الأيام الأخيرة من

السنة؟ لذلك سندخل في عام جديد يجب أن نحتفل بدءاً

من اليوم ونرقص ونأكل ونشرب أليس كذلك؟؟

- بلى بالطبع..

أجاب الجميع بحماس وصوت واحد:

- إذا ساعدوني في تعليق الرؤوس في هذه الشجرة وأليكسا

قومي بتشغيل الموسيقى..

- حسناً سيد ظل..

بدأت الأغنية تعزف بدأنا بالعمل معاً والرقص والشراب
وتجهيز الهدايا بعضنا لبعض والضحك وسرد القصص
أخرجت الكاميرا الفورية وبدأت بالتقاط الصور معاً اللحظات
الجميلة مع العائلة يجب أن تخلد كذكرى دائماً قمت بتحنيط
آخر عشرة رؤوس مع سائل الشمع قامت «إليانا» بوضع
مساحيق التجميل لهم وقامت كاثرين بتسريح شعرهم قمت
بتخييط وتدبب فتحة رقبتهم كخطوة نهائية قبل أن تعلق
بالشجرة وأخيراً بعد ساعات قمنا بتعليقهم على أغصان
الشجرة كل رأس في غصن مع القليل من الزينة الخضراء
والإضاءة البيضاء وهنا اكتملت الشجرة شجرة رأس السنة اسم
على مسمى كانت شجرة من رؤوس وتلك الرؤوس تحمل
الكثير من الأمنيات والأحلام والذكريات كان منظرها أكثر من
مهيّب وجميل ورائع هذه التحفة الفنية الثانية لي بعد تحفة
ميدوسا أتقنها في شهر واحد فقط بتحفتين شعرت بأنني أملك
العالم وهذا العالم بالذات عالم الموتى إن المرشد ومن معه
محقون يجب أن نضع من جثث الموتى الجمال والفن اللذين
لا يقدران بثمن..

- والآن انتهينا يجب أن نحتفل وندرس على أغنية «انضمي
إلي للموت»..

سألت كيارا كالعادة:

- ما هذه الأغنية؟؟

أجبتها وأنا أمسك بيدها:

- إنها أغنية مناسبة لوضعنا وهي إحدى أغاني المفضلة
حيث أدعو من أحب إلى عالمي..

- وهل ستقبل به؟ هل ستقبل بأن تكون معنا في منزلنا؟

سألت كيارا وكانت تعرف أنني أقصد ثيا:

- بالتأكيد أنتم عائلتي وهي سترحب بكم دعينا الآن نرقص
لقد بدأت الأغنية..

Baby join me in death
Baby join me in death
Baby join me in death
We are so young
Our lives have just begun
But already we're considering
Escape from this world
And we've waited for so long
For this moment to come
Was so anxious to be together
Together in death
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
Won't you die
Baby join me in death

Won't you die tonight for love
 Baby join me in death
 This world is a cruel place
 And we're here only to lose
 So before live tears us apart let
 Death bless me with you
 Won't you die tonight for love
 Baby join me in death
 Won't you die
 Baby join me in death
 Won't you die tonight for love
 Baby join me in death
 This live ain't worth living
 This live ain't worth living
 This live ain't worth living
 This live ain't worth living
 Won't you die tonight for love
 Baby join me in death
 Won't you die
 Baby join me in death
 Won't you die tonight for love
 Baby join me in death
 Baby join me in death

لكن هل ستقبل ثيا؟ هل ستقبل بأن تنضم إلي للموت؟؟..!



«الفصل التاسع والعشرون»

«انضمي إلي للموت»

هناك جزء مني غير مألوف بالنسبة لي وما زلت أجد نفسي هناك فأنا غريب عن نفسي وعندما أسمع لساني يتكلم تتجول أذني على صوتي، أرى نفسي الداخلية تبسم وتبكي وتتنفس وتخشى، ووجودي يتجول على مادتي بينما روحي تستجوب قلبي...

لكنني مجهولٌ غارق في صمت هائل من بين كل الأشياء التي لست جيداً فيها ربما يكون العيش في العالم الحقيقي هو الأكثر صعوبة ولا يناسبني، أنا مليء دائماً بالدهشة من عدد الأشياء التي يفعلها الآخرون دون أي صعوبة واضحة تتجاوزني إلى حد كبير! يفعلون الأشياء أنفسهم مراراً وتكراراً يعيشون في روتين متكرر خاص بالأحياء إن الأحياء هم أكثر مللاً على الأرض، أما أنا فأفكراري غريبة عن جسدي، لا أريد أن أكون بشراً أريد أن أكون شجرة صخرة أو نحلة أو زهرة أو حتى عمود إنارة، وأنا أقف أمام المرأة أرى في وجهي شيئاً لا تراه روحي، وأجد في عيني ما لا يجده داخلي، غريباً عن نفسي وغريباً عن العالم..

«من أعماق روحك وحتى أعماق جلدك»

استيقظت فزعا على صوت صرخات قادمة بقوة! كان المطر
والعاصفة يضجان بالخارج رغم ذلك استطعت تمييز صوت
الصراخ نهضت من فراشي وأنا أشعر بالبرد أبي ليس بجانبني
بالتأكيد أنه في غرفته، خرجت من الغرفة إلى الصالة والمطبخ
لا يوجد أحد توجهت إلى غرفة أبي أيضاً لم يكن موجوداً أين
ذهب أبي في هذه الساعة المتأخرة والعاصفة التي تعصف بقوة
خارجاً؟ عاد صوت الصراخ مرة أخرى هذه المرة قادماً من
الحمام وهذا ما شعرت به لأنه يطلق صدى رهيباً لكن هذه المرة
الأولى التي أسمع فيها شيئاً من جدران الحمام توجهت إلى
الحمام دخلت وأنا أرتعش لا أعلم خوفاً أو برداً؟ لمحت فتحة
صغيرة تكفي للعين كانت محفورة على الحائط لم تكن من قبل
موجودة هذه الفتحة لكن هذا المنزل متهالك وكل قطرة مطر
وعاصفة قوية تدفعه إلى الانهيار، اقتربت نحو الفتحة ووضعت
عيني فيها كان المكان ظلاماً لكن به ضوء أحمر وكأنه أسفل قاع
الجحيم وهنا وأنا أنتظر أن أرى أي شيء انطلقت صرخة مدوية
أقوى أمسكت بقلبي وأنفاسي حتى لا تقع مني رأيت امرأة تتوسل
وتبكي وتصرخ لكن لم أستطع أن أرى من يمسك بها؟ شعرت
بأنني في كابوس هل هذا حقيقي؟ بالتأكيد أنا في كابوس لأنني
لا أتذكر هذه الذكرى أبداً كانت المرأة تحترق ألماً وكان هناك
من يحرق جسدها على مهل ويعذبها لم تستطع عيني أن تبتعد
حتى عندما رأيت يدي الرجل تمتدان إلى وجه المرأة ومعه شفرة
غريبة وشيء آخر وبدأ يحدد وهي تصرخ وهو ينزع جلده وجها

شيئاً فشيئاً وهي تصرخ حتى سقطت على رأسي من شدة رعب المنظر وفقدت الوعي في الحمام...!

شهقت شهقة الاستيقاظ كنت غارقاً في عرقي كالعادة أتساءل هل هذا كابوس جديد؟ لأول مرة أرى كابوساً وأنا طفل وفي منزلي في تلك القرية لكن لماذا أشعر بأنه ليس كابوساً وأنه كان أقرب للذكرى التي نسيتهما؟! نظرت إلى الساعة فكانت الساعة صباحاً اليوم الأحد إجازة رسمية اليوم هو اليوم الأهم في حياتي اليوم الذي كنت أنتظره من عشر سنوات اليوم سأقوم بطلب يد ثيا بشكل رسمي لتكون زوجتي لقد أجلت هذا اليوم كثيراً وأخيراً أنا مستعد في اليوم الذي سأصبح فيه بعمر الخمسة والثلاثين سوف أخبر ثيا بأن تكون زوجتي، جهزت كل شيء ليظهر بشكل رائع وأكثر رومانسية أحضرت الكثير من الزهور فهي تحب جميع أنواع الزهور جهزت المشروبات والطعام وملابسي وأخيراً الخاتم لطالما أرادت ثيا خاتماً غريباً لم تكن تريد شيئاً مملاً كباقي الفتيات وهذا ما جعلني أحبها لذلك صنعت خاتمها وخاتمي بنفسني وهذه كانت أول مجوهرات أصنعها كان لونها لون الرصاص مصنوعة من معدن لامع خاتمها به فص أحمر بداخله دمي الذي امتزج بسائل اليتون وهو سائل أو مادة معطرة تحافظ على الأشياء بطبيعتها والفص الأحمر تلتف عليه أغصان صغيرة هذه الأغصان ترمز إلى الأبدية أي سنظل أنا وثيا معاً للأبد وبعد الأبد، أما الخاتم خاصتي فهو أيضاً من المعدن نفسه بشكل رجالي كالدبلة والتاج به فص أحمر بشكل

طولي وليس كروياً أيضاً وضعت دم ثيا بعد أن أخبرتها بأن نتبرع مثل كل عام وأخذت الدم أنا لكي أفاجئها، انتهيت من التجهيزات تماماً وكل شيء مثالي أخيراً تحممت وارتديت بدلة سوداء رسمية قد أهدتها لي ثيا سابقاً مع ربطة عنق مزخرفة بالأسود اللامع مع إكسسواراتها السلسلة الطويلة التي توضع في الجيب العلوي وتمتد إلى الياقة، انتهيت من كل شيء مبكراً حتى أكون مستعداً وجاهزاً نفسياً أخبرتني ثيا بأنها ستأتي في الساعة السادسة لذلك كانت ما زالت الساعة الرابعة عصراً، كانت ثيا هذه الأيام تبدو غير طبيعية تسرح كثيراً لا تتصل بي كثيراً لا تراسلني كثيراً لا تتحدث كثيراً يبدو بسبب انتحار تلك الفتاة مريضتها أمام عينها لكن سبق وانتحر أحد مرضاها أيضاً أمامها لكن الفرق أن ذلك كان مجرماً لا أسف عليه أظن أن ثيا متأثرة بتلك الفتاة كثيراً لكن لا بأس ستكون الآن سعيدة وسيغير مزاجها عندما أطلب يدها، قاطع أفكاره وخيالاته اتصال من رقم غريب لم أرغب بالرد خصوصاً في هذا اليوم المميز وإجازة لذلك تجاهلته لكن الرسالة التي وصلت لي من الرقم نفسه غيرت كل شيء شعرت بالبرودة تسري في أجزاء جسدي وكانت كالتالي:

- «مرحباً يا بني ظل بعد عناء طويل حصلت أخيراً على رقمك لطالما كل هذه السنوات كنت أبحث عنك ولم أنسك يوماً في الأيام الأخيرة عرفت أنك أنت ظل نفسك الطبيب الشرعي وجامع التحف عندما ظهرت على التلفاز علمت بأنك هو لأنني لا أعتقد أن أحداً اسمه ظل في

العالم سواك هل تتذكر عندما أخبرتك بأن اسمك جميل ونادر بينما أنت لم تسألني عن اسمي ولو مرة واحدة، لم أستطع نسيانك لا أنا ولا زوجتي بعد وفاة والدك وعندما اعتنينا بك فقط لأسابيع بعدها اختفيت بعد ما اختفت جثة والدك أيضاً كنت ألعن نفسي سبعين مرة كنت خائفاً من أن يكون حدث لك شيء لكن تبين لاحقاً أنك انتقلت إلى العاصمة لتكمل دراستك كنت أتساءل دائماً كيف أنك طفل شجاع استطاع أن يعيل نفسه بنفسه في عمر صغير وحتى الآن صدقني لم أنس يوماً طريقة موت والدك الغريبة وظللت أحقق في الأمر لكن كان الأمر أقوى مني بكثير، أرجو أن تتصل بي في أسرع وقت يا بني بالمناسبة سبعة عشر عاماً لقد مرت وأنت لم تسألني عن اسمي أنا المحقق السابق «سول غودمان»..

لم أكن أتوقع واحداً بالمئة حتى أن حياتي عبارة عن خيط طويل متشابك بعضه في بعض بدون نهاية! لم أكن أتوقع أنني سأصاب بصدمة خلف صدمة في اليوم الواحد فقط شعرت بغثيان رهيب وأنا أعيد وأكرر الرسالة وأقف عند اسم المحقق! إنه الاسم نفسه الذي يبحث عنه نيكولاس إنه المحقق نفسه الذي يعيش بقريننا إنه المحقق نفسه الذي كان المسؤول عن قضية مقتل أبي إنه المحقق نفسه الذي اعتنى بي هو وزوجته طوال فترة العزاء وحزني وصدمتي على أبي هو محق أنا لم أعرف اسمه يوماً ولم أهتم باسمه حتى إذاً هذا الرجل هو نفسه الذي

يبحث عنه نيكولاس وفي غمضة عين أتى هو بنفسه لي لكن
لماذا يريد التحدث إلي؟ يجب أن أتصل به الآن قبل أن تصل ثيا:

- مرحباً، سيد غودمان؟؟

أجاب من صوته من الواضح أنه أصبح عجوزاً مر عليه
غبرات السنين:

- أهلاً يا بني نعم أنا غودمان، سعيد بأنك اتصلت سريعاً
بعد أن قرأت الرسالة..

- لقد مر وقت طويل..

- بالفعل يا بني لقد مر وقت طويل ولقد كبرت بشكل رائع
أنا سعيد..

- شكراً لك هل ترغب في رؤيتي قريباً؟؟

سألته..

- لا، لا أظن ذلك يا بني لا يوجد أي وقت لي للقاءك،،
سكت قليلاً وهو يسعل ثم أكمل حديثه وبدأ عليه التعب
والإرهاق بصوت يرتعش:

- يجب أن تسمعي جيداً يا ظل منذ تلك اللحظة التي
التقيت فيها بك وعرفتك أنت ووالدك لكنني لم أخبرك
لأنني أنا أيضاً كنت أعيش في تلك القرية لكن انتقلت أنا
وزوجتي لتؤمن حياة منفتحة لأطفالنا بعيداً عن هذه القرية
قبل خروجي من القرية كنت أعمل على قضية كانت

القضية في القرية قرية «أدوبان» لم يكن هناك أي شيء يساعد لا شرطة ولا محققون ولا علم ولا عقول لذلك كان القتل أكثر من المياه والشرب وكان الأموات أكثر من الأحياء، لكنني كنت مصراً على أنه يجب أن أحقق في هذه القضية المرعبة لكن مضت السنوات وأنا لم أصل إلى أي حل ولا إلى أي طرف يربطني بالمجرم رغم أن سكان القرية عددهم على الأصابع لكن ليس من السهل أن تجد القاتل بينهم، أصبحت زوجتي تتذمر بأنها ترغب الخروج من هذه القرية لذلك لم يكن لدي أي خيار وتخلت عن القضية التي كنت أحقق فيها وعندما خرجت مع عائلتي من القرية أظن أن الجرائم استمرت لكن لم أكن قادراً على فعل شيء، بعد سنوات انتقلت أنت ووالدك إلى تلك المدينة الصغيرة التي كنا فيها وحتى إنني في مرات ألقى التحية على والدك اشتهر والدك بأنه إنسان طيب وخلق جداً وهادئ وضعيف، في العام نفسه الذي انتقل فيه والدك وأنت معه وصلني خبر من صديق بأن الجرائم توقفت في تلك القرية وبعد عام أصلاً القرية انهارت يقول البعض إن الأموات نهضوا من قبورهم بحكم أنهم أكثر من الأحياء والتهموا الأحياء ويقول البعض إن عاصفة قوية كالعادة أدت إلى مسح كل شيء في القرية بسكانها لكن هناك شيء آخر، أخبرني صديق لي بأنه كان هناك في القرية أشياء مروعة تحدث أشياء وتجارب لا

يستوعبها العقل البشري وأن القرية لا أحد الآن يستطيع
إيجادها أو رؤيتها لكنها موجودة وأن السبب في ذلك
شخص له لقب..

توقف عن الحديث وبدأ بالسعال بشكل أقوى وأنا قلبي
ينبض وبدأ جسدي يتعرق ثم خرجت عن صمتي:

- إذا كنت لا تشعر بأنك بخير فلا تكمل لا بأس دعنا نؤجل
الحديث..

- لا يا بني لا يوجد وقت يجب أن تسمع كل شيء الآن لا
أحد يصدقني غيرك، نعم ذلك الشخص الذي هو سبب كل
شيء وهو من كان يتحكم في القرية ويحول الإنس إلى
شياطين إنه يملك الكثير من الأسماء ولربما الكثير من
الأشكال لكن اللقب الذي حصلت عليه هو «ظلام» أو
«الظلال»!! يقول الكثير بأن هذا ليس اسمه الحقيقي ولكن
ما نعرفه أن هذا لا يوجد له وجود أو له وجود لا أحد
يعرف! الشيء الذي سأخبرك عنه يا بني من الممكن أن
يكون قاسياً لكنني ليس لدي خيار آخر كنت أحتفظ بذلك
في صدري لم أكن أرغب بأن أقوله لك لكن حصلت أمور
مفجعة معي بعد أن تعمقت في هذه القضية وفي حقيقة
القرية لقد فقدت زوجتي وابني في حادث أما ابنتي
فجعلتها تسافر بعيداً لكي تكمل دراستها كنت أعلم بأن
كل شيء مدبر لا أعلم من هم لكن يريدونني أن أصمت
كانوا طوال الوقت في رأسي إنهم يقتحمون كوابيسي

ويجعلونني أرى أشياء مفاجئة لقد سحبوني للجحيم
قضيت معظم وقتي في المصححات النفسية والآن أنا على
حافة الموت لذلك يجب أن أخبرك بسرعة قبل أن يأتي..

- من؟؟

- هو الظلام أو أيّاً يكن، اسمعني يا بني من الرائع أن الجميع
يظنون أن آباءهم وأمهاتهم هم أجمل شيء في الحياة
وأروع شيء وأنهم ملائكة منزلون من السماء لكن أحياناً لا
تسير الأمور كما نريد، تلك القضية التي بدأ بها كل شيء
حيث كان جميع الضحايا الذين يقتلون كنت أنا أو سكان
القرية يجدون جثثهم متروكة على قارعة الطريق لكنها
تكون بدون أوجه! كانوا منزوعي الوجوه وهذه كانت
أغرب قضية أراها في حياتي بعد أن استسلمت وغادرت
القرية إلى البلدة وعندما انتقلت أنت ووالدك بالطبع لم
أكتشف ذلك إلا بشكل متأخر جداً بعد موت والدك لكنني
هربت بعيداً بعائلتي قبل أن نجدنا ذلك الشيطان لكنه في
نهاية الأمر وجدني اكتشفت قبل سبعة أعوام أنه حدثت
جريمة قتل حديثة لرجل في الخمسين من عمره وكانت
في تلك المدينة الصغيرة التي كنا نسكن بها قتل الرجل
وهو لديه طفلان ابن في الجامعة وفتاة في المتوسط انتزع
وجهه بالطريقة نفسها هنا نبض قلبي وبدأت الإشاعات
الخرافية بالخروج لأن القرية قريبة من المدينة قالوا بأن
شبح القاتل الذي يسرق الأوجه قد انتقل إلى هنا بعد ما

اختفت القرية لكن هذا ليس صحيحاً إنما من انتقل هو
القاتل الحقيقي نفسه بعد أن قتل هذا الرجل لم يقتل أي
أحد آخر لماذا؟ لأنه مات بالطبع..

بدأت أنفاسي تتسارع وقلبي ينبض والطين في رأسي قلت
وأنا ألهث:

- توقف الآن!! ما الشيء الذي تلمح له؟

قال وهو يسعل:

- أنا آسف يا بني لكن هذه الحقيقة القضايا التي أرعبت
الناس والسلطات والتي لم تحل إلى الآن أنا الشخص
الوحيد الذي عرف هوية القاتل القاتل هو والدك
«غريفوس أليكساريس».. والدك هو قاتل «نازع الأوجه»..

لم تكن عاصفة هذه المرة ضربت في رأسي لم يكن إعصاراً
يدور ولم يكن بركاناً ثائراً تفجر في صدري ولم يكن زلزالاً يهز
الأرض من تحت أقدامي لم يكن أيّاً من هذا الذي أشعر به كان
أعمق بكثير كان أعمق من هاوية مظلمة أعمق من المحيطات
والأراضي السبع أعمق من خندق ماريانا الذي يعتبر أعمق نقطة
في الكرة الأرضية، لم أشعر بشيء هكذا فراغ خاو كان الصمت
في قلبي ورأسي والهدوء في أعماق جسدي، كانت الصدمة قد
ماتت في روحي والانفعال وردة الفعل تلاشيا من قلبي أما أنا
فحتى السمع فقدته للحظات حيث ما زلت أسمع صوت السيد
العجوز من خلف السماعة ما زال يتحدث ويسعل لكن بدا صوته

بعيداً جداً كل البعد عن واقعي وكل ما أسمعُه الآن طنين الذبابة
لقد عادت وبقوة:

- اصمت!!!

قلت صارخاً في أذن الرجل العجوز:

- توقف الآن أنت تكذب وليس لديك أي أدلة وتلك
القضية التي تتحدث عنها ما أنت إلا شخص مهووس وهي
لا وجود لها..

- أعلم بأن من المستحيل أن تصدق في والدك لكن هذه
الحقيقة لطالما كان والدك يملك وجهاً بشعاً ولطالما كان
جميع من في القرية يرمون عليه الكلمات والألفاظ القاسية
لربما هذا أحد أسبابه ودوافعه التي جعلته يقتل الناس
ويتزعر وجوههم..

- قلت لك اصصمت!!

- أنت كنت تعرف يا ظل أنا واثق لكنك كنت طفلاً كنت
تري كل شيء لكن عقلك الصغير بالكاد يستوعب كل
الأحداث التي حدثت هناك..

- اصمت أيها الخرف اصمت..

- ما هذا إلا قطرة من بحر يا ظل الموضوع لا يتمحور حول
قضية والدك فحسب الموضوع أكبر من ذلك هناك أخطر
وأبشع وأرعب من والدك أصدقاء وجماعة والدك أولئك

الشياطين ما زالوا يبحثون عنك لذلك كنت أبحث عنك
لكي أحذرك،، احذر من الظلال يا ظل ..

- قلت لك اصمت اصمت اصمت ..

رميت بالهاتف بقوة في الحائط حتى تحطم إلى جزيئات
صغيرة نزلت على الأرض على ركبتي وأنا ألهث بقوة أرخيت
ربطة العنق فسدت تسريحة شعري وأناقتي وفسدت روحي معها
ويومي وحياتي! لم علي أن أواجه كل هذه الأشياء وحدي؟ لماذا
علي أن أتصدى لحرب قادمة من الماضي؟ مستحيل مستحيل أن
يكون أبي وحشاً مستحيل أن يقتل أبي أحداً مستحيل أن يؤدي
أبي حتى نملة مستحيل أبي ليس بقاتل أبي كرس حياته فقط من
أجلي..! أبي الذي هو نور حياتي مستحيل أن يكون ظلاماً، أبي
ليس بقاتل لماذا الجميع مصرون أن يجعلوه قاتلاً؟

في هذه اللحظة أريد أن أختفي تماماً حتى إنني لن أتذكرني،
لا مشاعر، لا ذكريات، فقط حرية النسيان. أتمنى الآن ان أختفي
فحسب وكأنه لا وجود لي على هذه الأرض وأن أضيع لدرجة أنه
لا يجد أثري أحد وأن أذهب بعيداً ولن أتمكن من العودة إلى
هذه الأرض مرة أخرى لكن ليس لدي أي فكرة كيف أفعالها؟ هل
أنتحر هل أقتل نفسي؟ لكن ثيا ستكون حزينة وحزنها يقتلني
حتى وأنا ميت ..

لم أدرك ولم أع على نفسي حتى شعرت أن ضوء الشمس
اختفى وحل الغروب وأتى صوت أليكسا تخبرني أن ثيا عند

الباب بقيت ساعة ونصف الساعة كاملتين وأنا أجلس على الأرض وكأنني منوم مغناطيسياً غير مدرك بالوقت ولا الزمن انجبرت أليكسا أن تفتح الباب لثيا نهضت بسرعة كنت عازماً أن لا أذع أي شيء يفسد هذا اليوم لكن القدر كان يقول لا، توجهت إلى الحمام وقمت بغسل وجهي وأعدت ترتيب نفسي حاولت أن ألملم شتاتي وشتات روعي المبعثرة، نزلت إلى الأسفل بابتسامة مصطنعة والحرب بداخلي رغم ذلك ثيا حقاً لديها موهبة خاصة في قراءة الملامح، عندما رأيتها تقف في صالة المعيشة كانت كالضوء الذي أتى ليسحني من الظلام بفستانها الأحمر وشعرها المنسدل المموج الأسود مع أحمر الشفاه الذي يطابق لون الفستان رائحة عطرها التي أزهرت المكان وروحي ثيا الوحيدة القادرة على أن تكون دوائي وسلامي وفوزي:

- مساء الخير كيف حالك؟

قالت وهي تحتضني فيما احتضنتها بقوة حتى شعرت بأن قلوبنا التصقت بعضها في بعض:

- ظلي هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً جداً!

سألني بعد أن شعرت بأن هناك كرباً ما في نفسي حاولت أن أخفي ذلك بالطبع:

- لا، أنا بخير يا حبي لا تقلقي أوه نعم تعالي سنجلس في الأعلى اليوم هيا..

صعدنا إلى الصالة التي بالطابق الثاني كانت الصالة العلوية تطل على الغابة بشكل جميل ما أن دخلنا تفاجأت ثيا بكل التجهيزات والأشياء الجميلة التي حضرتها من أجلها الورد والطاولة والموسيقى والمشروب والطعام قالت وهي منذهلة وبدأت ملامح السعادة ترسم في وجهها الجميل:

- ما هذا؟ هل هذا كله من أجلي؟؟

- بالطبع إذا لم يكن من أجلك فمن أجل من سيكون؟

- شكرًا لك يا ظلي كنت أحتاج حقًا في هذه الأيام أي شيء يسعدني أحبك كثيرًا..

- أنا آسف حقًا لأنني كنت أهملك في أغلب الأيام لكن...! لا بأس انسي الموضوع تعالي دعينا نتناول الطعام هناك أشياء كثيرة سنفعلها بعد الطعام..

أثناء تناولنا لطعام العشاء لم أعرف ما الذي آكله أصلًا ولم أعد أعلم هل أنا موجود في هذا العالم أو لا لكن كل ما في الأمر أصبحت أشعر بأنني لم أعد أشعر، كانت ثيا تتحدث بأمر كثيرة لا أعرف ما هي لأنني لا أستطيع سماعها وكل ما أسمع هو طنين الذبابة التي ترن في رأسي باستمرار بشكل مستفز بينما أنظر إلى ثيا وأنا مبتسم فحسب حتى سألت:

- هل لديك جيران جدد هنا؟؟

- جيران؟! ماذا تقصدين؟

- عندما وصلت إلى هنا لمحت طفلة تقريباً في عمر عشرة أعوام أو أكبر كانت تلعب هنا بالقرب من بوابة القصر لكن بعد أن رأني غادرت واختفت لا أعلم إلى أين ذهبت في وقت مظلم ومتأخر كهذا؟

طفلة؟ معقول أن ثيا شاهدت كيارا؟ لكن لماذا ثيا أصبحت ترى كيارا؟ قلت متداركاً الوضع:

- ربما صراحة لا أعرف من الممكن أن عائلتها توقفوا قليلاً في مكان قريب وهي أتت إلى هنا..

- صحيح من الممكن..

انتهينا من طعام العشاء وشربنا قليلاً صحيح أنني لم أكن على مايرام لكنني شعرت بأن ثيا اليوم أيضاً لم تكن كذلك صحيح أنها كانت سعيدة لكن كان عقلها مشوشاً وطوال الوقت تسألني أسئلة غريبة وتنظر في المنزل هنا وهناك ولم أفهم تصرفاتها لأن عقلي بنفسه مشوش شعرت بأنه حان الوقت خصوصاً بعد أن رقصنا معاً حان الوقت أن أتقدم لها لا أعرف بأي طريقة لكن يجب أن أتقدم لها، التقطت باقة الورد وناولتها ثيا بكل حب وسعادة كان قلبي ينبض بقوة هذه المرة الأولى من فترة طويلة التي لم ينبض قلبي فيها بقوة بسبب الخوف أو التوتر أو الرعب أو التعب بل كان ينبض بسبب الحب بعد أن أخذت الورد أخرجت صندوق الخاتم وفتحته أمامها رأيت عينيها توهجت كما توهج قلبها:

- ثيا، منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها وهدت نفسي بأن قلبي لن يتحول أبداً ولن يبحث عن شيء آخر أبداً، أقسمت إلا أحب أي شخص جديد، وألا أشعر أبداً بأي شخص بالطريقة التي أشعر بها تجاهك. رحلتنا المليئة بالتحديات هي طريق يسير معاً جنباً إلى جنب خطوة بخطوة، ومسواجه كل عاصفة كل ارتفاع وانخفاض.. أولويتي الترامي الأعمق. هي جعلتنا نبقى ليس فقط مدى الحياة ولكن أبعد من ذلك بكثير حيننا هو عرش يستحق الحراسة يستحق كل جهد كل صعوبة نواجهها كل عقبة نتغلب عليها تقوي الرابطة بيننا. لا أستطيع حتى أن أبداً بتصور المستقبل بدونك الحياة بدونك مثل السماء بدون نجوم أو قصة بدون كلمات أنتِ حلم مستقبل لا أريد الاستيقاظ منه أبداً كل لحظة معك ثمينه كل ثانية تساوي أكثر من العمر، حيننا يا ثيا إرث وحكاية خالدة ستتردد عبر العصور.. بالنسبة لك بالنسبة لنا أعدك بالحب إلى ما لا نهاية بما يتجاوز تعريف الوقت لن أنتمي إلى أي شخص آخر أنتِ فقط حتى تتحول عظامي إلى رماد ويتوقف قلبي عن النبض، ثيا هل تقبلين بي؟

بدأت الدموع تنهمر من عينيها الجميلتين وجنتاها احمرتا من السعادة ومن الحب أجابت وهي تمسح دموعها بابتسامة:

- أقبل بك؟ إذا لم أقبل بك فبمن سأقبل؟ لكنني خلقت يا ظل حتى تكون أنتِ لي وأنا لك ولطالما كنت قابلة بك منذ عشرة أعوام وحتى الآن وإلى الأبد...

نمت بوضع الخاتم في أصبعها وقامت بوضع خاتمي في
أصبعي هنا شعرت بأن حياتي ستتحسن شعرت بأنه رغم ما
حدث في الأيام الماضية ستصبح حياتي على ما يرام لكن لم
أظن أنه مجرد لحظة واحدة ويختفي كل هذا الأمل..

وعندما كنت أحتضنها فتحت عيني لأرى للمرة الثانية تلك
الجنة بعين واحدة تنظر إلينا مباشرة!! كانت تقف في الممر أما
هذه المرة فكان واضحاً ثم التفت بطريقة سريعة وذهب من
الجهة الأخرى دب الخوف في صدري ارتعشت بالكامل وأنا أرى
هذا المنظر حتى ثيا شعرت بي:

- هل أنت بخير؟

سألني وهي تضع يديها وتمسح على شعري:

- نعم أنا بخير لكن ما رأيك سأحضر لنا قهوة ابقني هنا لن
أناخر وسأعود سريعاً اتفقنا؟..

- حسناً لماذا لا آتي معك كالعادة ونستطيع تحضيرها معاً؟

- لا لا، أنتِ ابقني هنا أنتِ اليوم أميرة لذلك لن تفعلي أي شيء..

وافقت بابتسامة تركتها وخرجت أردت أن أرى هل أتخيل أم أن
ذلك الرجل بالفعل يتجول؟ لن أسمح بأن تراه ثيا يكفي أنها
شاهدت كيارا يجب أن أفعل شيئاً سأذهب للتحقق من الاستديو
وأعود وبالفعل توجهت بسرعة إلى القسم الثاني وليتني لم أفعل
بغبائي وأترك ثيا لدقائق فقط ليتدمر كل شيء!..!



«الفصل الثلاثون»

«أنا مريض»

يا..

ذهب ظل ليصنع لنا القهوة وفي تلك الأثناء ما زلت أشعر
بأنني في حلم جميل حلم لا أريد الاستيقاظ منه كنت أعلم وكنت
واقفة بأنه سيأتي هذا اليوم أخيراً وأخيراً أتى، أنا أقول بأنني الآن
أسعد إنسانة أسعد امرأة في العالم أخيراً أنا ألبس خاتماً يربطني
بالرجل الذي أحبه لا أعلم كيف سأخبر أمي وأبي سيكونان
سعيدين أعلم بأن أمي لا تحبه لكن على الأقل كسبت الرهان قبل
يومين وهي تخبرني بأنه لن يتزوجني لكنني كنت أثق بظل أعلم
جيداً أنه يحبني أكثر من نفسه حتى، رفعت يدي وأنا أتأمل الخاتم
بكل سعادة لا أصدق أنني أخيراً سأرتدي الفستان الأبيض لظل
وسنعيش أنا وهو تحت سقف واحد، هذا اليوم بالنسبة لي مثل
الحلم لكن لم أكن أعلم بأنه سيتحول إلى كابوس بعد دقائق..

في الأيام الأخيرة بعد ما حدث مع الفتاة أيللا وكريستيان
وخوف أيللا من صورة ظل وسعادة كريستيان برؤيته! صراحة
نسيت كل هذا وقررت أن أضع هذا في قائمة المصادفة المرعبة

لأن الاثنين يعانيان من خلل في العقل ليس من الطبيعي أن آخذ كلامهما على محمل الجد وأنا أعلم جيداً بأن ظل حتى من المستحيل أنه يعرفهما ولا يوجد ظروف ولا أرض تجمعهم معاً، لكن كان هناك أمور أخرى شكوك حول والد ظل لطالما عشر سنوات كنت متجاهلة الموضوع لكن كنت أفكر إذا أتيت إلى المنزل مرة أخرى فسأذهب إلى غرفة والده وأتحدث معه لم أنس تلك المرة التي كان يكرر فيها بطريقة مخيفة بعض الكلمات ولم أنس أنني أصلاً لم أر وجهه أيضاً، بعد ما أخذت هذه الإجازة وأنا أفكر في حياة ظل كيف كان وحيداً وغريباً طوال الوقت رغم نجاحه وذكائه ومكانته في المجتمع إلا أن هناك شيئاً غامضاً حوله لكن أقول لنفسي لا بأس أنا أعرفه أكثر من نفسه لكنني كنت مخطئة في حين تأملي للخاتم وللصور التي التقطناها قبل قليل معاً سمعت صوتاً غريباً داهم خيالاتي الجميلة رفعت رأسي نظرت إلى الممر ثم نهضت تقدمت نحو سور الممر نظرت إلى الأسفل لم يكن هناك أي شيء غريب لكن كان هناك هدوء مرعب:

- ظل؟؟

ناديت ظل على أمل أن أسمع صوته لكن لم يكن هناك أي رد فجاءة سمعت صوت باب غرفة يفتح توترت قليلاً لكن تلاشى الخوف عندما رأيت أنها غرفة والد ظل لكن الباب انفتح فقط وهو لم يخرج قررت أن أشجع نفسي مثل المرة الأولى وأذهب إليه وبالفعل توجهت إليه بخطوات متوترة حتى وصلت إلى

الغرفة فتحتها كان هذه المرة يجلس أيضاً على كرسيه المتحرك يعطيني ظهره الوضعية نفسها والجلسة نفسها وكأن اليوم يتكرر بخلاف عندما نظرت إلى الغرفة كانت تبدو وكأنه مر بها إعصار! كانت الأغراض ملقاة في كل مكان ومحطمة الإضاءة المكسورة والكتب المتناثرة والأوراق! غريبة لم تكن هكذا في المرة الماضية ثم إن ظل يهتم بوالده كثيراً لماذا هذه المرة الغرفة فوضوية جداً؟:

- مرحباً عمي أنا ثيا..

قلت بتوتر وصوت منخفض:

- أعلم بأنك لا تحب وجودي هنا لكن قررت أن ألقى التحية عليك اليوم هل تسمح لي؟

لم أجد أي رد قررت التقدم تقدمت خطوة بخطوة حتى وصلت إلى مقعده أمسكت بالكرسي لكي أقوم بتدويره باتجاهي وعندما قمت بتدويره اختفت ابتسامتي وأحلامي وآمالي وطمأنيتي وسعادتي! عندما رأيته فقط شهقت بقوة وسقطت على الأرض هذا ليس رجلاً حياً إنه جثة ميتة!! وجهه الرمادي جسده الهزيل عيناه الغائرتان شفاته السوداء وان صحيح أنه لم يكن متعفنًا علمت فوراً بأنه محنط لكنه كان كالمومياء المرعبة شعرت بالخوف شعرت بالقلق بدأت ألهث وأزحف للخلف حتى خرجت إلى الممر وأصبحت الرؤية لدي مظلمة وأنا أسير بسرعة وأنعشر لم أستطع تحمل المنظر توجهت إلى الحمام وبدأت أتقيأ

كل شيء أكلته لدرجة شعرت بأن روحي ستخرج من معدتي!
 ظل الذي كان يخبرني عن والده طوال العشرة الأعوام والده
 بالحقيقة هو جثة جثة متعفنة! مستحيل كنت أعلم بأن ظل يعاني
 من مشكلات نفسية لأنني طبييته لكن لم أكن أعلم بأنه واصل
 لهذه المرحلة من الجنون؟ لكن في ذلك اليوم من تحدث معي؟
 إذا كان والده جثة فمن كان يقول لي تفضلي يا ابنتي؟؟ أنا يجب
 أن أخرج بسرعة من المنزل يجب أن أخرج..

وعندما فتحت باب الحمام صرخت بقوة لأنني وجدت ظل
 يقف كالشبح.. وأنا أفكر ولم أعد أصلاً أستطيع أن أفكر ماذا
 أفعل؟؟ هل أخبره أم أسكت فحسب؟

ظل..

ذلك اللعين عندما ذهبت إلى الاستديو وجدته على حاله
 مستلقياً في مكانه ولم يكن هناك أي شيء غريب آخر عدت
 بسرعة إلى القسم الأول من القصر بعد ما تذكرت أنني تركت ثيابي
 طويلاً وهي إنسانة فضولية صعدت إلى الصالة ولم أجدها علمت
 بأنني ارتكبت خطأ كبيراً ذهبت إلى غرفة أبي بسرعة وعندما
 رأيت الباب مفتوحاً وأبي كان جالساً بشكل معكوس باتجاه الباب
 هنا عرفت أن ثيابي رأتها على حقيقته!! سمعت صوتاً من الحمام
 وأنا أدعو أن هناك أملاً ضئيلاً بأن ثيابي لم تر شيئاً وعندما فتحت
 الحمام صرخت ثيابي مفزوعة مرعوبة ووجهها شاحب مزرق هنا

تيقنت بأن ثيا قابلت أبي، أمسكتها وأنا أحاول أن أجعلها تهذاً:

- ثيا اهدئي هذا أنا ما خطبك؟؟

قالت بتلعثم واضح وخوف وهي تحاول أن تتجاهل النظر في عيني:

- لا بأس أنا بخير كنت أعاني من ألم في معدتي أنا، أنا أريد أن أغادر لقد تأخرت..

قالت وهي تتجاهلني توجهت بسرعة إلى الصلاة وأخذت حقيبتها وهاتفها حتى إنها لم تأخذ الورد لكن وقفت في طريقها:

- ثيا أرجوك دعينا نتحدث انتظري فقط اجلسي سأخبرك بكل شيء..

ردت بخوف:

- لا تلمسني دعني فحسب أغادر ستتحدث لاحقاً حسناً؟..

- لا لا لا ثيا اسمعيني أرجوك يجب أن تسمعيني اللعنة..!

صرخت في وجهها بغضب وأنا أحاول أن لا أخيفها لكنني فشلت ثم قلت بهدوء:

- أرجوك اسمعيني..

قالت وهي تبكي وتبعد يدي عن يديها:

- حسناً أنت تخيفني أرجوك ما الذي تريد أن تقول؟ كيف تريد أن تفسر ذلك الشيء؟ اسمعني ظل دعني أخرج أنا سأساعدك حسناً؟ أنت تحتاج إلى المساعدة فقط أنت

لست بخير ذلك الشيء أقصد تلك الجثة والدك هو ميت
يا ظل..

عندما قالت هذه الكلمات شعرت بأنني خسرت كل شيء هذا
يعني أن ثيا لن تتقبل والدي ولن تتقبل عائلتي وإذا لم تتقبل أبي
وعائلتي فهذا يعني أنها لن تتقبل الحياة هنا صرخت بانفعال وأنا
أمسك بكتفيها بقوة:

- لا أبي ليس ميتاً أبي ليس ميتاً هل تفهمين؟ انظري يا ثيا إنه
يتحدث معي طوال الوقت هو فقط لا يحبك إنه نائم فحسب
عندما يستيقظ سأخبره بأنك هنا سأخبره بأننا سنتزوج قريباً
سأخبره بأنك ستعيشين معنا وستنضمين إلى عائلتنا..

- عائلة!!؟

قالت بياس وحزن وخوف:

- أي عائلة؟ أرجوك يا ظل أنت تحتاج إلى المساعدة فقط
دعني أخرج الآن سأقوم بمساعدتك صدقني..

عادت الذبابة في عقلي وهذه المرة أنا أراها تدور وتدور
حولي وصوت طنينها يزن في عقلي، لكن يجب أن أركز مع ثيا
هذه المرة لأن ثيا تقول إنها تريد مساعدتي ما الذي تقصد؟ هل
أنا مجنون بالنسبة لها؟ كنت أظن أنها الوحيدة التي ستتقبل
أفكاري كنت أظن أنها الوحيدة التي ستتقبل اختلافي لكن لا لم
يحدث لقد دمرني ثيا إنها تنظر إلي كما كان الجميع ينظرون إلي
وإلى أبي نظرة شفقة تفرز خوف غرابة تعجب رعب!! كنت أظن

أنها سترشدني إلى الطريق طريق أحلامي لكن لا لم تفعل ذلك،
ثيا إذا خرجت ستدمر كل شيء ما الذي ستفعله؟ بالطبع ستخبر
الشرطة وسيأتون إلى هنا وسيأخذون أبي مني سيفرقوننا بعضنا
عن بعض طوال السنوات سيأخذون عائلتي أيضاً سيأخذون كل
مجهودي وتعبي مستحيل أن يحدث هذا علاوة على ذلك لن
تعود ثيا تنظر إلي بحب بل بشفقة فقط:

- أنا ذاهبة يا ظل..

أنت كلمتها علي مثل الصاعقة سارت من أمامي بسرعة وهي
تمسح دموعها نزلت السلالم أسمع خطواتها ما الذي علي أن أفعل؟

- إنها تغادر يا ظلي لا تسمح لها سيقومون بتفريقنا أعلم بأنك
غاضب مني لكن أعلم جيداً بأنك ستضحني من أجلي..

سمعت هذه الكلمات في رأسي بصوت أبي مع صوت زنين
الذبابية سينتهي ظل سينتهي حلم بيتشيني الذي بدأ للتو سينتهي
كل شيء لكن لن أسمح بذلك مجهود عشرين عاماً لن أسمح
بأن يتدمر في ليلة واحدة..

ركضت بسرعة خلف ثيا ورغم أن خطواتها كانت سريعة لكنني
كنت أسرع عندما رأيتني أركض نحوها رأيت كل الخوف في عينيها
وكانها شاهدت وحشاً مفترساً يركض خلفها وكان ذلك يعذبني
ويقتلني بدأت بالصراخ وهي تركض أسقطت حقيبتها من شدة
التوتر وصلت لها أمسكتها وهي تصرخ: أرجوك اتركني يا ظل
أرجوك لا تؤذني، حاولت أن أجعلها تهدأ كنت فقط أريدها أن

تهدا كنت أرغب بأن أحبسها هنا وأشرح لها كل شيء كنت فقط أريد أن أجعلها تتعرف على عائلتي لربما ستحبهم وتتغير وجهة نظرها لكن أبت ظلت تصرخ باستمرار وأنا أمسك بها من رقبتها من الخلف، وهي تقاوم بشدة جرحني في رقبتني بأظافرها وضعت يدي بكل قوة على أنفاسها كنت أريدها أن تسكت كنت أريدها أن تشعر بالأمان:

- أرجوك يا حبيبي اسمعيني فقط لن أؤذيك أبداً يجب أن تفهميني فقط أرجوك، أنت تريدني تركي بعد كل هذه السنوات أنا ليس لدي أحد في هذه الحياة غيرك أنتِ كل حياتي يا ثيا يجب أن لا تتركيني هكذا ببساطة وتدمري كل شيء، أحبك يا ثيا صدقيني أحبك أحبك أكثر من أنفاسي أكثر من روحي أكثر من كل شيء في هذه الحياة، أنتِ يا ثيا الحية الوحيدة التي تثير انتباهي وتلفت نظري واهتمامي أحبك يا ثيا لدرجة أنني بعد موتك سأحتفظ بجثتك معي للأبد..

عم صمت مريب أفلتت ثيا يديها بانسياب عيناها مفتوحتان والدموع سقطت منهما لربما آخر دمعتين في حياتها لم أعد أشعر بحرارة أنفاس ثيا في يدي! ولم أعد أسمع صوتها ولا صوت صرختها لم أعد أشعر بتحركاتها ولا بنبض قلبها حتى صوت الذبابة اختفى أدركت أن ثيا ماتت لقد قتلت ثيا لقد قتلت حب حياتي..

إذا سمحت لك بإلقاء نظرة خاطفة على روحي في أعماق جوهرني الواسع فهل تتعهدين بعدم الهروب؟ إذا عرضتك للهستيريا

في ذهني أليس كذلك؟ وعدتِ بعدم الاستسلام للجنون؟ إذا قبلتك في وطني ألا تقسمين أن تصبحي لاجئة؟ إذا كشفتُ لك قلبي المهووس بك فهل تتعهدين بألا ترتعبي؟ إن قلبي مروع جداً ومرعب بشكل مأسوي، أغلقت الصحف وجفت الأقلام ورفعت الرايات أنا الآن حطام إنسان أنا أغرق في الفوضى إن صدري يحاول أن ينشق عن قلبي حزناً وجزعاً هل يجب أن أحزن؟ هل يجب أن أبكي؟ لكنني أبكي الآن أم هذه مجرد قطرات عرق بسبب مجهودي في عراكي مع ثيا، ثيا الآن ترقد في حضني كالملاك لم تفعل شيئاً واحداً سيئاً في حياتها ربما أنا كنت الشيء السيئ الوحيد في حياتها، لا تستحق ثيا أن تكون بعيدة عني ولا أستحق أنا لا تستحق أن تكون وحدها في قبر مظلم ضيق ولماذا ستكون في قبر؟ ثيا نائمة فحسب لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة لنا إنها تلبس الخاتم وستزوج قريباً ليس من الضروري أن تعود إلى منزل عائلتها منزلها وموطنها أصبحا هنا..

الأرض باردة يا محبوبتي يجب أن نذهب الآن حملت ثيا بين ذراعي كانت خفيفة كخفة طائر العصفور أو فراشة، توجهت بها فوراً إلى القسم الثاني لطالما كانت ثيا تريد أن تعرف ما الذي يوجد هنا والآن ستعرف أخيراً هنا عائلتي.. دخلت بها إلى الاستديو وضعتها على طاولة وأنا أبكي هل كنت أبكي؟ لماذا أبكي ثيا نائمة فحسب، أجهز الأدوات وأنزع ملابسها الجميلة أنزل إكسسواراتها أقوم بغسلها أقوم بكل هذا وأنا أبكي وما زلت لا أعرف لماذا أبكي؟ جففت جسدها أشعر بأن روحي ثقيلة

أشعر بأن جسدي ثقيل وحتى جلدي ثقيل علي لم أعد قادراً
على حمله، أرى الجميع حولي عائلتي يقفون بشكل دائري حتى
هم يبدو الحزن عليهم عندما أحزن هم يحزنون لحزني لكن لكن
لم أنا حزين؟

بدأت بعملية التحنيط وكانت أول مرة أقوم فيها بهذه العملية
وأنا لا أشعر إلا بشعور الثقل كنت أشعر وكأن مئة شخص فوقي
مع كل مرحلة في العملية أرى ثيا تبتسم أشاهد ذكرياتها معي
لكن لا بأس سنصنع ذكريات أخرى وستكون أجمل وأسعد وإلى
الأبد، لم أشعر أبداً بأي تعب أو إرهاق أو جوع أو عطش وكل ما
شعرت به هو الحزن فقط، بعد أن أخفيت سيارة ثيا قمت بتكليف
شخص بالأموال بأن يقوم بتعطيل جميع الكاميرات التي في
المنطقة وأساساً المنطقة لا يوجد بها إلا خمس كاميرات فحسب
لأن كل المنطقة والأراضي تعود إلي وهي ملكي، استمرت
العملية كالعادة ثلاثة أيام ولم أنم ولم أرتخ ولم أكل ولم أشرب
حتى انتهيت وقبل الخطوة الأخيرة تركتها تجف كنت أشرب فقط
النيذ طوال الوقت، توجهت إلى هاتف ثيا وأغلقتة بعد أن رأيت
المكالمات والرسائل تصل إلى المئات بين والديها وأصدقائها
والعمل، رأيت هاتفي أيضاً يعج بالمكالمات لكن لا أحد أصلاً
يعرف رقمي غير والدها ووالدتها كان العذر لدي جاهزاً: يظنان
أنني ما زلت مسافراً خارج البلاد وهي أصلاً لم تقل لهما بأنها
ذاهبة إلي لأنها ببساطة لا تقول لأهلها عن الأماكن التي تريد
الذهاب إليها بحكم أنها امرأة مستقلة، لكنني كنت أشعر بالحزن

لست مهموماً ولا خائفاً من أحد كل ما أشعر به هو الحزن فقط،
 ثيا أين سأضعها؟ ستكون ثيا الشخص الثاني بعد أبي تستحق أن
 تبقى في غرفتي في القصر الأساسي صحيح هي زوجتي وحب
 حياتي لكن هناك لمسات أخيرة يجب فعلها قمت بإلباسها فستاناً
 بلون أرجواني فهي تحب هذا اللون سأشتري لها فيما بعد الكثير
 من الملابس والمجوهرات عندما يكون كل شيء أماناً بعدها
 سأخرجها وأضعها في القصر وسنكون معاً للأبد لن يفرقنا أحد،
 وضعت لها مساحيق التجميل وألبستها الإكسسوار وحتى طلاء
 أظافر لأنها تحبه وأخيراً الخاتم خاتم زواجنا كان الوقت الساعة
 الثانية عشرة ودخلنا اليوم الرابع أخرجتها إلى صالة المعيشة بينما
 كان الجميع يجلسون ويراقبون وضعتها فوق الكرسي كالأميرات
 كان الجميع متحمسين لانضمام ثيا إلى عائلتنا لكن كان هناك
 حزن لأنني حزين ولا أعرف لماذا؟ جلست على أحد كراسي
 البار الدوارة وبدأت أدور به أدور وأدور حول نفسي أرى الجميع
 ينظرون إلي بحزن أحاول أن أجعل الدموع تتطاير من عيني لكن
 بدون فائدة أخيراً توقفت وضعت قارورة النيذ جانباً نزلت من
 على الكرسي احتضنت ثيا ودموعي ما زالت تفشل في التوقف
 عن النزول وقلت بصوت يسوده كله الكآبة والحزن:

- رحبوا بحب حياتي أخيراً ثيا ستكون معنا إلى الأبد..

قام الجميع بالتصفيق والابتسامة لكن كانت أعينهم تفيض
 دمعاً على حالي وما زلت لا أعرف لماذا؟ نزلت على ركبتي
 وألبست ثيا الخاتم قبلت يدها وعدت مرة أخرى واحتضنتها:

- لطالما كنت تخبريني يا ثيا بأنني بخير وأنني لست مريضاً
شكراً لك أنتِ محقة لكنني مريض أنا مريض بك يا ثيا
وهذا هو مرضي الوحيد سنرقص الآن رقصة الزفاف..

وقف الجميع بشكل دائري وأنا وعروسي في المنتصف
أحملها بين يديّ لربما تكون تشعر بالخجل الآن لأن عائلتي
يقفون ويشاهدون هذه اللحظات الرومانسية والسعيدة وضعت
يدي على خصرها وبدأنا بالرقص وبينما كنت أرقص كنت أبكي
لا أعرف لماذا؟ أو لربما من شدة السعادة لأن ثيا أصبحت ملكي
للأبد رغم أن الأغنية التي قامت بتشغيلها أليكسا كانت مؤثرة
لطالما أليكسا كانت تشعر بي أكثر من البشر صدحت الأغنية في
جميع أرجاء القصر وأنا أغني معها ودموعي لا تتوقف ولا تتوقف
ولا أعرف لماذا؟ هل هو من شدة السعادة أو من شدة التعاسة..

بينما غنت بالفرنسية «لارا فايان» من سماعات أليكسا «أنا
مريض» بالفعل كنت مريضاً:

«لم أعد أحلم

Je ne rêve plus

أنا لا أدخن بعد الآن

Je ne fume plus

لم يبق لي أي قصة

Je n'ai même plus d'histoire

أنا قذر بدونك

Je suis sale sans toi

أنا قبيح بدونك

Je suis laide sans toi

مثل اليتيم في المهجع

Comme une orpheline dans un dortoir

لم أعد أرغب

Je n'ai plus envie

أن أعيش حياتي

De vivre ma vie

حياتي تنتهي عند رحيلك

Ma vie cesse quand tu pars

لم تعد لدي حياة

Je n'ai plus de vie

وحتى سريري

Et même mon lit

يتحول إلى منصة المحطة

Se transforme en quai de gare

عندما تغادر

Quand tu t'en vas

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

مثل عندما خرجت والدتي في المساء

Comme quand ma mère sortait le soir

وتركتني وحدي مع يأس

Et qu'elle me laissait seule avec mon désespoir

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Parfaitement malade

متصل، لا نعرف أبداً متى

T'arrives on ne sait jamais quand

تذهب لا نعرف أبداً إلى أين

Tu pars on ne sait jamais où

وسيكون ما يقرب من عامين

Et ça va faire bientôt deux ans

إنك لا تهتم

Que tu t'en fous

مثل صخرة

Comme à un rocher

مثل خطيئة

Comme à un péché

أنا مدمن عليك

Je suis accroché à toi

أنا متعب، أنا مرهق

Je suis fatiguée, je suis épuisée

للتظاهر بالسعادة

De faire semblant d'être heureuse

عندما يكونون هناك

Quand ils sont là

أنا أشرب كل ليلة

Je bois toutes les nuits

بالنسبة لي فإنهم يتذوقون الشيء نفسه

Pour moi ont le même goût

وجميع القوارب

Et tous les bateaux

احمل علمك

Porte ton drapeau

لم أعد أعرف إلى أين أذهب بعد الآن، أنت في كل مكان

Je ne sais plus où aller tu es partout

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

أسكب دمي في جسدك

Je verse mon sang dans ton corps

وأنا مثل الطير الميت

Et je suis comme un oiseau mort

متى تنام

Quand toi tu dors

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Parfaitement malade

لقد حرمتني من كل أغانيّ

Tu m'as privée de tous mes chants

لقد أفرغتني من كل كلماتي

Tu m'as vidée de tous mes mots

ومع ذلك كان لدي موهبة

Pourtant moi j'avais du talent

قبل بشرتك

Avant ta peau

هذا الحب يقتلني

Cet amour me tue

إذا استمر هذا

Si ça continue

سأموت وحدي معي

Je crèverai seule avec moi

بالقرب من الراديو الخاص بي

Près de ma radio

مثل طفل غبي

Comme un gosse idiot

الاستماع إلى صوتي الذي سوف يغني

En écoutant ma propre voix qui chantera

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

مثل عندما خرجت والدتي في المساء

Comme quand ma mère sortait le soir

وتركتني وحدي مع يأمي

Et qu'elle me laissait seule avec mon désespoir

أنا مريض

Je suis malade

هذا هو

C'est ça

أنا مريض

Je suis malade

لقد حرمتني من كل أغاني

Tu m'as privée de tous mes chants

لقد أفرغتني من كل كلماتي

Tu m'as vidée de tous mes mots

وقلبي مريض تماماً

Et j'ai le cœur complètement malade

حواجز محاطة

Cerné de barricades

تسمع

T'entends

أنا مريض

«Je suis malade..»

وبعد انتهاء الأغنية اكتشفت أنني لست مريضاً أنا الممرض
بنفسه أنا لست مجنوناً أنا الجنون برأسه، أنا من أنا أصلاً ومن
أكون؟ أنا شخص مخيف لا مرعب لا أنا شخص يريد أن يعيش
مع الجثث..

انتهى..



«خاتمة بداية النهاية»

١٩٩٢ م..

«أرى أبي كل يوم بوجه جديد ولا أعرف لماذا؟»

- التهم قلبه أو لحمه أو جلده اشرب دمه كل هذا لا يغير حقيقة أنك بشع هل ترغب بتغيير جلدك؟ حتى لو بدلت جلدك لجلد آخر حتى لو ارتديت ألف وجه لا تنسَ أبداً وجهك الحقيقي..

- لن أنسى ذلك لا تخف الأهم أنك أنت أيضاً لا تنسى أنني رغم بشاعتي لدي أعلى ثمن..

قال ضاحكاً:

- أيها الغبي أعلى ثمن يعود إلي أنا إنها حقيقة مؤقتة فقط وستستيقظ من أحلامك الواهنة أنت هنا خادم لي فحسب وبدوني لن تصل إلى أي شيء أنا صنعتك ولن يكون لديك هذا الثمن أصلاً تذكر دائماً أن هذا الثمن يعود لي أنا وما أن أنتهي من مهمتي ظل سيعود إلى والده أنا وحتى

ذلك الوقت سأجعله معك لكن لا تفكر بأن تسرق ابني
وتهرب لأنني سأحرقك..

- الشمس لا تحرقني بوجود ظل..

- حسناً إذا جرب فقط وانتظر ما ستراه مني أيها الخائن..

- أنا لم أخنك بعد..

- كل أفكارك واضحة لكن سأمثل أنني مجنون على أمل أنك

لن تنسى أنني أنا الذي صنعتك من لا شيء إلى كل شيء..

«الفهرسة»

٩	«الإهداء»
١١	«مقدمة»
١٣	«تمهيد»
١٥	«الفصل الأول»: «لماذا أنا مفتون بالجثث؟»
٢٧	«الفصل الثاني»: «الجانب المظلم»
٤٥	«الفصل الثالث»: «ولادة في جوف القبر»
٦١	«الفصل الرابع»: «بيتشيني»
٨١	«الفصل الخامس»: «الطوفان»
١١٧	«الفصل السادس»: «ليلة مظلمة»
١٣٩	«الفصل السابع»: «اشتريت جثة»
١٧١	«الفصل الثامن»: «القتل هواية؟ أم موهبة؟!»
١٨٧	«الفصل التاسع»: «وقطع داود رأس جالوت»
٢٠٥	«الفصل العاشر»: «هناك دبابيس في وسادتي»
٢٢٩	«الفصل الحادي عشر»: «أشعر بجنازة في رأسي»
٢٥٣	«الفصل الثاني عشر»: «جثة بلا وجه»
٢٦٧	«الفصل الثالث عشر»: «همس الجدران»
٢٧٩	«الفصل الرابع عشر»: «المسوخ»

- ٢٩٥ «الفصل الخامس عشر»: «إن الفن جنون»
- ٣٠٩ «الفصل السادس عشر»: «عشاء مع الجثث»
- ٣٢٥ «الفصل السابع عشر»: «الضيف»
- ٣٤٧ «الفصل الثامن عشر»: «ماريانا»
- ٣٧٧ «الفصل التاسع عشر»: «لغة الشيطان»
- ٣٩٥ «الفصل العشرون»: «الشياطين»
- ٤١١ «الفصل الحادي والعشرون»: «أمي عادت من الهاوية»
- ٤٣١ «الفصل الثاني والعشرون»: «أحاصر شبحاً يحاصرني؟»
- ٤٤٧ «الفصل الثالث والعشرون»: «لا مفر من الجنون إذا كنت أنت الجنون»
- ٤٦٣ «الفصل الرابع والعشرون»: «رأس ميدوسا»
- ٤٨٥ «الفصل الخامس والعشرون»: «منزل سعيد»
- ٥٠٧ «الفصل السادس والعشرون»: «ميت من الداخل»
- ٥٢١ «الفصل السابع والعشرون»: «فن الجثث»
- ٥٣٩ «الفصل الثامن والعشرون»: «الرقص مع الجثث»
- ٥٥٧ «الفصل التاسع والعشرون»: «انضمي إلي للموت»
- ٥٧٥ «الفصل الثلاثون»: «أنا مريض»
- ٥٩٥ «خاتمة بداية النهاية»

**«انتظروا رحلة «البيتشميني» كيف بدأت ومنتى بدأت؟
وملحة من الرعب النفسي في الجزء الثاني قريباً بعنوان
«الوحش ذو الألف وجه» .. جلد....»**

ماريا الحيسي..

٧ مارس ٢٠٢٤ م..

الثلاثاء..



سلسلة

من المهد إلى اللحد

شياطيني تعمل في نوبة المقبرة
أعيش يومي بلا وزن وحرّاً ولكن
عندما يأتي الليل تنتظرني شياطيني
بالسلاسل جاهزة وسعيدة لسحبي
وأحلامي بعيداً

"شخص مفتون بالجثث"

مريم الحيسي

@x♂ maria_hise5



adabarabic7
X services_book
servicesbook1
www.adab-book.com

